

إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ  
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا

# هَلْ أَعْطَيْنَاهَا حَقَّهَا

الصَّلَاةُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
زَرَّ الطَّاقَةَ.. وَسَرُّ الْإِفَاقَةَ



تأليف

توفيق بن خلف الرفاعي



صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا



اسم الكتاب: صلوا عليه وسلموا تسليماً .  
المؤلف: توفيق بن خلف بن عبد الله الرفاعي .

مَقُودُ الطَّبَعِ مَحْفُوظَةٌ

الطبعة الأولى

١٤٤٧هـ - ٢٠٢٦م



الصف والتصميم والإخراج:

**السبيل**  
مؤسسة سبيل  
للدعاية والإعلان والنشر والتوزيع

حولي - شارع المثني - مجمع البديري

الدور الأرضي - محل ٢٩

هاتف: +٩٦٥٦٠٠٨٢٧٠٤

إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ  
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا

هَلْ عَطَيْنَاهَا حَقَّهَا

الصَّلَاةُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
زَرَّ الطَّاقَةَ.. وَسَرُّ الْإِفَاقَةَ

تأليف

توفيق بن خلف الرفاعي





بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

## المقدمة

### المطلع الشريف: هي رابط الإحياء والإحياء:

كيف نسعى لنقل أيام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - وهي أعظم أيام الله - إلى قلوبنا؟

كيف تشهدها بصائرنا، كيف إذا شهدتها لا تمحي بعد ذلك أبدًا؟!

وليس هذا هو قصدنا تحديدًا بل هو أدق من ذلك؛ إذ هو: كيف نعيش مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟ بل كيف نعيشه؟ كيف تشاهده بصائرنا؟ كيف نُحْيِي قُربه فينا وقربنا منه لدرجة المشاهدة؛ مشاهدة البصائر له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في كل أيامه... نعم في كل أيامه؟

لم أرَ طريقًا لهذا أعظم بركةً ولا أوضح ولا أثبت من طريق تفعيل الصلاة والسلام الدائمين على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، صلاةً وسلامًا دائمين ينبعثان من وسط المشهد من مشاهد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، بل من جزئيات كل مشهد يمرُّ على قلب القارئ؛ إذ هو يصلي على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ... فأنت إذ تشعل في قلبك مشهدًا من مشاهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تُطلق في نفسك وعلى لسانك الصلاة والسلام عليه، حتى لكأنك حاضر بين يديه ناظر إليه، وأنت تُصَلِّي عليه... تشاهد بعينيك شخصه إذ هو في ذلك المشهد الذي رُوي عنه ولسانك من لهج ذكره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بالصلاة عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ منطلق لا تملك إيقافه إذ القلب اشتعل حبًّا وتعظيمًا وتبجيلًا واشتياقًا إليه... كيف وهذا هو رِواء



الاشتياق الحقيقي إليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وأنى للمشتاق المتلهف إذا اقترب أن يلتفت، وأنى له أن يستكثر صلاةً وسلامًا على حبه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، أو يستطيل وقتًا ذهب بالصلاة والسلام عليه مع هذه المعاشية مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، المعاشية لعيشة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، والإيحاء من حياته لحياتنا... لقلوبنا... لأعمالنا... وذلك بما تبعته الصلاة والسلام على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في كل مشهد وموقف.

فالأمر هنا ليس أمر فهمٍ وعلمٍ ظاهر، فحسب، بل هو استنباط صحيح بغوصٍ عميق، ورجاء في كل مشهد من مشاهد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، متعرفًا على أدق ما يستطيع من عظمته في كل شيء صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، والعبد إذ ذاك يحدو قلبه بالصلاة على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فالصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هي مظهر الحب والتعظيم، وهي مثبت المشهد العظيم، وهي شاهد الاتباع له والاشتياق إليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وهي إرضاء لله رب العالمين، وتزلف إليه بحقيقة حب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، والتذلل والتواضع والتجسُّب إليه، وهي فوق ذلك البيعة المطلقة ظاهرًا وباطنًا إليه موثقة بالصلاة عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ومنطلقة منها. هكذا تصبح الصلاة على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هي الرابط الحي بيننا وبين رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وتصبح هي الزكاء والنقاء، والحب المتبادل، وهي الغيرة الحاضرة والنخوة الثائرة، وهي الإرث الحق الذي نورثه لأجيالنا حين نورثهم كل ذلك مختومًا في كل جزئية من جزئيات مشاهد الصلاة والسلام عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

وأخيرًا؛ فهل تصورنا كيف ينبعث من الصلاة على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الإيحاء للأمة كلها وفي كل ميدان.. ومنها ميدان الإحياء.

فإلهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك محمد



## كم تستطيع أن تقترب من المشاهدة؟

ليس هذا بالأمر الافتراضي ولا التخيلي، فما هو ركن الإسلام الأول؟  
 ليس هو: (أشهد أن محمدًا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) بعد شهادة أن لا  
 إله إلا الله... إذا فهي شهادة، والشهادة مبنية على المشاهدة، وكلما اقتربت في  
 يقينها من المشاهدة كنت - أيها الشاهد المشهّد - أصدق في الشهادة... فكم  
 تستطيع أن تقترب من المشاهدة لتكون أصدق في الشهادة؟ وكم تستطيع أن  
 تزيد الاقتراب وتزيد ثم تزيد... كم؟

لا تحاول أن تنقض هذا المقام للشهادة الثانية بالشهادة الأولى، وهي:  
 [أشهد أن لا إله إلا الله]، فإنها شهادة حق وشهادة بحق وأعظم حق، ولكن  
 الشهادة لله تعالى لها عند كل شاهد حدٌّ، وأعلاها: كأنك تراه؛ أي: كأنك تشاهده  
 تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِقَلْبِكَ أَوْ كَمَا يُقَالُ: بِعَيْنِي قَلْبِكَ، ذلك أنه هو الله رب العالمين، ﴿فَلَا  
 تَضْرِبُوا لِلَّهِ الْأَمْثَالَ إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٧٤]، الله الذي ﴿لَا تُدْرِكُهُ  
 الْأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الْأَبْصَارَ﴾ [الأنعام: ١٠٣]، فالله الذي ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ  
 وَهُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ﴾ [الشورى: ١١]، وهذا قطعًا ليس في حق بشر، ورسول الله  
 صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بشر، ومن فضل الله علينا أن فتح لنا طريق المشاهدة إلى رسول الله  
 صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ واضحة جلية مشخصة، فأوصافه ظاهرة عند الكافرين قبل أن  
 يُبْعَثَ نبيًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وقبل أن يولد، فكيف بما رواه الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ؟!  
 فعن جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «خَرَجْتُ تَاجِرًا إِلَى الشَّامِ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَلَمَّا  
 كُنْتُ بِأَذَى الشَّامِ، لَقِيَنِي رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ، فَقَالَ: هَلْ عِنْدَكُمْ رَجُلٌ تَبْنَأُ؟،  
 قُلْتُ: نَعَمْ، قَالَ: هَلْ تَعْرِفُ صُورَتَهُ إِذَا رَأَيْتَهَا؟، قُلْتُ: نَعَمْ، فَأَدْخَلَنِي بَيْتًا فِيهِ  
 صُورٌ، فَلَمْ أَرْ صُورَةَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَبَيْنَا أَنَا كَذَلِكَ؛ إِذْ دَخَلَ رَجُلٌ مِنْهُمْ  
 عَلَيْنَا، فَقَالَ: فِيْمَ أَنْتُمْ؟ فَأَخْبَرْنَا، فَذَهَبَ بِنَا إِلَى مَنْزِلِهِ، فَسَاعَةَ مَا دَخَلْتُ نَظَرْتُ



إِلَى صُورَةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَإِذَا رَجُلٌ آخِذٌ بِعَقَبِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، قُلْتُ: مَنْ هَذَا الرَّجُلُ الْقَابِضُ عَلَى عَقْبِهِ؟ قَالَ: إِنَّهُ لَمْ يَكُنْ نَبِيًّا إِلَّا كَانَ بَعْدَهُ نَبِيٌّ إِلَّا هَذَا، فَإِنَّهُ لَا نَبِيَّ بَعْدَهُ، وَهَذَا الْخَلِيفَةُ بَعْدَهُ، وَإِذَا صِفَّةُ أَبِي بَكْرٍ (١).

ثم هو القائل: «مَنْ رَأَنِي فِي الْمَنَامِ فَقَدْ رَأَنِي، فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتِمَثَّلُ بِي» (٢)، فإن الشيطان لا يملك قطع هذا الطريق، ولا الاقتراب منه فيما بين رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وبين أمته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

فالطريق كله إليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مفتوح وواضح ومنير؛ كما في الروايات الواردة عن حياته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فالله سبحانه قال: ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ﴾ [الأحزاب: ٢١]، فالأسوة من النَّاسِيِّ، ولولا أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى حفظ ذلك له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وحفظه لنا، فأتى لنا أن نتأسى به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

وأوصافه الشخصية وملامحه وكل ما فيه واضح، حتى كأننا نراه، كما رآه مَنْ رآه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؛ صحابته الكرام رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

فالمحور في كل هذا: هو الصلاة والسلام عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؛ وهي الكنز الذي لا كنز مثله لو أنها أخذت حقها الذي شرعه الله لأجلها! واستخرجت كنوزها من أعماقها، واستوقدت أنوارها من أقمارها، وأصغت القلوب جيذاً لوحياها من مواقف صاحبها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.. هنا تنبعث الحياة من وحيها، وهذا الذي كان لأجله هذا الكتاب. فماذا في الصلاة والسلام على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وآله من إحياءٍ لنا وحياة..؟! ماذا فيما ورد في الصلاة والسلام

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٨٢٣١)، وقال: لَا يُرَوَى هَذَا الْحَدِيثُ عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ إِلَّا بِهَذَا الْإِسْنَادِ، تَفَرَّدَ بِهِ: مُحَمَّدُ بْنُ إِدْرِيسَ وَرَأْفُ الْحُمَيْدِيُّ، وأخرجه البخاري في التاريخ الكبير (٥٤٥)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد: رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْكَبِيرِ وَالْأَوْسَطِ، وَفِيهِ مَنْ لَمْ أَعْرِفْهُمْ.

(٢) رواه مسلم (٢٢٦٦).



على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مما ورد في القرآن والسنة من إحياءٍ لنا وإحياء؟! ماذا في تحريك القلب والذاكرة بربط حياتنا بحياته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من لحلحة جمود المآقي، وجمود الأرواح بتحريك القلب واللسان بالصلاة والسلام عليه من إحياءٍ لنا وحياة؟!!

لا تقل كيف ذلك؟!!

تعال هنا وأوقد فؤادك حبًّا لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

تعال هنا وأشعل بصيرتك بنور من عند الله تر فيه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

فَاللَّهِمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا

تعال هنا ووثق الصلة برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بالصلاة على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ... بل وثق الصلة في كل جزئية من جزئيات حياته وحركاته؛ إذ أنت توقد نورها بنور الصلاة على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وهل يملك صاحب النور إلا أن يرى؟ وما فائدة النور إذا لم ير صاحبه؟!!

تعال هنا لنعرف رسولنا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ معًا، لنقترب منه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ونقترب ونعيش معه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ونعايشه.. تعال لنزيل الوحشة التي وقعت بهجران قلوبنا لذكره وتعظيمه وتبجيله وإجلاله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

تعال هنا لنزيل الغبش عن أبصارنا الذي أعشى على صورته الكريمة صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في صدورنا، وعلى رؤيته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بقلوبنا؛ إذ لم تعد قلوبنا تبصر ذلك النور العظيم، ولم تعد حياتنا تهدي بنور هداة.

تعال هنا: ولسوف نجد في كل صلاة وسلام على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إحياءً ورسالة، إحياءً وهداية، سنرى ذلك هنا في تفاصيل هذا الكتاب وكلياته... فلا جمود أبدًا في الصلاة على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، بل منها يصل حادي



الإيحاء وتنبعث الحياة، فالصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تلازمك حياتك لو تَفَطَّنْتَ لها؛ فما ظهر لك من ذكره صليتَ عليه ظاهراً، وما بطن بذكرك إياه في نفسك صليتَ عليه في نفسك.

ثم انظر: هل القرآن كله إلا أنزل له وعليه وهو وحي، وهل هُديهِ إلا ﴿وَحْيٌ يُوحَى﴾ [النجم: ٤]؟! فأَيُّ رباط بكل هذا إلا بالصلاة والسلام عليه.. فاللهم أحي الأمة بهذا الوحي، وابعث في القلوب الحياة حتى تدرك الإيحاء من الصلاة على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فتنبعث من جديد، فيجتمع الخير كله بالإيحاء والإحياء.

فاللهم صَلِّ على عبدك ورسولك محمد وآله وصحبه وسلِّم تسليماً



## يَتِيمٌ مُتَيْمٌ

دعوني أُسَلِّم عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في الابتداء... إنه أبي، سلام من يشاهد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.. سلام من يسمع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ... سلام الولد اليتيم المُتَيْم، وقد علم أنه الآن ليس بيتيم، فإن أباه حيٌّ يُرْزَق، وأنه الآن.. الآن سيلقاه.. فأبي هُيام لليتيم هذا؟! وهل من قوة قادرة على منع هذا اليتيم من التقدم إلى أبيه؟! بل هل من أحدٍ يمكن أن يُقنع اليتيم الآن بأن أباه ليس بحيٍّ وحياته أعظم من حياة الشهداء؛ لأنه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فضلًا عن كونه شهيدًا!؟

لقد قال لنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ بِمَنْزِلَةِ الْوَالِدِ، أَعَلَّمَكُم»<sup>(١)</sup>. إي والله إنَّ أبي حيٌّ؛ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حيٌّ في برزخه يُرْزَق؛ كما قال لنا هو ذلك، وهو يَرُدُّ علينا السلام، وهو.. وهو... وكل هذا سنعرفه بإذن الله. لا والله لن نستطيع أحدٌ أن يأخذ بِحُجْرَتِي وأنا أتقدَّم الآن للقائه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، دعوني ولا تمنعوني...

دعوني أَعِشْ معه، كواحدٍ من خُدَّامه.. من أصحابه.. من أولاده. دعوا أمته كلها تأتيه، فوالله إن مدينته المنورة لتسعهم، وإن مسجده الأول لتسعهم، وإن بيته لتسعهم، بل والله الذي لا إله إلا هو، إن صدره الطاهر المُطَهَّر لتسعهم جميعًا ويزيد.

فَاللَّهِمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا

(١) أخرجه أبو داود (٨)، وحسنه الألباني.



## سببك الثقلان يوماً ندماً يا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .

دعوني أدعُ العالم كله بْمُنْصِفِيهِ وَحَاقِدِيهِ وَحَاسِدِيهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ للقاءه هو صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَجْهًا لوجه... فوالله لن يندموا على شيء ندمهم على عدم معرفته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ولن يبكوا على شيء بكاءهم على ما فرط منهم نحوه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وكيف قابلوه بالجهل والجهالة، وهو في كل نفسٍ يبعث لهم المحبة الخالصة التي سوف تغمرهم، وندمهم على أن تأخرت هدايتهم حتى الآن، وندمهم على أنهم لم يدركوا الصلاة والسلام عليه على حقيقتها واكتشاف حقيقتها إلى الآن.

دعوني أحزن من جديد مع كل هذا العالم على موته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ... دعونا نبكيه حتى نرتوي بدموعنا؛ لأننا وصلنا إليه وقد نفص الصحابة أيديهم من ترابه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ... أليس هو لنا الأب؟! أليس هو أحب إلينا من آبائنا وأمهاتنا والناس أجمعين؟! أليس هو أنفع إلى الناس أجمعين من الناس أجمعين؟! أليست مصيبة موته تُنسي كل المصائب بما فيها مصائب وفاة الآباء والأمهات؟! أليس هو القائل: «إِذَا أُصِيبَ أَحَدُكُمْ بِمُصِيبَةٍ، فَلْيَذْكُرْ مُصِيبَتَهُ بِي، فَإِنَّهَا أَعْظَمُ الْمَصَائِبِ عِنْدَهُ»<sup>(١)</sup>؟! وصدق، ولا أحسب أن مريثة قالها بشر مثل مريثة حسان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ فِي رَسُولِ اللهِ يَوْمَ مَاتَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ:

بِطَيْبَةِ رَسْمٍ لِلرَّسُولِ وَمَعْهَدُ مُنِيرٍ وَقَدْ تَعْفُو الرُّسُومُ وَتَهْمَدُ  
وَلَا تَمْتَحِي الْآيَاتُ مِنْ دَارِ حُرْمَةٍ بِهَا مِنْبَرُ الْهَادِي الَّذِي كَانَ يَصْعَدُ  
وَوَاضِحُ أَنْبَارٍ وَبَاقِي مَعَالِمٍ وَرَبْعٌ لَهُ فِيهِ مُصَلَّى وَمَسْجِدُ

(١) أخرجه الطبراني في المعجم الكبير (٦٧١٨)، وصححه الألباني، وأخرجه ابن كثير في جامع المسانيد والسنن عن أبي نعيم، بلفظ: «مَنْ أُصِيبَ بِمُصِيبَةٍ فَلْيَذْكُرْ مُصِيبَتَهُ بِي، فَإِنَّهَا مِنْ أَعْظَمِ الْمَصَائِبِ»، قال ابن حجر في الإصابة (٣/٣): إسناده حسن.



بِهَا حُجْرَاتٌ كَانَ يَنْزِلُ وَسَطَهَا  
مَعَارِفٌ لَمْ تُطْمَسْ عَلَى الْعَهْدِ آيَهَا  
عَرَفْتُ بِهَا رَسْمَ الرَّسُولِ وَعَهْدَهُ  
ظَلَلْتُ بِهَا أَبْكَى الرَّسُولَ فَأُسَعِدْتُ  
يُذَكِّرُنَ آلَاءَ الرَّسُولِ وَمَا أَرَى  
مُفَجَّعَةً قَدْ شَفَّهَا فَقَدْ أَحْمَدُ  
وَمَا بَلَغَتْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ عَشِيرَهُ  
أَطَالَتْ وَقُوفًا تَذْرِفُ الْعَيْنَ جُهِدَهَا  
فَبُورِكْتَ يَا قَبْرَ الرَّسُولِ وَبُورِكْتَ  
وَبُورِكَ لِحْدٌ مِنْكَ ضَمَّنَ طَبِيبًا  
تَهِيلُ عَلَيْهِ التُّرْبُ أَيْدٍ وَأَعْيُنُ  
لَقَدْ غَيَّبُوا حِلْمًا وَعِلْمًا وَرَحْمَةً  
وَرَأَحُوا بِحُزْنٍ لَيْسَ فِيهِمْ نَبِيُّهُمْ  
يُبْكُونَ مِنْ تَبْكِي السَّمَاوَاتِ يَوْمَهُ  
وَهَلْ عَدَلَتْ يَوْمًا رَزِيَّةَ هَالِكِ  
تَقَطَّعَ فِيهِ مَنَزِلُ الْوَحْيِ عَنْهُمْ  
يَدُلُّ عَلَى الرَّحْمَنِ مَنْ يَتَّقِدِي بِهِ  
إِمَامٌ لَهُمْ يَهْدِيهِمُ الْحَقَّ جَاهِدًا  
عَفْوٌ عَنِ الزَّلَّاتِ يَقْبَلُ عُذْرَهُمْ  
مَنْ اللَّهُ نُورٌ يُسْتَضَاءُ وَيُوقَدُ  
أَتَاهَا الْبَلَى فَالْآيُ مِنْهَا تَجَدَّدُ  
وَقَبْرًا بِهَا وَارَاهُ فِي التُّرْبِ مُلْحَدُ  
عُيُونٌ وَمِثْلَاهَا مِنَ الْجَفْنِ تُسَعِدُ  
لَهَا مُحْصِيًا نَفْسِي فَنَفْسِي تَبَلَّدُ  
فَظَلَّتْ لِآلَاءِ الرَّسُولِ تُعَدُّ  
وَلَكِنْ لِنَفْسِي بَعْدَ مَا قَدْ تَوَجَّدُ  
عَلَى طَلَلِ الْقَبْرِ الَّذِي فِيهِ أَحْمَدُ  
بِلَادِ ثَوَى فِيهَا الرَّشِيدُ الْمُسَدَّدُ  
عَلَيْهِ بِنَاءٌ مِنْ صَفِيحٍ مُنْصَدُّ  
عَلَيْهِ وَقَدْ غَارَتْ بِذَلِكَ أَسْعَدُ  
عَشِيَّةَ عَلْوِهِ الثَّرَى لَا يُوسَّدُ  
وَقَدْ وَهَنْتَ مِنْهُمْ ظُهُورٌ وَأَعْضُدُ  
وَمَنْ قَدْ بَكَتَهُ الْأَرْضُ فَالنَّاسُ أَكْمَدُ  
رَزِيَّةَ يَوْمٍ مَاتَ فِيهِ مُحَمَّدٌ؟  
وَقَدْ كَانَ ذَا نُورٍ يَغُورُ وَيُنْجِدُ  
وَيُنْقِذُ مِنْ هَوْلِ الْخَزَايَا وَيُرْشِدُ  
مُعَلِّمٌ صِدْقٍ إِنْ يُطِيعُوهُ يَسْعَدُوا  
وَإِنْ يُحْسِنُوا فَاللَّهُ بِالْخَيْرِ أَجْوَدُ

وَإِنْ نَابَ أَمْرٌ لَمْ يَقُومُوا بِحَمَلِهِ  
فَمِنْ عِنْدِهِ تَيْسِيرٌ مَا يَتَشَدَّدُ  
فَبَيْنَاهُمْ فِي نِعْمَةِ اللَّهِ بَيْنَهُمْ  
دَلِيلٌ بِهِ نَهَجُ الطَّرِيقَةِ يُقْصَدُ  
عَزِيزٌ عَلَيْهِ أَنْ يَجُورُوا عَنِ الْهُدَى  
حَرِيصٌ عَلَى أَنْ يَسْتَقِيمُوا وَيَهْتَدُوا  
عَطُوفٌ عَلَيْهِمْ لَا يُثْنِي جَنَاحَهُ  
إِلَى كَنْفٍ يَخْنُو عَلَيْهِمْ وَيَمْهَدُ  
فَبَيْنَاهُمْ فِي ذَلِكَ النُّورِ إِذْ غَدَا  
إِلَى نُورِهِمْ سَهْمٌ مِنَ الْمَوْتِ مُقْصَدُ  
فَأَصْبَحَ مَحْمُودًا إِلَى اللَّهِ رَاجِعًا  
يُبَكِّيه حَقُّ الْمُرْسَلَاتِ وَيُحْمَدُ  
وَأَمَسَتْ بِلَادُ الْحُرْمِ وَحُشًّا بِقَاعِهَا  
لِعَبِيَّةٍ مَا كَانَتْ مِنَ الْوَحْيِ تَعْهَدُ  
فَقَارًا سِوَى مَعْمُورَةِ اللَّحْدِ ضَافَهَا  
فَقِيدٌ تُبَكِّيه بَلَاطٌ وَغَرَقْدُ  
وَمَسْجِدُهُ فَالْمُوحِشَاتُ لِفَقْدِهِ  
خَلَاءٌ لَهُ فِيهِ مَقَامٌ وَمَقْعَدُ  
وَبِالْجَمْرَةِ الْكُبْرَى لَهُ تَمَّ أَوْحَشَتْ  
دِيَارٌ وَعَرَصَاتٌ وَرَبْعٌ وَمَوْلِدُ  
فَبَكِّي رَسُولَ اللَّهِ يَا عَيْنُ عَبْرَةٍ  
وَمَا لِكَ لَا تَبْكِينَ ذَا النِّعْمَةِ الَّتِي  
فَجُودِي عَلَيْهِ بِالذُّمُوعِ وَأَعُولِي  
وَمَا فَقَدَ الْمَاضُونَ مِثْلَ مُحَمَّدٍ  
أَعْفَ وَأَوْفَى ذِمَّةً بَعْدَ ذِمَّةٍ  
وَأَبْدَلَ مِنْهُ لِلطَّرِيفِ وَتَالِدٍ  
وَأَكْرَمَ صِيْتًا فِي الْبُيُوتِ إِذَا انْتَمَى  
وَأَمْنَعَ ذِرْوَاتٍ وَأَثَبَتْ فِي الْعُلَا  
وَأَثَبَتْ فَرْعًا فِي الْفُرُوعِ وَمَنْبَتًا



رَبَّاهُ وَيَلِدًا فَاسْتَمَّ تَمَامُهُ عَلَى أَكْرَمِ الْخَيْرَاتِ رَبُّ مُمَجِّدُ  
تَنَاهَتْ وَصَاةُ الْمُسْلِمِينَ بِكَفِّهِ فَلَا الْعِلْمُ مَحْبُوسٌ وَلَا الرَّأْيُ يُفْنَدُ  
أَقُولُ وَلَا يُلْقَى لِقَوْلِي عَائِبٌ مِنَ النَّاسِ إِلَّا عَازِبُ الْعَقْلِ مُبْعَدُ  
وَلَيْسَ هَوَايَ نَازِعًا عَنْ ثَنَائِهِ لِعَالِي بِهِ فِي جَنَّةِ الْخُلْدِ أَخْلُدُ  
مَعَ الْمُصْطَفَى أَرْجُو بِذَلِكَ جِوَارَهُ وَفِي نَيْلِ ذَاكَ الْيَوْمِ أَسْعَى وَأَجْهَدُ  
فَاللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا

سنعرف بل سنشاهد هنا الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .. وكم قصرنا في فهمها وفي مقتضياتها، وبعد هذا كم هجرنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بهذا السبب، وكم هو الطريق رَحْبٌ وسهلٌ وواسعٌ وواصلٌ .. إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ...  
فإليك إليك يا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الآن التوجه بالسلام والصلاة عليك ..  
ونحوك من الآن سارت مراكب أمتك، ولن يحول بيننا وبينك أحد، وقد ألقينا عند قدميك حالنا والمراد، والأرواح والأجساد، والمتاعب والسهاد، والأبناء والأموال والعدة والعتاد.

فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا وَنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا



## إني لأحسبه الختام بالصلاة والسلام عليه ، فאלلهم صلّ وسلّم عليه وآله وصحبه تسليماً



يا رب: كم يرجو عبدك بالكتابة عن الصلاة على رسولك صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؛  
فمن أحب في الثقلين إليك من حبيبك سيدنا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟!  
فيا ربي: هأنذا أتزلف إليك برسولك صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وبالصلاة عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.  
فيا رب هذا كتابي أرفعه إليك قبل أن أعرضه على خلقك، فتقبّله مني إنك  
سميع الدعاء.

يا رب: إنك تعلم سبحانه أني مذ عرفت التأليف وركبت بحره، حدثتني  
نفسي مرارًا بالكتابة عن الصلاة على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لكنني كنت  
أنصرف عنها إلى طابور متزاحم من المؤلفات المنتظرة، ظنًا مني أن من كتب  
فيها قد كفى ووفى وأغنى... وحسبت أن هذا الكتاب ربما لم يكن يكتب له قبول  
ولا جديد فيه ولا تجديد!، وربما حسبت أن الحاجة لغيره من الكتب أكبر؛ لذا  
تركت الكتابة فيه ما شاء الله لي أن أترك...! فإذا به فجأة يتجدد الأمر، وتثور  
الفكرة في ليلة ذكّرت فيها خاطرة لأحبيتي، حفظهم الله ورحم من رحل منهم، في  
زيارتي للكويت في تلك السنة، وذلك في بيت أخي وجيبي الشيخ قيس الرفاعي -  
حفظه الله - في خيمة بيته... فما إن قام آخر واحد منهم حتى انفردت في خيمتي  
واستخرتُ الله ربي أن أكتب في الصلاة على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كتابًا أو لا  
أكتب؟ وما نمت تلك الليلة إلا والعزم قد امتطى صهوة القلم، فطار النوم من  
العينين، وحلّ الشهاد، وحقّ السرى، فأسرجت جواد الهمم، وكتبت فهرس

هذا الكتاب كاملاً في ثلاث صفحات... وهذه بالنسبة لي سابقة استغربت لها كثيراً! فما كتبت كتاباً وابتدأت بكتابة فهرسه بهذه الدقة مطلقاً...! نعم يكون لديّ التصور عن مواضيعه مسبقاً - ولا بد - أما كتابة الفهرس وبدقة، فهذا لحكمة، وما أحسب إلا أنه إن لم يكن في ختام كتبي وتأليفي، فإنه هو الختام والله أعلى وأعلم، وذلك أني كتبت في كل ما يعني المسلمين - ضرورة - لهذا الزمان كتاباً جديداً في بابه، والحمد لله رب العالمين، وما بقي إلا أن أختم.

فماذا بعد الاجتهاد والدعاء إلا أن أصلي على سيدنا ونبينا محمد  
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ...!؟

فيا رب اجعلها ختم الإجابة والقبول، ونور الإيحاء والإحياء لأمة الرسول  
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

فَاللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا





## الفصل الأول

القول الأعظم في الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ

آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]



كم يحاول بعض العباد اصطناع فضائل للصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، بينما عندهم آية: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾، لقد أغناه الله بهذه الآية، وما ترك لأحد الحق أن يؤلف لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فضيلة أبداً. فإليك بعض فضائل الله على رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بهذه الآية العظيمة.

### خصائص الصلاة عليه من الآية:

**أولاً:** ﴿يُصَلُّونَ﴾: إنها إجماع الملائكة الأعلى يتدثه رب العالمين، فاللهم صل وسلم عليه.

**ثانياً:** ﴿وَمَلَائِكَتَهُ﴾: سبحانك ربنا كم في نسبة الملائكة لك من إكرام للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، حيث قلت وقولك الحق: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ﴾ فلم تقل سبحانك: [إن الله والملائكة]، بل قلت: ﴿اللَّهُ وَمَلَائِكَتَهُ﴾، ففيها قد ربطت الملائكة بك ربنا تباركت وتعاليت، وفيها الإجماع على الصلاة والسلام عليه، فلم ولن يسع ملائكتك - يا ربنا - إلا المسارعة لما تحب، وهل مثل حب رسولنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عند ربنا سبحانه وتعالى؟!

**ثالثاً:** يصلون ولا يفترون: هذا فعل مضارع؛ وهو يفيد التجدد والاستمرار،

أي: يصلون على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لا يفترّون، والصلاة عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إنما هي مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ رب العالمين؛ إذ إن الذي عَلَّمَ الذّاكرين ذكر الله منذ أن بُعث نبياً وإلى يوم القيامة، إنما هو رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.. وإذا كانت الملائكة تذكّر الذين يذكرون الله تعالى من أصحاب مجالس الذكر أو حلّق العلم، أو مجالس المساجد أو غيرهم.. فإن معلم هؤلاء جميعاً وتسى معلمهم، ومعلّم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، أفيعقل أن الملائكة تذكّر هؤلاء جميعاً وتسى معلمهم، ومعلّم معلمهم الخير إلى يوم الدين وهو رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟! فلا فتور ولا توقف عن الصلاة والسلام عليه؛ ولهذا قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ وَأَهْلَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِينَ، حَتَّى النَّمْلَةَ فِي جُحْرِهَا، وَحَتَّى الْحُوتَ لَيُصَلُّونَ عَلَيَّ مُعَلِّمِ النَّاسِ الْخَيْرِ»<sup>(١)</sup>.

### رابعاً: وهل مثل هذا الإجماع إجماع في العالمين؟

وهل رأى أحد من خلق الله إجماعاً يتوسع كتوسع هذا الإجماع، فإن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يخبرنا بأن «هَذَا الْبَيْتُ الْمَعْمُورُ يُصَلِّي فِيهِ كُلُّ يَوْمٍ سَبْعُونَ أَلْفَ مَلَكٍ، إِذَا خَرَجُوا لَمْ يَعُودُوا إِلَيْهِ آخِرَ مَا عَلَيْهِمْ»<sup>(٢)</sup>، فإن كلّ هؤلاء يصلون على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، وكم يخلق الله من الملائكة الكرام؟ وكم يخلق الله للجنة والنار وغيرهما من ملائكة؟ فكل هؤلاء يصلون على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، والله سبحانه يقول: ﴿الْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ جَاعِلِ الْمَلَكِيَّةِ رَسُولًا أُولَىٰ أَلْبَانٍ مَثْنَىٰ وَثُلَاثَ وَرُبْعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ مَا يَشَاءُ إِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فاطر: ١]، فكل من يدخل في قول الله: ﴿وَمَلَائِكَتُهُ﴾ يدخل في

(١) أخرجه الترمذي (٢٦٨٥)، والطبراني (٢٧٨/٨)، وابن شاهين (٧٩١٢، ٧٩١١)، وابن شاهين

في الترغيب في فضائل الأعمال (٢١٦) باختلاف يسير، وصححه الألباني في صحيح

الجامع (٤٢١٣).

(٢) أخرجه البخاري (٣٢٠٧).



الصلاة على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ... فإذا الصلاة على رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لا تعد ولا تحصى، لقوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾، فهنيئاً لك يا رسول الله بهذه البشرى التي لا يعلم حقيقتها أحدٌ مثل علمك يا رسول الله!

فإلهم صلِّ وسلِّم عليه

### خامساً: استحالة حصر المصلين عليه:

ومن يستطيع أن يعد عدد الصلوات على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حتى وإن افترضنا أن أحداً عرف أعداد الملائكة، وهذا غيب لا يعلمه إلا الله؛ ذلك لأن كل ملك من ملائكة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى لا يُصلي على رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مرة واحدة، بل صلاة الله وملائكته لم تكن مرة واحدة؛ عند ولادته مثلاً أو عند هجرته أو عند صلواته أو عند وفاته وانتهت، إنما هي الصلاة المستمرة، أو لم يعبر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عن الصلاة عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بالفعل المضارع المستمر، فقال سبحانه: ﴿يُصَلُّونَ﴾؟ فهل أعظم من هذه الصلاة صلاة؟!

سبحانك ربنا - فنحن لا نتدخل بكيفية ذلك... فأكرامك ربنا لرسولك صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فوق العدِّ وفوق الحدِّ وفوق كل كيفية.

فإلهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك محمدٍ

### سادساً: بالصلاة عليه تجتمع كل خصائصه، فالله صلِّ وسلِّم عليه وآله:

حاشاك ربي أن تُقدِّم أحداً من خلقك على خلقك... دون حكمة.. فأنت الحكم العدل وأنت أرحم الراحمين، وقد قلت سبحانك مذكراً بتحقيق إجابة دعوة خليلك إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩].

وقلت سبحانك - وأنت ربي أصدق القائلين فيما سيصنعه رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ:

﴿ كَمَا أَرْسَلْنَا فِيكُمْ رَسُولًا مِّنكُمْ يَتْلُوا عَلَيْكُمْ آيَاتِنَا وَيُزَكِّيكُمْ وَيُعَلِّمُكُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُعَلِّمُكُم مَّا لَمْ تَكُونُوا تَعْلَمُونَ ﴾ [البقرة: ١٥١].

وذكرتنا ربي بمنتك العظمى علينا فقلت يا رب - وقولك الحق: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، وذكرت يا رب رسولك صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بعظيم مننك عليه، فقلت - وقولك الحق المبين: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِّنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّوكَ إِلَّا أَنفُسُهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُن تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا ﴾ [النساء: ١١٣]، وثمار ذلك الفضل والمنن كلها آلت إلينا نحن أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

يا رب فما هذا العطاء المنقطع النظير...؟! يا رب إذا لم ندرك هذا العطاء ولا مداه... فهل يمكن أن نحيط بسببه ومعناه؟! والجواب: نعم والله، وكل شيء بيته لنا تبياناً في الكتاب: ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ بَيِّنَاتٍ لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَى لِلْمُسْلِمِينَ ﴾ [النحل: ٨٩]، وسوف يكون هذا الأمر العظيم من أهداف وثمرات هذا الكتاب بإذن الله.

**سابعاً: انفراده وحده بصلاة الله وملائكته عليه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛**

**وَلَمْ يَجْمَعْ اللَّهُ عَزَّجَلْ غَيْرَهُ مَعَهُ فِي هَذِهِ الصَّلَاةِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟!؛**

لَمْ يَنْزِلْ اللَّهُ سُجَّانَهُ وَتَعَالَى عَلَى غَيْرِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هَذِهِ الْآيَةَ وَلَا مِثْلَهَا لغيره بأيّ كتاب من كتب الله التي أنزلها من قبل؟! ولم يجمع الأنبياء معه في هذه الآية عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؟!؛

**والجواب: أن هذه الآية هي من أعظم خصائص النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.**



وإن أعمال الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ودعوتهم قد انقطعت، بل شوَّهت، بل حوَّلها المشركون إلى شرك، كما حوَّلوا الكعبة بعدما بُنيت لعبادة الله وحده لا شريك له... حوَّلوها إلى مركز الشرك في الدنيا، وانتهى الأمر إلى هذا ومضت أجيال وأجيال، وتبنَّت قريش إمامة الوثنية، وأصبحت الكعبة قبيلتها، فكان الإنقاذ لأعمال الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ على يده هو وحده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وكان ابتداءه في ذلك من الصُّفْرِ، بل من تحت الصفر، ومن ثمَّ حُسِبَ له هو صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ العمل كاملاً، وكانت صلاة الله خاصة به وعليه، وصلاة ملائكته كذلك.

وهذا بعض الحكمة في كون فتح مكة جاء من المدينة، وقد كانت قبل ذلك الهجرة والإخراج من قبل سدنة الكعبة والملا المشركين لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وصحبه الكرام... فكان دخول مكة هو الفتح المبين، حيث فُتِحَتْ، ففتحت معها أبواب الأجور والفضائل لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؛ لأنه أحيها بإذن الله بعدما أماتها المشركون، وابتدأ عملاً جديداً كأن لم يكن من قبل... فكان له هو صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كل ما يتعلق بالكعبة من لحظة الفتح إلى يوم القيامة.. بالإضافة إلى أنه له مثل أي عمل عمِلَه خليل الرحمن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ لأنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هو مَنْ أحيأ أعمالهم الصالحة وسننهم الحسنة، مع كل ما أضافه هو صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بفضل الله ورحمته.

فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ

**والسؤال أين الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ في الصلاة على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟!**

لماذا خصوصية هذه الصلاة لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من دون الأنبياء والمرسلين عَلَيْهِمُ السَّلَامُ؟!

**والجواب:** أيها الإنسان المكرم: إلى أين كانت البشرية تتجه؟ لقد كانت البشرية في أحضان الشياطين، ولقد اختطفت الشياطين البشرية بعد كل الجهد

الذي بذله قرابة مائة ألف وأربعة وعشرين ألف نبي عَلَيْهِمُ السَّلَامُ<sup>(١)</sup>، وما لا يحصى من المصلحين طوال تاريخ البشرية، فلقد أسلمت البشرية قيادها للشياطين في كل جوانب الحياة، إلا بقايا قليلة من الحنيفة... كما جاء في الحديث: «وَأِنِّي خَلَقْتُ عِبَادِي حُنَفَاءَ كُلِّهُمْ، وَإِنَّهُمْ أَتَتْهُمُ الشَّيَاطِينُ فَاجْتَالَتْهُمْ<sup>(٢)</sup> عَنْ دِينِهِمْ، وَحَرَّمْتُ عَلَيْهِمْ مَا أَحَلَّتُ لَهُمْ، وَأَمَرْتُهُمْ أَنْ يُشْرِكُوا بِي مَا لَمْ أَنْزِلْ بِهِ سُلْطَانًا»<sup>(٣)</sup>.

فمن الذي خلَّص الإنسان بعدما اختطفته الشياطين وغيبته بعيدًا؟!...

ألم تر كيف كانت رقعة عبودية الإنسان تتسع حتى كان الرجل في الممالك المتشيرة على الأرض يملك أحيانًا الآلاف من إخوانه في الإنسانية؟!  
أرأيت كيف كان الرجل يرث الآلاف من الرجال والنساء وذرائعهم كما يرث الحيوانات والمتاع وما إلى ذلك؟!!

ألم يكن أولئك السادة مطلقي التصرف في عبيدهم يأكلون ثمرة جهدهم، ويستبيحون أعراضهم، ويرثون أبناءهم، ويتلاعبون في حياتهم وهم يتضاحكون؛ إذ العبيد يقتل بعضهم بعضًا بالحراب وغيرها؛ استعراضًا أمام أسيادهم.

فليخبرنا العالم: مَنْ غَيْرُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ خَلَّصَ الْعَالَمَ مِنَ الْعَبودية - عبودية الإنسان للإنسان؟! بل خلَّصَ الْجَنِّ مِنَ عَبودية الشيطان، لعنة الله عليه!  
إِذَا أَلَيْسَ لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الْحَقُّ أَنْ نَدْعُوَ نَحْنُ الْإِنْسَ وَالْجَنِّ - جَمِيعًا رَبَّنَا أَنْ يَصَلِّيَ عَلَيْهِ... فَمَنْ ذَا الَّذِي خَلَّصَنَا وَخَلَّصَ ذُرَارِينَا سِوَاهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ...؟!!

- (١) عن أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ كَمْ وَفَاءَ عِدَّةِ الْأَنْبِيَاءِ؟ قَالَ: «مِائَةُ أَلْفٍ وَأَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفًا، الرَّسُلُ مِنْ ذَلِكَ ثَلَاثُمِائَةٍ وَخَمْسَةَ عَشَرَ جَمًّا غَفِيرًا». أخرجه الطبراني في الكبير (٧٨٧١)، وأحمد (٢٢٢٨٨)، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (٥٧٣٧).
- (٢) فاجتالتهم: أي: استخفُّوهم، فذهبوا بهم، وأزالوهم عما كانوا عليه، وجالوا معهم في الباطل. قال شمر: اجتال الرجل الشيء: ذهب به، واجتال أموالهم: ساقها وذهب بها.
- (٣) أخرجه مسلم (٢٨٦٥).

وهل رأيت الحكمة في كون الصلاة على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هي التي نطقت بمطلوبنا ونحن لا ندري، ونحن نردها ولا نشعر؟! أليس عنوان الدعاء أن نقول في ابتدائه: (اللهم)؟

فماذا شرع الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَنْ نقول إِلَّا: «اللهم صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ». فكيف سيكون حالنا نحن اليوم لو استمر الانحدار منذ ذلك الوقت حتى الآن؟!!

من كان سيبقى منا لم تَجْتَلِهْ الشياطين - نعوذ بالله منهم - لو لم يبعث الله سيدنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قبل أكثر من ألف وأربعمائة عام؟! وإن شئت قلت: كم سيبقى من البشرية ومن عالم الجن غير مخطوف خلال ألف وأربعمائة عام، والأجواء أجواء الشياطين في هذه الأرض؟! فماذا صنع الله بالأرض وبخطط الشياطين ومكرهم حين بعث لهم رجلاً واحداً فقط اسمه محمد بن عبد الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ...؟!!

### فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ

يا أيها الناس: هل تعلمون كم نبياً بعث الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى؟ فعن أبي ذرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ كَمْ وَفَاءَ عِدَّةِ الْأَنْبِيَاءِ؟ قَالَ: «مِائَةٌ أَلْفٍ وَأَرْبَعَةٌ وَعِشْرُونَ أَلْفًا، الرَّسُلُ مِنْ ذَلِكَ ثَلَاثُمِائَةٍ وَخَمْسَةَ عَشَرَ جَمًّا غَفِيرًا»<sup>(١)</sup>.

فما جزاء من خَلَصْنَا مِنَ الْمَصِيرِ الْمَجْهُولِ، بل المصير المعلوم في قعر العبودية، وظلمة الجهالات، وظلمات الظلم؟ مَنْ الذي انتزعنا من أحضان الشياطين، بعد أن كنا مخطوفين، وردنا إلى ربنا سالمين مسلمين؟

نعم! إنه فضل الله وحده لا شريك له، لكن من الرجل الذي كان هو اختيار

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٧٨٧١)، وأحمد (٢٢٢٨٨)، وصححه الألباني في مشكاة المصابيح (٥٧٣٧).

الله لفضله هذا؟ من الذي نجح هذا النجاح الفذ الذي لا نظير له منذ أن خلق الله السماوات والأرض؟ ومن الذي أنقذ أعراضنا ونساءنا كما أنقذنا من العبودية؟ من الذي أنقذ الشرف والغيرة وحمى النسل والأجيال والأنساب من الاختلاط؟ فكيف يجب علينا أن نرفع الصلاة عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ونحن ندعوه ونصلي عليه، ونكرر الصلاة عليه، وهل تكرر الصلاة عليه إلا نوع من الإلحاح في الدعاء على ربنا سبحانه أن يصلي عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟ وهذا الإلحاح نابع من الإحساس العميق والراسخ أنه فرض لازم علينا وليس فضلًا منا، وليس لأننا نريد رفعة درجاتنا، فحسب، فكل فضل علينا يلزمنا بالصلاة عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وهذا في الوقت الذي هو أخف ما يمكن أن نقدمه، فهو أعظم ما يمكن أن نرفعه إلى ربنا، وهو أحب دعاء إلى ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ولا ينبغي أن ينقطع هذا الدعاء أبدًا؛ لأن الصلاة عليه من ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لا تنقطع أبدًا، وكذا من ملائكته سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، فالله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ﴾.

ولأن فضله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كذلك لا ينقطع عنا أبدًا، وهو لا ينقطع عن أجيالنا وذرائعنا إلى يوم القيامة، كما لم ينقطع عمَّن قبلنا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ثم إن فضله ليس من جهة واحدة، بل من كل جهة من جهات الحياة... ومن ظاهرها وباطنها على حدٍّ سواء.

فهل عرفنا من المنقذ الحقيقي الذي أنقذنا الله عَزَّجَلَّ به من الدَّجَلِ والسحر والشعوذة والخرافات والأساطير وما إلى ذلك؟ وهل عرفنا المنقذ الذي أنقذ الأجيال المتعاقبة، وهو ينقذ ذرائعنا وذرائعهم إلى آخر نفس مؤمنة على هذه الأرض كما أنقذ الأولين؟

ومن الذي حرر عقولنا، وقد كان العقل يئن من شدة القيود التي أصبح تحتها؟

فَاللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ وَسَلِّمْ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ

ولو رأيتم من الذي حمى أموالنا من العبث ومن الحرام ومن سرقة أبطارة المال المجرمين وعلى رأسهم الطغاة واليهود؟

ومن الذي حمى حياتنا من الفوضى والانفلات والعدوان على حرية الآخرين وقد ضرب صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لنا مثلاً بالسفينة في البحر في وجوب التزام النظام، فقال: «مَثَلُ الْقَائِمِ عَلَى حُدُودِ اللَّهِ وَالْوَأَقِ فِيهَا، كَمَثَلِ قَوْمٍ اسْتَهَمُوا عَلَى سَفِينَةٍ، فَأَصَابَ بَعْضُهُمْ أَعْلَاهَا وَبَعْضُهُمْ أَسْفَلَهَا، فَكَانَ الَّذِينَ فِي أَسْفَلِهَا إِذَا اسْتَقَوْا مِنَ الْمَاءِ مَرُّوا عَلَى مَنْ فَوْقَهُمْ، فَقَالُوا: لَوْ أَنَّا خَرَقْنَا فِي نَصِينَا حَرْقًا، وَلَمْ نُؤْذِ مَنْ فَوْقَنَا، فَإِنْ يَتْرَكُوهُمْ وَمَا أَرَادُوا هَلَكُوا جَمِيعًا، وَإِنْ أَخَذُوا عَلَى أَيْدِيهِمْ نَجَوْا وَنَجَوْا جَمِيعًا»<sup>(١)</sup>.

كيف يجب علينا أن نصلي على من كُنَّا قعودًا على شفا حفرة من النار، فجاء فأنقذنا منها؟... ثم كيف نصلي على من أنقذنا من نار الله الموقدة؟

فَاللَّهِمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا

وهل رأيت لماذا صلاة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى مستمرة وكذا صلاة ملائكته؟!

هل انقطعت أعماله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟... هل انقطعت آثار أعماله؟ ألم ينزل الخلق يرفلون في الخير الذي أوصلهم إليه وخير العقل الذي خَلَّصَهُ لَهُمْ؟ أوليس عماد هذا الخير الذي يرفلون؟ به إنما هو إيقاظ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ العقل الإنساني، وتحريكه حتى تعود الحركة إليه، وتدريبه على التحليق وال الطيران، حتى أصبح يطير في الآفاق وفي ملكوت السماوات والأرض وفي النفس، وهذا القرآن الذي أنزل عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ شاهد على ذلك، وكم فيه من الأمر بالتدبُّر والتفكُّر والأمر بالادِّكار؟ ولا يمكن لإنسان أن يفهم القرآن وحديث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ما لم يستخدم عقله،

(١) أخرجه البخاري (٢٤٩٣).

والتميزون منهم في فهم كلام الله وكلام رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وهدية  
إنما هم الذين يستخدمون عقولهم أكثر؛ ولذا قال الله عَزَّجَلَّ: ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى  
الرَّسُولِ وَإِلَى أُولَى الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنْبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ [النساء: ٨٣]، والنبى  
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يجعل غاية حفظ ما ورد عنه، هو فقه ما ورد؛ ولذا أمر مَنْ  
حفظ أن يبلغ الأَفَقه «فَرُبَّ مُبَلِّغٍ أَوْعَى مِنْ سَامِعٍ»<sup>(١)</sup>، «فَرُبَّ حَامِلٍ فِقْهٍ، غَيْرُ  
فِقِيهِ، وَرُبَّ حَامِلٍ فِقْهٍ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ»<sup>(٢)</sup>.

فهل عرفت إِذَا لِمَ صَلَاةُ اللَّهِ فِي هَذِهِ الْآيَةِ وَصَلَاةُ مَلَائِكَتِهِ خَاصَّةٌ لَهُ: ﴿إِنَّ  
اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾؟  
ولهذا لا تنقطع صلاة الله عليه وملائكته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

فاللهم صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَيْهِ تَسْلِيمًا كَثِيرًا



(١) أخرجه البخاري في صحيحه (١٧٤١)، والترمذي (٢٦٥٧)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٢) أخرجه ابن ماجه في سننه (٢٣١)، وقال شعيب الأرنؤوط: صحيح لغيره.



## الفصل الثاني

### فضل الصلاة على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ



لا فضل أعظم من القول الأعظم: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

### الفضل الأول: طابع الصلاة على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّ نفعها متعد إلى الغير

لماذا الصلاة على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أفضل الأذكار أجراً، وأعظمها أثراً، وأكثرها خيراً - وكل أذكار الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى خير؟

وليست خاصية الفضل المتعدي في الصلاة على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ التي سأذكرها هنا للتحديد، وإنما هي عينات رئيسة في موضوع لا يعلم منتهاه إلا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

**والجواب:** ثم طابع إذا طبع به أي عمل من الأعمال الصالحة افترق عن الأعمال المماثلة وتحول إلى أفضل الأعمال، حتى لو كان العمل في عين الناس صغيراً... ألا إنه الفضل المتعدي من العمل الصالح؛ ولهذا يقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في الحديث عن ابن عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا؛ أن رجلاً جاء إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فقال: يا رسول الله أي الناس أحب إلى الله؟ وأي الأعمال أحب إلى الله؟ فقال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «أَحَبُّ النَّاسِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى أَنْفَعُهُمْ لِلنَّاسِ، وَأَحَبُّ الْأَعْمَالِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى سُرُورٌ تُدْخِلُهُ عَلَى مُسْلِمٍ، أَوْ تَكْشِفُ عَنْهُ كُرْبَةً، أَوْ تَقْضِي عَنْهُ دَيْنًا، أَوْ تَطْرُدُ عَنْهُ جُوعًا، وَلَآنَ أَمْسِي مَعَ أَخِي فِي حَاجَةٍ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَنْ أَعْتَكِفَ فِي هَذَا الْمَسْجِدِ - يَعْنِي: مَسْجِدَ الْمَدِينَةِ - شَهْرًا،

وَمَنْ كَفَّ غَضَبَهُ سَتَرَ اللَّهُ عَوْرَتَهُ، وَمَنْ كَظَمَ غَيْظَهُ، وَلَوْ شَاءَ أَنْ يُمَضِّبَهُ أَمْضَاهُ مَلَأَ اللَّهُ قَلْبَهُ رَجَاءً يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَمَنْ مَشَى مَعَ أَخِيهِ فِي حَاجَةٍ حَتَّى يَتَّهَبًا لَهُ أَثَبَتَ اللَّهُ قَدَمَهُ يَوْمَ تَزُولُ الْأَقْدَامُ»<sup>(١)</sup>.

انظر لهذه الأعمال؛ ما أصغرها في أعين عامة الناس من غير أصحابها الذين يعيشونها ويحتاجونها! إلا أنها أعظم ما تكون من الأعمال، لذا أصبحت أحب الأعمال إلى الله، وصاحبها أحب الناس إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، حتى إن المشي في حاجة أخ، أي حاجة كانت وأي أخ كان، وأي وقت استغرقت حتى لو ساعة واحدة من نهار أو سويعة - أحب إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى من الاعتكاف في مسجد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ شهراً كاملاً.

وهذا لا يعني أن الاعتكاف في المسجد الحرام أفضل من المشي في حاجة المسلم، بناءً على أن الصلاة في المسجد النبوي بألف صلاة والصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف صلاة، لا ثم لا، وذلك لأن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ذكر أنها أفضل وأنها أحب إليّ ولم يذكر أفضل بكم، ولم يقل إن الاعتكاف في المسجد الحرام يساويها، ثم إن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يتحدث عما حوله، وأفضل ما يكون مما حوله هو عبادة الله في مسجده الذي يتحدث منه؛ ولهذا جاءت الإشارة القريرية «هذا»، فكيف بحبس النفس اعتكافاً في المسجد وهو يقتضي الصلوات وما معها من أذكار وطاعات، وقراءة قرآن، وحلقات، ومدارس وما إلى ذلك من كل ما يتصور من العبادات الذاتية على نفس صاحبها داخل المسجد؟ فإذا بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يبين أجر ما هو ضد ذلك - فيما يظهر - وهو عبادة تخرجه من المسجد، نعم تخرجه من الاعتكاف؛ وهي المشي في حاجة أخ، ولم يذكر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هنا إن كان ذلك في شهر رمضان أو غيره، ولم يذكر نوع

(١) أخرجه الطبراني (١٣٦٤٦)، وحسنه الألباني في الصحيحة (٩٠٦).

العبادة التي كان المعتكف مُنشغلاً فيها، ولم يستثنِ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ذِكْرًا ولا عملاً أفضل من قضاء حاجة أخيه كأن يقول: [إلا أن يكون كذا، أو يعمل كذا، أو قائم ليله، أو يقرأ القرآن، أو نحو ذلك]، فلا شيء من ذلك أبداً يعدل قضاء حاجة الأخر.

**والسؤال هنا هو: هل الصلاة على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فيها عمل متعدّد إلى**

**الغير؟**

**والجواب: نعم.**

**والسؤال هو: مَنْ هو هذا الغير؟**

**والجواب:** هو الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فإذا كانت الأعمال المتعددية يكون أجرها بحسب من تعدّت له الحاجة ولا شك، فالفقراء أنواع، فمنهم مثلاً: سائل، ومنهم ﴿الَّذِينَ أَحْصَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ لَا يَسْتَطِيعُونَ ضَرْبًا فِي الْأَرْضِ يَحْسَبُهُمُ الْجَاهِلُ أَغْنِيَاءَ مِنَ التَّعَفُّفِ﴾ [البقرة: ٢٧٣]، فأئى غير هذا الذي يقارب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟! بل لو وضع الغير كله من بعثته إلى قيام الساعة في كِفَّة، ووضع هو وحده في كِفَّة، كما ماثلت تلك الكفة كفة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟ بل كيف وكل أعمالهم الصالحة في كِفته هو صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، كما لو أن أعمالهم الصالحة في ذروة الكمال والتمام كما علمهم إياها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟ وهل الصلاة على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إلا لأجل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في ابتدائها؟ ومن ثمّ افترقت الصلاة عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بمقداره هو صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، بينما ذكّر الله سبحانه هو الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، والله غني عن العالمين وغني عن عبادتهم وغني عن ذكرهم لله، وهم حين يذكرون الله إنما يرجون لأنفسهم الأجر الموعودة على الأذكار، مع ما فيها من حفظ لأنفسهم، وتزكية لنفوسهم، وخير لأنفسهم... بينما الصلاة على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تجمع

كل ذلك وزيادة، ثم ما هو أعظم من ذلك كله من كونها متعددة النفع لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ. الذي هو رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وكفى .

ولعل قائلًا يقول: فماذا عن قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «وَحَيْرٌ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»<sup>(١)</sup> أليست أفضل من الصلاة والسلام على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟

**والجواب:** لا شك أن هذا الذكر هو مفتاح الدخول في الإسلام، وبدونه لا دخول في الإسلام، فكيف يكون ثمة ذكر من الأذكار أفضل منه؟ وكيف يكون لأيِّ ذكر أجر ولا دخول للإسلام بعد؟ ثم إن الصلاة على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لم تكن قبل ولادة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فكيف تكون أفضل من «وَحَيْرٌ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»؟!!

ولكن من حيث شمول إحداهما للأخرى من حيث المعنى، فإن (لا إله إلا الله) لا يمكن مقارنة شيء بها مطلقاً، ولكن الصلاة على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أخذت قيمتها ومقامها من (لا إله إلا الله)، ﴿ وَمَا يَكُفُّمْ مِنْ نِعْمَةِ رَبِّهِمْ ﴾ [النحل: ٥٣] ولهذا فلا مقارنة، فأنت حين تقول: «اللهم»، فهذا دعاء، والدعاء يقتضي الطلب من الله وحده لا شريك له، وهذا المعنى لا يمكن إلا أن يشمل معنى (لا إله إلا الله)، كيف وقد كان النص على قول: (الله) في قوله: (اللهم صل) وهي تشمل بغير شك إثبات عبودية رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لربه تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

وإن الصلاة على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تشمل بغير شك الشهادة الثانية، وهي: (أشهد أن محمداً رسول الله)، وهل جاءت الصلاة على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إلا لأن المصلي مؤمن يؤمن بأنه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ،

بينما شهادة (أن لا إله إلا الله) وحدها لا تقتضي شهادة أن محمداً رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فإنَّ من المعلوم أن (لا إله إلا الله) كانت قبل الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ولم تكن تعني شهادة (أن محمداً رسول الله) صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟!!

وأنا لا أحب هذه المقارنات ما بين الأذكار ونحو ذلك؛ لأنها ربما أفضت عند بعض الجهلة إلى استنقاص من ظن أنه مفضول من الأذكار؛ عياداً بالله! فالله سبحانه قد قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

فالله سبحانه نصَّ تحديداً على الصلاة على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بالأمر الصريح المحدد؛ ولهذا فإن «ذكر الله» لا شك أنه فريضة، لكن «ذكر الله» تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَامٌّ ويشمل كل الأذكار، ويتحقق الأمر بذكر الله بأي ذكرٍ من الأذكار، ولا شك أن من ذكر الله تعالى الصلاة على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

ولعلَّ من أسباب رِفْعَتِهَا أكثر كذلك كونها دعاءً، والدعاء أفضل، وكونها لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فما أعظم هذا الاجتماع؛ دعاءً ورسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ! ولهذا اختصت بصيغة الصلاة على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من دون الصلوات على الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بصيغة الدعاء؛ فعلى الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ تقول مخبراً: (عَلَيْهِمُ السَّلَامُ)، أما في الصلاة على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فتقول نصّاً قاطعاً داعياً: (اللهم صلِّ على محمد وآل محمد).

وهنا يأتي اجتماع الفضائل كلها في الصلاة على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وهي: كونها دعاءً، وللغير، ولخير أصل، ولا أقول غير وهو رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وأنها فريضة بصيغة الدعاء له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

فَاللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا

## الفضل الثاني: دعاء شامل وجزاء كامل

### الصلاة عليه هي أحسن دعاء له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ .. فلماذا؟

تقول لي: نحن لا ندعو للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بدعاء يناسب العمل الذي اتبعناه به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، حتى تقول: إن هذا شكر له على ذلك العمل، أو تلك السنة، أو نحو ذلك؟!!

**أقول:** سبحان الله العظيم، فهذا إما أن يظهر تخصيص النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بالصلاة والسلام عليه.. وهو ما يظهر المعنى الكبير الذي لا حد له لقول الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾، وهذا يعني أن كل ما ذكره الذاكرون من علماء الإسلام في الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وكل ما ذكره المفسرون في معنى ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾، فإن الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تجمع كل ما ذكره الأولون والآخرون، بل تزيد بشكل مطلق لا يمكن حده، فإن الدعاء هنا بالصلاة بقولنا: «اللهم صل على محمد وعلى آل محمد» إنما تعني أنه توكيل الأمر إلى الله وتفويضه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بالجزاء الذي يرضيه هو سبحانه لرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كيفما يشاء، فهو يعطيه سبحانه فضلاً منه وجزاءً من ربك عطاء حساباً، والله أعلم بحاله، وما من أحد يرضى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ رعاية رب العالمين له وخصوصاً بعد موته؛ إذ الآخرة له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كلها صفاء ونعماء وهناء ولا كرب فيها ولا بلاء، وهي كما قال في آخر حياته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «لَيْسَ عَلَيَّ أْبِيكَ كَرْبٌ بَعْدَ الْيَوْمِ»<sup>(١)</sup>.

**فسبحان الله:** ما أنسب أمر الله سبحانه بالصلاة على رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، لفظاً دون سواها؟! وسبحان الله، فإن الله سبحانه يعلم أن أعمال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وتشريعاته لا تُعدُّ ولا تُحصى، وأنها متنوعة لا تحصر ولا تحسب

(١) أخرجه البخاري (٤٤٦٢).



وأنها تتعاضد في كل لحظة، وبناءً على هذا، فإن جزاءها ممنوع لا يعلم بحقيقته وحقيقة تنوعه إلا الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؛ ولهذا جاء الطلب الشامل بالصلاة والسلام على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؛ ليشمل كل جزاء، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّمَا بُحِرُونَ مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الطور: ١٦]، وقال سبحانه: ﴿جَزَاءٌ وَفَاقًا﴾ [النبا: ٢٦]، وقال سبحانه: ﴿جَزَاءٌ مِنْ رَبِّكَ عَطَاءً حِسَابًا﴾ [النبا: ٣٦].

أرأيت الحلقات القرآنية المنتشرة في أرجاء هذه الأرض طولاً وعرضاً؟  
أرأيت الأحاد من البشر في المساجد وفي رمضان وغير رمضان؟ أرأيت القائمين الليل جماعات ووحداً؟ أرأيت الحافظين وهم يسعون لحفظ القرآن، والحافظين وهم يسعون لتثبيت ما حفظوا من القرآن حتى يحفظوه كاملاً! أرأيت أئمة المساجد وأئمة الصلاة بشكل مطلق؟ أرأيت النساء العالمات والمعلمات والحافظات والمحفظات؟ أرأيت البراعم الصغيرة في بيوت الله وفي البيوتات؟ وهل تخلو الأرض في لحظة واحدة من حلقات القرآن أو متعلمين أو مثبتين حفظهم أو متعهدين الحفظ قائمين بالقرآن ليلاً أو نهاراً...؟

فكل واحدٍ من هؤلاء، وكل حلقة، وكل عالم، ومعلم، لهم أجورهم كما علموا، ولرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مثل أجر الجميع كاملاً غير منقوص، مضاعفاً غير معدود ولا محدود.

ذلك أن كل واحدٍ من هؤلاء قد اغترف القرآن الكريم من قلب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الطاهر المبارك المنير؛ لأن قلب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هو موطن كلام الله حين نزل، فهو المنتهى، كما قال سبحانه: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٩٧].

إذا؛ فمن هو مُعَلِّمُ المعلمين؟ ومن هو مبلغ القرآن الأول للناس أجمعين؟

وَمَنْ عَلَّمَ النَّاسَ الْإِتْقَانَ بِأَعْلَىٰ وَجْهِهِ الْإِتْقَانَ؟ وَمَنْ الَّذِي يَسْعَىٰ كُلَّ وَاحِدٍ مِنَ الْقُرَّاءِ إِلَىٰ شَرَفِ الْإِقْتِرَابِ مِنْ قِرَاءَتِهِ. وَمَنْ.. وَمَنْ... مَنْ غَيْرَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟! إِذْ عَلَّمَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الصَّحَابَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فَعَلَّمُوا الْخَلْقَ، وَهُمْ جَمَعُوهُ فِي الْمَصَاحِفِ، كَمَا جَمَعَهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ فِي صَدْرِهِ الشَّرِيفِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ سُبْحَانَهُ أَوَّلَ الْأَمْرِ: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتُجْعَلَ بِهِ﴾ (١٦) إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ، وَقُرْآنَهُ. (١٧) فَإِذَا قَرَأْتَهُ فَانْبِعْ قُرْآنَهُ، (١٨) ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ. ﴿[القيامة: ١٦-١٩].

وهو صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لم يكتفِ بتعليم ذلك الجيل، بل حَضَّ الأجيال كلها على تعلم القرآن وتعليمه... فكانت كلماته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هي الباعث الحقيقي لجميع الأجيال على تعلُّم القرآن العظيم وإلا فأى شيء يقنع العلماء والصغار والكبار ليقرؤوا القرآن ويحفظوه إلا بما جاء في القرآن نفسه، وفي سنة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وهدية وكلاهما من الوحي الذي أوحاه الله؟!!

وإلا فهل من أحدٍ ولد من هؤلاء العلماء عالماً أو حافظاً...؟ فمن علَّم كل أحدٍ منهم...؟ فهل أعطى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من نفسه وروحه أكثر مما أمره الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ به...؟ وهل أوصى وشدد بالوصية على القرآن؟ أليس مَنْ أوصى فقد أعذر؟ كيف وقد رَغِبَ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَحَفِزَ دَلًّا، وما إلى ذلك؟!!

إذاً فهل يستطيع حاسب أن يحسب ما له عند الله من المضاعفات...؟ هل يستطيع حساب ذلك على عدد الخلق من الإنس والجن من هؤلاء الذين ذكرنا مع القرآن؟ وهل نستطيع عد الأحرف التي تحركت بها الشفاه كلها بالقرآن؟ وهل تستطيع أن تحسب ذلك كله على مستوى الكمال الذي لا نقص فيه أبداً...؟ فكم له من الأجر...؟ بل كم له من حقِّ بالدعاء بالصلاة والسلام عليه حتى نشركه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟! وهل من كلمة جامعة تجمع ذلك أعظم من: اللهم صلِّ على محمد وآل محمد؟

فمن يذكر من كل هؤلاء المتعلقين بالقرآن الكريم من طلبة وعلماء



ومهتمين وخادمين وغيرهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.. من يذكر منهم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟ من يذكره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ دائماً وأبداً في كل جزئية مما ذكرنا؟ أليس هو المعلم كل جزئية..؟ مَنْ يذكره عند كل حرفٍ يتعلمه؟ ويذكره عند خطوة يغدو بها ليحفظ وليتعلم أو ليعلم أو ليثبت حفظه؟ من يذكره، ومن، ومن، ثم من..؟ ومن يذكره عند كذا وكذا وكذا ثم كذا...؟ إن الأمر مستحيل؛ ولهذا جاء أمر الله بالصلاة على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؛ لأنك إنما تفوض الله سبحانه، والتفويض يكون بكلمة، لكن لا بد أن تصلي عليه، ولا بد أن تذكره بهذه الصلاة تحديداً، ولا بد أن تدعوك الصلاة إلى المزيد من الصلاة لا إلى العجز والتوقف عند صلاة واحدة، فإنه إذا ما استحضر المرء رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وفضله وتأسيسه وسننه ذلك العمل؛ إذ لم يكن موجوداً أو كان في حكم العدم، فأحياء صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

أولم يقل الله سبحانه ذاكراً أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - لأنهم أساس الأمة الأول كله - ومقدماً رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عليهم؛ لأنه الفارس والساقي والحرث والحارس، فقال سبحانه: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَاهُمْ رُكْعًا سُجَّدًا يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِمَّنْ آثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْهَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٢٩]؟ أليست هذه الشجرة وهذه أغصانها وثمارها وكل خير جاء الأمة فمن بذر هذه الشجرة؟ ومن سقى فسائلها؟ أليست هذه هي الأمة كلها، هي أشها وقاعدتها؟ فإنه من الأدب من كل شيخ وقبل أن يتدئ مجلس القرآن خاصة أو أي مجلس علم وذكرٍ يجلس ليشبع اشتياقه ويشبع شكره بالصلاة على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا

ولربما كانت هذه الصلاة بعد عمله ذاك أو جلسته تلك أو ما إلى ذلك، أو تخللت الصلاة على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عمله أو كل ذلك، وبهذا تكون أنت قد فوّضت ربك تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وأوكلت له سبحانه أمر جزاء حبيبه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وبهذا تكون قد حمدت الله وشكرته، وحمدت فعل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وشكرته عند الله وعند رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، والله يقبل منك ذلك... والله يتولى جزاءه بعد ذلك، والأمر كما قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ نفسه: «إِنَّ اللَّهَ لَيَرْضَى عَنِ الْعَبْدِ أَنْ يَأْكُلَ الْأَكْلَةَ، فَيُحَمِّدَهُ عَلَيْهَا، أَوْ يَشْرَبَ الشَّرْبَةَ، فَيُحَمِّدَهُ عَلَيْهَا»<sup>(١)</sup>، وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «وَالْحَمْدُ لِلَّهِ تَمْلَأُ الْمِيزَانَ»<sup>(٢)</sup>.

أرأيت الشفاه المتمتمة بذكر الله، أم رأيت الأكف الضارعة بدعاء الاضطرار، أم رأيت الحناجر الصادحة بالحق على المنابر، أم رأيت الواعظين المذكرين بالله والدار الآخرة، أم رأيت الناصحين الدالين على الخير، أم رأيت الأمرين بالمعروف الناهين عن المنكر؟ واذهب إلى رقعة الأرض وتأمل، ووسّعها على مستوى الزمان منذ أن بُعث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لتعلم أن هذه نعم لم يكن هؤلاء يعرفونها لولا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ... فهل يلزم العبد شكر الله أم لا يلزمه؟ وهل من شيء أسبق من أن يقول في كل موقف وكل مرة: صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شكرًا لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟

ولسان حال العبد يقول: يا رب أنا والله عاجز عن شكر فضل رسولك صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فأنا أوكل أمري إليك، فأنت نعم المولى ونعم الوكيل يا ربنا الأكرم، فأنت سبحانه قد قلت وقولك الحق أول ما قلت لرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ﴿اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ [العلق: ٣]، فاللهم إنا نشهدك وحدك لا شريك لك، ونشهد ملائكتك وحملة عرشك وجميع خلقك أن رسولك قرأ، وأنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ

(١) أخرجه مسلم (٢٧٣٤).

(٢) أخرجه مسلم (٢٢٣).

أقرأنا، وعلمنا، وبين صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لنا، وبلغ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ البلاغ كاملاً، وحرص صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ على تعليمنا القرآن أشد من حرص الآباء والمعلمين، وأنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ رغبنا بذلك وحرصنا، وأنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أوصانا بكتابك أعظم الوصايا وأوضحها، وأنه لا حجة لأحد منا إن قصر أبداً أبداً.

فهل عرفنا لِمَ قال الله: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾.

فإلهم صلِّ وسلم وبارك على سيدنا ونينا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ

### الفضل الثالث: الصلاة عليه لها في كل جزئية فضلان

فإلهم صلِّ وبارك على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلِّم تسليمًا كثيرًا؛ لأنه ما من مهتدٍ يهتدي في هذه الدنيا منذ أن بعث الله تبارك وتعالى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وإلى يوم القيامة من إنس وجن إلا ورسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مثل أجر هدايته كله، ومثل عمله الذي سيعمله كله، ومثل ما سيرثه من هداية في ذريته إلى قيام الساعة... وذلك في الجن والإنس على حدٍّ سواء.

فإلهم صلِّ وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلِّم تسليمًا كثيرًا

**هذا الفضل الأول، وأما الثاني:** فإنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هو من أوقف الباطل، وهو من أوقف انحدار الأمم وهي على السفح المنزلق إلى الهاوية السحيقة... وربما قال قائل: إنهم حين اهتدوا أخذ مثل أجر هدايتهم، وحين زكوا أنفسهم أخذ مثل أجر تزكيتهم أنفسهم، وحين أطاعوا الله وعملوا الصالحات وتقربوا إلى الله تعالى أخذ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مثل أجر صالحاتهم وزيادة وهكذا، فما معنى قولك: إنه يأخذ أجر إيقاف الباطل؟!

**والجواب:** إنَّ أَخَذَ أَجْرَ إِيقَافِ الْبَاطِلِ شَيْءٌ، وَالْهُدَايَةُ وَمَا بَعْدَهَا شَيْءٌ

آخر، ولإيضاح هذه المسألة: فلو أن عندك رجلاً يشرب الخمر، فحاولت معه حتى ترك شرب الخمر.. أليس لك أجر ذلك؟ والجواب: قطعاً، بلى، لكنك حين حاولت معه ليصلي ويقوم بما أمر الله به لم تستطع، فجاء صاحبك فحاول معه، فاهتدى وصلى وصام وزكى وحج، وأخذ يعمل الصالحات، أليس لصاحبك أجر ذلك كله، كما أنك ظفرت بأجر تركه شرب الخمر؟ والجواب: بلى.

أوليس من قام بالاثنين معاً له الأجران معاً؟

ثم إن كثيراً من الناس يتوقفون عند تحقيق إيقاف الانحدار فحسب ولا يكملون الطريق أو لا ينجحون في تحقيقه، وهكذا هي البشرية بعد بعثة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فهو صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ دعاهم أجمعين، فمنهم مَنْ توقف عن انحداره وأخذ بالعلم والنظام والعدل والحرية مما جاء به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فصلحت حياتهم وتنظمت وارتقت ونظفت وسادها العدل والحرية وما إلى ذلك، لكنهم لم يرتقوا إلى الهداية، وهذا يعني أن كونهم لم يأخذوا بالهدى واستكبروا واستكباراً، فهذا عليهم، وليس على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ منه من شيء، وهو صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ له أجره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ على البلاغ كاملاً، وله أجر إيقاف انحدارهم الذي خطه لهم أسلافهم؛ لأنه أنقذهم من شفا حفرة عذاب الدنيا وعبوديتها وظلمها وظلماتها وقهرها وفقرها وعدوانها وعهرها وما إلى ذلك.

فإن تخليصهم من اختطاف الشياطين لهو أمرٌ عظيم حتى وإن لم يهتدوا، ومع هذا فإنهم سوف يهتدون يوماً من الأيام بإخبار رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فالمقصود أن عمل هؤلاء الصالح في الحياة حتى لو لم يهتدوا له أجره، سواءً كان ذلك في عصره أو من بعد عصره، أو من الأمة الإسلامية والدول الإسلامية التي قامت هنا وهناك، أو جاء أولئك من غير المسلمين، وأخذوا منها وأرسلوا



أبناءهم، فنقلوا العلوم والفنون والصناعة ومناهج البحث إلى أقوامهم، فالله تَبَارَكَ وَتَعَالَى يعلم أن مصدر ذلك كله هو رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ... وهذا الأمر على مستوى الثقلين: الإنس والجن، أما الجن، فإن كنا لا نعرف تحديداً أثر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مفصلاً عليهم، لكننا نعلم يقيناً أنه بلغهم، وأن منهم من اهتدى، وأنه علّمهم، الحلال والحرام، وأنهم دعوه ليتعلموا منه، فَعَلَّمَهُمْ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وبلغهم وهم قد فَصَّلُوا في قول الله سبحانه.

**والسؤال هو:** أليس لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حق على المهتدين وحق على غير المهتدين...؟! أليس من حقه على الناس كافة والجن كافة أن يصلوا عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟!!

فإن كون ذلك قد أخذ بما يصلح حياته من النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ولم يأخذ بالهداية، فإن هذا لا يعني أن ليس للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عليه حق.. فهو له حق على الاثنين مع ما على من لم يهتد من عقاب الكفر بالنعمة والكفر بصاحبها والكفر بمعلمها ومبلغها والكفر بالله رب العالمين... وكل هذا يسمى كفراً.

فإذا لم تهتد تلك الأمم، ولم تشكر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فمن يشكر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟ وهل يضيع أجره...؟!!

لا والله، بل العوض بصلاة الله عليه وكفى بالله عوضاً ومعوضاً، وهو خير وأبقى.. العوض بالله وهو القائل: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾، والله سبحانه لا يؤخر أجره إلى الدار الآخرة فقط، إنما هو يصلي عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في هذه الحياة.. وكذا ملائكته، وصلاة الله سبحانه عليه وصلاة ملائكته قائمة في الدنيا لا تنقطع، وهي ذاتها لها من الأجر في الآخرة ما لا يمكن تصور جزاء الله عليها أبداً.

## الفضل الرابع: الصلاة عليه أكثر وأكبر من عدد جزينات الزمان

كيف تتواصل الصلاة عليه في كل لحظة صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فلا تنقطع أو تتوقف

أبدأ؟

يا أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: إذا هالك أمر الأذان وهو يُغطي هذه الأرض في كل لحظة زمنية، فلا تمر على الأرض لحظة إلا وتجد فيها الأذان، فكذلك لا تمر لحظة إلا وتجد فيها ذكر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وتجد فيها من يعلن الشهادة لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ على الأرض، وتجد من يصلي على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في آخر الأذان، كما سنَّ لنا ذلك رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ... ألا فلنعلم مقامه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عند ربه، وإن هذا من صلاة الله على رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؛ إذ شرع للناس أن يصلوا عليه، وهو سبحانه يُعطيهم في كل وقت على الصلاة عليه بصلاة مضاعفة عشراً، ويتقبلها سبحانه وتعالى منهم له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لأنها دعاء له بالصلاة عليه، فإذا تقبلها الله سبحانه منهم.. وكيف لا يتقبلها ربنا سبحانه منهم له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟! ويبقى السؤال هو: كم يعطي الله سبحانه رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ على الصلاة عليه إذا كان قد أعطى من صلى عليه عشراً؟ فالأمر لله تبارك وتعالى، فكيف وهذا حبيبه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟ وهذا الحبيب هو صاحب الفضل على جميع من صلى عليه من الثقلين؛ إذ هو سبب صلاتهم عليه، بل هو سبب هدايتهم أصلاً، وهو من أخرجهم من الظلمات إلى النور، فضله عليهم لم يتدأ بصلاتهم عليه، بل بإحيائهم وبعثهم بالنور والهداية ودخول الإسلام أولاً.

ثم هل ترى ملائكة الله وهي ترى هذه الأرض في كل لحظة تُصلي عليه ثم هي لا تصلي عليه؟! كيف تقطع الملائكة الصلاة والناس مستمرين، فمن هم الذين لا يفترُّون؟ أهم الناس أم الملائكة؟!، ولهذا قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿يُصَلُّونَ



عَلَى النَّبِيِّ ﷺ، أي: مستمرّون، فالملائكة؛ إذ هي تصلي عليه، فإنما هي تشهد وشهادتها عند الله عظيمة، وهي تدعو على الدوام له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وهي تحبه وتعلن حبها له عند ربه عَزَّجَلَّ، وهي تَرْضَى عليه طالبةً من ربه مزيد الرضا عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في كل صلاة تصليها... فالله أكبر والله الحمد؛ فأبي مبلغ سيبغ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟!

### فَاللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا

ولنا أن نتساءل هنا: أليست الصلاة عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من الكلم الطيب؟ أليس الأذان عملاً صالحاً يرفعه أهل الأرض، والله سبحانه يقول: ﴿إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ﴾ [فاطر: ١٠]، وهذه مَرِيَّةٌ عظيمة للصلاة على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ على بقية الأذكار، فالأذان ذكر، والأذان عمل، والأذان يجر إلى ذكر ويجر إلى عمل، ومما يجر إليه الصلاة، وكذا الصلاة على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وبما أن هذا لا يتوقف على مدار اليوم والليلة من البشر، فكيف يتوقف العطاء من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى على أمرٍ عطاؤه في الدنيا قبل الآخرة؟ وكيف تتوقف الملائكة؟ بل إن الأمر الذي لا يمكن أن يكون هو أن يصلي البشر على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، والله سبحانه لا يُصلي عليه، وحاشاه سبحانه، فهو من جعل الصلاة عليه جزاء الصلاة عليه لِمَنْ صَلَّى عليه، أولم يصح في الحديث: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَآلِيَّ وَاحِدَةً؛ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ عَشْرًا»<sup>(١)</sup>، بلى والله، بل لو أن العباد فرضاً قطعوا الصلاة على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لما قطعها الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فكيف ورب العالمين قد صَلَّى قبل أن يُصلي البشر، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾، فهو سبحانه أمر بأمرٍ بدأ فيه بنفسه، وثنى بملائكته وحمله عرشه.

إِذَا فَالصلاة على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لا ولن تنقطع أبد الأبدین؛ لأن الله سبحانه أخبر بها عن نفسه وعن ملائكته بفعل المضارع قبل كل عمل، ولأن سببها قائم ومستمر لا ينقطع في الأرض أبدًا.

وأمر آخر: يجب على كل عبد من العباد أن ينزه ربه سبحانه أن يأمر بأمر ثم هو سُبحَانَهُ وَتَعَالَى لا يفعله ما دام أعلمنا بأنه تَبَارَكَ وَتَعَالَى فاعله، سبحانه الله وتعالى عما يقولون علوًّا كبيرًا.

فالله يصلي عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وصلاة الله عليه بذكر الله عزَّوَجَلَّ له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ دائماً في الملائكة الأعلى، وهو يستجيب لعباده فيه دائماً، وإذا كان يصلي على كلِّ مَنْ صَلَّى على رسوله لأجل رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فكم يكرم الله عزَّوَجَلَّ مَنْ أكرم لأجله مَنْ صَلَّى عليه بعشر مثلها! كم يعطي الأصل وهو رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟

فهل اتضح الآن المقصود حين اتسق الوجود في الصلاة على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ودوامها من ربنا المعبود وملائكته الكرام، وهذا بعض ما يعني قوله: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

فاللهم صلِّ وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلِّم تسليمًا كثيرًا

**الفضل الخامس: لا تصح الصلاة إلا بالصلاة عليه، فاللهم صلِّ عليه وسلِّم تسليمًا**

الصلاة في الصلاة، ما المناسبة بين الصلاتين؟!!

**المناسبة الأولى: الصلاة هي الأحق بالصلاة على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ:**

هذه الصلاة على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عليه في داخل فريضة الصلاة... أترى هذه الأرض في أية لحظة من ليل أو نهار تخلو من مُصلِّ يصلي قائمًا أو قاعدًا، راکعًا أو ساجدًا...، وبغير الصلاة على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وآله لم تقبل



صلاته، كما قال الإمام الشافعي:

يَا آلَ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ حُبُّكُمْ فَرَضٌ عَلَى النَّاسِ فِي الْقُرْآنِ أَنْزَلَهُ  
يَكْفِيكُمْ مِنْ عَظِيمِ الْفَخْرِ أَنْكُمْ مَنْ لَمْ يُصَلِّ عَلَيْكُمْ لَا صَلَاةَ لَهُ

والمقصود هنا: التحيات والصلوة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فيها مع الصلوات الإبراهيمية... وهكذا يجعل الله سبحانه الصلاة على نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فرضاً وليس فضلاً، وهذا والله هو الحق.

وإن من حكمة الله في الصلاة على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بالصلاة أموراً كثيرة؛ منها: أن الله سبحانه يُدَكِّرُ من نسي الصلاة عليه بالصلاة عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في صلته، سنة كانت هذه الصلاة أم صلاة فريضة، وبهذا يكون تشريع الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في الصلاة رحمة بالغافلين عن الصلاة عليه... ولك أن تتصور كيف ستكون حالة عبدٍ رحل عن الدنيا وقد غفل عن الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مطلقاً؟!!

فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ

وإن الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في داخل الصلاة لِحِكْمٍ عظيمة من ربنا الحكيم العليم... فأحقُّ موضع تكون فيه الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إنما هو في الصلاة لله ربِّ العالمين...

فالصلاة والصلاة مشتركتان في الاسم متحدتان في رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، كما أنهما مشتركتان في أمور كثيرة... فما من موضع أحق أن يقدم فيه العبد شكراً لله تعالى من الصلاة، وذلك بالصلاة على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

فهل اختصت شريعة من الشرائع في تشريعها على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كما اختصت الصلوات الخمس لله ربِّ العالمين؟! هل من فريضة رفع الله

رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إلى ما فوق السماوات ليشرع له - هناك - ولأمته إلا الصلاة التي نعرفها؟!

وهل من فريضة اشترط فيها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ اتباعه، كما هو الأمر في الصلاة، فقال: «وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي»<sup>(١)</sup>؟!

وهل من فريضة أمَّ فيها جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كما فعل ذلك حين شرعت الصلاة في السماء، فجاءه جبريل في يومها ظهرًا، فأَمَّهُ في أول الوقت، ثم جاءه في اليوم الثاني، فأَمَّهُ في آخر الوقت، وذلك لكل صلاة، ثم قال له: «مَا بَيْنَ هَذَيْنِ وَقْتُ كُلُّهُ»<sup>(٢)</sup>؟

وهل من فريضة أمَّ فيها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ مثلما أمَّهم في الصلاة بعدما رجع إلى المسجد الأقصى من السماء؟!

وهل من فريضة أداها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تعليمًا على المنبر أمام الصحابة إلا الصلاة؟ وهل من موضع مُذَكَّرٌ بالصلاة على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مثل الصلاة؟!

فهل من فريضة من فرائض الله تعالى تحدت فيها حركة جسد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مثلما تحدت في صلاته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ نفسه؟ لقد عرفنا في الصلاة حركات عين النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وحركات فقراته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وحركات يديه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وقراءته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وصوته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ودعواته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وأناته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وحركة لحيته واضطرابها صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ودمعاته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وهمماته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وبكائه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وانحناء ظهره وكيفيته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، واعتداله ومقداره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وهُوِيَّته

(١) أخرجه البخاري (٦٣١).

(٢) أخرجه النسائي (٥٢٦)، وصححه الألباني، قال الزيلعي في نصب الراية (١/٢٢٢):

وَقَالَ التِّرْمِذِيُّ: قَالَ مُحَمَّدٌ -يَعْنِي: البُخَارِيُّ: حَدِيثُ جَابِرٍ أَصْحَحُ شَيْءٍ فِي الْمَوَاقِيتِ.

للسجود صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وأصابع يديه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وأصابع رجليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وكيفية التفاتته عند سلامه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

كل ذلك وغير ذلك أخذناه منه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في كل تحريكة وتسكينة في صلاتنا صلاة عليه، وهذا حقه، وهذا واجب علينا، وهذا من شكره الذي علمنا إياها حركة حركة وحرفاً حرفاً، ولعله لهذا شرع الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى في ختام الصلاة أن نقرأ التحيات لله، والتي في ختامها الصلاة على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؛ لتشمل كل ما قبلها، والله سبحانه كريم يقبلها عن كل ما قبلها، وما من شيء يظهر العملية التعليمية، وأنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ معلماً مثل ما يظهر ذلك في الصلاة، فهو المعلم بالقول وبالفعل وبالإشارة وبالحرمة، وبالصوت، بل وبالنية، وبما ظهر وما بطن مثل الخشوع وحركة القلب وحركة الجوارح، والدعاء المباشر والدعاء بالقرآن... فكيف يمكن شكره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عن كل ذلك جزءاً جزءاً.. فلم يكن مستطاعاً أن يصلي المصلي على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عند كل جزئية في الصلاة؛ إذ ستكون الصلاة كلها صلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من أولها إلى آخرها؛ ولهذا يسر الله ذلك كله على العباد وشرع لهم سبحانه تشريعاً خفيفاً، وقبّله منهم بأكمل صورة من صور الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وهي التي تُسَمَّى الصلاة الإبراهيمية؛ «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ»<sup>(١)</sup>، فالحمد لله رب العالمين.

فهل فضلٌ منا أن نصلي عليه، أم هو مجرد وسيلة للأجر نحصل عليه، أم أداء واجب فحسب؛ لأن الصلاة عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فريضة افترضها الله على

(١) أخرجه البخاري (٣٣٧٠).

أنفسنا، ولو أن الله سبحانه ما افترضها علينا - جدلاً - لغفلنا عنها، وربما لم نفكر فيها؟! نعم! هي فريضة من الله علينا وأنعم بما افترض الله علينا.. وما افترضها الله عَزَّجَلَّ إلا لحكمة وغاية عظيمة عظيمة... وهل من غاية سعى لها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وحققتها مثل شُكْرِ اللهِ.. إذاً أليس الواجب علينا شكر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى وشكر رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ... وهل شكر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى على نعمة أن أرسل رسوله بالهدى ودين الحق صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هو شُكْرٌ إجمالي على الرسالة بشكل عام كما يفهمها أغلبنا وقد قال الله عَزَّجَلَّ: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمَمِينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢]، إن شكر الله وشكر رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ على كل نعمة من النعم.. كل شيء ما استطعنا إلى ذلك سبيلاً؛ وهل من سبيل لشكر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مثل الصلاة عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ..؟! لا تقل: اتباعه هو شكره. كأنك تريد أن تصرف الناس عن حبه، وقربه! أو كأنك تريد أن تجعل العلاقة بين الأمة وبين رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ علاقة جامدة! علاقة ظاهرية لا نصيب للروح فيها، ولا للقلب، ولا للباطن، وليس للعواطف منها نصيب! أو كأنك تريد أن تشق صراطاً جديداً يقدم فيه الآخرون على العلماء الربانيين الرحماء!

ثم أقول: أو ليس من اتباعه الصلاة عليه؟ أو ليس من اتباعه شكره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟ أو ليس من اتباعه الإكثار من الصلاة عليه؟ وهل في اتباعه شيء أفضل من أن نجعل صلاتنا كلها صلاة عليه، كما جاء في حديث أبي بن كعب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِذَا ذَهَبَ ثُلُثَا اللَّيْلِ قَامَ، فَقَالَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ! اذْكُرُوا اللهَ اذْكُرُوا اللهَ، جَاءَتِ الرَّاجِفَةُ تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ، جَاءَتِ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ، جَاءَتِ الْمَوْتُ بِمَا فِيهِ»، قَالَ أَبِي: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنِّي أَكْثَرُ الصَّلَاةِ عَلَيْكَ، فَكَمْ أَجْعَلُ لَكَ مِنْ صَلَاتِي؟ فَقَالَ: «مَا شِئْتَ»، قَالَ: قُلْتُ: الرَّبِيعُ؟ قَالَ: «مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ، فَهُوَ خَيْرٌ لَّكَ»، قُلْتُ: النَّصْفَ؟ قَالَ: «مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ، فَهُوَ خَيْرٌ لَّكَ»، قَالَ: قُلْتُ:

فَالثَّلَاثِينَ؟ قَالَ: «مَا شِئْتَ، فَإِنْ زِدْتَ فَهُوَ خَيْرٌ لَكَ»، قُلْتُ: أَجْعَلُ لَكَ صَلَاتِي كُلَّهَا؟ قَالَ: «إِذَا تَكْفَى هَمَّكَ، وَيُغْفِرُ لَكَ ذَنْبَكَ»<sup>(١)</sup>.

إن المسلم ليستحيي من الله، وهو يقرأ ما أخبر الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بِصَنِيعِهِ مَعَ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، حيث قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾، ثم هو يتوانى عن الصلاة عليه، ويتأخر ويتراخى، ثم لا يبالي بعد ذلك أصلى عليه أم لم يُصَلِّ، هذا وفضل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ على أمته لا تحمله الجبال. ثم كيف تنقطع صلاتك على رسولك إذا سمعت ذكره، بينما صلاة الله وملائكته مستمرة.. كيف، وكيف، وكيف؟!!

### فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَيْهِ

#### المناسبة الثانية: كلا الصلاتين من عند الله وإلى الله مباشرة:

فليست هذه وحدها مناسبة الصلاة الخمس للصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ... فالصلوات الخمس شرعها الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِشَكْلِ مَبْشَرٍ مَا بَيْنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من غير وسيط بينهما، فلا ملك ولا سواه، والصلاة على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هي دعاء مباشر بين مَنْ يصلي على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وبين الله رب العالمين من غير أن توجه للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فيستوي فيها مَنْ كان في حياة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَمَنْ جَاءَ بَعْدَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، بل يستوي فيها مَنْ عاش في عهده وهم أصحابه، ومن عاش في عهده وآمن به ولم يره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حتى مات صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ...

فأمر الصلاتين وغايتهما ومنتاهما واحد؛ وهو الله رب العالمين.

### وَصَلَّى اللَّهُ وَسَلِّمَ عَلَيَّ نَبِيْنَا مُحَمَّدٍ

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٥٧)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢/٢٩٤)

رقم (١٦٧٠): حسن صحيح.

هذا أمر. وأمرٌ آخر؛ وهو أن الله قد جعل الصلاة على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ خاصة دعاء، بينما الصلاة والسلام على غيره من الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ إخبار، هذا هو الأصل، وهو ظاهر من صياغة الخبر، فتقول: عَلَيْهِ السَّلَامُ، أما في النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فالدعاء بالصلاة على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فلقد تقدم اسم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى مرتباً به حرف الميم، فأصبح (اللهم) أي: يا الله، فالإخبار إخبار للبشر مباشرة.. بينما الدعاء تحويل إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى مباشرة... وشتان بين الغائتين والمعنيين، وإن كان الخبر صادقاً لا شك فيه، وهو كذلك إلا أن المراد هنا هو بيان الحكمة في التناسق ما بين المباشرة، شأن الصلاة ابتداءً من تشريعها من الله تعالى إلى رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وحتى انتهائها... مع أن الشكر لله رب العالمين مباشرة بدعائه مباشرة بالصلاة على رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

ومن نظر إلى تفاصيل الصلاة، فإنه سوف يترسخ عنده الشعور بالعجز المطلق عن شكر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ... لكنه يرفعه كدعاء، وهو سبحانه يُعْطِيهِ مَا يَشَاء... يرفعه دعاءً مطلقاً بطلب الصلاة عليه والسلام عليه سلاماً مطلقاً من غير عدٍّ ولا حدٍّ، والله سبحانه هو المتكفل بذلك، فماذا ترى سيكون عطاء الله لِحبيبه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟ ولو عدت إلى صيغة الصلاة والسلام في الآية الكريمة عرفت ذلك جيداً، قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ مُحَمَّدٍ

**المناسبة الثالثة: اجتماع الشهادة الكاملة لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في الصلاتين:**

وليس الأمر عند هذا الحد أو هذا التصور، فإن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حاضر ومشارك، وإن مات صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَعِلْمُهُ قَائِمٌ وَبَاقٍ، وَعِلْمُهُ مَعْلَمٌ مَتَوَهِّجٌ وَإِنْ ذَهَبَ إِلَى رَبِّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ... وهذا ليس فقط في الصلاة على النبي

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَإِنَّمَا فِي كُلِّ مَا تَرَاهُ مِنْ خَيْرٍ وَأَعْمَالٍ خَيْرٍ يَعْمَلُهَا الْمُسْلِمُ، وَرَبِمَا الْكَثِيرُ مِنْ غَيْرِ الْمُسْلِمِينَ...

كل ما قمت متوجهًا في صلاتك إلى البيت العتيق، فلتعلم أن الدال على البيت العتيق والداعي به هو رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فله سهم مثل سهمك في صلاتك وزيادة، قال الله سبحانه: ﴿قَدْ زَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٤٤]، وهكذا كلما رأيت من الناس مصليًا متجهًا إلى الكعبة فاعلم أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هو صاحب الفضل عليه - بعد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى - فماذا للمعلم؟ كل من خشع في صلاته أو في قراءته القرآن أو في ذكره أو في تفكيره، فهو صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ معلمه الخشوع، وأما من لم يخشع، فعدم خشوعه عائد عليه وراجع لتقصيره، ولرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الكمال في عمل كل عامل... وماذا على المعلم من ضير إذا أساء المتعلم؟ أينقص البشر من راتب المعلم الشهري إذا علم وأجاد، ثم رسب الطالب أو قصر...؟

فهات كل شرع الله.. وكل العبادات والعبادين في هذه الأمة إلى يوم الدين واحسب لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كل عبادة عابد أجرها كاملاً غير منقوص، وللعامل بها أجره كما عملها هو.

وهل صلاة الله وملائكته الدائماتان الكاملتان - بعد فضل الله - إلا لإعطائه أجره كاملاً مستمراً وإن قصر العاملون، أو غفل عنه الغافلون، أو صلوا عليه ولكنهم ذاهلون عنه سادرون؟

فإن المطلوب من الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إنما هو البلاغ، كما قال سبحانه: ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا أَلْبَانٌ﴾ [المائدة: ٩٩]، وقال سبحانه: ﴿إِنَّ عَلَيْكَ إِلَّا أَلْبَانٌ﴾

[الشورى: ٤٨]، فإن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قد وَقَفَ في أكبر الجموع في عصره والتي أمره الله سبحانه أن يدعوها إلى الحج الأكبر، وخطب فيهم الخطبة المشهورة المشهودة، والتي اصطلح العلماء على تسميتها بخطبة الوداع، وكان يُكرر على الناس الإشهاد عليهم، وختم بالإشهاد عليهم فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «أَلَا هَلْ بَلَغْتُ؟ اللَّهُمَّ اشْهَدْ»<sup>(١)</sup>، وكان يرفع أصبعه إلى السماء ثم يرجعه عليهم حين يقول: «أَلَا هَلْ بَلَغْتُ؟ اللَّهُمَّ اشْهَدْ».

فإذاً البلاغ المطلوب منه حصل بكل ما أمره الله بإبلاغه، وهذا هو الكمال الذي يستحق عليه كامل الأجر من ربه، بل حصل منه أكثر من البلاغ، وهو الذي عاتبه الله عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فقال: ﴿طه ١﴾ مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى ﴿طه: ١، ٢﴾، وقال سبحانه: ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَا أَنْتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾ لَسْتَ عَلَيْهِمْ بِمُصَيِّرٍ ﴿٢٢﴾ إِلَّا مَنْ تَوَلَّى وَكَفَرَ ﴿٢٣﴾ فِعَذَابُهُ اللَّهُ الْعَذَابُ الْأَكْبَرُ ﴿٢٤﴾ إِنَّ إِلَيْنَا إِيَابَهُمْ ﴿٢٥﴾ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا حِسَابَهُمْ ﴿الغاشية: ٢١-٢٦﴾، وقال سبحانه: ﴿فَلَعَلَّكَ بَنِعْجٌ نَفَسَكَ عَلَيَّ ءَأَثَرِهِمْ إِنْ لَمْ يُؤْمِنُوا بِهِذَآ الْحَدِيثِ أَسَفًا ﴿الكهف: ٦﴾، فلم يقتصر الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ على البلاغ، كما أمر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، بل البلاغ مرارًا وتكرارًا، والحرص والحزن والأسف القاتل لأجلهم، وما بعد بذل النفس من بذل، وما بعد الحسرات القاتلة على هدايتهم من صدق.

أليس من حق رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أن يُصَلِّيَ عليه كل من توجه إلى القبلة، وكل من أدى الصلاة.. والأمر ليس بشكل عام مجمل، إنما هو على كل جزئية صلاة واحدة؛ شكرًا وعرافًا، وهكذا في كل مرة تعود فيها للصلوات تعود للصلاة عليه مرة واحدة على كل جزئية، وهذا على أقل تقدير صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فمن يحصي هذا على نفسه؟ ومن يذكر هذا عند فعله؟ ومن يفكر في هذا أصلًا؟

إذاً من يكافئ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ على كل هذا إذا لم يكافئه الله سبحانه بالصلاة عليه؟ ومن يكافئه إذا لم يجعل الله الملائكة دائمي الصلاة عليه..؟  
وبما أن الثقلين دائمو الغفلة عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فكانت الملائكة دائمي الصلاة عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

والعجب أنه لا يزال أحدنا دائم التردد لنفسه وللناس «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورٍ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ إِثْمِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ آثَمِهِمْ شَيْئًا»<sup>(١)</sup>، ونسى الصلاة والسلام على مَنْ دَلَّنَا عَلَى كُلِّ هُدًى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فهو هادي المهديين من الخلق في أمته!

ثم نأتي نذكر أنفسنا ونذكر الناس بأن: «مَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا وَأَجْرٌ مِمَّنْ عَمِلَ بِهَا بَعْدَهُ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْءٌ، وَمَنْ سَنَّ فِي الْإِسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، كَانَ عَلَيْهِ وِزْرُهَا وَوِزْرٌ مِمَّنْ عَمِلَ بِهَا مِنْ بَعْدِهِ، مِنْ غَيْرِ أَنْ يَنْقُصَ مِنْ أُوزَارِهِمْ شَيْءٌ»<sup>(٢)</sup>، ونسى الصلاة والسلام على مَنْ عَلَّمَنَا السَّنَّ الْحَسَنَةَ وَأَصُولَهَا!

الله أكبر، والله إنه لأمر مهول في قبح النسيان، ومهول في تضمينه الهجران، مع أنه في الحقيقة أمر فوق الإحصاء وفوق العدِّ لأجر الرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، إذا عممنا النظرة إلى سنة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ واستشهدنا له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ على سننه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، كما نستشهد بها لأنفسنا وعلى بعضنا البعض، مرغبين في العمل بها... أليس هذا أقل القليل نحوه؟ فماذا ونحن لم نبلغ أقل القليل؟! ثم إن لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الأجر كاملاً في كل سننه وهديه لا ينقص منه شيء أبداً.

فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ تَسْلِيمًا كَثِيرًا

(١) أخرجه مسلم (٢٦٧٤).

(٢) أخرجه مسلم (١٠١٧).

## الفضل السادس: لا يتحقق القيام

### بالصلاة والسلام عليه من مرة واحدة صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ

ولا يقولن قائل: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ هو أمرٌ من الله سبحانه، والأمر من الله يتحقق ولو بفعله مرة واحدة!! فلو أنه سمع قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ وقال: «اللهم صلّ على محمد وآل محمد»؛ ظنًا منه أنه أدرك الواجب وحققه قيل له:

أولاً: ليس الأمر كما ظننت؛ إذ كيف تكفي بصلاةٍ واحدةٍ في حياتك عليه والله قد افترض عليك الصلاة عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في كلِّ صلاة؟!!

ثانياً: وكيف تكفي بالصلاة عليه مرة واحدة، والواجب عليك أنك كلما سمعت اسمه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أو الصلاة عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أن تصلي عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ... أما إذا سمعت الصلاة عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فأعرضت عن الصلاة عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فإن العقاب ينالك، وإن الذمّ يلبسك، والنبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يقول: «... أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَبْخَلِ النَّاسِ... مَنْ ذُكِرَتْ عِنْدَهُ، فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ، فَذَلِكَ أَبْخَلُ النَّاسِ»؟!<sup>(١)</sup> فإن البخل بمن أحسن لك يوماً أقبح من البخل بمن لم يحسن لك أبداً، فكيف بمن أحسن لك يوماً؟!!

ولا شك أن البخل لا يُحبه الله، كما قال سبحانه: ﴿وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ يَبْخُلُونَ بِمَا ءَاتَاهُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ هُوَ خَيْرًا لَّهُمْ بَلْ هُوَ شَرٌّ لَّهُمْ سَيُطَوَّقُونَ مَا بَخِلُوا بِهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلِلَّهِ مِيرَاثُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [آل عمران: ١٨٠]،

(١) صحيح الترغيب ج ٢ ص ٣٠١ رقم ١٦٨٤، نضرة النعيم ج ٩ ص ٤٠٣٥ رقم ٩، وذكره السخاوي في القول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع، وعزاه لابن أبي عاصم في الصلاة، وقال الألباني في تخريجه: حديث صحيح لغيره.



فالبخل بالصلاة والسلام على النبي عند ذكره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، كالبخل به لو أنه حضر، ولم تأبه به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَسَلِّمْ، فلم تردِّ السلام، فهناك حضر شخصه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فليحضر الأدب في شخصك الحاضر إن كان حاضرًا، وهنا حضر ذكره، فليحضر الأدب عند ذكره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ولتحضر الصلاة عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فالحضور بحسب الحالة؛ ولهذا، فلا ينبغي لأحد أن يستغرب أن يكون المعرض عن الصلاة على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أبخل البخلاء... فمن عرف بعض مقدار رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وبعض حقه عرف مقدار البخل بالصلاة على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

ولا ينبغي أن نهون الأمر، فذلك ليس من حقنا، ولنأخذ خطورة الإعراض عن الصلاة على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، كما وردت.

وكما هي بالنسبة لمقام رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، إنه (أبخل الناس)، هكذا قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وهكذا هو قطعًا.

الله يأمره ورسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يطلب، ثم العبد يبخل... فمن أبخل من هذا العبد؟!!

ثالثًا: ومع هذا، فليست هذه هي الصياغة الوحيدة الواردة في ذم ترك الصلاة على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عند ذكره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فلقد ورد فيه حديث مرعب والله: عَنِ مَالِكِ بْنِ الْحُوَيْرِثِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: صَعِدَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الْمُنْبَرِ فَلَمَّا رَفِيَ عَتَبَةَ قَالَ: «آمِينَ»، ثُمَّ رَفِيَ عَتَبَةَ أُخْرَى، فَقَالَ: «آمِينَ»، ثُمَّ رَفِيَ عَتَبَةَ ثَالِثَةً، فَقَالَ: «آمِينَ»، ثُمَّ قَالَ: «أَتَانِي جَبْرِيْلُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ مَنْ أَدْرَكَ رَمَضَانَ، فَلَمْ يُعَفِّرْ لَهُ، فَأَبْعَدَهُ اللهُ، قُلْتُ: آمِينَ، قَالَ: وَمَنْ أَدْرَكَ وَالِدَيْهِ أَوْ أَحَدَهُمَا، فَدَخَلَ النَّارَ فَأَبْعَدَهُ اللهُ، قُلْتُ: آمِينَ، فَقَالَ: وَمَنْ ذُكِرَتْ عِنْدَهُ، فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْكَ

فَأَبَعْدَهُ اللَّهُ، قُلْ: آمِينَ، فَقُلْتُ: آمِينَ»<sup>(١)</sup>، إذا فهذا دعاء في أفضل مقام، مقام صعود المنبر، والقيام للموعظة، والدعوة إلى الله ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِّمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣]، وقد جاء في هذا الموقع تحديداً جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ هنا من عند الله يخبر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بأن يُؤْمِنَ على هذا الدعاء المجاب، فيؤمن عليه، فهو دعاء من عند الله يُخبره به جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ ويؤمن عليه ويؤمن عليه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.. فمن يستطيع أن يُهَوِّنَ من أمر المعرض عن الصلاة على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بعد هذا؟! فالدعاء جامع لعلو المقامات؛ جامع لعلو مقام المكان وعلو مقام الداعي وعلو مقام المؤمن عليه... صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

رابعاً: إن الصلاة عليه مستمرة صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: فكيف تكون الصلاة على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مرة واحدة وتكفي لإسقاط الفريضة؟! فهل فضله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ علينا مرة واحدة فقط.. أم أن نفوسنا ترضى، وموازيننا تقسط، وهممنا تقنع، وتشبع بصلاة واحدة عليه أمام كل فضائله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ علينا؟! أعوذ بالله العظيم وبوجهه الكريم وسلطانه القديم من الشيطان الرجيم، أي ميزان هذا؟ بل أي اغترار! وهل إذا أحسن لك رجل مرة فشكرته، ثم اكتشفت أنه أحسن لك ثانية لا تشكره؟! فكيف به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وإحسانه لا يُعَدُّ ولا يحصى.. وكم يكتشف الناس كل يوم إحساناً جديداً منه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عليهم؟ وكم ستكتشف في هذا الكتاب من فضله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ!؟

وكيف تكون الصلاة عليه مرة واحدة تُسْقِطُ الفريضة حتى لو نسيها أو غفل عنها بقية حياته، فإنه لا يؤاخذ! وقد قال ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه (٤٠٩)، وقال الألباني في صحيح الترغيب (٢/٢٩٩) رقم (١٦٧٨): صحيح لغيره.



صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ نَسِيَ الصَّلَاةَ عَلَيَّ خَطِئَ طَرِيقَ الْجَنَّةِ»<sup>(١)</sup>.

هذا الحديث يبين أمرًا عظيمًا وهو أنه لا عذر في نسيان الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؛ لأنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حاضر في كل شيء في الحياة الطاهرة الكريمة، وهو أكرمها وهو إكرامها وهو يزيد إكرامها إكرامًا...

تأمل كل شيء - نعم؛ كل شيء؛ كما ذكرنا ذلك من قبل - ستجد أن الناسي يُعذر إلا بنسيان الصلاة على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وخصوصًا إذا ذُكِرَ، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ، فَنَسِيَ الصَّلَاةَ عَلَيَّ خَطِئَ طَرِيقَ الْجَنَّةِ»<sup>(٢)</sup>.

فلننظر في الحديث ثانية، وستجد أن العقاب جدٌ عظيم، إنه يُخطئ طريق الجنة، حتى لو كانت الجنة من قبل هذا الرجل مطلوبة في كل حياته وأعماله، وحتى لو كان قد سلك طريقًا ومشى واستمر فيه، فإنه إن نسي الصلاة على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فإن الله لا يرغب أن يكون من أهل الجنة، فإنه سيد أهل الجنة، وكل أهل الجنة سادة، وهذا رجل سمع ذكره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وسمع اسمه، ثم هو لم يُصلِّ على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ... فما لك وللجنة وأنت أعرضت عن الصلاة عليه متعمدًا؟ فهل غريب أن يقال لك: ابحث لك عن دارٍ غير الجنة! فهل الواجب يتحقق بالصلاة والسلام عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مرة واحدة؟! وعلى المسلم أن يحتاط لنفسه في عقابٍ جدٍّ أليم، وحرمان ما بعده

(١) أخرجه ابن ماجه (٩٠٨)، والطبراني (١٢٨١٩)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣/٣٠١) رقم (١٦٨٢): صحيح لغيره.

(٢) أخرجه ابن ماجه (٩٠٨)، والطبراني (١٢٨١٩)، وقال ابن حجر في فتح الباري (١١/١٦٨): أخرجه ابن ماجه عن ابن عباس، والبيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة، وابن أبي حاتم من حديث جابر، والطبراني من حديث حسين بن علي، وهذه الطرق يشد بعضها بعضًا.

حرمان، لعمل سهل ليس أسهل منه عمل، ولفضل ليس مثله فضل، وليس أعظم منه؛ متفضلاً علينا في الخلق كافة.

فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا رَسُولِ اللَّهِ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ

### الفضل السابع: الصلاة عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بعد الأذان

ثم إننا لو نظرنا في حديث الدعاء بعد الأذان، فإن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يقول: «مَنْ قَالَ حِينَ يَسْمَعُ النَّدَاءَ: اللَّهُمَّ رَبِّ هَذِهِ الدَّعْوَةُ التَّامَّةُ، وَالصَّلَاةُ الْقَائِمَةُ، آتٍ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ، وَابْعَثْهُ مَقَامًا مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتَهُ، حَلَّتْ لَهُ شَفَاعَتِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ»<sup>(١)</sup> فإن هذا فرض في الصلاة على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فإن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ جعل غايتها هو تحقق الشفاعة لمن حافظ على الصلاة على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بعد ترديد الأذان، ثم الدعاء له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ومفهوم المخالفة يقتضي أن من لم يفعل ذلك لم تحل له شفاعته النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، أو على الأقل أنه جازف بحصول الشفاعة.. وهذا أمر لا ينبغي التهاون به أبداً فضلاً عن المجازفة به.

وهذا يعني أن الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فرض مستقل على كل مسلم يسمع النداء في كل مرة، لخمس أوقات.. أي: خمس مرات في اليوم، فإن عليه أن يقول مثل ما يقول المؤذن؛ لأن الشفاعة مرتبطة بتحقيق هذه الأمور جميعاً، ولربما لم يستطع الرجل أن يردد مع المؤذن كل لفظٍ بلفظه، فليقلها بعد ما ينتهي؛ وهو ما يُسميه العلماء (قضاء الأذان)، كما ذكره الإمام النووي في (المجموع)<sup>(٢)</sup> وغيره.

وإن المسلم ليربأ بأصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؛ أن يكونوا يستمعون

(١) أخرجه البخاري (٦١٤).

(٢) المجموع شرح المهذب للنووي (٣/١٢٠).

للأذان وما كانوا يرددون ذكره ولا يصلون على نبيهم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ولا يدعون له بالوسيلة والفضيلة والمقام المحمود.

فهذه الصلاة عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ واجبة قطعية.. مع ما فيها من أحاديث أخرى توجبها من جهات أخرى؛ مثل حديث: «مَنْ ذَكَرْتُ عِنْدَهُ...»، وهل أرفع من الأذان ذكراً لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فإنه قد ورد فيه الأمر صريحاً بالصلاة على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فعن عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أنه سمع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يقول: «إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَّى اللَّهُ بِهَا عَلَيَّ عَشْرًا...»<sup>(١)</sup>.

ولما ذكر الفاكهاني رَحِمَهُ اللهُ حديث: «الْبَخِيلُ مَنْ ذَكَرْتُ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ»، قال: هذا يقوي قول مَنْ قال بوجوب الصلاة عليه كلما ذكر، وهو الذي أميل إليه<sup>(٢)</sup>.

وَبِهِ قَالَ جَمْعٌ، مِنْهُمْ الطَّحَاوِيُّ مِنَ الْحَنْفِيَّةِ، وَالطَّرُطُوشِيُّ، وَابْنُ الْعَرَبِيِّ، وَالْفَاكِهَانِيُّ مِنَ الْمَالِكِيَّةِ، وَأَبُو عَبْدِ اللَّهِ الْحَلِيمِيُّ وَأَبُو حَامِدٍ الْإِسْفَرَايِينِيُّ مِنَ الشَّافِعِيَّةِ، وَابْنُ بَطَّةٍ مِنَ الْحَنَابِلَةِ<sup>(٣)</sup>.

### فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ مُحَمَّدٍ

فهل يقال بعد هذا: إن الفريضة في الصلاة على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تتحقق بالصلاة عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مرة واحدة؟!!

سادساً: وكيف لا يتعد عن طريق الجنة المؤدي لها، وليس إلى الجنة، فحسب

(١) رواه مسلم (٣٨٤)، وأبو داود (٥٢٣)، والترمذي (٣٦١٤).

(٢) القولُ البَدِيعُ فِي الصَّلَاةِ عَلَى الْحَبِيبِ الشَّفِيعِ لِلِسَخَاوِيِّ ص (٣١).

(٣) الموسوعة الفقهية الكويتية (١/٢٠٤).

والرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يخبر عنه بصيغة الدعاء، فيقول: «رَغِمَ أَنْفُ رَجُلٍ ذُكِرَتْ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ»<sup>(١)</sup>.

ألا ترى كيف جاء الجزء من جنس العمل، فمن لم يدع للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بالصلاة عليه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ جاءت العقوبة من جنس عمله، وذلك بدعاء من لا يَرُدُّ الله دعاءه وهو رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؛ فإنه لا يترك الصلاة على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وهو ذاك لها إذا ما ذُكر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إلا رجل متكبر، ومن ثمَّ جاء العقاب بإرغام أنفه.

ثم أيلق أن يقول الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ ويأتي من يقول: إن الفرض هو أن تصلي عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مرة واحدة، علمًا بأنك تقرأ قبلها مباشرة ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾؟!!

كيف لا تختار ما اختار الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِنَفْسِهِ؟

كيف تبقى صلاة الله على رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مستمرة وأنت منقطع مقطوع عند الصلاة الواحدة؟

كيف والملائكة مستمرين بالصلاة والسلام عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟

كيف وأنت لا تصلي عليه حتى إذا ذُكر؟!!

كيف ورب العالمين يقول في نفس الآية: ﴿يَتَأَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾؟ فماذا في الإكثار من الصلاة والسلام عليه أكثر من المفعول المطلق ﴿تَسْلِيمًا﴾؟!!

فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ مُحَمَّدٍ

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٤٥)، وأحمد في المسند (٧٤٥١)، وقال الأرنبوط: صحيح، وقال الألباني في صحيح الترغيب (٣٠٠/٢) رقم (١٦٨٠): حسن صحيح.



## الفضل الثامن: فيها الشكر لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بأبلغ ما يمكن الشكر

من شكر الله عَزَّوَجَلَّ الصلاة على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

وَمَنْ أَحَقَّ بِالشُّكْرِ فِي خَلْقِ اللَّهِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟ فَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ»<sup>(١)</sup>، هذا في حق الناس بعضهم مع بعض، أما رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فحقه على الناس جميعاً أن يشكروا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أَنْ أَرْسَلَهُ إِلَيْهِمْ، كما قال سبحانه: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، فالمؤمنون ملزمون بشكر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى بهذا، والمؤمنون ملزمون كذلك بشكره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ شكراً، يرد إليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؛ جزاءً من ربه تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وذلك بأمر كثيرة؛ منها: محبته، ومنها: اتباعه، ومنها: بالدعاء له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ... وبماذا يمكنك أن تدعو له أحسن من الصيغة المطلقة التي علمنا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى إياها، وهي الصلاة والسلام عليه، كما قال هو سبحانه في كتابه الكريم: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

وهذه الآية الكريمة تظهر أننا قد فَوَّضْنَا رَبَّنَا بِكُلِّ شَيْءٍ يَتَعَلَّقُ بِمُكَافَأَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ... فلا شك هنا أنه ليست للصلاة على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ صورة واحدة أو نوعاً واحداً أو حسنات معينة أو داراً معينة. فهي مطلقة في كل ما يختاره الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى له، وهذا أعظم ما يكون من العطاء، بل هذا ما لا يتصور من العطاء، فصلاة الله سبحانه على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ليست هي هذه الصلاة، فإن

(١) أخرجه الترمذي (١٩٥٥)، وأحمد في المسند (١١٢٨٠)، وقال شعيب الأرناؤوط:

صحيح لغيره، وقال الألباني: صحيح لغيره.

الصلاة لله سبحانه... وحتى لو فسّرت الصلاة بالدعاء هنا فهي غير متصورة من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وإنما هي من الله سبحانه العطاء، ولكن ما هذا العطاء؟ هذا ما لا يعلمه ولا يتصوره بشر، فالله سبحانه يخبرنا بأنه يعطيه دائماً وأبداً، وأنه يرضى عنه دائماً وأبداً، ولا يزال الرضا يزداد أبد الأبدين، عطاءً لا ينقطع عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أبداً، ولقد مرّ بنا صورة واحدة من العطاء الإلهي الدائم، وهو قبول عمل الخلق الذي تَعَلَّموه منه، وَرَفَعَ درجته دائماً وأبداً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؛ ولهذا، فالله سبحانه يُخبرنا عن حقيقة، نحن نعيش أجواءها دائماً وأبداً، فما من عمل يصعد إلى الله إلا والله يقبله عن رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قبولاً كاملاً كما قَبِلَ هداية كل مهتدٍ وَذَكَرَ كلِّ ذاكِرٍ، وكل ما يرتفع من هذه الأرض؛ من إنسي أو جنٍّ قبول العمل الكامل التام الذي لا نقص فيه ولا خلل عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ... لأنه هكذا هو بَلَّغَ هذا الأمر، وهكذا علّم، فهو يقبض أجره، كما بَلَّغَهُ وَعَلَّمَهُ غير منقوص.

فهذه صورة واحدة من صور صلاة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى على رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فصلاة الله مستمرة؛ لأن عمل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من أول مرة كان عملاً كاملاً، فهو القدوة؛ لأنه أحيأ أمة، وهذه الأمة ما أحيأها إلا لتبقى، وتعمل بالقرآن الكريم، وما أنزل الله القرآن إلا ليبقى، وهكذا حفظ الله هديه، وقد تكفل الله بهديه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وما تمر الأيام إلا وهديه يزداد انتشاراً ونوراً، وأمته تزداد اتساعاً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فكان قول الله سبحانه في القرآن: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ بشرى له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وللناس من شتى الوجوه، حيث إن هذه الكلمة الكريمة من ربنا سبحانه تتضمن الإخبار ببقاء هذا الأمر حتى التمام، وبأن الله تقبّل عمل نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ سلفاً، ويتقبل الله عمل كل عامل عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كاملاً تاماً؛ لهذا وَجَّهْنَا الله إلى رفع الصلاة عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إليه سبحانه، فهي متقبلة فيه، والله سبحانه يُعْطِي أجرها، ويستجيب دعاءها

كاملاً لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ولكن هنا دقيقين ونفِّرُق بين أمرين: الأمر الأول: هو قبول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى الصلاة عليه له هو صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وهذا أمر مقطوع به بإذن الله، كما وعد الله سبحانه، وأما الأمر الثاني: فما لا شك فيه أن الصلاة على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عملٌ صالحٌ من الأعمال أو ذِكر من الأذكار؛ ولذا فإن له مضاعفاته لكن المضاعفات تأتي على حسب الصلاة الأولى، فهي نسخة من صلاتك الأولى ومثلها.

نعم! إن الأصل فيها أنها مقبولة، وأن الله سبحانه يُصلي على مَنْ صَلَّى على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عشرًا، لكن الله سبحانه يقبلها لصاحبها حسب قوة صلاته على رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وحسب كثرتها وما إلى ذلك، وهذه مثل مضاعفة الصلاة في المسجد الحرام بمائة ألف، والصلاة في مسجد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بألف، والصلاة في المسجد الأقصى بخمسمائة، فالصلاة التي تأتيه مضاعفة إنما هي من نوع صلاته الأولى، فالمائة ألف ضعف، إنما هي مثل أصلها.. مائة ألف ضعف من التي صلاها صاحبها في المسجد الحرام، وليست صلاة الناس سواء، وليس المضاعفات للمصلي في الحرم سواء، ولا هي مائة ألف ضعف من صلاة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حين صلى في الحرم أو صلاة أبي بكر أو صلاة عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، إنما هي صلاتك التي صليتها الآن وليست صلاتك التي صليتها من قبل أو تصليتها من بعد... نعم لا بد من ضابط ولا أرى إلا هذا الضابط، وهذا ما يجعل الإنسان أشد ما يكون حرصًا حين يذهب إلى تلك الأماكن الفاضلة أن تكون صلاته أحسن ما تكون، وأن يؤديها من مرتبة الإحسان لتكون المضاعفات لنفس صلاة المحسنين، وبهذا يعوض عن النقص ويجبر الكسر في خشوع وإحسان وحضور وإشفاق.. ويكون أشد ما يكون ضراعة في دعائه، وادِّكَارًا في قراءته القرآن بنفسه، أو سماعه القرآن من الإمام، وتقربًا في سجده وتزلفًا لربه بها، ونحو هذا الطريق، بل هذا العروج.

ولا يكون إلا هذا، فلربما كانت الصلاة صلاة نفاق؛ عيادًا بالله، وربما كانت في غفلة مطبقة، وربما كانت رياءً، وما إلى ذلك، فهل تكون المضاعفات إلا من أصلها الأول؟! وما جرى على الصلوات العبادية يجري على الصلاة على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ... وهذا ما يجعل المصلي على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أشد ما يكون حرصًا على أن يصلي على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من منزلة الإحسان وما دونها من المنازل الإيمانية العليا.. يراوح بينها؛ وهي أكرم المقامات، وذلك لأن المضاعفات من الله وأنه يرد العشر صلوات منه تَبَارَكَ وَتَعَالَى من أحسن الجزاء وأعلاه؛ ولهذا جاء في الحديث الصحيح عن أبي بُرْدَةَ بن نِيَارٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ مِنْ أُمَّتِي صَلَاةً مُخْلِصًا مِنْ قَلْبِهِ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرَ صَلَوَاتٍ، وَرَفَعَهُ بِهَا عَشْرَ دَرَجَاتٍ، وَكَتَبَ لَهُ بِهَا عَشْرَ حَسَنَاتٍ، وَمَحَا عَنْهُ عَشْرَ سَيِّئَاتٍ»<sup>(١)</sup>.

### الفضل التاسع: أنها حافظة لمقام قائد الأمة وقودتها

والحقيقة أنه بحفظ قائد الأمة وقودتها تحفظ الأمة ويحفظ منهجها، فماذا أعظم من هذا للخلق في هذه الدنيا؟

فالصلاة على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هي رباط عظيم يربط هذه الأمة بأسسها ومؤسستها وبمركزها صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، يربط علماء الأمة وقوداتها بقودتهم جميعًا، ويربط فكرها بمفكرها وملهمها ومرجعها صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ويربط عامة الأمة وعلماءها بإمامها صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، يربط كيان الأمة بمكوّنها صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ... ذهب حبيب الأمة وبقية الأمة، فذهب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إلى ربه، وبقية أمته، وهي أشد ما تكون به ارتباطًا، وإليه اشتياقًا، رغم أنها في كل لحظة يزداد

(١) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (٩٨٠٩)، ووثق رواته الحافظ في فتح الباري (١١١/١٦٧)، وقال الألباني في صحيح الترغيب (٢/٢٩٠) رقم (١٦٥٩): حسن صحيح.

بُعدها اتساعاً من سراجها العظيم وقمرها المنير، بينما يزداد حبُّها اتساعاً بزيادة عدد أمتة وزيادة سعة رقعتها، وهذا والله من أعجب وأعظم ثمرات الصلاة على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؛ وبهذا أصبحت الصلاة على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هي المُذَكَّر الدائم بالإمام الأعظم والقائد القدوة صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وهي التي تعبر عن شكر الأمة الدائم لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وهي الرِّبَاط الذي حفظ الله به حضور النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بين الأمة وإن غُيِّبَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في قبره المتشرف بجسده الشريف، وما أعظم إنكار الأمة على فردٍ يذكر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ولا يصلي عليه، بل ينكرون على فردٍ يذكر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ولا يشعرون بلغة التعظيم منه لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كمثل كبير أو عظيم يلقي كلمته وهو يكرر على مسامعهم اسم محمد، محمد! دون أن يقول: رسول الله أو (سيدنا) مثلاً أو عبارة نحوها مرة واحدة.. وهذا شأنه!

ولكم سقط علماء من قاموس المحبة؛ لأنهم يقولون اسم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مجرداً، حتى وإن صَلَّوْا عليه!

فليست الصلاة على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مجرد كلمات كريمة؛ ككلمات الأذكار الأخرى الكريمة وإن كانت عظيمة لا شك ولا ريب، ولكن للصلاة على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ دور عملي في بعث الأمة عظيم ودور كذلك قلبي عظيم.

وأي بقاء للأمة إذا لم يبق قائدها؟ وأي بقاء للقائد إذا لم يُعَظَّم كما يستحق؟ وأي حفظ لحيته إذا لم يُشْتَق إليه؟ وأي شوق إليه يبقى إذا لم يحفظ هذا الشوق في حافظة؟ وأي حافظة للشوق إلى الرسول الأعظم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أعظم من الصلاة عليه كلما ذُكِر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟

فأي حضورٍ مثل حضورك يا رسول الله بالصلاة والسلام عليك صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟

فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ مُحَمَّدٍ

## الفضل العاشر: تهلّل لأجلها وجه

### رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، واستبشر، وسرّ فرحه بها

إن السرّ الحقيقي الأعظم الذي يجعلنا نعيد الفهم لكثير مما ورد من أحاديث عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ونعتمد إلى ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَى؛ لأننا ما فهمنا حق الفهم مراد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وظننا أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قد فرح لنفسه، فحسب، وإنما فرح لأجلنا، وأنه قصّد نفسه وإنما قصد بالخير أُمَّتَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ... فالصلاة على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إنما هي في الأساس لحفظ الأمة ولبقائها ووحدتها وتصفيتها وتطهيرها وتزكيتها وعزها، ولا نستغربن هذا وأكثر منه، بل أكثر من ذلك، فلننظر في هذه النماذج:

### فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ

#### المغزى من فضلها وأجرها:

فمن ذلك حديث عن أَبِي طَلْحَةَ الْأَنْصَارِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: أَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا طَيِّبَ النَّفْسِ يُرَى فِي وَجْهِهِ الْبِشْرُ؟ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَصْبَحْتَ الْيَوْمَ طَيِّبَ النَّفْسِ، يُرَى فِي وَجْهِكَ الْبِشْرُ، قَالَ: «أَجَلُ! أَتَانِي آتٍ مِنْ رَبِّي عَزَّجَلَّ فَقَالَ: مَنْ صَلَّى عَلَيْنِكَ مِنْ أُمَّتِكَ صَلَاةً كَتَبَ اللهُ لَهُ بِهَا عَشْرَ حَسَنَاتٍ، وَمَحَا عَنْهُ عَشْرَ سَيِّئَاتٍ، وَرَفَعَ لَهُ عَشْرَ دَرَجَاتٍ، وَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَهَا»<sup>(١)</sup>.

**والسؤال هنا هو:** هل فرح النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أساسًا لأجلنا أم لأجله هو صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟! وعجبًا والله؛ متى كان فرح النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لأجل نفسه؟ ومتى كان همُّه هو همّ نفسه؟ ومتى دعا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لنفسه إلا معلمًا لأُمَّتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.



(١) أخرجه أحمد (١٦٣٥٢)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف.

ولو كان مقصود النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هنا هو نفسه، وأنه عطاء الله له في هذا الحديث له خاصة، والله هو الجواد الكريم سبحانه، لكان سياق البشارة أن تكون بالصياغة التالية: (مَنْ صَلَّى عَلَيْكَ مِنْ أُمَّتِكَ صَلَاةً، كَتَبْتُ لَكَ بِهَا عَشْرًا)، لكن لم يقل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي عَطَائِهِ ذَلِكَ، بل قال: «مَنْ صَلَّى عَلَيْكَ مِنْ أُمَّتِكَ صَلَاةً، كَتَبْتُ لَهُ بِهَا عَشْرًا»، فتبين أن العطاء هنا «له» أي: للمصلي على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ... أرأيت الفارق العظيم؟! إذا فرح النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إنما هو فرح لنا نحن، فرح بعطاء الله لنا نحن.. فهو يُريدنا نحن ولا يلتفت في الأساس إلى نفسه، وهو صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عليم بعطاء الله عَزَّجَلَّ له، وهو يفرح بغير شك بعطاء الله عَزَّجَلَّ له.. أليس هو بشرًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟! أليس بينه وبين الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ منافسة وهو يريد الفوز بها؟! لكن هذه لا تكاد تذكر ولا تكاد تظهر، ولا تكاد تأخذ منه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ التفاتة... فما عاد همه إِلَّا أُمَّتَهُ، ويقول: [أُمَّتِي أُمَّتِي]، وهكذا يجب أن نفهم الشفاعة، فإن الشفاعة ليست شفاعته لنفسه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، إنما شفاعته لأُمَّتِهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وهكذا الدعاء بالوسيلة والمقام المحمود.

وهكذا دعاؤه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بأن يزيد أعداد أُمَّتِهِ فِي الْجَنَّةِ، وسنأتي على كل هذا بإذن الله.

والله سبحانه يحض أفراد الأمة ويحشرهم حشرًا للصلاة عليه والسلام عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ عَوْفٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنِّي لَقَيْتُ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَبَشَّرَنِي، وَقَالَ: إِنَّ رَبَّكَ، يَقُولُ: مَنْ صَلَّى عَلَيْكَ صَلَّيْتُ عَلَيْهِ، وَمَنْ سَلَّمَ عَلَيْكَ سَلَّمْتُ عَلَيْهِ، فَسَجَدْتُ لِلَّهِ شُكْرًا»<sup>(١)</sup>.

(١) رواه أحمد (١٦٦٢)، والحاكم (٢٠١٩) وقال: صحيح الإسناد ولم يخرجاه، وقال الهيثمي في المجمع (٢/٢٨٧): رجاله ثقات، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢/٢٨٩) رقم (١٦٥٨): حسن لغيره.

فإن الله سبحانه وتعالى حكيم عليم، وهو أرحم الراحمين سبحانه؛ ولهذا جعل هذه الصلاة، ونصَّ بفرضيتها على المؤمنين نصًّا واضحًا وأمرًا صريحًا، وذكرًا مستمرًّا حتى الأبد، فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

فالأمر في هذه الآية أمر لأمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.. وهل من حثٍّ أعظم على تعظيم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من إخبار الله لأتباعه جميعًا؛ أن الله وملائكته يصلون على نبيكم وقائدكم وقُدوتكم وإمامكم، ونحو ذلك من مقاماته الكريمة صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ!؟

لذا جاء الخطاب بعدها للأمة كلها في كل زمانٍ ومكان بالاسم الجامع لكم: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا﴾ أن تجتمعوا وتجتمعوا على هذا الأمر الذي اجتمع عليه الملائة الأعلى، وهو الصلاة عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وهذا سرٌّ من أسرار ذكر اجتماع الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى والملائكة كافة على الصلاة عليه؛ أي: فلا يسعكم أنتم إلا الاجتماع كمؤمنين أينما كنتم على الصلاة عليه... وإلا فإنَّ مَنْ لم يجتمع على هذا، فقد شذَّ عن اجتماع السماوات والأرض ورب السماوات تبارك من فوقكم، فمن شذَّ عن الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فقد شذَّ عن الذكر الذي أجمع عليه أهل السماوات وأهل الإيمان منذ بعثته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إلى قيام الساعة، فالصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مُجْمَعٌ عليها ولا تقبل إلا الإجماع، ومن شذَّ عن الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فقد أخطأ الطريق، بل خَطِئَ طريق الجنة، والحديث في هذا واضح، وهو قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ ذُكِرْتُ عِنْدَهُ فَخَطِئَ الصَّلَاةَ عَلَيَّ خَطِئَ طَرِيقَ الْجَنَّةِ»<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه الطبراني (٢٨٨٧)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٠٠/٢)

رقم (١٦٨١): صحيح لغيره.

وعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ نَسِيَ الصَّلَاةَ عَلَيَّ خَطِيءَ طَرِيقِ الْجَنَّةِ»<sup>(١)</sup>.

وشاهد هذا الحديث العظيم واضحة وخصوصاً في هذا الزمان، وهذه هي والله البلاغة؛ وهي جوامع الكلم، فالحديث كما يصدق على الفرد (كما) هو نص الحديث، فإنه يصدق على الجماعة وعلى الجماعات، وعلى الأحزاب، وعلى الدولة، وعلى الأمة، بل الأصل في هذا الحديث أنه عمن يزعم أنه من أهل الإسلام؛ لأن مَنْ يُذكر عنده الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هو في العادة من يذكر الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وهو في العادة لا يكون إلا مسلماً، ومن يقال عنه: «من نسي الصلاة عليّ» هو في العادة من الأمة لأنه نسي أو نسي، وهذا لا يقال إلا عن المسلمين... فَمِنَ المسلمين اليوم من لا يعنون كثيراً بالصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ! ومنهم مَنْ لا يعطون الصلاة حقها من الإكثار، فترى الرجل منهم يذكر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في حديثه عشر مرات أو أكثر، ولكنه لا يذكره بالصلاة عليه إلا مرة واحدة وهي آخر مرة؟ وَمَنْ منهم لا تجد في صلاته على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ التعظيم والتوقير والتبجيل، كما أمر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى في قوله: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾، أي: تسليماً وتعظيماً، تسليماً كثيراً، تسليماً كبيراً ومبيناً.

### الفضل الحادي عشر: أن فيها فضل التسليم على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ

فاللهم صل على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلم تسليماً كثيراً

اختصاص التسليم بالإطلاق: ولقد خص التسليم بالمفعول المطلق، فقال:

(١) أخرجه ابن ماجه (٩٠٨)، والطبراني (١٢٨١٩)، وقال ابن حجر في فتح الباري (١١/١٦٨): أخرجه ابن ماجه عن ابن عباس، والبيهقي في الشعب من حديث أبي هريرة، وابن أبي حاتم من حديث جابر، والطبراني من حديث حسين بن علي، وهذه الطرق يشد بعضها بعضاً.

﴿وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾، أي: بالتعظيم، والتكثير، والتأدب، والإحسان، وما إلى ذلك، ولم يخص الصلاة، كما خصّ التسليم في هذا الموطن، رغم أن ما يخص التسليم يشمل الصلاة بغير شك إلا أن المقصود هنا بالتخصيص إظهار التعظيم بالتسليم، أي: بمعنى السلام، ولا يشترط إظهاره باللفظ... لكن لماذا؟!!

**والجواب:** لأن الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هي دعاء، هكذا شرعت في الصلاة فتقول: (اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد...)، أما التسليم؛ فعليه هو صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وهي تقال لِمَنْ تراه أو يراك ومن يصله السلام منك مباشرة، وهكذا شرعت في الصلاة؛ ولذا تقول في تشهد الصلاة: (السلام عليك أيها النبي)، وأياً كان معناها ومصدرها، فإنه لا يليق إلا كمال الأدب لِمَنْ تشرّف بالسلام على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وهو يراه، أو تشرّف بالسلام على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، كأنه يراه، كما هو الأمر في الصلاة.

ولهذا رأى الناس أن من لم يُعطِ الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حقها، وقاد الأمة وتولى زمامها انقطعت بركته، وكبرت حسرته، وكان شؤماً على حياة أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وشؤماً على الإسلام والمسلمين وعلى الناس أجمعين.

وهكذا يتبين كيف أن الصلاة والتسليم على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فرقان بين الحق والباطل، بين من يزعم أنه يسلك طريق الجنة وهو لا يسلكه، فما أعظمها من كلمة لتصفية صفوف الأمة؛ والأمر سوف يظهر أكثر وأكثر كلما ازددنا مسيراً ونظراً في هذا الكتاب بإذن الله تعالى.

والمسلم كئس فطن لا يحتاج أن يلحق العلم تلقيناً ويُفصّل له بكل مفرداته تفصيلاً؛ ولهذا أقول: إن الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تمثل منهجاً أو هي عنوان منهج، وعنوان موقف من النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وهي كاشفة لما بطن في الصدور.

ومن خلال الموقف تستطيع أن تجمع إن كانت الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وسيلة ومصلحة وتوصلاً، وربما رثاء الناس لِمَلء الجيوب، وإشباع البطون، وتجنب الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وطلب السلامة وترك الجهاد، ونحو ذلك من تكاليف ومشاق، وهكذا تتجمع الشواهد والخيوط لتكشف لك الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وحقيقتها، ذلك أن الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تنفي الخبيث وتلفظه وتنفر عنه وترميه، وتجعل الخلق يلفظه، وتجعل طريق الجنة يخطئه.

كما أن الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تكشف خطأ منهج المقابل لمن ذكر آنفاً، والناظر يستطيع من خلال موقف هؤلاء - أعلامهم وعلمائهم وطلابهم - أن يكتشف إن كان هذا قد خطى طريق الجنة أم لا؟

وهذا أمر يطول، وأنا لا أريد أن أبحر فيه، إنما في هذه الإلماحة كفاية لأن ندرك عظمة الصلاة والسلام على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في توحد هذه الأمة، وفي إحكام وحدتها، وفي تميز صفوفها، وفي ضرورة فهمها، والغوص في أعماقها الإيمانية.

**وثمة ملاحظة:** هل الصلاة والسلام شيء واحد؟ قال بعض العلماء: إن المقصود بقوله هنا: ﴿وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ هو التسليم لأمره، وطاعته طاعة مطلقة دون حرج، كما قال الله عَزَّجَلَّ: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

والتسليم له حق لا ريب فيه، وما ذلك إلا جزء من مقتضى الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؛ فلا يكون مقبولاً أن تصلي عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ثم أنت لا تُسَلِّم له الأمر تسليماً.

كما أنه يمكن أن يُقال هنا: إن في الصلاة عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أصلاً، والسلام عليه إضافة فيه، إلا أن تسليم الأمر له تسليماً إضافة نوعية غير ما يُذكر عادة في هذا الميدان، والإضافة مقدّمة على التأكيد، وهو ما يوافق قوله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

ومع هذا، فأنا أقول: إن المقصود هنا ليس تسليم الحكم له في الأساس، وإنما المقصود الأساس؛ هو السلام عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بالأدلة من الآية الكريمة التالية:

الدليل الأول: هو تسليم الحكم له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يُقال فيه: [التسليم له]، أما هنا؛ فإن قول الله تعالى: ﴿صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾، أي: سلّموا عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ. ولو أراد الله عزَّوجلَّ نوعاً آخر لأشار سبحانه إشارة أو غير حرف [على] بـ [إلى]، وذلك في قوله عزَّوجلَّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ [الأحزاب: ٥٦]، فالله عزَّوجلَّ جمع الاثنين الصلاة والسلام معاً على المؤمنين؛ اتباعاً لصلاة الله وصلاة ملائكته، فقال: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

الدليل الثاني: أن السلام على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ليس هو الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، بل هو شيء آخر.. وسيأتي معنا تفصيل هذا الأمر في هذا الكتاب بإذن الله، وهكذا فرّق الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ بين الصلاة عليه والسلام عليه، وقد جاء في الحديث عَنْ كَعْبِ بْنِ عُجْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ خَرَجَ عَلَيْنَا، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَدْ عَلِمْنَا كَيْفَ نُسَلِّمُ عَلَيْكَ، فَكَيْفَ نُصَلِّيُ عَلَيْكَ؟ قَالَ: «فَقُولُوا: اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ»<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه البخاري (٦٣٥٧).

الدليل الثالث: الصلاة على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الواردة في التشهد الأخير فقط، بينما السلام على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وارد في التشهد الأول فقط؛ ولهذا فنحن نقول: «التَّحِيَّاتُ لِلَّهِ، وَالصَّلَوَاتُ وَالطَّيِّبَاتُ، السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ، السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ»<sup>(١)</sup>، بينما في التشهد الثاني نقول: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ».

الدليل الرابع: أن السلام قد ورد في حق الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وفي حق الملائكة، وفي حق آل البيت، فكيف لا يرد في حق رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وكيف نصرفه هنا عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ورب العالمين ينصُّ على أنه سلام وتسليم؟!  
الدليل الخامس: كيف يجمع الله عزَّ وجلَّ بين الصلاة على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وبين السلام في الآية، ونحن نفرِّق بين ما جمع الله.. معاذ الله!

### الفضل الثاني عشر: في الجمعة خاصة الطريق مباشر إلى

**رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ للصلاة والسلام عليه فالجمعة أم الفضائل، ومجمع الخصوصيات، وحاضنة الإكثار من الصلاة على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وخير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة، وهو هدية الله لرسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ولأُمَّته**

عن أوس بن أوس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «أَكْثَرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ فِي كُلِّ يَوْمٍ جُمُعَةٍ؛ فَإِنَّ صَلَاةَ أُمَّتِي تُعْرَضُ عَلَيَّ فِي كُلِّ يَوْمٍ جُمُعَةٍ، فَمَنْ كَانَ أَكْثَرُهُمْ عَلَيَّ صَلَاةً كَانَ أَقْرَبَهُمْ مِنِّي مَنْزِلَةً»<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه البخاري (٨٣١)، ومسلم (٤٠٢).

(٢) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٥٩٩٥)، وقال الألباني في صحيح الترغيب (٢/٢٩٧)

رقم (١٦٧٣): حسن لغيره.

الأمر في الجمعة لا يحتاج إلى استنباط كبير، كيف وقد خُصَّت الجمعة بالصلاة على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ..... والأمر لا يحتاج إلى كثير تعمق، فيوم الجمعة هو اليوم الذي اختاره الله سبحانه لأمة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وأدَّخره لهذه الأمة من بين الأيام لأجل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، كما اختار لهذه الأمة القبلة لأجل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، كما قال سبحانه: ﴿قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُ مَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَفِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٤٤]، وهكذا قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في الجمعة، فقد روى أبو هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «مَا طَلَعَتِ الشَّمْسُ وَلَا غَرَبَتْ عَلَى يَوْمٍ خَيْرٍ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ، هَدَانَا اللَّهُ لَهُ، وَضَلَّ النَّاسُ عَنْهُ، وَالنَّاسُ لَنَا فِيهِ تَبَعٌ، فَهُوَ لَنَا، وَالْيَهُودُ يَوْمُ السَّبْتِ، وَالنَّصَارَى يَوْمُ الْأَحَدِ، إِنَّ فِيهِ لَسَاعَةً لَا يُوَافِقُهَا مُؤْمِنٌ يُصَلِّي يَسْأَلُ اللَّهَ شَيْئًا إِلَّا أَعْطَاهُ»<sup>(١)</sup>.

فما طلعت الشمس ولا غربت على يومٍ مثل يوم الجمعة، ولا طلعت ولا غربت على رجل مثل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؛ ولهذا كان هذا اليوم هو اختيار الله سبحانه لهذا الرجل ولأتمته من بعده؛ ولأنه ما طلعت الشمس ولا غربت على أمةٍ مثل أمة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كذلك.

ولأن هذا اليوم هو اليوم الذي فيه خلق خليفة الله من أرض الله وفي أرض الله هو آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ إذ قال الله سبحانه لملائكته: ﴿إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً﴾ [البقرة: ٣٠]، فمتى أمرت الملائكة أن تسجد لآدم؟ والجواب: كان ذلك حين خلق... حين نفخت فيه الروح واكتمل روحًا جسدًا في لحظة واحدة ورأت الملائكة الخليفة الموعود المنتظر وكان الاختبار، فاستسلموا، وسبحوا الله

(١) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه (١٧٢٦)، وقال الألباني في صحيح الترغيب ج ١ ص



وعظموه، وجاءهم بضمير العظمة ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ أَبَىٰ وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾ [البقرة: ٣٤].

كل هذا كان في يوم الجمعة، كما هو ظاهر الحديث والآيات، والله تعالى أعلم؛ إذ إن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال: «فِيهِ خُلِقَ آدَمُ»<sup>(١)</sup>، وخلق آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ لم يكن إلا بعد نفخ روحه وإلا فقبل ذلك ما كان إلا صلصلاً كالفخار، فما إن نفخ الله فيه من روحه حتى ابتداء الاختبار، فقال سبحانه: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلَائِكَةِ فَقَالَ أَنْبِئُونِي بِأَسْمَاءِ هَؤُلَاءِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾<sup>(٣١)</sup> قَالُوا سُبْحَانَكَ لَا عِلْمَ لَنَا إِلَّا مَا عَلَّمْتَنَا إِنَّكَ أَنْتَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ٣١، ٣٢].

وحتى لو لم تكن هذه العملية كلها في يوم واحد - والله على كل شيء قدير - إلا أن الأصل في ذلك كله هو الخلق، وخلق آدم إنما كان في يوم الجمعة كما هو نص الحديث «فِيهِ خُلِقَ آدَمُ»، وكل ما كان قبل الخلق إنما هو إعداد ووسائل إليه، وهو الأمر المنتظر، ولهذا كان أمر خلقه ويوم خلقه يوماً مشهوداً في الوجود كله؛ فعن أبي الدرداء رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «أَكْثَرُوا الصَّلَاةَ عَلَيَّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ؛ فَإِنَّهُ مَشْهُودٌ، تَشْهَدُهُ الْمَلَائِكَةُ، وَإِنْ أَحَدًا لَنْ يُصَلِّيَ عَلَيَّ، إِلَّا عَرَضْتُ عَلَيَّ صَلَاتَهُ، حَتَّى يَفْرَغَ مِنْهَا»<sup>(٢)</sup>.

ولأنه مشهود، فلقد جمع الله رب العالمين تَبَارَكَ وَتَعَالَى أعظم الأحداث المتعلقة في أمر هذا الإنسان؛ ابتداءً من خلقه، وانتهاءً بابتداء دخول الجنة في هذا اليوم، فعَنْ أَوْسِ بْنِ أَبِي أَوْسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ قُبِضَ، وَفِيهِ النَّفْخَةُ، وَفِيهِ الصَّعْقَةُ، فَأَكْثَرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ فِيهِ، فَإِنَّ صَلَاتَكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ» قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ

(١) أخرجه مسلم (٨٥٤).

(٢) أخرجه ابن ماجه (١٦٣٧)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢/٢٩٦)

رقم (١٦٧٢): حسن لغيره.

تُعْرَضُ صَلَاتُنَا عَلَيْكَ وَقَدْ أَرِمْتَ - يَقُولُونَ: بَلَيْتَ؟ فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّجَلَّ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ»<sup>(١)</sup>.

فأي يوم من هذه الأيام ليس مشهودًا؟! فيه النفخة، وفيه الصعقة، وليس يوم خلق آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ يومًا عظيمًا، فحسب، بل كذلك كان يوم موته يومًا عظيمًا؛ لأنه شهد حدثًا عظيمًا، كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «وَفِيهِ قُبُضٌ»، فالحياة والموت خلق، كما قال سبحانه: ﴿الَّذِي خَلَقَ الْمَوْتَ وَالْحَيَاةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا وَهُوَ الْعَزِيزُ الْغَفُورُ﴾ [الملك: ٢]، ومن يدري فلعل الخلق لم يشهدوا موت إنسان قبل ذلك في الأرض موتًا طبيعيًا، كما عبّر عنه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «وَفِيهِ قُبُضٌ»، ولا ندري - حتى هذه اللحظة - إن كان قابيل قتل هابيل قبل موت أبيهما أم بعد موت أبيهما عَلَيْهِ السَّلَامُ؟! لكن القصد أن كل تلك الأحداث في مصير الوجود كله اجتمعت يوم الجمعة، فيا له من يوم كان عظيمًا، وبقي عظيمًا، وعظمته لم تنته بعد، بل هي قادمة.

نعم! حتى يوم الجمعة هو اليوم المشهود للثقلين وللوجود كله في الدار الآخرة؛ فعن أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ الْأَيَّامَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى هَيْبَتِهَا، وَيَبْعَثُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ زَهْرَاءَ مُنِيرَةً، أَهْلَهَا يَحْفُونَ بِهَا كَالْعُرُوسِ تُهْدَى إِلَى كَرِيمِهَا، تُضِيءُ لَهُمْ، يَمْشُونَ فِي ضَوْئِهَا، أَلْوَانُهُمْ كَالثَّلْجِ بَيَاضًا، وَرِيحُهُمْ يَسْطَعُ كَالْمَسْكِ، يَخُوضُونَ فِي جِبَالِ الْكَافُورِ، يَنْظُرُ إِلَيْهِمُ الثَّقَلَانِ، مَا يُطْرَقُونَ تَعْجَبًا، حَتَّى يَدْخُلُوا الْجَنَّةَ، لَا يُخَالِطُهُمْ أَحَدٌ إِلَّا الْمُؤَدَّبُونَ الْمُحْتَسِبُونَ»<sup>(٢)</sup>.

- (١) أخرجه أبو داود (١٠٤٧)، وأحمد (١٦١٦٢)، وابن ماجه (١٠٨٥)، وابن حبان (٩١٠)، والحاكم (٨٦٨١)، وقال الأرنبوط: صحيح لغيره، وقال الألباني في صحيح الترغيب (٢/٢٩٧) رقم (١٦٧٢): صحيح.
- (٢) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه (١٧٣٠)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب (١/٤٣٧) رقم (٦٩٨).

### لأنه اليوم المشهود:

ولأنه اليوم المشهود الذي كأن الخلائق برمجت عليه، فإن جدية الكائنات الأخرى عظيمة في هذا اليوم، فلقد روى أبو هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال: «لَا تَطْلُعُ الشَّمْسُ وَلَا تَغْرُبُ عَلَيَّ يَوْمٍ أَفْضَلَ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ، وَمَا مِنْ دَابَّةٍ إِلَّا وَهِيَ تَفْرَعُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ إِلَّا هَذَيْنِ الثَّقَلَيْنِ: الْحِجْرُ وَالْإِنْسُ»<sup>(١)</sup>.

أرأيت الآن: لِمَ اختار الله هذا اليوم وادخره سبحانه لأمة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟! إنه اليوم المشهود.

أرأيت عظمة الأحداث وخصوصيتها؛ تلك التي جعلها الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى يوم الجمعة؟!!

أيعقل أن الخلائق تشهد هذا اليوم العظيم ولا يشهده رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وأنه يكون فيه غائبًا؟!!

أرأيت لِمَ جمع الله صلاته تَبَارَكَ وَتَعَالَى وصلاة ملائكته جميعًا للمؤمنين في آية واحدة، وبعدها وفي نفس الآية أمر الله سبحانه المؤمنين أن يُصلوا على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا، فقال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾؟!!

أرأيت هذه الآية الكريمة وما فيها من خصوصية أمر المؤمنين بالإجماع على الصلاة على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وأن يُصلوا عليه ويسلموا تسليماً، وخصوصية الأحداث المشهودة العظمى في يوم الجمعة...؟!!

أرأيت ذلك كله...؟! فانظر إذاً إلى أمر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بالصلاة عليه

(١) أخرجه ابن حبان (٢٧٧٠)، وابن خزيمة (١٧٢٧)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب (٤٣٧/١) رقم (٦٩٧).

في اليوم المشهود، فيشاهده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ للصلاة عليه شهودًا عجيبيًا لا نظير له في عالم الراحلين، ولا يمكن تصويره، وخصوصيته ليوم الجمعة لا تبلغها الأيام إلى يوم الدين، ولأن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى هو أرحم الراحمين، وهو على كل شيء قدير، وهو الحكيم العليم، فما كان منه أن يجعل هذه الأمة تُصلي على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ورسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وهو المخصوص بهذا اليوم، وهو المعنيُّ بالصلاة عليه، وهو المقصود بأداء السلام عليه، ثم هو يغيب يوم الجمعة، لا والله، فرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حاضر حضورًا ليس مثله حضور ولا له نظير، فهو فوق كونه حيًّا يرزق في قبره، وتبلغه أعمال أمته، كما في الحديث إلا أن حضوره اليوم فوق ذلك كله؛ ولهذا جاء في حديث أبي الدرداء رَضِيَ اللهُ عَنْهُ نفسه قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «أَكْثَرُوا الصَّلَاةَ عَلَيَّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ؛ فَإِنَّهُ مَشْهُودٌ، تَشْهَدُهُ الْمَلَائِكَةُ، وَإِنَّ أَحَدًا لَنْ يُصَلِّيَ عَلَيَّ، إِلَّا عُرِضَتْ عَلَيَّ صَلَاتُهُ، حَتَّى يَفْرَغَ مِنْهَا»<sup>(١)</sup>.

فالذي يعرض عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هنا ليس هو قول الملائكة من أنه يُصلي عليك فلان ابن فلان، فهذا شيء آخر، وهو حق، إنما الذي يُعرض عليه هنا، كما هو نصُّ الحديث «عُرِضَتْ عَلَيَّ صَلَاتُهُ حَتَّى يَفْرَغَ مِنْهَا»، فصلاته نفسها؛ إذ هو يُؤديها ويُصلي عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تُعرض عليه كما يؤديها، تعرض عليه نفسها كما هي، والله سبحانه الذي أحيانا إلى هذا الزمان، وفيه أرانا كيف يعرض الحدث والفعاليات في مكان بعيد جدًّا، ونحن نراها في الأجهزة الحديثة التي نحملها بأيدينا في ذات اللحظة، والله سبحانه قادر أن يجعل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يرى ويسمع جميع الإنس والجن الذين يُصلون عليه في ذات الوقت من أول ما يصلي عليه المصلي حتى يفرغ من صلاته، طالت صلواته عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أم قصرت، وهذا نصُّ نصف الحديث الأخير حيث يقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «وَإِنْ

(١) أخرجه ابن ماجه (١٦٣٧)، وقال الأرنؤوط: إسناده ضعيف.

أَحَدًا لَنْ يُصَلِّيَ عَلَيَّ إِلَّا عُرِضَتْ عَلَيَّ صَلَاتُهُ حَتَّى يَفْرَغَ مِنْهَا؛ ولهذا رُوي هذا الفهم عن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَقَالَ: «إِذَا صَلَّيْتُمْ عَلَيَّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَأَحْسِنُوا الصَّلَاةَ عَلَيْهِ؛ فَإِنَّكُمْ لَا تَدْرُونَ لَعَلَّ ذَلِكَ يُعْرَضُ عَلَيْهِ»<sup>(١)</sup>.

ثم إن هذا الحديث نص واضح ومفصل.

وكما أن الله سبحانه قد أعطى مَنْ شاء من ملائكته وجنده من القدرة ما لا يمكن لمخلوق تصوره، فهو قادرٌ أن يعطي ذلك لرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في أمر الصلاة عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وما يشاء سبحانه، ولقد صح عن عمار بن ياسر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّ اللَّهَ مَلَكًا أَعْطَاهُ اللَّهُ سَمْعَ الْعِبَادِ كُلِّهِمْ، وَأَنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَحَدٍ يُصَلِّي عَلَيَّ صَلَاةً إِلَّا أَبْلَغْنِيهَا، وَإِنِّي سَأَلْتُ رَبِّي أَلَا يُصَلِّي عَلَيَّ أَحَدٌ إِلَّا صَلَّى عَلَيَّ عَشْرًا مِثْلَهَا، وَإِنَّ اللَّهَ أَعْطَانِي ذَلِكَ»<sup>(٢)</sup>.

والشاهد من هذا الحديث أن الله أعطى هذا الملك هذه القدرة، ورسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ والملك في ذلك العالم عالم الروح ﴿ نَزَّلُ الْمَلَائِكَةَ وَالرُّوحَ فِيهَا بِإِذْنِ رَبِّهِمْ مِنْ كُلِّ أَمْرٍ ﴾ [القدر: ٤].

ولا يقال بناءً على هذا الحديث؛ واعتراضاً أو تخويفاً من الشرك حيث يقال: إذاً، فهذا بابٌ للاستغاثة برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من دون الله... والجواب: إذا فليَمْ لا نستغيث بهذا الملك...؟! وهل سمعتم أن أحداً استغاث بهذا الملك أو بجبريل أو بحملة العرش أو أمثالهم عَلَيْهِمُ السَّلَامُ!؟!

فهذا هو إخبار رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وهو الحق وله أسلمنا، وبأخباره

(١) رواه ابن ماجه (٩٠٦)، وقال في الزوائد: رجاله ثقات إلا أن المسعودي اختلط في آخره، وقال الأرئوط: صحيح.

(٢) أخرجه الطُّوسِيُّ في مستخرج الطوسي على جامع الترمذي (٤٥٩/٢) رقم (٣٢٨)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٩٣/٢) برقم (١٦٦٧)، وصحيح الجامع برقم (٤٣٤/١) رقم (٢١٧٦).

وكل ما جاء منه سلمنا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ثم إن هذه القدرة العظيمة ليست في هذا المجال فحسب؛ لذا فإنه ينبغي أن يدفع هذا الخبر العظيم الإنسان إلى الإكثار من الصلاة على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فإن لها خصوصية ليست لغيرها من الأعمال جميعاً، وهذه واحدة منها، فهذا الملك عند رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وما إن يُصلي مُصَلِّ على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ صلاة إلا سمعه الملك أينما كان، وهو يبلغه؛ إذ ذاك بالصلاة عليه في أيِّ مكان وأيِّ زمان، وأيِّ يوم من الأيام - وليس من شرط يوم الجمعة - فكيف أعطى الله هذا الملك الخاصية لِسَمَاع الصلاة على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ دون غيرها من الأذكار...؟!

ونحن نعلم أن ادخار الصلاة عند الله أمر عظيم وكافٍ، وهو فيض من فضله فوق عدله إلا أن الله سبحانه يزيد فضلنا علينا برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فضلاً، فيجعل ملكاً هنا يسمع، وهو عنده قبره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وملائكة آخرون يبلغون، ففي الحديث: «إِنَّ اللَّهَ وَكَلَّ بِقَبْرِ مَلَكًا أَعْطَاهُ أَسْمَاعَ الْخَلَائِقِ، فَلَا يُصَلِّي عَلَيَّ أَحَدٌ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ إِلَّا أَبْلَغَنِي بِاسْمِهِ وَاسْمِ أَبِيهِ، هَذَا فُلَانُ ابْنُ فُلَانٍ قَدْ صَلَّى عَلَيْكَ»<sup>(١)</sup>.

إذا فهذه الأحاديث وأمثالها لتدل بشكل واضح أنها في غير الجمعة، أما الجمعة فإن الصلاة على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تعرض عليه نفسها في نفس لحظة أدائها من صاحبها، والظاهر أن الصلاة تعرض عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مع أداء صاحبها لها، وإلا ماذا يعني أن تعرض عليه الصلاة مجردة هكذا؟! بل يعرض عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ صاحبها حال أدائه للصلاة عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فيراه ويعرفه، وإلا ما معنى أن تعرض عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ويعرض عليه

(١) أخرجه البزار في مسنده (١٤٢٥)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢٩٣/٢) رقم (١٦٦٧).



المصلي؟! ... أليس عرض الرجل وصلاته على رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حال صلته عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هذا أعظم للإكرام من رب العالمين، والإكرام لرسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ والإكرام للمصلي عليه، وهو أُلصق بمعنى العرض، بل هو أوفق ليكون هذا اليوم مشهودًا، وهو أقر لعين رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟!!

ثم إن هذا أكرم للمصلي على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؛ رجلاً كان أو امرأة، وذلك بمشاهدة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ له حالة صلته على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فإن معرفته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ به وحدها إكرامٌ عظيمٌ وحافزٌ للإكثار وللتعظيم، وإن لهذه المعرفة الوثيقة المسبقة إذا جاء يوم القيامة وبعث الناس كان لها الأثر المخصوص لهؤلاء المخصوصين، وما كان تخصيصهم لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بالصلاة عليه وهو الرباط الوثيق أن ينقطع اليوم، أو يكون كعدمه - معاذ الله -! ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤] وما كان لمعيّة «أَنْتَ مَعَ مَنْ أَحْبَبْتَ»<sup>(١)</sup> أن تلغى عند الصلاة على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وما كان للمؤمنين الذين لم يروه أن يُحرموا من اتخاذ العهد عند رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وقد أشهده الله إياه ورفع سبحانه وباركه وزكاه، وهل كان كل هذا إلا لهذا اليوم العظيم، وهذا اللقاء الحميم.. كيف وإذا ما جاؤوا، كما في الحديث القادم «فَمَنْ كَانَ أَكْثَرُهُمْ عَلَيَّ صَلَاةً كَانَ أَقْرَبَهُمْ مِنِّي مَنْزِلَةً»<sup>(٢)</sup>، وأنهم إذا جاؤوا هذا اليوم عرفهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فكان هؤلاء المكثرون المعظمون أحقَّ بالقرب منه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وأحقَّ بالشفاعة لهم.

وليس ببعيد - بل هو ما أراه والله أعلم - أن تكون الصلاة على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مشهودة من قبل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فليس الناس كلهم في

(١) أخرجه البخاري (٣٦٨٨).

(٢) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٥٩٩٥)، وقال الحافظ في فتح الباري (١١/١٦٧): لَا بَأْسَ بِسُنْدِهِ، وقال الألباني في صحيح الترغيب (٢/٢٩٧) رقم (١٦٧٣): حسن لغيره.

درجة واحدة؛ إذ هم يُصلون على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، - وبهذا تجتمع جميع الأحاديث الشريفة - وهذا التفريق بين العاملين على حسب يقينهم وإيمانهم، بل على حسب درجة إحسانهم؛ إذ هم يصلون على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وهذا هو المتوافق مع عدل الله ومع فضل الله ورحمته، ومع قاعدة الجزاء؛ إذ الصلاة على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ خاصة يأخذ العبد عليها جزاءها موفورًا، وأعظم الجزاء هنا لها وتميزها عن غيرها هو شهود رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لها شهودًا خاصًا لا نظير له مطلقًا، وبناءً على هذا، فإن الصلاة على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يفترق جزاؤها حسب المصلين عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فمنهم مَنْ يُصلي عليه ويسمعها الملك المخصوص، فيبلغها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وقد ورد النص بهذا كما مرَّ معنا، ومنهم مَنْ يُصلي، عليه، فيبلغه الملك الواقف عند قبره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ويبلغه باسم المصلي عليه واسم أبيه ويريه موضعه في القائمة، أو هو يرى اسم المصلي عليه في القائمة، وهذا واردٌ في النص الذي مرَّ معنا كذلك، وهكذا يزداد القرب من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ومنهم الأعلى وهو من يعرض على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ المصلي نفسه، إذ هو يُصلي على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وهذا هو من جزاء المصلي عليه؛ إذ قابل الله إحسانه في ذكره لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وصلاته وسلامه عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فهو يُصلي على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كأنه يراه، ويصلي ويسلم عليه، كأنه يشاهده في مشاهدته العظيمة صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ويصلي ويسلم عليه، حتى كأنه معه، كما سيمر معنا في الصلاة والسلام عليه وهو «في طريقه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إلى غار حراء، وهو في الغار وهكذا، وما قبل الغار وما بعده»، فقابل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى إحسانه بأن أبلغه أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الآن يُشاهدك؛ إذ تُصلي عليه كأنك تشاهده ولا يمكن أن يقال: «ورسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كأنه يشاهدك!»! فعطاء الله من جنس عمل العبد، لكنه ليس مثله ولا مساويًا، بل عطاء الله تعالى يكون أضعافًا مضاعفة، وربنا

سبحانه هو الأكرم، وهذا المقام - مقام العطاء الإلهي هذا - هو ما أشار له أبو الدرداء في حديثٍ عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «وإنَّ أحدًا لن يُصليَ عليَّ إلا عُرِضَتْ عليَّ صلاتُهُ حتى يفرغَ منها».. فالقرب يعود لاجتماع أمرين: الإحسان في الصلاة عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، والكثرة، كما في حديث أبي أمامة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «أَكْثَرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ فِي كُلِّ يَوْمٍ جُمُعَةٍ؛ فَإِنَّ صَلَاةَ أُمَّتِي تُعْرَضُ عَلَيَّ فِي كُلِّ يَوْمٍ جُمُعَةٍ، فَمَنْ كَانَ أَكْثَرَهُمْ عَلَيَّ صَلَاةً كَانَ أَقْرَبَهُمْ مِنِّي مَنْزِلَةً»<sup>(١)</sup>.

ثم أليست الشهادة هنا هي الأقر لعين رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟! والله سبحانه يريد إقرار عينه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بكل شيء بعد وفاته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فلتقر عينك يا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ اليوم بأمتك، ولتقر عينك بخاصة خاصتك من المصلين المسلمين عليك من منزلة الإحسان... الذين يصلون عليك كأنهم يرونك، فلترحم أنت حقيقة فأنت حتى في موتك، فإنك في المنزلة الأعلى، ويدك هي العليا، فهم كأنهم يرونك حينما يصلون ويسلمون عليك، أما أنت، فأنت تراهم حقيقة من عالمك الأعلى، وفي الرفيق الأعلى، عليك الصلاة والسلام ورحمة الله وبركاته.

### الفضل الثالث عشر: الجمعة والجماعات

#### في ظلال الصلاة على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ

[الأمة تجتمع حول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تصلي عليه:]

وهنا نعود لنقرر أن الصلاة على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ليست مجرد أجر، ولا شكر، ولا وفاء لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فحسب، وإنما تمحور (الأمة وحياتها) على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ورباط جامع للأمة، وإعلان

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٥٩٩٥)، وقال الحافظ في فتح الباري (١١/١٦٧): لا بأس بسنّده، وقال الألباني في صحيح الترغيب ج ٢ ص ٢٩٧ رقم (١٦٧٣): حسن لغيره.

مرجعيته الوحيدة في عالم البشر، وإعلان بيعته ليس على أنه الرسول والنبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وإنما على طاعته في العسر واليسر، كما بايعه الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ عند العقبة الكبرى وعند إسلامهم، وإعلان الدعوة لدينه، كما سيأتي معنا بإذن الله في رسائل الصلاة على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فقد جعل الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي الصلاة على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ السر الجامع لكل ذلك، وكأنها الرمز القائم مقام حضور رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فأَيُّ رباطٍ فعليٍّ للأمة مثل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ..؟ الجواب: لا شيء أبداً إلا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ولا يسمح لأي بديل على وجه الإطلاق والإطباق، فأَيُّ اسم هذا الذي يجعل مع اسمه في النداء إلى الصلاة؟! وَمَنْ ذا الذي يقبل هو أن تجعل الشهادة له مع الشهادة لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بالرسالة عند ذكر الشهادتين؟! وَمَنْ ذا الذي يطاع في معصية رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هذه؟! لا يمكن أن تبقى بنفس القوة والعنفوان لمجرد وجود أمرٍ.. فكم من الأوامر التي أمر بها المرسلون عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، أو الآباء والأحباب أو عظماء أقيامهم تساقطت؟ وكم من الرموز مُحِيت؟ أما رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فهذا مستحيل ونوره لا يخبو أبداً، وطاقته وتوقُّده لا يضعف أبداً، ووجهه لا يضعف أبداً، وذلك لما جعل في الصلاة والسلام عليه كلما ذكر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من ملازمة ولازمة، مع ما فيها من تعظيم لا نظير له في الخلائق على الإطلاق.

فالله سبحانه يحشد الخلق حشداً للصلاة عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، والأحاديث في الصلاة على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ والحث عليها والترغيب فيها لا يكاد يوجد لها نظيرٌ في الأذكار العظيمة الكريمة الأخرى، وقد مرَّ معنا الكثير من هذا، ولا تستغرب إن جاءتك أحاديث في الصلاة والسلام عليه بألوان أخرى وأجور أكبر، وربما اجتمعت كلها في مصلاً واحد وصنفٍ من المحسنين واحد، فمن ذلك حديث عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ

رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ صَلَاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَمَلَائِكَتُهُ سَبْعِينَ صَلَاةً، فَلْيُقَلِّعْ عَبْدٌ مِنْ ذَلِكَ أَوْ لِيُكْثِرْ»<sup>(١)</sup>.

فاللهم صلِّ على عبدك ورسولك محمد وآله وصحبه وسلم تسليمًا

### الفضل الرابع عشر:

#### الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تمثل رسالة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وتحمُّلها

الأصل في الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أنها لجماعات المسلمين واجتماعاتهم ومجامعهم وإجماعهم، والإشارة في هذه المشروعية في هذا واضحة في قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾.

فالآية الكريمة واضحة تمام الوضوح بشقيها العظيمين، فالشق الأول: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بالإجماع، والشق الثاني: أمر الله للمؤمنين جميعًا؛ إنسًا وجنًا بالصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وهذا لا ينبغي إلا أن يكون إجماعًا.

وبغير الفهم الجماعي للصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يكون فهمها عباديًا قاصرًا على الفرد نفسه، لا غاية لها ولا أثر على الآخرين، وليس هذا هو ما بُعث لأجله رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وسبحان الله، فإن المرء لا يكاد يجد عبادةً جماعية إلا ويوجد فيها الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وكأن الاستتاج الذي لا مفر منه: وهو كل اجتماع لكم إذا لم يكن فيه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ،

(١) رواه أحمد في المسند (١٧٢/٢) رقم (٦٦٠٥)، قال الحافظ الهيثمي: رواه أحمد وإسناده حسن، وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح. انظر تخريجه على المسند برقم (٦٧٥٤)، نضرة النعيم في المقدمة ص (٥٦٧).

ولم يكن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قائده - فهو اجتماع باطل، وليس له ثمرة، بل ثمرة أسوأ ثمرة... فمن ذا الذي يزرع أو يربي نتناً؟!؟

والرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يقول: «مَا جَلَسَ قَوْمٌ مَجْلِسًا لَمْ يَذْكُرُوا فِيهِ رَبَّهُمْ، وَيُصَلُّوا عَلَى نَبِيِّهِمْ إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ تِرَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِنْ شَاءَ أَحَدُهُمْ بِهِ، وَإِنْ شَاءَ عَفَا عَنْهُمْ»<sup>(١)</sup>.

وفي الحديث الآخر عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال: «مَا مِنْ قَوْمٍ يَجْلِسُونَ مَجْلِسًا لَا يَذْكُرُونَ اللَّهَ فِيهِ إِلَّا كَانَتْ عَلَيْهِمْ حَسْرَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَإِنْ دَخَلُوا الْجَنَّةَ»<sup>(٢)</sup>.

وعن جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «مَا اجْتَمَعَ قَوْمٌ، ثُمَّ تَفَرَّقُوا عَنْ غَيْرِ ذِكْرِ اللَّهِ وَصَلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، إِلَّا قَامُوا عَنْ أَنْتَنٍ جَيْفَةٍ»<sup>(٣)</sup>.

فهل لحم الجيفة ثمرة تستحق العمل أو أنها مائدة تقدّم للاجتماع؟! ثم هل الجيفة تجعل الناس ينفضون وينفرون عنها أم يطيب لهم المجلس عندها ويجتمعون حولها؟! هكذا هي الطبيعة البشرية والذوق البشري، إنه ينفر من التّن والجيف وروائحها؛ لذا فإن الاجتماع البشري مهما كان جذابًا وناجحًا

(١) رواه الإمام أحمد في المسند (١٠٢٧٧)، والترمذي (٣٣٨٠) وقال: هذا حديث حسن. وصححه الأرئوط، وكذلك صححه الألباني في الصحيحة (٧٤).

(٢) أخرجه النسائي في السنن الكبرى (١٠١٧٠)، وأحمد (٩٩٦٥)، وقال شعيب الأرئوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين، وصححه الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢/٢١٤) رقم (١٥١٣).

(٣) أخرجه الطيالسي في مسنده (١٨٦٣) واللفظ له، والبيهقي في شعب الإيمان (٢/٢١٥) رقم (١٥٧٠)، وقال السخاوي في القول البدیع في الصلاة على الحبيب الشفیع ص (١٥٦): ورجاله رجال الصحيح على شرط مسلم، وقال البوصيري في إتحاف الخيرة المهرة (٦/٣٨٤): هَذَا إِسْنَادٌ رَوَاتُهُ ثِقَاتٌ.



كما يسمونه، فإنه لا يتجاوز أن يكون اجتماعًا حول أنتن جيفة حمار طال اللقاء أم قصر ما لم يكن فيه ذكر الله وذكر رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ والصلاة عليه، لكن ماذا نصنع في هذه الفترة من الزمان إذا أصبحت هذه الحلقات حول جيف الحمير المنتنة هي السائدة، وأصبحت لذة نفوس الناس عامة في هذا الزمان هي ريح الجيف النتنة، و«إِنَّ اللَّهَ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا»<sup>(١)</sup>.

وهكذا ينبغي أن يكون اجتماع المؤمنين بعد موته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فإما أن يكون رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قائدهم وإمامهم وحاضرًا معهم وإلا فلا، وهذا القياس يجب أن يكون على كل الاجتماعات من أصغرها إلى أكبرها... وسبحان الله، فإن أكبر الاجتماعات ينبغي أن تكون أشد ما تكون حرصًا على الصلاة على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؛ وذلك لأن مواضع هذه الاجتماعات أكبر أهمية وأكثر خطورة، ومن خلالها تنطلق الاجتماعات الفرعية، وهكذا تصبح الصلاة على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بالنسبة للاجتماعات تلك مثل التسمية على الذبيحة، عند الذبح؛ فإما جيفة وإما حلالًا طيبًا، وأي إنسان ذُكِرَ بالتسمية على الذبيحة فأبى أن يسمي، فذبيحته حرام، وإن أضجع الذبيحة إلى القبلة، وإن قطع الودَجِينَ وإن جَرَّ الشفرة وأهرق الدم، وذلك لأنه ما ترك التسمية إلا كِبْرًا. وهكذا الصلاة على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فإن مَنْ نَسِيَ فله حكم آخر، أما مَنْ تَذَكَّرَ، أو ذُكِّرَ فلم يصل على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فاجتماعه حسرة عليه وعلى أصحابه وعلى من فوضوه، واجتماعهم على أنتن جيفة، ذلك أن طيبكم أنتم كله هو من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فماذا إذا عُرِضَ عليكم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فأبيتهم وأعرضتم واجتمعتم دونه... فمن أشد من هؤلاء حسرة، كما قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «إِلَّا كَانَ عَلَيْهِمْ حَسْرَةٌ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَإِنْ دَخَلُوا الْجَنَّةَ»، فكيف إذا وجدت أعلى المسؤولين يستكثر أن يذكر الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وربما استكثر

(١) أخرجه مسلم (١٠١٥).

حتى من أن يفتح خطابه بذكره والصلاة عليه، ذلك لأن المسؤول يعلم تمام العلم أنه إن فعل ذلك، فإنما يسلم القيادة لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ويحول البيعة من نفسه إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وأن طاعته مقيدة بطاعة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.. وإن فعلها مرة فلن يفعلها مرات، وإن فعلها في اجتماعاته مع المسلمين، فلن يفعلها في اجتماعاته مع غير المسلمين؛ لأن ذكر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عند هؤلاء كثيرًا ما يشير حنقهم.. أو أن يصنفوا أنهم مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ! وهم والله الجيف.

فتأمل إلى أي مبلغ تبلغ الصلاة على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟ وإلى أي درجة ينحط مَنْ تخلى عنها؟

إذًا، فإن الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هي الميزان، وهي الفرقان، وهي إما البركة، وإما الحسرة إن تركت.

### فاللهم صلِّ على سيدنا محمدٍ وعلى آل سيدنا محمدٍ وسلِّم تسليمًا كثيرًا

وقد كان هذا هو منهج أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عند كل اجتماع، وفعلهم في هذا له حكم الرفع إلى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ولا حاجة بعد الصحابة لمرجع في عمل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وهدية صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فما من محفل إلا كان ممثل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حاضرًا، ويجب أن يكون ذلك هو الصلاة على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ابتداءً من صلاة الجنزة وانتهاءً بصلاة الجمعة والعيد، فعن أبي أمامة بن سهل أنه أخبره رجلٌ من أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أن السنة في الصلاة على الجنزة أن يكبر الإمام، ثم يقرأ بفاتحة الكتاب بعد التكبير الأولى سرًّا في نفسه، ثم يصلي على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ويخلص الدعاء للميت في التكبيرات لا يقرأ في شيءٍ منهنَّ، ثم يسلم سرًّا في نفسه<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه الشافعي في الأم (١/٣٠٨).



وأما في خطبة الجمعة؛ فقد مضت السنة على هذا والعمل بها منذ تشريعها، فَعَنْ عَوْنِ بْنِ أَبِي جُحَيْفَةَ قَالَ: كَانَ أَبِي مِنْ شُرَطِ عَلِيٍّ، وَكَانَ تَحْتَ الْمِنْبَرِ، فَحَدَّثَنِي أَبِي: أَنَّهُ صَعِدَ الْمِنْبَرَ - يَعْنِي عَلِيًّا - فَحَمِدَ اللَّهَ تَعَالَى وَأَثْنَى عَلَيْهِ، وَصَلَّى عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَقَالَ: «خَيْرُ هَذِهِ الْأُمَّةِ بَعْدَ نَبِيِّهَا أَبُو بَكْرٍ، وَالثَّانِي عُمَرُ، وَقَالَ: يَجْعَلُ اللَّهُ تَعَالَى الْخَيْرَ حَيْثُ أَحَبَّ»<sup>(١)</sup>.

وعن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّهُ كَانَ يَقُولُ بَعْدَمَا يَفْرغُ مِنْ خُطْبَةِ الصَّلَاةِ وَيُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ حَبِّبْ إِلَيْنَا الْإِيمَانَ وَزَيِّنْهُ فِي قُلُوبِنَا وَكَرِّهْ إِلَيْنَا الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ، أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ، اللَّهُمَّ بَارِكْ لَنَا فِي أَسْمَاعِنَا وَأَبْصَارِنَا وَأَرْوَاجِنَا وَقُلُوبِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا»<sup>(٢)</sup>.

لئن نزل حديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في الأمر بالصلاة عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ والتحذير من تركها في أصغر الاجتماعات، فإنه في أعظم الاجتماعات أخرى وأولى، وتركه أخطر وأشر... ثم أي خطبة جمعة في الإسلام، أليس فيها ذكر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مرات ومرات؟! ثم إذا كان أي اجتماع لا يُصَلَّى فيه على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يقوم أصحابه كما يقومون على أنتن جيفة حمار، فهل يُتَصَوَّرُ أن يقعدوا في بيت الله، وعلى سنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وتحت منبر رسول الله، ثم لا يصلون على صاحب المنبر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟!!

فهذا منهج أصحاب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الذي عملوا به وعمّموه في كل اجتماعاتهم حتى التي كانت في السوق، وإن كان السوق مجرد مكان للتجارة إلا أنه اجتماع.

(١) أخرجه أحمد (٨٣٧)، وقال الشيخ أحمد شاکر: إسناده صحيح.

(٢) جلاء الأفهام لابن القيم ص (٣٧٠)، والقول البديع في الصلاة على الحبيب الشفيع ص (٢٠٢ - ٢٠٣)، وأخرجه البخاري في الأدب المفرد عن رفاع بن رافع الزرقعي رقم (٦٩٩)، وصححه الألباني.

قال ابن أبي حاتم: عَنْ أَبِي وَائِلٍ: قَالَ: «مَا شَهِدَ عَبْدُ اللَّهِ مَجْمَعًا، وَلَا مَأْدُبَةً فَيَقُومُ حَتَّى يَحْمَدَ اللَّهَ، وَيُصَلِّيَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَإِنْ كَانَ مِمَّا يَتَّبِعُ أَغْفَلَ مَكَانَ فِي السُّوقِ، فَيَجْلِسُ فِيهِ، وَيَحْمَدُ اللَّهَ، وَيُصَلِّيَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ»<sup>(١)</sup>.

إذا كيف لو كان مؤتمراً اقتصادياً؟ كيف لو كان صفقات تجارية تم البلد والأمة والأجيال؟!

إن الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، بحضور النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فهو الإمام، وهو القائد، وهو المشرع كذلك بعد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِن نَنزَعْنَمُ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولَ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩]، ﴿مَنْ يُطِيعِ الرَّسُولَ فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ وَمَنْ تَوَلَّى فَمَا أَرْسَلْنَاكَ عَلَيْهِمْ حَفِيظًا﴾ [النساء: ٨٠]، فهل ترى الناس لو علموا بمعنى الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لو سعهام ألا يلتزموا بأحكامه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في الأسواق، وفي الاقتصاد، وفي المحافل والمؤتمرات، وفي الملاعب واللقاءات، وغير ذلك؟!

هل يجروء أحد أن يبيع الربا أو يوقع قروضاً من البنك الدولي إلى بلده أو من صندوق بلده إلى بلد آخر بقروض ربوية هذا وهو يقرأ قول الله تعالى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِن كُنتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ (٢٧٨) فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِّنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِن تُبْتُمْ فَلَكُمْ رُءُوسُ أَمْوَالِكُمْ لَا تَظْلِمُونَ وَلَا تُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٧٩]. وهو يستمع لقول رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وكأنه يراه في حجة الوداع: «أَلَا كُلُّ شَيْءٍ مِّنْ أَمْرِ الْجَاهِلِيَّةِ تَحْتَ قَدَمِي مَوْضُوعٌ، وَدِمَاءُ الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعَةٌ، وَإِنِ أَوَّلَ دَمٍ أَضْعُ مِنْ دِمَائِنَا دَمُ ابْنِ رَبِيعَةَ بْنِ الْحَارِثِ؛ كَانَ مُسْتَرَضِعًا فِي بَنِي سَعْدِ، فَتَلَّتْهُ هُذَيْلٌ، وَرَبَا الْجَاهِلِيَّةِ مَوْضُوعٌ، وَأَوَّلَ رَبًّا أَضْعُ



رَبَانَا؛ رَبَا عَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَإِنَّهُ مَوْضِعُ كُلِّهِ»<sup>(١)</sup>.

وهل يمكن لمن يصلي على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في سوقه أو في مؤتمره الاقتصادي أن يَصْفِقَ صفقات بالرُّبَا في بيعه وشرائه إلا أن يكون كمن يحتسي الخمر ويأكل الخنزير بعدما يحللها حسب زعمه بـ [باسم الله] قبل الأكل والشرب؟!!

إِنَّ ذِكْرَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، والصلاة والسلام عليه داع للحياء من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى ومن رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أن تفعل ما لا يرضاه الله عَزَّ وَجَلَّ ورسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فإن الإنسان وخصوصًا في المجامع العامة كثيرًا ما يتعرض لاختبار مُحِبِّهِ واختيار المُحِبِّ، وتكون المقارنة العملية في الاختيار ما بين المال أو الشهوة سواءً شهوة البطن أو شهوة الفرج أو نحو ذلك، وبين الله سبحانه ورسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؛ ولهذا جاء في الحديث: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ؛ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ؛ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ»<sup>(٢)</sup>.

ولهذا تجد أن جلوس الصحابي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ في زاوية السوق، كما قال أبو وائل: (وإن كان يخرج إلى السوق، فيأتي أغفلها مكانًا، فيجلس فيحمد الله، ويصلي على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ويدعو بدعوات)، فليست المسألة عنده، كما هي عندنا في هذا الزمان، وأحدنا يُرَدِّدُ دعاء السوق وهو لا يدري، ماذا قال من شدة الغفلة؟! بل يعي جيدًا ما يقول ويتأمله ويعرف مقتضاه وما يستوجب؛ لأنه لا يمكن أن بين يجمع حب الله وما يبغضه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، ولا يجمع بين معصية رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وبين الصلاة على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ...

(١) أخرجه مسلم (١٢١٨).

(٢) أخرجه البخاري (١٦)، ومسلم (٤٣)، والترمذي (٢٦٢٤). واللفظ له، والنسائي

(٤٩٨٧)، وابن ماجه (٤٠٣٣)، وأحمد (١٢٠٢١).

أرأيت كيف أن الصلاة على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وقاية من معصية الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ومخالفة هديه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟! أرأيت كيف أن الصلاة على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ باعثة للحياء؟! والحياء خلق هذه الأمة كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ لِكُلِّ دِينٍ خُلُقًا، وَخُلُقُ الْإِسْلَامِ الْحَيَاءُ»<sup>(١)</sup>، وإن بعث الحياء من خلال الصلاة على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في نفوس الأمة المحمدية -على مُعَلِّمها ومزكيها الصلاة والسلام- أمرٌ ممكن، بل هو سهل، بل أمر ناجح، وعنصر النجاح وسببه وسرُّه موجود في قلب كل واحدٍ من أبناء أمة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؛ ذلك هو حب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فما يُضْحِي الإنسان لأحدٍ تضحيتها لحبيبه، وأمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لا ينبغي أن تضحى لأحدٍ تضحيتها لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؛ لأنها في الحقيقة لا تضحى لأحدٍ تضحيتها لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

نعم! إنها معادلة سهلة، لكنها سهلة وممتعة، حبيبة ومُحَكِّمَةٌ؛ ❁ وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ ❁ [الشعراء: ٩].

ولقد علمنا ربنا سُبحَانَهُ وَتَعَالَى أَلَّا نَقُولَ قَوْلًا وِنَاتِي بِمَا يُخَالِفُهُ، فقال سبحانه: ❁ يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ❁ كَبُرَ مَقْتًا عِنْدَ اللَّهِ أَنْ تَقُولُوا مَا لَا تَفْعَلُونَ ❁ [الصف: ٢، ٣]، والصلاة على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قول، وله معناه، وله جلاله، وله مقتضاه، فكيف يتخطى المسلم كل هذه الجبال وهو يزعم بعد ذلك أنه يحمل في داخله محبة لا توصف للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟! ❁ مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَن رَّسُولِ اللَّهِ وَلَا يَرْغَبُوا بِأَنفُسِهِمْ عَن نَّفْسِهِ ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ لَا يُصِيبُهُمْ ظَمَأٌ وَلَا نَصَبٌ وَلَا مَخْمَصَةٌ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَطْئُونَ مَوْطِئًا يَغِيظُ الْكُفَّارَ وَلَا يَنَالُونَ مِنْ عَدُوِّ نَيْلًا إِلَّا كُنِبَ لَهُمْ بِهِ عَمَلٌ صَالِحٌ إِنَّ اللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ الْمُحْسِنِينَ ❁ [التوبة: ١٢٠].

(١) أخرجه ابن ماجه (٤١٨١)، والطبراني في الأوسط (١٧٥٨)، وحسنه الألباني والأرنؤوط.

## الفضل الخامس عشر: أن الصلاة عليه تسع غير المسلمين أن يصلوها

وهنا نعود ثانية لقوله تعالى: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦]، نعود لنعرف لماذا نصلي عليه؟ بل لماذا لا نصلي عليه؟ وهل من حق عبد أن يفكر في إشراك أحدٍ معه وهو المتفرد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في كل ما ذكرنا، وهو المنقذ الأول والمتفرد في السبق بإنقاذ أمته وأمم الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ جميعًا؟! إن ما حققه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هو فوق قدرة الإحصاء البشرية أو الآلية، فلا يستغربن أحدٌ لما قال الله له وحده خاصة: ﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾.

أرأيت الجموع الغفيرة في الحج والتي تموج كموج البحر الهائج، وتلاطم تلاطم الفرات الفائض، وهي تنتقل بين منسك ومنسك إلى مناسك ومنسك، وليس لها من قدوة إلا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وهي في كل منسك تتساءل: ماذا فعل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هنا في هذا المنسك؟ ومن أين دخل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إلى هذا المنسك؟ ومن أين خرج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟ وأين وقف؟ وماذا قال هنا؟ وماذا نقول بعده؟ وماذا لبس هنا؟ وهل رفع صوته هنا؟ وماذا كان يصنع في طريق انتقاله من هذا المنسك إلى المنسك القادم؟ وهل أسرع هناك؟ فحركة القلب، وأنت هناك مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وحركة النفس برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، والخطوات في إثر خطوات رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، والخلق على قدم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قدم الصدق عند ربهم، والمقصد هناك هو رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

والسؤال: ماذا كانت ستصنع هذه الجموع بغير رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟ ومن ذا الذي سنَّ لها هذا النظام الدقيق، وشرع لها هذه المناسك؟ وإذا أرادت

البشرية الإنصاف، فإن هذه الأنظمة التي توصلت لها في العصر الحديث، وجعلت حياتها تسير بسلاسة ونظام وانضباط وأكثر إنتاجية، وأكثر كرامة، وحرية، وعدلاً، وحفظاً لحقوق، ونصرة للمظلوم وما إلى ذلك من سنن الهدى ومبادئ الخير، وهذه أمثالها من سنن الهدى هي التي جعلتها تسير كسير المسلمين في الحج، وهي التي كان منها ما كان من قبل في عهود الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، ثم انقرضت بتلك السنين حين اختطفت شياطين الجن والإنس الناس، وما عاد من سنن الهدى شيء يذكر، فأعاد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الخليفة إلى سنن الهدى، كأنها لم تتضرر ولم تختف من قبله؛ لأن سنن الهدى لم تنقرض من قبله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فحسب، بل وصلت إلى أسفل سافلين، فرفع صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ البشرية من سفولها ورفَعها ولا يزال حتى بلغ بها ذروة سنن الهدى، كما قال ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «مَنْ سَرَّهُ أَنْ يَلْقَى اللَّهَ عَدَاً مُسْلِماً، فَلْيُحَافِظْ عَلَى هَؤُلَاءِ الصَّلَوَاتِ حَيْثُ يُنَادَى بِهِنَّ، فَإِنَّ اللَّهَ شَرَعَ لِنَبِيِّكُمْ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ سُنْنَ الْهُدَى، وَإِنَّهُنَّ مِنْ سُنَنِ الْهُدَى، وَلَوْ أَنَّكُمْ صَلَّيْتُمْ فِي بُيُوتِكُمْ كَمَا يُصَلِّي هَذَا الْمُتَخَلِّفُ فِي بَيْتِهِ، لَتَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ، وَلَوْ تَرَكْتُمْ سُنَّةَ نَبِيِّكُمْ لَضَلَلْتُمْ، وَمَا مِنْ رَجُلٍ يَنْطَهَرُ، فَيُحَسِّنُ الطُّهُورَ، ثُمَّ يَعْمُدُ إِلَى مَسْجِدٍ مِنْ هَذِهِ الْمَسَاجِدِ، إِلَّا كَتَبَ اللَّهُ لَهُ بِكُلِّ خَطْوَةٍ يَخْطُوهَا حَسَنَةً، وَيَرْفَعُهُ بِهَا دَرَجَةً، وَيَحُطُّ عَنْهُ بِهَا سَيِّئَةٌ، وَلَقَدْ رَأَيْتُنَا وَمَا يَتَخَلَّفُ عَنْهَا إِلَّا مُنَافِقٌ مَعْلُومُ النِّفَاقِ، وَلَقَدْ كَانَ الرَّجُلُ يُؤْتَى بِهِ يَهَادَى بَيْنَ الرَّجُلَيْنِ حَتَّى يُقَامَ فِي الصَّفِّ»<sup>(١)</sup>؛ أي: أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ جعل حياتها العامة من النظام والدقة والانضباط مثل الصلاة؛ ولهذا ما قال الصحابي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: إن الصلاة هي سنن الهدى، مع عظمتها، بل قال: «وَإِنَّهُنَّ مِنْ سُنَنِ الْهُدَى»، وهذا التغيير، بل هذه الولادة الجديدة للبشرية ما كانت إلا على يد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، بل هي بلا شك ولادة جديدة للإنس والجن على حدٍّ سواء... وما كانت النهضة العلمية الحديثة بأحسن ما فيها

من علم ونظام، وأحسن ما ظهر فيها من عدل وحرية وما إلى ذلك، إلا ثمرة من ثمراته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ... وهذا هو التاريخ، فليحدثنا عن حال الأوربيين خاصة، والعالم عامة، عن حالته فيما يسمونه بـ «العصور الوسطى»؛ إذ بعث رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وأُيِّمَ مرجعية كانت لهؤلاء في آخر عصور الظلمات إلا هو صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟! إذ كان أخذ الأوربيين أصحاب الثورة العلمية الحديثة والحضارة الحديثة؛ إنما هو من الخلافة الإسلامية العباسية في بلاد العرب، وعلى الأخص بغداد ومصر والشام، وكان أخذها الأكبر من الحضارة الأموية في بلاد الأندلس من علمائها، ومكتباتها، ومختبراتها، وأنظمتها الحياتية، وتخطيط مدنها ومنهجيتها في التعليم والبحث، ومنهجيتها في التدريس وما إلى ذلك.

وكل هذه الحضارة الإسلامية، وهي الشمس الوحيدة في العالم منذ سنة ٦٠٠ للميلاد تقريباً حتى أول الثورة العلمية الحديثة<sup>(١)</sup> سنة ١٥٤٣ م، أي: أكثر من ألف عام؛ فإن أوروبا بعد الثورة العلمية ما كان لها أن تبلغ هذا المبلغ حتى استمرت ردحاً من الزمان، وهي تنهل من بلاد الإسلام العلوم الحديثة، ومناهج العلوم كذلك، ما كان لها أن تكون إلا به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ... فالعرب الذين بعث الله رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فيهم ما كانوا إلا من أضعف الأمم وأجهلهم حتى عُرفوا بالأميين، حتى عُرفت تلك الفترة فيهم بـ «الجاهلية»؛ وهي تسمية الله رب العالمين لها، وهل الجاهلية إلا من الجهل، وهل من دليل على حرب الإسلام على الجهل والحض على كشفه من هذا، فالقارئ والكاتب فيهم نادر، وإذا لم تكن كتابة ولا قراءة، فكيف لا يعشش الجهل ويبيض ويُفَرِّخ؟ والسؤال هو:

(١) تقليدياً - وللأسف - تُعزى بداية الثورة العلمية إلى ثورة نيكولاس كوبرنيكوس (البولندي) (عام ١٥٤٣ م)، ويُعزى اكتمال الثورة العلمية إلى كتاب الأصول الرياضية للفلسفة الطبيعية لنيوتن المنشور عام ١٦٨٧ م. انظر: الموسوعة البريطانية على الإنترنت: <https://www.britannica.com/science/Scientific-Revolution!>

مَنْ الذي أخرج هؤلاء الأميين من الظلمات إلى النور... فأخرجوا هم العالم من الظلمات إلى النور؟ مَنْ إلا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟ فهل يجب على الإنس والجن اليوم أن يصلوا عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أم لا؟ ولماذا يجب على غير المسلمين أن يصلوا عليه كذلك صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟ ولماذا يجب عليهم أن يدخلوا الإسلام لأجله، كما هو شأن الداخلين في الإسلام في كل يوم؟! نعم! لأجله، ذلك لأنه لا تُقبل منهم الصلاة عليه ولا يُرد عليهم سلامهم عليه إلا بالدخول في دينه... نعم! يجب عليهم أن يصلوا ويسلموا عليه شكراً لِمَنْ أحسن لهم، والشكر لا يُرد، ولعل الله يهدي الشكور.

ومع هذا، فإن الغاية الكبرى هي اتباعهم له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ اتباعاً كاملاً، فإن لم تكن الهداية فَمَنْ ذا الذي يمنع المحبين له من الصلاة والسلام عليه؟ وَمَنْ له الحق أن يمنعهم لو كانوا أحياءً في حياته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من السلام عليه لو مَرُّوا عليه، أو يمنعهم من شكره لو جاؤوا يشكرونه، بل سلامه هو صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عليهم لو مَرَّ عليهم؟ أو ما كان يقول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إذا مَرَّ عليهم: «السَّلَامُ عَلَيَّ مِنْ أَتَبَعَ الْهُدَى»<sup>(١)</sup>؟!

ثم مَنْ له الحق في أن يقطع جبل الودِّ والوصال هذا الذي يُلقونه، والله عَزَّجَلَّ يقول: ﴿لَا يَنْهَكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾ [الممتحنة: ٨]، وسوف تصنع الصلاة على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ صنيعها في قلوب المصلين عليه من غير المسلمين، وسوف تسوقهم بفضل الله تعالى إلى الهدى والنور؛ لِمَا جعله الله من بركة فيها، وما ادَّخره الله سبحانه من محبةٍ لِمَنْ أحب حبيبه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ... وهذا من أعظم الإيحاء والإحياء الذي تصنعه الصلاة على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

وهل يركب في السفينة العظيمة من كان في وسط البحر المُدْلَهَمِّ الهائج وهو مقطوع أم يركب فيها من ألقى له حبل نجاة وأمسك به؟ حتى لو لم يركب في هذه اللحظة، فلَسوف يبقى ممسكًا بالحبل حتى يركب بإذن الله أو يصل إلى برِّ الأمان؛ وهذا هو المطلوب.

فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ

### الفضل السادس عشر: الفخر الموروث للعائلة، والبرُّ

#### المحفوظ في الأبناء بالصلاة على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ

وهنا سؤال عن حديث للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ متداخل في الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وهو قوله: «إِنَّ هَذَا يَوْمٌ عِيدٌ، جَعَلَهُ اللَّهُ لِلْمُسْلِمِينَ، فَمَنْ جَاءَ إِلَى الْجُمُعَةِ فَلْيَغْتَسِلْ، وَإِنْ كَانَ طَيْبٌ فَلْيَمَسَّ مِنْهُ، وَعَلَيْكُمْ بِالسَّوَالِكِ»<sup>(١)</sup>.

نعم! فالجمعة بالنسبة لنا نحن أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عيدٌ، وقد عاش النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في حياته وما كان عدد المسلمين في الأرض بأكثر من مائة ألف إلا بقليل، وليكن العدد مع أهلهم جميعًا مائتي ألف أو ضعفي ذلك، لكنه في كل جمعة من بعد وفاته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يعرف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كم أصبحت أعداد أمته، وكم هم المصلون عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من أمته؛ أليست مجاميع الناس وعوائلهم تجتمع في العيد، ويرى بعضهم بعضًا في العيد، ولا يتخلف في العيد إلا ذو العُذر القاهر حقًا؟ كذلك تجتمع أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في عيدها الأسبوعي كُلُّها من غير استثناء عند رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ على مائدة الصلاة والسلام عليه، أوليس هو مؤسس هذه الأمة وبانيها، ومعلمها ومزكيها؟ وهل من الأدب أن تجتمع الأسرة إلا عند كبيرها؟ وهل أكبر من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وهو

(١) أخرجه ابن ماجه (١٠٩٨)، وقال الأرنبوط: صحيح لغيره، وحسنه الألباني.

القائل: «إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ بِمَنْزِلَةِ الْوَالِدِ أَعَلَّمَكُمُ»<sup>(١)</sup>، وبما أن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قد مات؛ كما قال سبحانه: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ﴾ [الزمر: ٣٠]، وبما أن الله على كل شيء قدير، فقد جعل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى صلاة المؤمنين أينما كانوا تعرض على الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، بل يعرض كل مصلٍّ على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، بل تعرض كيفية صلاته؛ إذ هو يصلي عليه، كما مر معنا في حديث أبي الدرداء أن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال: «أَكْثِرُوا الصَّلَاةَ عَلَيَّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ؛ فَإِنَّهُ مَشْهُودٌ، تَشْهَدُهُ الْمَلَائِكَةُ، وَإِنَّ أَحَدًا لَنْ يُصَلِّيَ عَلَيَّ، إِلَّا عُرِضَتْ عَلَيَّ صَلَاتُهُ، حَتَّى يَفْرُغَ مِنْهَا»<sup>(٢)</sup>، ومعنى «حتى يفرغ منها»: أي: حين يفرغ، أي: من ابتدائها وحتى الانتهاء منها، فمن صلى عليه عشراً؛ عُرِضَتْ عليه صلاته العشر، حتى يفرغ من تلك الصلاة العشر، ومن صلى عليه عشرين صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؛ عرضت على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كل صلاة مرة بعد مرة حين يصلِّيها، حتى يفرغ من كل مرة، وهذا الأوفق لإكرام الله رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وهو الأوفق لعدل الله ما بين العباد لله المصلين على رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فتكرار العرض عليه أكثر إكراماً لصاحبه؛ ولأن عمله لا يستوي مع مَنْ صَلَّى مرة واحدة أو صلى أقل منه على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

ولقد علمنا من قبل أن في الجمعة إعلماً للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بأعداد أفراد أمته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وفيه أعداد مَنْ يصلي عليه من أفراد أمته، حقاً إنه عيد كل مسلم، وعيدٌ لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وقرّة عين.

وهذا يعني أنه يعرف أعداد الغافلين من أمته عن الصلاة عليه، كما في حديث عمار بن ياسر رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «يَا عَمَّارُ! إِنَّ لِلَّهِ مَلَكًا

(١) أخرجه أبو داود (٨)، وقال شعيب الأنطوط: إسناده قوي، وحسنه الألباني.

(٢) أخرجه ابن ماجه (١٦٣٧)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢/٢٩٦)

رقم (١٦٧٢): حسن لغيره.

أَعْطَاهُ أَسْمَاءَ الْخَلَائِقِ كُلِّهَا، وَهُوَ قَائِمٌ عَلَى قَبْرِي، إِذَا مِتُّ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِي يُصَلِّي عَلَيَّ صَلَاةً إِلَّا أَسْمَاهُ بِاسْمِهِ، وَأَسْمُ أَبِيهِ، قَالَ: يَا مُحَمَّدُ، صَلَّى عَلَيْكَ فُلَانٌ، فَيُصَلِّي الرَّبُّ عَلَى ذَلِكَ الرَّجُلِ بِكُلِّ وَاحِدَةٍ عَشْرًا<sup>(١)</sup>.

وهذا يعني؛ أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يعرف أسماء الخلائق إجمالاً وأعدادها بشكل عام والمقصود - والله أعلم - أنه يعرف أسماء الناس؛ لأنهم الذين يعنونه، بل هو يعرف أسماء أمته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ويعرف أعدادهم، ويعرف أعداد المصلين عليه منهم، وكيفية صلاة كل واحد منهم، فكأن الصلاة على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مائدة ينصبها الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى لرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كل يوم جمعة خاصة؛ ولذا أمرنا بالإكثار منها، وُحِصَّ من يُصَلِّي عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بإكرام الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى إكرامًا مخصوصًا، وما ذلك إلا لِيَجْمَعَ الناس ما يستطيعون من صلاة على مائدة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، لِيُرِيَهُ اللهُ حِصَادَ عَمْرِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كُلَّ جمعة، وهذا أَقْرَبُ لِعَيْنِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وهو في قبره، وبهذا تجتمع كل الأحاديث بما في ذلك كون الجمعة عيدًا للأمة، وعيدًا لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من باب أولى؛ لأنه الأول والأولى؛ ولأنه قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ هَذَا يَوْمٌ عِيدٌ، جَعَلَهُ اللهُ لِلْمُسْلِمِينَ...»، فهو صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أول المقصودين وأعظمهم وإمامهم وقائدهم وقدوتهم.

وفي هذا الحديث لا يعرف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ المقارنة بين أعداد أمته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وأعداد الناس، فحسب، ولا يعرف أعداد أمته في كل مرحلة زمانية وأعداد المصلين عليه، فحسب، ولكنه يعرف أسماء المصلين عليه

(١) أخرجه البخاري في التاريخ الكبير (٤١٦/٦) رقم (٢٨٣١)، والبزار في مسنده (٢٥٤/٤) رقم (١٤٢٥)، ومجمع الزوائد ومنبع الفوائد للهيتمي (١٦٢/١٠) رقم (١٧٢٩٢)، والحرث بن أبي أسامة في «المسند» (٩٦٢/٢) رقم (١٠٦٣)، وابن أبي عاصم في «الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ» (٥١)، وحسنه الألباني في الصحيحة (١٥٣٠).

وأسماء آبائهم وأجدادهم من يوم وفاة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تفصيلاً حتى آخر مؤمن على ظهر هذه الأرض.

ولهذا جاء في حديث عمار بن ياسر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «فَلَيْسَ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِي يُصَلِّي عَلَيَّ صَلَاةً إِلَّا أَسْمَاهُ بِاسْمِهِ، وَأَسْمِ أَبِيهِ»، فسبحان الله العظيم؛ ما هذا الفضل الكبير بهذا الربط المبارك للعائلة الواحدة، حيث حبل الاتصال الوثيق للعائلة الواحدة؛ إنما هو بالصلاة على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وحيث منتهى الأمر عند رسول الله نفسه - اللهم صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَيْهِ - فمن انقطع وسقط من هذه السلسلة، فإنما انقطع بانقطاع هذا المقطوع من الصلاة على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

وما كان لهذا المَلَك أن يخبره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ باسم المصلي عليه واسم أبيه لينسى؟

ثم هل تراه يخبره بذلك ولا يُعْطِيهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الذاكرة التي تحفظ كل هؤلاء من غير اختلاط عائلة بعائلة، أو ولد بأب، أو نحو ذلك؛ ولهذا قال: «إِلَّا أَسْمَاهُ بِاسْمِهِ، وَأَسْمِ أَبِيهِ»، وإلى أن تقوم الساعة ليذكرهم ويقربهم، ويذكرهم ويشفع لهم، وينفعهم الله به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أيما نفع، أم يظن البعض أنه مجرد تعريف ليس إلّا؟!!

وهكذا يعرف النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ سلالات المصلين عليه محفوظة كما هي الأنساب محفوظة، فإن كل ولدٍ يسعى لِأَنْ يَرَّ أَبَاهُ؛ كي يشرفه بذكره عند رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؛ وهكذا كان أبوك مع أبيه، وكان جدك مع أبيه، وهكذا وهكذا... وليس الأمر كذلك، بل فيها من جميل المقتضى عليك أن تربى، أو لادك على الصلاة على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؛ لكي يكون ذِكْرُكَ بعد موتك حاضرًا عنده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ دائماً وأبداً، بل يوصي الأب أو ولاده ويؤكد عليهم بالمحافظة على

الصلاة على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حتى تراث هذه الأسرة المباركة الصلاة على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ويعرفها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بأنها هي الأسرة الواصلة؛ الأسرة المصلية المسلمة عليه تسليمًا كثيرًا، وقد كان رباطها أحسن رباط، وعليه هو الصلاة صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وارتباطها له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مباشرة.

فَاللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ مُحَمَّدٍ وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا

### الفضل السابع عشر: الدرجة الأعلى لمنبر

#### الجمعة للصلاة على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ

وأما ما ثبت في خطبة الجمعة من الصلاة على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فإن لهذه الصلاة قيمتها ووسائلها...

فأول ذلك؛ أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إمام كل إمام، ويعلو كل عالٍ من البشر، ويتبعه كل متبوع من الناس، وكل مسلم يقول: وإنه الحَكَمَ فيما بيني وبينكم لو اختلفنا، وإني بغير هذا الحكم والحكم لا أستحق التقدم عليكم، فما تقدمي إلا لأجله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وما دليل هذا؟ إنها الصلاة على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فلا يقولن أحد: يمكن أن يغني عنها ذكر شيء من شمائله أو نحو ذلك، أقول: لا يغني، كما لا يمكن أن تذكر شمائله من غير الصلاة عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، كما أن الأمر المشترك بالذكر ما بين الخطيب والمصلين إنما هو رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وعليك أن تعلم أن الصلاة على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تحقق المقتضى للمقام الذي ذُكِرَتْ فيه على أعلى مستوى، فإذا كان ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَى يقول: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣]، فمن المفترض ألا يكون أحد أحسن من خطيب الجمعة، وخطيب الجمعة لا يمكن أن يذكر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ طوال خطبته مرة واحدة أو مرتين، بل مرارًا كثيرة، فلا بد أن يُصلي على النبي

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كَلَّمَا ذَكَرَهُ، وَلَا بَدَأَ أَنْ يَصَلِّيَ بِصَلَاتِهِ كُلِّ مَنْ سَمِعَ الصَّلَاةَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ... فهل من مذكور في العالمين على منابر الجُمُعَاتِ أَعْلَى مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، أَوْ أَكْثَرَ مِنْهُ ذِكْرًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟ وَلَيْسَ الْأَمْرُ مَحْصُورًا فِي كَوْنِهِ أَكْثَرَ وَأَعْلَى مَذْكَورِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَحَسَبَ، وَلَكِنْ الْأَمْرُ هُوَ أَنَّ مَنْبَرَ الْجُمُعَةِ هُوَ أَعْلَى الْمَنَابِرِ عَلَى الْإِطْلَاقِ، فَكُلُّ الْمَنَابِرِ دُونَهُ، وَكُلُّ الْمَنَابِرِ لَهُ تَبَعٌ؛ وَلِأَنَّهُ فِي أَعْلَى الْأَيَّامِ وَأَعْظَمِهَا وَهُوَ يَوْمُ الْجُمُعَةِ، وَيَوْمُ الْجُمُعَةِ هُوَ هِبَةُ اللَّهِ تَعَالَى لِأُمَّةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَلَقَدْ جَرَى عِنْدَ هَذِهِ الْأُمَّةِ عُرْفًا مَتَّفِقًا عَلَيْهِ، وَهُوَ تَسْمِيَةُ مَنْبَرِ الْجُمُعَةِ بِمَنْبَرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَلَا يَزَالُ هَذَا الْمَنْبَرُ عَلَى وَجْهِ الْخُصُوصِ يَحْمِلُ الْقُدُوءَ وَالْقُوَّةَ وَالْمَهَابَةَ، وَيَصْبِغُ مَنْبَرِ الْجُمُعَةِ مَنْ عَتَلَاهُ بِالْمَهَابَةِ وَيَعْلُوهُ الْعِزُّ، لِذَا فَمَا أَقْبَحُ وَأَحْقَرُ فِي أَعْيُنِ النَّاسِ مَنْ يَنَافِقُ مِنْ عَلَى مَنْبَرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا مِنَ الرِّجَالِ أَيًّا كَانَ ذَلِكَ الرَّجُلُ... فَمَقَامُكَ أَيُّهَا الْخَطِيبُ هُوَ مَقَامُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَهَلْ تَرْضَى لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنْ يَكُونَ كَذَلِكَ، وَحَاشَاهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ذَلِكَ؟ فَكَيْفَ تَرْضَى لِنَفْسِكَ وَقَدْ جُعِلْتَ فِي هَذَا الْمَقَامِ أَنْ تُنَافِقَ؟! كَيْفَ تَرْضَى أَنْ تَبِيعَ هَذَا الْكَنْزَ الَّذِي لَا كَنْزَ مِثْلَهُ فِي ثَرَوَاتِ الدُّنْيَا كُلِّهَا؟ كَيْفَ وَأَنْتَ لَا تَزَالُ تُذَكِّرُ نَفْسَكَ قَبْلَ أَنْ تُذَكِّرَ غَيْرَكَ طَوَالَ خُطْبَتِكَ وَلَا تَرْفَعُ لِنَفْسِكَ وَلَا لِغَيْرِكَ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ذِكْرًا؟ فَإِذَا بَكَ تَرْفَعُ ذِكْرَ مَنْ نَافَقْتَ عَلَى ذِكْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَإِنْ لَمْ تَتَصَرَّحْ بِذَلِكَ، بَلْ جَعَلْتَ ذِكْرَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مُسْخَرًا لِذِكْرِ هَذَا الَّذِي نَافَقْتَهُ أَوْ ذَاكَ، فَلَوْ كُنْتَ صَادِقًا وَاضِحًا بِإِظْهَارِ مَا فِي بَاطِنِكَ لِحَوْلَتِ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِلَى صَاحِبِكَ هَذَا الَّذِي نَافَقْتَهُ أَنْتَ!

فَحَقُّ الصَّلَاةِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي هَذَا الْمَوْطِنِ الْعَظِيمِ، أَنْ تَجْعَلَ الْخُطْبَةَ خَاصَةً لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَلِتَبْلِيغِ دَعْوَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ،



وللذَّبِّ عنه، ولِفدائه، وحق الصلاة على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في هذا الموطن العظيم أن تُعلي هذا المنبر فوق كل المنابر التي تُنافسُه، وكلنا يَعلم في هذا الزمان أن الصِّراع الآن صراع منابر، وذلك لا يكون بمجرد وجود الفكرة في الذَّهن، بل وَفْق برنامج ومنهج وتضحية وفداءٍ للرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، إنك هنا رأس حربة الإسلام ورأس أمره في هذا المقام وهذا الزمان وهذا المكان؛ لأن صاحبه الأول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كان كذلك.

وإنك كلِّما ذكرتَ رسولَ الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في هذا المقام خاصة إنما تُذكِّر نفسك بأمانتك العظيمة، فأنت المعنيُّ الأول، وأنت وريث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في هذا المنبر في هذا المقام وهذا المكان، وفي حديث أبي موسى الأشعري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: «إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ الْأَيَّامَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَى هَيْئَتِهَا، وَيَبْعَثُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ زَهْرَاءَ مَنِيرَةً، أَهْلُهَا يَحْفُونَ بِهَا كَالْعُرُوسِ تُهْدَى إِلَى كَرِيمِهَا، تُضِيءُ لَهُمْ، يَمْشُونَ فِي ضَوْئِهَا، أَلْوَانُهُمْ كَالثَّلْجِ بِيَاضًا، وَرِيحُهُمْ يَسْطَعُ كَالْمِسْكِ، يَخُوضُونَ فِي جِبَالِ الْكَافُورِ، يَنْظُرُ إِلَيْهِمُ الثَّقَلَانِ، مَا يُطْرِقُونَ تَعَجُّبًا، حَتَّى يَدْخُلُوا الْجَنَّةَ، لَا يُخَالِطُهُمْ أَحَدٌ إِلَّا الْمُؤَدِّبُونَ الْمُحْتَسِبُونَ»<sup>(١)</sup>، أليس الجزاء من جنس العمل؟ فليماذا كانت الجمعة زهراء منيرة من بين الأيام، ولأمة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ

خاصة؟! نعم! لفضل الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، ﴿قُلْ إِنَّ الْفَضْلَ بِيَدِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٧٣]، ﴿ذَلِكَ الْفَضْلُ مِنَ اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ عَلِيمًا﴾ [النساء: ٧٠]، وهي كذلك بفضل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وبالصلاة عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وبأداء المسلمين حقَّها، ولكن هذا الجزاء خاصة لهذا اليوم وهي كونها (زهراء منيرة)؛ إنما يدل على أنها كانت زهراء منيرة في الدنيا، يستنير المؤمنون فيها بالعلم والإيمان، ويستبصرون من خلال خطبة الجمعة طريقهم، ويستبينون سبيل المجرمين، ويكشفون الظلمات

(١) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه (١٧٣٠)، وحسنه الألباني في صحيح الترغيب (٤٣٧/١) رقم (٦٩٨).

التي تُحَدِّقُ بِأَمْتِهِمْ، وَأَكْثَرُ الْمُؤْمِنِينَ حَرَصًا عَلَى خُطْبَتِهَا وَحَقِّهَا هُمْ أَقْرَبُ النَّاسِ مِنْهَا؛ لِأَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ذَكَرَ أَنَّ نِظَامَ مَشْيِهِمْ فِي أَرْضِ الْمُحَشَّرِ مَعَ الْجُمُعَةِ إِلَى الْجَنَّةِ إِنَّمَا هُوَ الْحَفَّ وَالِاحْتِفَافُ وَالِاحْتِفَاءُ بِهَا، ثُمَّ لِمَاذَا كَانَتْ أَلْوَانُهُمْ كَالثَلْجِ بِيَاضًا، وَرِيحُهُمْ كَالْمَسْكِ، وَيَخُوضُونَ فِي جِبَالِ الْكَافُورِ لَوْلَا أَنَّ نَفْعَهُمْ تَعَدَّى، وَفَضْلُهُمْ عَمَّ وَانْتَشَرَ فِي الدُّنْيَا، كَمَا قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَنْ صَاحِبِ الْقُرْآنِ: «إِنَّهُ كَالْأَتْرَجَةِ».

وَكَمْ لِهَذَا الْحَدِيثِ مِنْ ارْتِبَاطٍ مَا بَيْنَ الْمَنْبَرِ وَبَيْنَ الصَّلَاةِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَمِنْ هَذِهِ الرُّوَابِطِ: الْحَدِيثُ الَّذِي رَوَاهُ مَالِكُ بْنُ الْحَوِيثِ عَنْ أَبِيهِ عَنْ جَدِّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وَكَذَلِكَ رَوَاهُ أَبُو هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: صَعِدَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الْمَنْبَرَ، فَلَمَّا رَفِيَ عَتَبَةَ قَالَ: «أَمِينَ»، ثُمَّ رَفِيَ عَتَبَةَ أُخْرَى، فَقَالَ: «أَمِينَ»، ثُمَّ رَفِيَ عَتَبَةَ ثَالِثَةً، فَقَالَ: «أَمِينَ»، ثُمَّ قَالَ: «أَتَانِي جِبْرِيلُ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ مَنْ أَدْرَكَ رَمَضَانَ، فَلَمْ يُغْفَرْ لَهُ، فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ، قُلْتُ: آمِينَ، قَالَ: وَمَنْ أَدْرَكَ وَالِدِيهِ أَوْ أَحَدَهُمَا، فَدَخَلَ النَّارَ، فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ، قُلْتُ: آمِينَ، فَقَالَ: وَمَنْ ذُكِرَتْ عِنْدَهُ، فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيْكَ فَأَبْعَدَهُ اللَّهُ، قُلْتُ: آمِينَ، فَقُلْتُ: آمِينَ»<sup>(١)</sup>.

سُبْحَانَ اللَّهِ الْعَظِيمِ كَيْفَ جَعَلَ التَّذْكِيرَ بِالصَّلَاةِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ عَلَى الْمَنْبَرِ، وَجَعَلَهُ فِي الْخِتَامِ؛ أَي: عَلَى الدَّرَجَةِ الثَّلَاثَةِ، وَهِيَ آخِرُ دَرَجَةٍ؛ وَعَلَيْهِ يَكُونُ قَدْ اسْتَقَرَّ عَلَى الْمَنْبَرِ...

أَلَيْسَ الْحَقُّ مَعَ مَنْ سَمَاهُ مَنْبَرُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟ أَلَيْسَ هُوَ أَبْلَغُ فِي الْإِعْلَانِ، وَأَعْلَى فِي الْإِهْتِمَامِ؟!

وَسُبْحَانَ اللَّهِ! كَيْفَ يَقُولُ الْبَعْضُ: إِنَّ الصَّلَاةَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لَيْسَتْ

(١) أَخْرَجَهُ ابْنُ حَبَانَ فِي صَحِيحِهِ (٤٠٩)، وَقَالَ الْأَلْبَانِيُّ فِي صَحِيحِ التَّرْغِيبِ (٢/٢٩٩) رَقْم (١٦٧٨): صَحِيحٌ لغيره.



فريضة إلا مرة واحدة فقط في العمر... فلا أدري هل صوم رمضان فريضة وركن من أركان الإسلام أم لا؟ وهل بُرِّ الوالدين فريضة عظيمة حتى جاء الأمر به بعد الأمر بالتوحيد والنهي عن الشرك بالله، كما في سورة لقمان..؟ وهل الفريضة إلا التي يُتَّوَعَدُ على تركها بالعقاب؟ أولم تشترك هذه الفرائض على تركها بعقاب واحد؟ وماذا أكثر من التصريح على العقاب باللَّعْنِ ودخول النار؟!

هذا أمر، وأمر آخر؛ أن الإنسان ربما ذكر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مرة بينه وبين نفسه، فنسي أن يصلي عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ولكن أن يُذَكَرَ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في ملاء مثل خطبة الجمعة ثم لا تصلي عليه، فهذا هو الحرام، بل حتى لو كان التذكير في غير الجمعة، بل حتى لو كان التذكير من خلال واحد فقط لو كان يحدثك بينك وبينه، فإن ذكر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لا بد أن يتردد صداه في أكبر مجمع وأصغر مجمع، وأنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هو قائد أصغر اجتماع، كما هو قائد الأمة كلها حيًّا كان صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أو ميتًا، فهو القائد وهو المقدم وهو المُتَّبِعُ؛ لأنه المحبوب المُعَظَّمُ الذي من أساسيات التعظيم له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ومحبته التزام الصلاة عليه في كلِّ اجتماع، وكل تذكير، وكل ذكر وكلما ذُكِرَ اسمه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

بل حتى لو قرأ القارئ اسمه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في كتابٍ ولم يُصَلِّ الكاتب عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لكان فرضًا عليه أن يصلي عليه، فعن أبي ذرٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: خَرَجْتُ ذَاتَ يَوْمٍ، فَاتَيْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «أَلَا أُخْبِرُكُمْ بِأَبْخَلِ النَّاسِ؟» قَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللَّهِ، قَالَ: «مَنْ ذُكِرَتْ عِنْدَهُ فَلَمْ يُصَلِّ عَلَيَّ، فَذَلِكَ أَبْخَلُ النَّاسِ»<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه ابن أبي عاصم في كتاب الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ص (٣٠) رقم (٢٩)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٣٠١/٢) رقم (١٦٨٤): صحيح لغيره.

## الفضل الثامن عشر: الإيثار بالإيثار.. والإكثار بالإكثار

وهنا سؤال في الجمعة يقول: لماذا ساعة الإجابة في الجمعة؟

من أثر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ على نفسه أثره الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى وأعطاه وإن لم يسأل... كيف والله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أثر الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ على نفسه تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فلم يقل سُبْحَانَ تَعَالَى: من قال يوم الجمعة: لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أو من قال: سبحان الله وبحمده سبحان الله العظيم، ونحو ذلك من أذكار الله العظيمة، بل أمرنا الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بالإكثار من الصلاة والسلام على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

هكذا هي الجوائز لا بد أن توزع على الناس يوماً من أيام الأسبوع بما أنها جوائز أسبوعية، وهل من يوم سيكون يومها إلا يوم الجمعة؟ وهل من وقت توزع فيه الجوائز إلا آخر اليوم وختامه؟ فأسبوع قد مرّ فيه ما مرّ من الأعمال الصالحة؛ من صلوات وذكور لله وصيام يومين رُفعت فيهما الأعمال إلى الله، وما هو أفضل من ذلك كله؟ وهي الصلوات الخمس في كل يوم، والأعمال الصالحة المتعدّية نفعها للآخرين ونحو ذلك، فإذا جاء يوم الجمعة جاءت ومنذ غروب شمس يوم الخميس وهو مطلع الجمعة وإشراق نورها، فذهبنا إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بالصلاة عليه كأن كل الأعمال لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فهو المخرج من الضلال، وهو الهادي، وهو المؤسس للأمة، وهو المعلم، وهو المزكّي، وهو القائد، وهو القدوة، وعنده تجتمع الأمة في يوم عيدها الأسبوعي، وله تكون الصلوات في ختام الأسبوع، وعليه تُعرض كما يعرض عليه أصحابها وتعرض كيفياتها، فعن أنس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «أَكْثَرُوا الصَّلَاةَ عَلَيَّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ وَلَيْلَةَ الْجُمُعَةِ؛ فَمَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ عَشْرًا»<sup>(١)</sup>، وعن أبي مسعود الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «أَكْثَرُوا

(١) رواه البيهقي في سننه (٣/٣٥٣) رقم (٥٩٩٤)، وحسنه الألباني في صحيح الجامع (١٢٠٩).



عَلَيَّ الصَّلَاةَ فِي يَوْمِ الْجُمُعَةِ، فَإِنَّهُ لَيْسَ أَحَدٌ يُصَلِّي عَلَيَّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ إِلَّا عُرِضَتْ عَلَيَّ صَلَاتُهُ»<sup>(١)</sup>.

فإذا جاء يوم الجمعة اشتدت أكثر وأكثر الصلاة على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كثرة وتقرّبًا وتزلفًا واقترابًا، حتى تختلط هذه الصلاة بساعة الإجابة وأدعية الإجابة التي يرفعها المسلم بين الفينة والأخرى، فليس أفضل لأعمالك التي قدمتها طوال الأسبوع من أن ترفقها بالصلاة على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وقد وردت الصلاة على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في أول الدعاء وفي آخره وبها ترفع الدعوات أينما كانت، فإن كانت في أول الدعاء، فهي والله نعم الزلّفى عند الله سبحانه، ونعم المفتاح والزلّفى لطريق الإجابة، كما علمنا ربنا سبحانه في دعاء الكنز الأعظم والدعاء المجاب، وهو آخر آيتين من سورة البقرة، حيث افتتحه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى بـ (آمن الرسول)، فهاتان الآيتان هما دعاء، فكان مقدمة هذا الدعاء هو إيمان الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وإيمان الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لا يمكن أن يردّه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فكان هو صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أولاً، ولا يمكن للمؤمن هنا أن يقرأ: (آمن الرسول)، ثم هو لا يصلي على الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وإلا خشي عليه أن يدخل في الوعيد، وتحقق عليه وصف البخل وأبخل البخل، ونحو ذلك من الترهيب، بل هذه والله هي الغنيمة حينما تأتيه الفرصة أن يصلي على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بين يدي ربه تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

وَمَنْ لَمْ يَصَلِّ عَلَيْهِ هُنَا اعْتِذَارًا بِأَنَّهُ لَمْ يَرِدْ نَصٌّ مَخْصُوصٌ؛ فَهَذَا ذَلِكَ... وَلَكِنْ أَلَا تَمُرُّ الصَّلَاةُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هُنَا عَلَى قَلْبِ هَذَا الْقَارِئِ..؟! ولهذا، فإن الحقيقة أن هذا قارئ أطاق كتمانها، وذاك قارئ لم يطق كتمان الصلاة على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وهو قائم بين يدي رب العالمين.. كما لو مرَّ

(١) رواه الحاكم (٤٥٧/٢) رقم (٣٥٧٧)، وقال: صحيح الإسناد، وصححه الألباني لشواهد في صحيح الجامع برقم (١٢٠٨)، والسلسلة الصحيحة (١٥٢٧).

عليه ذكر برِّ الوالدين في القرآن، وذلك إذا ما قرأ مرَّ بقول الله تعالى: ﴿وَالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا﴾ [البقرة: ٨٢]، فأخذ بالدعاء لوالديه الميتين أو الحيين أتراه ابتدع أم أحسن وأجاد والله يتقبله منه برًّا لوالديه؟! فَمَنْ ذا الذي يعتب على هذا وهو يدعُو ربه ويبرُّ أباه وأمه؟ أوليس رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أولى وأحق وأحب.

وماذا إذا فعلتها أنا على أنبي ابنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وفعلتها برِّ الولد بأبيه.. هل أعدُّ مبتدعًا؟! فوالله إن هذا لهو التفريق المشين! كيف وهو صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مثل الأب وأكثر لكل مسلم من المسلمين!

وإن المرء ليحاول أن يتزلف إلى ربه تَبَارَكَ وَتَعَالَى بالصلاة على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.... فَذَكَرَ الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عند قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى كَافٍ في أن يفتح الباب ليقرب إلى ربه بالصلاة على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، أوليست الصلاة على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ دعاء؟ أو لم يكن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إذا مرَّ في موطن دعاءٍ دعا؟ فلم لا يدعو التابع لسيدهِ والولد لأبيه؟

إذا؛ فمن هو الذي هو أولى بالمؤمنين من أنفسهم أي: ومن آبائهم وإخوانهم وأبنائهم؟ أليس هو رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟ فلم لا يجوز أن تدعوه كلما ورد ذكره؟ ليس هذا، فحسب، بل ندعوه دعاءً يليق بحقه علينا، وأيُّ دعاء يمكن أن نتكره ونزينه ونحسبه أكثر وأحسن من الصلاة على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟!!

كيف وهذا الموطن كله موطن دعاء؛ ولهذا فإن الصلاة والسلام على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تكون في أوله، فيها فتح باب الإجابة والقرب والتقريب.

فَعَنْ فَضَالَةَ بْنِ عُبَيْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا يَدْعُو فِي صَلَاتِهِ، فَلَمْ يُصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «عَجَلٌ هَذَا»، ثُمَّ دَعَاهُ، فَقَالَ لَهُ أَوْ لغيره: «إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ، فَلْيَبْدَأْ بِتَحْمِيدِ اللَّهِ وَالثَّنَاءِ

عَلَيْهِ، ثُمَّ لِيُصَلَّ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ لِيَدْعُ بَعْدَ بِمَا شَاءَ»<sup>(١)</sup>.

ولقد سألتني رجلٌ كريم حبيب هو الشيخ الراحل أبو أسامة الشمري رَحِمَهُ اللَّهُ في مجلس مرة عن صيغة للصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فقال: هل يجوز لي أن أصلي على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بهذه الصيغة: اللهم صل على محمد وعلى آله وصحبه وسلم عدد خلقك، ورضا نفسك، وزنة عرشك، ومداد كلماتك، وأكررها هكذا؟ قلت له: أولاً: ما الذي دفعك لهذه الصيغة؟ فقال: أريد الإكثار من الصلاة والسلام على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إكثاراً منقطع النظير؛ لأن حقه علينا منقطع النظير، قلت له: فلتعلم إذاً أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يقول: «إِنَّمَا الْأَعْمَالُ بِالنِّيَّاتِ»<sup>(٢)</sup>، ونيتك هذه كافية وافية عظيمة عند الله، وما دام الدعاء أو الذكر سليماً من الشرك بالله، سليماً من سوء الأدب في الدعاء والتعدي، فلا بأس به إطلاقاً، فإن ذلك الرجل الذي دعا ربه بعد الركوع، فقال: «رَبَّنَا وَلَكَ الْحَمْدُ حَمْدًا كَثِيرًا طَيِّبًا مُبَارَكًا فِيهِ»، فَلَمَّا انصَرَفَ قَالَ: «مَنْ الْمُتَكَلِّمُ؟» قَالَ: أَنَا، قَالَ: «رَأَيْتُ بِضَعَةَ وَثَلَاثِينَ مَلَكًا يَبْتَدِرُونَهَا، أَيُّهُمْ يَكْتُبُهَا أَوَّلَ»<sup>(٣)</sup> فإن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أقره، بل حثه وحثنا من بعده على مثل عمله، ولو كان هذا الأمر منهياً عنه لقال له النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مباشرة وأمام جميع المتعلمين، وهم جميع الآل والأصحاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ الحاضرون: (ولا تعدُّ) أو قال: (هي لك خاصة)، لكن ترك الأمر له ولغيره مفتوحاً، بل يحضننا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إذا تفتحت القلوب الصادقة بدعاءٍ صحيح صادق ضارع، فلنرفعه إلى الله

(١) أخرجه أبو داود (١٤٨١)، وأحمد (٢٣٩٣٧) باختلاف يسير، والترمذي (٣٤٧٧) واللفظ له، والنسائي (١٢٨٤) بنحوه، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح، وصححه الألباني في صحيح أبي داود (١٤٨١).

(٢) أخرجه البخاري (١).

(٣) أخرجه البخاري (٧٩٩).

تَبَارَكَ وَتَعَالَى، كما هو في لحظته، كما رفعه الصحابي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ومع هذا، فإني أحبذ بالنسبة للسائل الكريم أن نترك هذا الدعاء كما هو؛ تأدباً مع تسييح الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فإن هذا قيل لله تعالى، فيترك كما هو؛ وكونك أنت تقول تريد الإكثار، فإن قول الله سبحانه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، أي: تسليماً كثيراً، وهو مثل قول المسلم إذا أراد المبالغة في شكر من أحسن إليه: (جزاك الله خيراً) فيكون بهذه الكلمة قد بالغ في الشاء، كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في الحديث<sup>(١)</sup>، والسبب هو أن (خيراً) أي: خيراً مطلقاً لا يحده حدٌ، بينما لو قال الرجل: جزاك الله ألف خير، سيكون قد حدده بالألف.

والحقيقة هي؛ أن الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تختلف، فإن (اللهم صل على محمد وعلى آل محمد) ليس فيها ألف الإطلاق ولا صيغة تكثير، نعم! لو قال القائل: ألف ألف مرة مثلاً، لكان حددها؛ ولذا فهذه الصيغة لا تؤيدها.

وفي رأيي، والله أعلم، أن الرجل لو صلى على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فقال: (اللهم صل على محمد وعلى آل محمد) وأكثر، ثم قال في ختامها مثلاً: (سبحان الله وبحمده، عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته) راجياً من ربه أن يصيب الصلاة على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من الإكثار ما يشاء الله ويرضاه وذلك بالمجاورة، وبالمحبة، وبالرجاء، وبكرم الله سبحانه؛ فهذه صلاة فوق كل تصور عندنا، وإلا حُسِبَتْ له تسييحات وما أكثرها وأعظمها! فيكون بهذا جمع ما بين الرجاء والأدب، وشفى نفسه التي كانت تتطلب الإكثار من الصلاة

(١) أخرجه الترمذي (٢٠٣٥)، وابن حبان (٣٤١٣) عَنْ أُسَامَةَ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ صُنِعَ إِلَيْهِ مَعْرُوفٌ، فَقَالَ لِفَاعِلِهِ: جَزَاكَ اللَّهُ خَيْرًا، فَقَدْ أَبْلَغَ فِي الشُّنَاءِ». وقال شعيب الأرنؤوط في تحقيقه لكتاب الأذكار للنووي: حسن بشواهد (٣١٠)، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٦٣٦٨).



والسلام على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، والمأمول أن الله يُعطيهِ على نيته، والله عند ظن عبده به، والله سبحانه لا يرد سائله، فكيف وسائله إنما سألَه لرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وفوق كلِّ هذا هو أن إكرام الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْظَم ما يكون إكرامًا لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، والله عَزَّجَلَّ يغار؛ لذا فهو لن يكون أقل من عبده في طلبه - وحاشاه سبحانه -، ولن يجعل أحدًا يدعو دعاءً فوق عطائه، بل هو أغير على رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من كلِّ أحد.

وهذه لا تُكْرَرُ في كلِّ صلاة على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إنما تكون الصلاة خالصة مجردة مستمرة، كما هي وكثيرة، فإذا شعر العبدُ شعورًا غالبًا لا يملك إيقافه بأنه يُريد صيغة كثيرة ليس فوقها صيغة لأجل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فقال هذه الصيغة في ختام ذلك فهو خير بإذن الله، ولو أنه قالها كلما قرأ في صلاة الليل أو صلاة النافلة: (آمن الرسول)، فتوقف وصلى وسلم على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ثم قال: سبحان الله وبحمده عدد خلقه... وهو يرجو كل الرجاء لها القبول إذا رفعها مع دعاء مجاب قطعًا، ويرجو لنفسه عند رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الوصول إلى ما لم يصل إليه من قبل، ويرجو من ورائها - كذلك - إجابة دعاء خواتيم البقرة - فهذا عظيم وطيب، وقَمِنُ أن يُستجاب للعبد فيه.

والحقيقة التي أعتقدها أن أنسب تعريف للبدعة ليس هو كل ما لم يؤثر عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في دين الله، ولكن يُضاف لها عبارة هي: «مما لا أصل له في دين أو غير المعنى إلى الأقل»، أما ما له أصل فمن المستحيل أن يكون بدعة. فسبحان الله! ألم يسمع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ للذي زاد في الحمد عند الاعتدال من الركوع؟

فعن رفاعة بن رافع رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا نُصَلِّي يَوْمًا وِرَاءَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا رَفَعَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مِنَ الرُّكْعَةِ وَقَالَ: «سَمِعَ اللَّهُ لِمَنْ حَمَدَهُ»، قَالَ



رجل وراءه: ربنا لك الحمد حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه، فلما انصرف رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال: «مَنْ المتكلمُ أنفًا؟» قال رجل: أنا يا رسول الله، قال: «لقد رأيتُ بضعا وثلاثين ملكاً يبتدرونها أيهم يكتبها أولاً»<sup>(١)</sup>.

**والسؤال هو:** لِمَ لَمْ يقل الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لهذا الرجل: هل سمعتها مني؟! وَلِمَ لَمْ يقل له: زادك الله حرصاً ولا تعد؟!!

**والجواب:** لأنها لها أصل؛ ولأنها أكدت معنى، بل أضافت تعظيماً؛ ولأنها من نية صالحة.

ألم يقل الصحابة في التلبية للحج والعمرة تلبيةً غير تلبية الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟ فَلِمَ لَمْ ينههم عن هذا؟!!

فقد ثبت في الحديث الذي رواه جابر أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كان يقول في تلبيته إذا أهلَّ محرماً: «لَبَّيْكَ اللَّهُمَّ لَبَّيْكَ، لَبَّيْكَ لَا شَرِيكَ لَكَ لَبَّيْكَ، إِنَّ الْحَمْدَ وَالنِّعْمَةَ لَكَ وَالْمَلِكَ، لَا شَرِيكَ لَكَ»، وكان الناس يزيدون، فزاد ابن عمر: «لَبَّيْكَ لَبَّيْكَ، وَسَعْدَيْكَ، وَالْخَيْرُ بِيَدَيْكَ، لَبَّيْكَ وَالرَّغْبَاءُ إِلَيْكَ وَالْعَمَلُ»<sup>(٢)</sup>، وزاد أنس قال: سمعتُ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يُلَبِّي: «لَبَّيْكَ حِجًّا حَقًّا تَعْبُدًا وَرِقًّا»<sup>(٣)</sup>.

وهكذا نقول هنا كما قلنا في التي قبلها: فهذه التلبية الاجتهادية لها أصل

(١) رواه البخاري (٧٩٩)، وأبو داود (٧٠)، والنسائي (١٩٦/٢).

(٢) رواه مسلم (١١٨٤).

(٣) أخرجه الخطيب في «الفصل للوصل» (٩١٩/٢) من طريق هدية بن عبد الوهاب، عن النضر بن شميل والفضل بن موسى، عن جعفر بن سليمان به. وأخرجه الدارقطني في «العلل» (٣/١٢) رقم (٢٣٣٧) من طريق هشام بن حسان به، والبزار في مسنده (٢٦٥/١٣) رقم (٦٨٠٣)، وقال الحافظ في التلخيص الحبير (٥٢٤/٢): رواه البزارُ مِنْ حَدِيثِ أَنَسٍ، وَذَكَرَ الدَّارِقُطْنِيُّ فِي الْعِلَلِ الْإِخْتِلَافَ فِيهِ، وَسَاقَهُ بِسَنَدِهِ مَرْفُوعًا، وَرَجَّحَ وَفَّقَهُ.

حققت بألفاظها معناه، بل زادت معاني أخرى، ثم إن نية أصحابها كانت صالحةً، وأيُّ نوايا أحسن من نوايا أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟!

### الفصل التاسع عشر: ومضة من آيات سورة الجمعة

مع رسول الله ، وآله وأمنه ، فاللهم صلِّ وسلم عليه

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ [الجمعة: ١].

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ﴾: حقًّا؛ إنه التعظيم لله ولما عظمه الله.. وأي عظمة أكبر مما قاله النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ مِنْ أَفْضَلِ أَيَّامِكُمْ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ قُبِضَ، وَفِيهِ النَّفْحَةُ، وَفِيهِ الصَّعْقَةُ، فَأَكْثَرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ فِيهِ، فَإِنَّ صَلَاتِكُمْ مَعْرُوضَةٌ عَلَيَّ» قَالَ: قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَكَيْفَ تُعْرَضُ صَلَاتُنَا عَلَيْكَ وَقَدْ أَرَمْتَ - يَقُولُونَ: بَلِيَّتْ -؟ فَقَالَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّجَلَّ حَرَّمَ عَلَى الْأَرْضِ أَجْسَادَ الْأَنْبِيَاءِ»<sup>(١)</sup>، وأيُّ منة من منن الله عَزَّجَلَّ في الزمان أكبر من أن يحجز الله هذا اليوم منذ أن خلق الزمان اختيارًا منه سبحانه لآخر أمة ستظهر آخر الزمان، وهي أمة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وقد بعث الله نبيها فيها عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ووهبه سبحانه ما ادَّخره له وخصه به وبأمنته من دون الناس، وقد قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «نَحْنُ الْأَخِرُونَ السَّابِقُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، بِيَدِ أَنْهَمُ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِنَا، ثُمَّ هَذَا يَوْمُهُمُ الَّذِي فُرِضَ عَلَيْهِمْ فَاخْتَلَفُوا فِيهِ، فَهَدَانَا اللَّهُ، فَالْنَّاسُ لَنَا فِيهِ تَبَعٌ؛ الْيَهُودُ غَدَا، وَالنَّصَارَى بَعْدَ غَدٍ»<sup>(٢)</sup>، وفي رواية عَنْ حُذَيْفَةَ وَأَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَا: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «أَصْلَ اللَّهُ عَنِ الْجُمُعَةِ

(١) أخرجه أبو داود (١٠٤٧)، وأحمد (١٦١٦٢)، وابن ماجه (١٠٨٥)، وابن حبان (٩١٠)، والحاكم (٨٦٨١)، وقال الألباني في صحيح الترغيب (٢/٢٩٧) رقم (١٦٧٢):

صحيح.

(٢) رواه البخاري (٨٧٦)، ومسلم (٨٥٥).

مَنْ كَانَ قَبْلَنَا، فَكَانَ لِلْيَهُودِ يَوْمَ السَّبْتِ، وَكَانَ لِلنَّصَارَى يَوْمَ الْأَحَدِ، فَجَاءَ اللَّهُ بِنَا، فَهَدَانَا اللَّهُ لِيَوْمِ الْجُمُعَةِ، فَجَعَلَ الْجُمُعَةَ وَالسَّبْتَ وَالْأَحَدَ، وَكَذَلِكَ هُمْ تَبَعٌ لَنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ. نَحْنُ الْآخِرُونَ مِنْ أَهْلِ الدُّنْيَا وَالْأَوَّلُونَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ الْمَقْضِيِّ لَهُمْ قَبْلَ الْخَلَائِقِ» (١).

هذه سورة الجمعة، وكل ما يتعلق بالجمعة فيها، وفيها فضلها العظيم، وفيها فضل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ العظيم، وفيها الصلاة على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ العظيمة، وفيها حالنا اليوم، وفيها أن العودة لا بد أن تكون من يوم الجمعة إلى العز الموعود، كل هذا موجود في هذه السورة العظيمة التي ما اختار الله لسورة من سور القرآن العظيم اسم يوم من أيام الأسبوع إلا لهذا اليوم وهو يوم الجمعة، وهذه سورة الجمعة.

وبيان هذا يطول كثيراً، وحققها لوحدها منفردة بياناً وتفسيراً يطول كثيراً، إلا أني سوف آخذ الكلمة من كلمات الله في هذه السورة العظيمة وأشير إلى بعض ما وجهتنا له توجيهاً واضحاً بإذن الله، وسنرى.

﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾: فالابتداء بالتسبيح دليل على التعظيم لله عَزَّوَجَلَّ وذلك لأمرٍ كله عظيم هنا.. ورجل عظيم، ويوم عظيم، وأمة عظيمة، وحق عظيم، وآيات عظيمة، وموعد عظيم، كما أن عظمة هذا اليوم سوف تكون مستمرة من أيام النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وهي أعظمها إلى عمر الأمة كله وخصوصاً في آخرها، كما سيأتي معنا بإذن الله، وعظمتها في الدار الآخرة أكبر.

﴿الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾: حقاً هو ﴿الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾ سبحانه؛ فهو ليس تسييحاً لعظمة معرفية مجردة لا أثر فيها على الواقع، بل هو الله، إذا فالعزة والحكم باقية لأمة

الجمعة، وإن خفت فترة، فإنها قادمة ما بقيت الجمعة في هذه الأمة.. وهذه تحمل من البشارة بعودة هذه الأمة؛ عزًّا وحُكْمًا وحكمة، ذلك أن الله هو ﴿الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾.

وإذا ذُكرت الجمعة حضرت سورة الكهف وما فيها، وحضر الخضر وموسى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ في قصتهما التي هي قصة أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وحضر الحذر من الدَّجَال، وعشر آيات من سورة الكهف كافية للوقاية منه، وحضر النور الذي يملأ الأسبوع إلى الأسبوع وزيادة ثلاثة أيام، وحضرت كل خصائص الجمعة العظيمة، وإنها لخصائص عظيمة، هكذا تحضر كل هذه العظائم بمجرد أن تقرأ الإخبار الجماعي بتسييح كل ما في السماوات وما في الأرض اللهُ الملك القدوس العزيز الحكيم: ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾.

تنبّه هنا: فالله سبحانه قد قال قبلها ﴿الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ﴾، فحتى، وإن رأى الناس أن مُلْك هذه الأمة قد ذهب، فَمُلْكُهَا والله قادم... لأن ربها ﴿الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ﴾، ومهما حاول البعض أن ينازع الله ملكه كما يتصوره، فإن اسم الله ﴿الْمَلِكِ﴾، وهذا هو المُلْك الذي لا ينتهي أبدًا، والله غالب على أمره بعزِّ عزيزٍ أو بذلِّ ذليلٍ.

فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ مُحَمَّدٍ

قال الله عَزَّجَلَّ في الآية الثانية: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢] هذه سورة الجمعة وهذا هو محور الجمعة ومدارها عليه، فهذا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وهذه الجمعة ادخرها الله له، وجعلها خير يوم خَلَقَهُ اللهُ، لخير رسولٍ أرسله اللهُ عَزَّجَلَّ لخير أمة أخرجها اللهُ للناس، فما كان لهذه الأمة أن تقابل نعمة الله عليها برسول الله عَزَّجَلَّ بيوم الجمعة وبنعمة كلام الله العظيم هذا، إلا

أن تشكر نعمة الله عَزَّجَلَّ عليها، وتشكر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وهل يشكره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مَنْ لم يصلِّ عليه؟ وهل يكون شكر الله على هذا اليوم العظيم خاصة إلا بالصلاة والسلام على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ والإكثار من ذلك، فاجتمع بالصلاة عليه الشكر كله؛ شكر الله على كلماته التامات هذه، وشكر الله على إرسال رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وشكر الله على يوم الجمعة نفسه وما جعله فيه، وشكر الله على كل النعم الكثيرة الموجودة في هذه السورة العظيمة... وما أكثرها هنا.. بل مَنْ يحصيها؟!!

### فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَيْهِ

قال ربنا سبحانه: ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [الجمعة: ١٣]، وَمِنِ الْآخِرِينَ إِلَّا مَنْ جَاءَ بَعْدَ الْأُولِينَ وَمِنْهُمْ نَحْنُ، وَمَنْ سَبَقْنَا مِنْهُمْ لَمْ يَكُونُوا مَوْجُودِينَ وَقَدْ نَزَلَتِ السُّورَةُ، ثُمَّ مَنْ آخِرُ الْآخِرِينَ إِلَّا نَحْنُ تَحْدِيدًا.. فَاللَّهُ عَزَّجَلَّ حِينَ أَنْزَلَ هَذِهِ السُّورَةَ مَا نَسِينَا سُبْحَانَہُ وَتَعَالَى وَلَا أَهْمَلْنَا وَلَا غَفَلْنَا عَنَّا حَاشَاہُ سُبْحَانَهُ، وَمَا تَرَكْنَا نَحْنُ الَّذِينَ نَقُولُ ذَلِكَ وَنَقُولُ دَائِمًا: [نحن أهل هذا الزمان]، مَا تَرَكْنَا سُبْحَانَهُ بِغَيْرِ شَاهِدٍ، فَهَذَا الشَّاهِدُ أَمَامَنَا مُنْصَوِّصٌ ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ﴾، فَاللَّهُ عَزَّجَلَّ يَرِيدُنَا نَحْنُ أَهْلُ هَذَا الزَّمَانِ بِشَكْلِ مُخْصَوِّصٍ، وَأَنَّهُ سُبْحَانَهُ يَقْصِدُنَا وَيُرِيدُنَا.

﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ ليس؛ لأنه جمع الأولين والآخريين بعلمه وأظهر ذلك في كتابه، فحسب فهذا والله حق... ولكن الإشارة بأن الله ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ الذي أخرج هذه الأمة الأمية من لا شيء؛ إذ لم تكن شيئًا مذكورًا، وكما سبق وأن أخرجها أول مرة، وهو ما جاء في الآية الثانية: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ﴾ [الجمعة: ٢]، فإنه سبحانه قد ختم ذلك بأعظم ختام حين ختمها بقوله: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾، ثم أشار لذكر إعادتها ثانية كما أخرجها أول مرة، أعادها بعد ما

ماتت أو كادت، وأشار لذلك بقوله: ﴿وَأَخْرَيْنَ﴾، وقد ختمها كذلك بنفس الختام العظيم، وهو قوله: ﴿وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾!

ألا ما أسهل الإعادة بعد الابتداء من لا شيء وكله هين عند الله، وسبحان الله، كما قال: ﴿بَعَثَ﴾ في الابتداء، فقد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «يُبْعَثُ» عند الانتهاء، أي عند آخر الـ ﴿وَأَخْرَيْنَ﴾، فقال سبحانه: ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ﴾ وها نحن آخر الآخرين وهي أيامنا هذه، كما في الحديث: «أُبَشِّرُكُمْ بِالْمَهْدِيِّ يُبْعَثُ فِي أُمَّتِي عَلَى اخْتِلَافٍ مِنَ النَّاسِ وَرَلَا زَلٍ»<sup>(١)</sup>، وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا يَوْمٌ لَطَوَّلَ اللَّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ حَتَّى يَبْعَثَ فِيهِ رَجُلًا مِنِّي» - أَوْ «مِنْ أَهْلِ بَيْتِي» - يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي، وَاسْمُ أَبِيهِ اسْمُ أَبِي زَادَ فِي حَدِيثِ فِطْرٍ: «يَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا، وَعَدْلًا كَمَا مُلِئَتْ ظُلْمًا وَجَوْرًا»<sup>(٢)</sup>، وورد «لَبِعَثَ»، وهكذا جاء من رواية عليٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ<sup>(٣)</sup>.

والمقصود؛ أن اتحاد اللفظ ما بين الكتاب والسنة مع اتحاد الموضوع يدل على تطابق في الفعل وفي تحقيق الغاية وخصوصًا مع ما ذكرنا من قرائن عديدة، ولم أذكرها كلها، ففي هذا القدر فتح، وفيه كفاية، والحمد لله رب العالمين.

### فَاللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ وَسَلِّمْ

قال ربنا سبحانه: ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ [الجمعة: ٤] والآية واضحة، وأعظم الفضل الذي آتاه الله إنما هو فضل الأصل

(١) أخرجه أحمد (١١٣٢٦)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/٣١٣-٣١٤) رقم (١٢٣٩٣): رَوَاهُ أَحْمَدُ بِأَسَانِيدَ وَأَبُو يَعْلَى بِإِخْتِصَارٍ كَثِيرٍ، وَرِجَالُهُمَا ثِقَاتٌ.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٢٨٢)، وقال شعيب الأرنؤوط: صحيح لغيره، وقال الألباني: حسن صحيح.

(٣) أخرجه أبو داود (٤٢٨٣) عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح، وصححه الألباني.

وهو على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وليس هو بالفضل المنقطع، بل هو مستمر إلى يوم القيامة، ومع هذا، فإن قوله: ﴿يُؤْتِيهِ﴾ بالفعل المضارع المستمر واضح وأن المقصود المباشر هو الفضل المتعلق بالآخرين ﴿وَأَخْرَيْنَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ﴾، فهي أقرب مذكور من هذا الموعود، فأى فضل عظيم وأى بشرى كبرى قادمة قريبة هذه بإذن الله!؟

### فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ

قال ربنا سبحانه: ﴿مَثَلُ الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [الجمعة: ٥]. أ لا والله ما أعظم بلاغة الإشارات في كلمات الله تعالى.. بل ما أعظم تحديدها لأمة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وإن تشاغل الناس اليوم بمن [حُمِّلُوا القرآن، ثم لم يحملوه] من اليهود، بينما نحن من باب أولى، والقرآن أعظم، وأمة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أعظم.

ثم أي انطباق على هذه الأمة من هذا الانطباق الواقع عليها اليوم؟! ثم إن الله عَزَّجَلَّ ختم الآية بشكل واضح وصريح بأن مَنْ ﴿حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾ إنما هم مثل ضربه الله عَزَّجَلَّ لغيرهم، ولا ينحصر بهم وحدهم، فقال سبحانه: ﴿بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾، ثم ماذا قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عن المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «يَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا، وَعَدْلًا كَمَا مَلَأَتْ ظُلْمًا وَجَوْرًا»<sup>(١)</sup>، هكذا هي الإعادة لظهور الدين، وهكذا هو اتحاد الهدف ما بين الآيات الكريمة والأحاديث.

ثم إن ذكر الذين حُمِّلُوا التوراة خاصة في سورة الجمعة خاصة إشارة ظاهرة

(١) أخرجه أبو داود (٤٢٨٢)، وقال شعيب الأرنؤوط: صحيح لغيره، وقال الألباني:

إلى أن الصراع الأكبر والنهاية الكبرى والكاملة لهم إنما هي على يد هذه الأمة، ولكن يوم تحمل هذه الأمة القرآن بحق، كما تُعطي الجمعة قداستها ومقامها، وأهلها، ودورها بحق.

### فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا

قال ربنا سبحانه: ﴿قُلْ يَأَيُّهَا الَّذِينَ هَادُوا إِنْ زَعَمْتُمْ أَنَّكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنَّوْا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ ﴿٦﴾ وَلَا يَمْتَنُونَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٧﴾﴾ قُلْ إِنْ أَمُوتَ الَّذِي تَفْرُوتُ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلْقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلْمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ [الجمعة: ٦-٨] هذه الآيات التي تحدثت عن الذين هادوا وهي عنهم حقيقة بلا ريب لكنها تُحدِّث الذين آمنوا من أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حديثًا واضحًا من باب أولى في هذا الزمان على وجه الخصوص؛ إذ الحديث لا يزال في الذين جاؤوا من بعدهم وعلى الأخص في الفترة الزمانية هذه؛ لأنه كما ذكرنا نحن الذين في آخر الآخرة، نحن الذين يُمَاتِلُونَ فِي ﴿الَّذِينَ هَادُوا﴾ تمام المماثلة ﴿الَّذِينَ حُمِّلُوا التَّوْرَةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا﴾، وهل يشك واحدٌ في هذا منّا؟!!

إذا فكل خطاب جاء بعدها، فإنه لنا نحن الذين في هذا الزمان، كما كنا داخلين في أول السورة التي ذكرناها أولاً بالإضافة إلى ترابط السورة أولها بآخرها، كأنها آية واحدة من عظيم الإحكام في كلام الله عَزَّجَلَّ. والقصد، أنه كما أن أولئك الذين حُمِّلُوا التَّوْرَةَ إلا أنهم لم يحملوها فإن أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في هذه الفترة من الزمان تحديداً هي التي لم تحمل كتاب الله وألقته وراءها ظهرياً، وهذا ما لم يكن في هذه الأمة قبل المائة عام الأخيرة هذه مطلقاً، فلقد كان القرآن هو منهج الأمة كأمة منذ نزوله ومنذ هجرة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إلى ما قبل مائة عام، ويشهد لهذا، وأنه في الآخر هو الآية: ﴿وَكُنِيَ بِاللَّهِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٧٩]، وهو قول النبي

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «لَتَنْتَقِضَنَّ عَرَى الْإِسْلَامِ عُرْوَةٌ عُرْوَةٌ، فَكُلَّمَا انْتَقِضَتْ عُرْوَةٌ، تَشَبَّثَ النَّاسُ بِالتِّي تَلِيهَا، فَأَوْلَهُنَّ نَقْضًا: الْحُكْمُ، وَآخِرُهُنَّ: الصَّلَاةُ»<sup>(١)</sup>، وفي الحديث الصحيح الموقوف على ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - ومثله لا يُقال بالرأي - قال: «إِنَّ أَوَّلَ مَا تَفْقِدُونَ مِنْ دِينِكُمْ الْأَمَانَةَ، وَآخِرَ مَا تَفْقِدُونَ الصَّلَاةَ، وَإِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ الَّذِي يَنْزِلُ بَيْنَ أَظْهُرِكُمْ يُوشِكُ أَنْ يُرْفَعَ، قَالَ: قُلْتُ لِعَبْدِ اللَّهِ: كَيْفَ يُرْفَعُ وَقَدْ أُنْبِتَهُ اللَّهُ فِي صُدُورِنَا وَأَنْبَتْنَاهُ فِي مَصَاحِفِنَا؟ قَالَ: يُسْرَى عَلَيْهِ لَيْلًا، فَلَا يُتْرَكُ مِنْهُ شَيْءٌ فِي صَدْرِ رَجُلٍ وَلَا مُصْحَفٍ، ثُمَّ قَرَأَ: ﴿وَلَيْنَ شِئْنَا لَنَذْهَبَنَّ بِالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ [الإسراء: ٨٦] الآية»<sup>(٢)</sup>، وَقَالَ مُعَاذٌ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «يُوشِكُ الْقُرْآنُ أَنْ يُنْسَخَ، قَالَ: يُنْسَخُ حَتَّى لَا يُقْرَأَ؟ قَالَ: لَا، وَلَكِنْ يَسْلُكُ النَّاسُ وَادِيًا، وَيَسْلُكُ الْقُرْآنُ وَادِيًا غَيْرَهُ»<sup>(٣)</sup>.

وتحديدًا هي هذه المائة عام الأخيرة عشناها ونوشك على إتمامها وبعد إتمامها يكون بعث هذه الأمة من جديد، وهذا ما أخبر به النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؛ فَعَنْ عُبَادَةَ بْنِ الصَّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا مُدَّةُ أُمَّتِكَ مِنَ الرَّخَاءِ؟ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ شَيْئًا حَتَّى سَأَلَهُ ثَلَاثَ مِرَارٍ كُلُّ ذَلِكَ لَا يُجِيبُهُ، ثُمَّ انْصَرَفَ الرَّجُلُ، ثُمَّ إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَيْنَ السَّائِلُ؟» فَرَدُّوهُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: «لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ شَيْءٍ مَا سَأَلَنِي عَنْهُ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِي، مُدَّةُ أُمَّتِي مِنَ الرَّخَاءِ مِائَةٌ سَنَةٍ»، قَالَهَا مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، فَقَالَ الرَّجُلُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَهَلْ

(١) أخرجه أحمد (٢٢١٦٠)، وابن حبان في صحيحه (٦٧١٥)، قال الهيثمي في المجمع (٢٨١/٧): رَوَاهُ أَحْمَدُ وَالطَّبْرَانِيُّ، وَرِجَالُهُمَا رِجَالُ الصَّحِيحِ، وَقَالَ شُعَيْبُ الأَرْنَؤُوطُ: إسناده جيد، وصححه الألباني في صحيح الجامع (٥٠٧٥).

(٢) السنن الواردة في الفتن للداني (٣/٥٩٥) رقم (٢٦٩)، وأخرجه الطبراني في الكبير (٨٧٠)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/٣٢٩-٣٣٠) رقم (١٢٤٦٥): رِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ غَيْرِ شَدَّادِ بْنِ مَعْقِلٍ وَهُوَ ثِقَةٌ.

(٣) السنن الواردة في الفتن للداني (٣/٥٩٦) رقم (٢٧٠)، وقال محققه أبو عبد الله محمد حسن محمد حسن إسماعيل الشافعي: إسناده صحيح.

لِذَلِكَ مِنْ أَمَارَةٍ أَوْ عَلَامَةٍ أَوْ آيَةٍ؟ فَقَالَ: «نَعَمْ؛ الْحَخْسَفُ<sup>(١)</sup> وَالرَّجْفُ<sup>(٢)</sup>، وَإِرْسَالُ الشَّيَاطِينِ الْمُجَلِبَةِ<sup>(٣)</sup> عَلَى النَّاسِ»<sup>(٤)</sup>.

أما في هذه الآيات، فقد شخّصت المرض الثاني في هذه الأمة تحديداً: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ هَادُوا وَإِنْ زَعَمْتُمْ أَنْكُمْ أَوْلِيَاءُ لِلَّهِ مِنْ دُونِ النَّاسِ فَتَمَنُّوا الْمَوْتَ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ وَلَا يَمْتَنُّونَهُ أَبَدًا بِمَا قَدَّمْت أَيْدِيَهُمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالظَّالِمِينَ ﴿٧﴾ قُلْ إِنْ أَلَمْتُمْ أَلَّذِي تَقْرُونَ مِنْهُ فَإِنَّهُ مُلْقِيكُمْ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عِلِّيِّ الْعَالَمِ وَالشَّهَادَةُ فَيُنَبِّئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ﴾، وهو حب الدنيا وكرهية الموت؛ كما سماه المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وحدده أحسن تحديد، فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «يُوشِكُ الْأُمَمُ أَنْ تَدَاعَى عَلَيْكُمْ كَمَا تَدَاعَى الْأَكَلَةُ إِلَىٰ قَصْعِهَا»، فقال قائلٌ: وَمِنْ قَلَّةِ نَحْنُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «بَلْ أَنْتُمْ يَوْمَئِذٍ كَثِيرٌ، وَلَكِنَّكُمْ غُثَاءٌ كَغُثَاءِ السَّيْلِ، وَلَيَنْزَعَنَّ اللَّهُ مِنْ صُدُورِ عَدُوِّكُمْ الْمَهَابَةَ مِنْكُمْ، وَلَيَقْدِفَنَّ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمُ الْوَهْنَ»، فقال قائلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْوَهْنُ؟ قَالَ: «حُبُّ الدُّنْيَا، وَكَرَاهِيَةُ الْمَوْتِ»<sup>(٥)</sup>.

### فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ

(١) الخسف: ذهاب الشيء في الأرض والغور به فيها.

(٢) الرجفة: الزلزلة والاضطراب الشديد.

(٣) المُجَلِبَةُ: أي: المجتمعين على الحرب. النهاية (١/٢٨٢).

(٤) أخرجه أحمد (٢٢٧٧٠)، والطبراني في مسند الشاميين (٢٥٥٥)، وقال الهيثمي في

مجمع الزوائد (١٠/٨) رقم (١٢٥٨٥): وَفِيهِ يَزِيدُ بْنُ سَعْدٍ وَلَمْ أَعْرِفْهُ، وَبَقِيَّةُ رِجَالِهِ

ثِقَاتٌ، وَأَخْرَجَهُ الْحَاكِمُ فِي مُسْتَدْرَكِهِ (٨٢٩٣) بلفظ: «رجاء أمتي مائة سنة»، وقال: هَذَا

حَدِيثٌ صَحِيحٌ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ.

(٥) رواه أبو داود (٤٢٩٧)، وأحمد (٢٢٣٩٧)، وجوّد إسناده الهيثمي في «مجمع الزوائد»

(٢٨٧/٧) رقم (١٢٢٤٤)، وقال ابن باز في «مجموع الفتاوى» (١٠٦/٥): إسناده

حسن، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن، وصححه الألباني في «صحيح سنن أبي

داود» (٤٢٩٧).

قال ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ مِنْ يَوْمِ الْجُمُعَةِ فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ وَذَرُوا الْبَيْعَ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١٠﴾ فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١١﴾ وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انفَضُوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِوِ وَمِنَ الْجِنِّ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ﴿[الجمعة: ٩-١٣]﴾ من هنا يكون إصلاح الأمة إن أرادت الإصلاح وَصَدَقَتْ فِي عَزْمِهَا، وَجَدَّتْ فِي هَبَّتِهَا مِنْ بَيْتِ اللَّهِ وَإِعْطَائِهِ حَقَّهُ، وَمِنْ الْجُمُعَةِ وَإِعْطَائِهَا حَقَّهَا، وَمِنْ خُطْبَةِ الْجُمُعَةِ وَإِعْطَائِهَا حَقَّهَا، وَمِنْ حَقِّهَا تَرْكِيزَ حَدِيثِهَا عَلَى مَا ذَكَرَ اللَّهُ عَزَّجَلَّ هُنَا فِي سُورَةِ الْجُمُعَةِ... وَهَذِهِ مَرَاكِزُ أَرْبَعَةٍ وَيَتَّبِعُهَا وَيَتَفَرَّعُ عَنْ كُلِّ وَاحِدٍ مِنْهَا فُرُوعٌ: الْمَسْجِدُ، وَالْجُمُعَةُ، وَالْخُطْبَةُ، وَالْأُمَّةُ؛ وَلَا يَنْبَغِي أَنْ تَذْهَبَ بَعِيدًا، فَإِنَّمَا الْحَدِيثُ لَنَا نَحْنُ أَهْلُ هَذَا الزَّمَانِ وَلَا يَنْبَغِي أَنْ نَتَشَعَّبَ كَثِيرًا، فَقَدْ شَخَّصَ اللَّهُ عَزَّجَلَّ الْبَلَاءَ الْعَظِيمَ الَّذِي وَقَعَتْ فِيهِ الْأُمَّةُ فِي كُلِّ وَاحِدَةٍ مِنَ الثَّلَاثِ، ثُمَّ حَدَّدَ الْعِلَاجَ تَحْدِيدًا، فَإِذَا كَانَ الْكِتَابُ الَّذِي حَمَلْنَا اللَّهُ إِيَّاهُ كَأَمَّةٍ طَرَحْنَاهُ أَرْضًا وَرَفَعْنَا فَوْقَهُ كُلَّ شَيْءٍ سِوَاهُ، وَإِذَا كَانَتِ الْأُمَّةُ أَكْثَرَ مَا تَكُونُ سَلْبًا لِحَقُوقِ بَيْتِ اللَّهِ حَيْثُ لَا حِصَانَةَ لَهُ مُطْلَقًا إِلَّا مِنْ قَوْلِ الْحَقِّ...! وَإِذَا كَانَتِ الْجُمُعَةُ مَهْدُورَةَ الدَّمِ - أَقْصَدُ الْقُدْسِيَّةَ - وَلَا يَشْكُ فِي هَذَا أَيُّ وَاحِدٍ يَعِيشُ فِي هَذَا الْعَصْرِ أَبَدًا؟!!

وَمَنْ شَكَّ فِي هَذَا؛ فَلْيَجِبْ: هَلْ يَسَاوِي عِنْدَ الْأُمَّةِ الْيَوْمَ فِي الْوَاقِعِ كِتَابُ اللَّهِ مَعَ أَيِّ دَسْتُورٍ وَضَعِي؟!!

أَمْ يَتَسَاوَى حُضُورُ الْجُمُعَةِ وَالْجَمَاعَاتِ مَعَ أَيِّ حُضُورٍ فِي مَدْرَجَاتِ رِيَاضِيَّةٍ، أَوْ تَرْفِيهِيَّةٍ، أَوْ نَحْوِ ذَلِكَ؟!!

أَمْ يَتَسَاوَى بَيْتُ اللَّهِ مَعَ أَيِّ بَيْتٍ مِنْ بِيُوتِنَا الْخَاصَّةِ وَحِصَانَتِهَا...؟!!

إِلَّا أَنْ هَذِهِ الْآيَاتُ تَحْمِلُ فِي خَتَامِهَا الْخَتَامَ هَذِهِ الْأُمَّةَ بِشَارَةِ عَظِيمَةٍ، بَلْ

بشائر بأنها سوف تعود إلى ربهَا سُبحَانَهُ وَتَعَالَى، وتعود إلى بيوت الله، وتعطيها حقها كما يريد الله عَزَّجَلَّ، وتعود إلى الذي بعثه الله فيها رسولا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وتجعله هو إمامها وقائدها وقودتها، وتعطيه حقه كما يريد الله عَزَّجَلَّ، وتعود إلى جُمعتهَا وتعطي الجمعة حَقَّهَا، وأعظم حقها هو حق رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وعلى الأخص الاتصال الحي به؛ وذلك من خلال الدعاء له بالصلاة والسلام عليه.

### فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ

وكل هذا لا يكون إلا إذا هَبَّتْ الأمة لكتاب الله كما كانت تهب للجمعة أول الأمر تحمله، كما أراد الله لها أن تحمله.. وذلك لن يكون إلا إذا بعث الله فيها من وَعَدَ اللهُ ببعثه... حيث يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعدما ملئت ظلماً وجوراً، وعندها تستحق الأمة أن يرزقها الله عَزَّجَلَّ رزقاً واسعاً نعيماً لم تنعم مثله قط، حيث ختم الله عَزَّجَلَّ السورة العظيمة بقوله: ﴿قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهِو وَمِنَ الْبَجْرِو وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّزَاقِينَ﴾ [الجمعة: ١١].

وشاهد هذا من سنة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال: «يُخْرِجُ فِي آخِرِ أُمَّتِي الْمَهْدِيُّ يُسْقِيهِ اللهُ الْغَيْثَ، وَتُخْرِجُ الْأَرْضُ نَبَاتَهَا، وَيُعْطِي الْمَالَ صِحَاحًا، وَتَكْثُرُ الْمَاشِيَةُ وَتَعْظُمُ الْأُمَّةُ، يَعِيشُ سَبْعًا أَوْ ثَمَانِيًا»<sup>(١)</sup> يَعْنِي: حَجَبًا. وفي الحديث الآخر: «فَتَنَعَّمُ فِيهِ أُمَّتِي نِعْمَةً، لَمْ يَنْعَمُوا مِثْلَهَا قَطُّ، تُؤْتَى أَكْلَهَا، وَلَا تَدْخِرُ مِنْهُمْ شَيْئًا»<sup>(٢)</sup>. فقول الله عَزَّجَلَّ: ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّزَاقِينَ﴾ هنا يتجلى فضل الله ونعمه سبحانه ليس مُعْتَقِدًا في القلوب فحسب، وإنما مشاهد في كل مكان وعلى كل حال وعلى كل مسلم وذريته، أليس هذا ما ينفرد فيه هذا العصر عن كل عصر سواه من عصور الإسلام؟!!

(١) أخرجه الحاكم (٨٩٢٧)، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ»، ووافقه

الذهبي، وصححه الألباني في الصحيحة (٧١١).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٤٠٨٣)، وحسنه الألباني.

أرأيت كيف سيكون التسييح والتقديس لله عظيمًا، وأن كل شيء سوف يدعو لهذا التسييح العظيم الدائم ﴿يُسَبِّحُ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ الْمَلِكِ الْقُدُّوسِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ﴾؟!!

أرأيت كيف سيُعَلِّي الله عزَّجَلَّ شأن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ على العالمين في آخر هذه الأمة وفي آخر الدنيا: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢]؟!  
أرأيت فضيلة الله على هذه الأمة بيوم الجمعة وما أَدَّخَرَ فيها؟!!

أرأيت ماذا جعل الله في سورة الجمعة لنا من أسرار نحن غافلون؟!!

أرأيت ماذا سيصنع الله عزَّجَلَّ بآخر الآخر من هذه الأمة؟!!

أرأيت كيف انطوى آخر السورة على أولها وأولها على آخرها أحسن الطيِّ، حتى لكانها آية واحدة من آيات الله... فالتأمت كواكبها، كأنها شمس واحدة، بل هي أعظم؟!!

أرأيت ماذا في الجمعة وماذا في الصلاة على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من إحياء وإحياء؟!!

نعم! فلقد أعاد ختام السورة كل ما ورد فيها على ابتدائها أحسن إعادة...  
فإن الخير القادم كله مهما كان عظيمًا، فإنما مصدره رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَيْهِ تَسْلِيمًا

فلا معلم على وجه الحقيقة في هذه الأمة إلا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَيْهِ تَسْلِيمًا

ولا مزكي للناس كافة إلا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

ولا معلم للناس تلاوة القرآن وعلومه وما فيه إلا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَيْهِ تَسْلِيمًا

ولا معلم للناس الحكمة إلا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.. والحكمة تدخل في كل شيء.. وما من شيء تذهب عنه الحكمة؛ إلا حلَّ فيه الخراب وحق عليه الزوال.

فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ مُحَمَّدٍ

وكلما تجددت الظلمات على الأمة وحلَّ عليها الظلم والظلمات فالمخرج لهم من ذلك من أول الأمة إلى آخرها؛ إنما هو رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ تَسْلِيمًا

فإن قلت: فما علاقة هذا بموضوعنا وهو الصلاة والسلام على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟! ولا شك أن ما من أمة فيها معلمون مثل ما في هذه الأمة المباركة، بل هذه الأمة هي معلمة الأمم، وما نعيش نحن فيه الآن استثناء، لا يدخل فيه القياس، ولا تنقضه القاعدة، فلو أن كل معلم حَمَلَ العلم وَعَلَّمَهُ الآخرين، وجعله في عنق من بعده حقًا وشكرًا، ومن الله تعالى أجر.. فإن مثل كل ذلك وزيادة لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أجرٌ من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وله منا حق الشكر علينا... وهل من دعاءٍ وشُكْرٍ مثل الصلاة والسلام عليه... فهل تُحصي الصلاة عليه كحقِّ علينا؟!!

فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ تَسْلِيمًا

وكم في هذه الأمة من مزكّين من وعاظ وخطباء وزهاد ومؤلفين ومربين ومدرسين وآباء وأمّهات وإخوة وأخوات كبار، فإن معلم هؤلاء جميعًا الزكاة ومزكيهم الأول؛ إنما هو رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَيْهِ تَسْلِيمًا

وهكذا هم التَّالُونَ للقرآن، وكل مَنْ له علاقة بالقرآن العظيم، وهكذا هم الحكماء في الأمة، وهكذا وهكذا... لتتظن كيف شرع لنا رب العالمين الصلاة والسلام على رسول الله ﷺ وتسليةً قبل كل شيء.. وكيف جعل هذا في سورة الجمعة.. وكيف جعل ختامها بالرزق الذي لا حدَّ له ولا منقص له؛ إذ ختمت السورة بـ﴿وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّزِقِينَ﴾، وكيف كان هذا الختام لهذه السورة العظيمة، إنما هو ختام هذه الأمة العظيمة؟! فهل أدركنا بعض ما في هذه السورة من إحياء وإحياء؟! وهل أدركنا بعض ما في الصلاة على رسول الله ﷺ من إحياء وإحياء؟!

فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ تَسْلِيمًا

كم من فضيلة لرسول الله ﷺ والصلاة عليه قبل الأذان وأثناءه وبعده، فاللهم صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ مُحَمَّدٍ ﷺ

**الفضل العشرون: ماذا بين الأذان والصلاة على رسول الله ﷺ؟!**

**الصلاة على النبي ﷺ بعد الأذان، ولماذا؟**

هنا طريقة عظيمة تنبع من تشريع الأذان المنفردة.. لا بد أن نهى لها بهذه الأسئلة الواضحة؛ أليس رسول الله ﷺ هو من أخرج بفضل الله هذه الأمة من العدم؟! أليس هو ﷺ من كَوَّن لها الكيان، وأصبحت بأمر الله وعلى يدي رسول الله ﷺ أمة من الأمم؟! أليس هو مَنْ رفع لها شأنها حتى أصبح لها أذان؟! وما كان لها أن تبقى إلى هذا اليوم حية فيها بقية روح تصيح «الله أكبر» بغير الأذان، فالأذان سر البقاء وعلم العلو، ولك أن تتصور اليوم الأمة المحمدية بغير أذان؛ تصور لو أنه لم يشرع أذان في مدنها وقرائها وأحيائها وفي كل مكان.. أي: لو لم يكن الأذان أصلاً؟!

إن سارية الإسلام العليا وسارية أمة محمد ﷺ العليا هي الأذان، ولا سارية في الأمم جميعاً أعلى من الأذان؛ لذلك فإن الأذان لا يرتبط بمؤذن

معين، ولا بمسجد، ولا بجماعة، ولا بحاضرة، ولا ببشر، ولا بشيء... فالأذان لا بد أن يُرفع كما ورد في السنة.

وبعد هذا نعود ثانية لتساءل: فهل الذي رفع شأن الأمة ليس له حق الشكر من قِبَل هذه الأمة كُلِّهَا، وله الحق على كل فردٍ تأتيه فرصة الأذان...؟!

ولقد وهب الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى الأمة هذه النعمة العظيمة، وهي أن تأتي مشروعياً الأذان من خلالها هي.. فهي الأمة الشكورة لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، لبانيها ومُعَلِّيها ومُتَبِّعِيها بفضل ربها سبحانه؛ ولهذا تجد أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بقي مهموماً فترة ليست بالقصيرة يريد أمراً يجتمع عليه المسلمون للصلاة... ورأى المسلمون همَّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بهذا الأمر، حتى إنه حين لم يجد طريقة صحيحة أمرَ بالناقوس أن يُطرق به وقت الصلاة، وهو صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كاره له، فكان تشريع الأذان؛ فعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ: كَانَ الْمُسْلِمُونَ حِينَ قَدِمُوا الْمَدِينَةَ، يَجْتَمِعُونَ، فَيَتَحَيَّنُونَ الصَّلَاةَ، لَيْسَ يُنَادَى لَهَا، فَتَكَلَّمُوا يَوْمًا فِي ذَلِكَ، فَقَالَ بَعْضُهُمْ: اتَّخِذُوا نَاقُوسًا مِثْلَ نَاقُوسِ النَّصَارَى، وَقَالَ بَعْضُهُمْ: بَلْ بُوْقًا مِثْلَ قَرْنِ الْيَهُودِ، فَقَالَ عُمَرُ: أَوْ لَا تَبْعَثُونَ رَجُلًا يُنَادِي بِالصَّلَاةِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «يَا بِلَالُ، قُمْ فَنَادِ بِالصَّلَاةِ»<sup>(١)</sup>، أَرَأَيْتَ كَيْفَ جَعَلَ اللَّهُ تَشْرِيْعَ الْأَذَانِ خَاصَةً مِنْ قَبْلِ أَبْنَاءِ الْأُمَّةِ الشَّاكِرَةِ لِرَبِّهَا وَلِرَسُولِهَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟ وهل رأيت كيف جعل الشهود لهذه الرؤيا - رؤيا تشريع الأذان - رجلاً آخر من أبناء الأمة كذلك وهو الفاروق عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؟ وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ زَيْدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا أَمَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِالنَّاقُوسِ يُعْمَلُ لِيُضْرَبَ بِهِ لِلنَّاسِ لِجَمْعِ الصَّلَاةِ طَافَ بِي وَأَنَا نَائِمٌ رَجُلٌ يَحْمِلُ نَاقُوسًا فِي يَدِهِ، فَقُلْتُ: يَا عَبْدَ اللَّهِ! أَتَبِيعُ النَّاقُوسَ؟ قَالَ: وَمَا تَصْنَعُ بِهِ؟ فَقُلْتُ: نَدْعُو بِهِ إِلَى الصَّلَاةِ، قَالَ: أَفَلَا أَدُلُّكَ عَلَى مَا هُوَ خَيْرٌ مِنْ ذَلِكَ؟ فَقُلْتُ لَهُ: بَلَى، قَالَ: فَقَالَ: تَقُولُ: اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ أَكْبَرُ، اللَّهُ

(١) أخرجه البخاري (٦٠٤)، ومسلم (٣٧٧).

أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، أَشْهَدُ أَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، أَشْهَدُ أَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ، حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ، حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ، حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ، اللهُ أَكْبَرُ، اللهُ أَكْبَرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، قَالَ: ثُمَّ اسْتَأْخَرَ عَنِّي غَيْرَ بَعِيدٍ، ثُمَّ، قَالَ: وَتَقُولُ إِذَا أَقَمْتَ الصَّلَاةَ: اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، أَشْهَدُ أَنْ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللهِ، حَيَّ عَلَى الصَّلَاةِ، حَيَّ عَلَى الْفَلَاحِ، قَدْ قَامَتِ الصَّلَاةُ، قَدْ قَامَتِ الصَّلَاةُ: اللهُ أَكْبَرُ اللهُ أَكْبَرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا اللهُ، فَلَمَّا أَصْبَحْتُ، أَتَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَأَخْبَرْتُهُ، بِمَا رَأَيْتُ، فَقَالَ: «إِنَّهَا لَرُؤْيَا حَقٌّ إِنْ شَاءَ اللهُ، فَقُمْ مَعَ بِلَالٍ فَالْقِ عَلَيْهِ مَا رَأَيْتَ، فليُؤدِّنْ بِهِ، فَإِنَّهُ أُنْدَى صَوْتًا مِنْكَ»، فَقُمْتُ مَعَ بِلَالٍ، فَجَعَلْتُ أُلْقِيهِ عَلَيْهِ، وَيُؤدِّنْ بِهِ، قَالَ: فَسَمِعَ ذَلِكَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ، وَهُوَ فِي بَيْتِهِ، فَخَرَجَ يَجْرُ رِدَاءَهُ، وَيَقُولُ: وَالَّذِي بَعَثَكَ بِالْحَقِّ يَا رَسُولَ اللهِ، لَقَدْ رَأَيْتُ مِثْلَ مَا رَأَى، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «فَلِلَّهِ الْحَمْدُ»<sup>(١)</sup>.

لقد كان الله سبحانه عليماً بحالِ رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ومعاناته ومع هذا تركه، وكان سبحانه قادراً على أن يُنزل بالأذان جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، وقادراً على أن يُرسل ملكاً، أو يلقي في رُوع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الأذان، ويخبر به بلالاً رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.. لكنه سبحانه لم يفعل ذلك، بل تركه في معاناته لعظيم البشري بالأذان، وعظيم شأن الأذان ويعظم تفاعل الأمة... وليزداد تفاعلها أكثر وأكثر؛ كلما طال الوقت، وكلما حضر وقت صلاة.. وهكذا بقي همُّ الصحابة عظيمًا لطريقة تجمعهم للصلاة، وهكذا كلما عظم شأن البشري طال انتظارها.

وهنا جاءت المفاجأة في كيفية تشريع الأذان؛ إذ جعله الله عَزَّوَجَلَّ تشريعاً عن طريق أبناء الأمة المباركة، فمن رأى الرؤيا صحابي، ومن شهد لرؤياه برؤيا هو رآها صحابي آخر هو عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ومن أذَّن الأذان الأول هو صحابي كذلك

(١) رواه أبو داود (٤٩٩)، والترمذي (١٨٩) وقال: حسن صحيح، ورواه أحمد (١٦٤٧٧)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن، وقال الألباني: حسن صحيح.

وهو بلال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فكل السلسلة من ابتداء التشريع حتى الإقرار والإشهاد هم من أفراد هذه الأمة المباركة وساداتها - رضي الله عنهم وأرضاهم.

أرأيت كيف أعان الله سبحانه هذه الأمة بفضله ورحمته على شكر نبيهم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟! فالحمد لله الذي مكَّننا من شكر نبينا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بالأذان الذي أراه ربنا سبحانه واحداً منا - من أبناء أمتنا -، والحمد لله الذي أیده بشاهد آخر من أبناء الأمة كذلك؛ وهو الفاروق عمر، والحمد لله الذي جعل رفع الأذان بواحد من أبناء الأمة كذلك رَضِيَ اللهُ عَنْهُم، فأبي شكرٍ مكَّننا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى مثل شكر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بالأذان؟! هذا والأذان ذاته أكبر نعمة.

### هل جزاء الإحسان إلا الإحسان:

فما من محسن لأمته مثل إحسان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لأمته وللناس كافة.. ولما كان ابتداء شأن هذه الأمة وإعلاؤها ورفعتها كله هو أمنية رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وقد تحقق خصوصاً بعد إقامة مشروع الأمة الأول بالهجرة إلى المدينة المنورة... وكان من تَطَلَّب هذا الأمر؛ وهو الأذان أساساً هو رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ نفسه، وما هم الصحابة إلا من همَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ورضي الله عن الصحابة، ومن هذا الباب جاء الأذان نفسه، كشكرٍ لله ولرسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، الذي هو الشكور الأعظم في الثقلين؛ لأنه رفع الأمة صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فكان جزاء رفعه الأمة بعد بنائه لها أن يرفع ربه ذكره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في الأذان عن طريق أمته التي أراها الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى الأذان في المنام لتبليغ رسولها صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بالأذان حرفاً حرفاً، كما أراها الله... عندها يعرف رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أن هذا حق، وهذا هو المنتظر تحديداً، فيقره كما هو، ويأمر بإعلائه، كما ألقاه عليه من رآه في المنام، فأعلاه وأعلنه بلال رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وأنا لا أشك أن هذا الطريق في تشريع الأذان هو أحب إلى رسول الله

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَأَقْرُّ لِعَيْنِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، أما كونه أقر لعينه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؛ فهذا لأن الأذان جاء عن طريق أمته متمثلاً بصاحبيه عبد الله بن زيد وعمر بن الخطاب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا؛ وكأنه الهدية يقدمونها إليه، وهو يحب الهدية صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فهم غرسه وبذره، وهذا من ثمارهم، ثم إنه هو هاديتهم ومعلمهم ومزكيهم، فالأذان وإن جاء عن طريقهم إلا أن الأجر في الأساس له هو صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ولهم هم أجرهم لا ينقصهم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى من أجورهم شيئاً... فكم هو الأذان بركة وعزٌّ ورفعة؟!

ثم إنه أحبُّ إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؛ لأنه فيه إعلان وإعلاء ذكر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فكان مجيء الأذان عن غير طريقه أبعد لظن أهل الرِّيب والزيغ الذين يتربصون بنا الدوائر، ويتصيدون الشبهات، وهكذا يكون تشريع الأذان بهذه الطريقة هو حماية من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى لرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من أصحاب السنة حدادٍ أشحَّةٍ على الخير، بل كم من الناس من الملل الأخرى المحاربين لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الطاعنين للأمة في أعلى حبيب صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ سوف يجدونها فرصة، ولربما لم يستطع المؤمنون ردَّ هذه الشبهة، فجاء الدفاع عنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى قبل أن تكون شبهة ولا مشبوهين، وذلك في تشريع الأذان نفسه، وإلا فَمَنْ يملك من الناس أن يضع اسم أي إنسان بجانب اسم الله في الأذان وهو المنبر الأعلى؟ فهذا طريق تزكية قد أغلق ﴿بَلِ اللَّهُ يُزَكِّي مَن يَشَاءُ﴾ [النساء: ٤٩]، فَمَنْ يزكي الله سبحانه إن لم يزكِّ رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟!

ثم إن جزاء الأذان جاء من جنس الأذان، ومن جزاء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى على الأذان للمؤذن ولِمَن يردد مع الأذان جاء جزاؤه كذلك من جنسه، فإنه كما كان مقصود الأذان إعلاءً لذكر الله تعالى وذكر رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ والدعوة إلى الصلاح والفلاح، كان الأفضل أن يكون الصوت أعلى، كما في حديث



أبي سعيد الخدري أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال له: «إِنِّي أَرَاكَ تُحِبُّ الْغَنَمَ وَالْبَادِيَةَ، فَإِذَا كُنْتَ فِي غَنَمِكَ وَبَادِيَتِكَ، فَأَذْنَتِ بِالصَّلَاةِ، فَارْفَعْ صَوْتَكَ بِالنِّدَاءِ، فَإِنَّهُ: لَا يَسْمَعُ مَدَى صَوْتِ الْمُؤَذِّنِ جِنَّ وَلَا إِنْسٌ وَلَا شَيْءٌ إِلَّا شَهِدَ لَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»<sup>(١)</sup>، وهذا يعني: أن مقصود الأذان هو الإبلاغ، ولا يكون الإبلاغ إلا برفع الصوت... وهكذا فلأنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كان هو السبب في رفع شأن هذا الدين كان عطاء الله له بهذا النداء العظيم الذي فيه رفع ذكره مع ذكر الله، وجعل ذكره شهادة؛ كالشهادة لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وجعل ذكره بجوار ذكر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فهكذا جاء الجزاء على الرفعة بالرفعة، إلا أنها هنا دائمة، فإنه وبحكم حركة دوران الأرض، فإن الأذان لا يتوقف لحظة عن الأرض، ولعل الأدق هو ذكر الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لا يتوقف لحظة واحدة عن الأرض.

ولقد اجتمع في الأذان علو الصوت وعلو الموضع وطول الأعناق وعلو الهام والوجوه وعلو مقام الجزاء يوم القيامة، فإن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يقول: «الْمُؤَذِّنُونَ أَطْوَلُ النَّاسِ أَعْنَاقًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ»<sup>(٢)</sup>.

ولا يتوقف أجر المؤذن على حضور الناس للصلاة أو عدم حضورهم، أَدْنٌ فِي الْحَاضِرَةِ أَمْ فِي الْبَادِيَةِ، فعن سلمان الفارسي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا كَانَ الرَّجُلُ بِأَرْضٍ قِيٍّ»<sup>(٣)</sup>، فَحَانَتِ الصَّلَاةُ فَلْيَتَوَضَّأْ، فَإِنْ لَمْ يَجِدْ مَاءً فَلْيَتَيَمَّمْ، فَإِنْ أَقَامَ صَلَّى مَعَهُ مَلَكَاهُ، وَإِنْ أَدْنٌ وَأَقَامَ صَلَّى خَلْفَهُ مِنْ جُنُودِ اللَّهِ مَا لَا يُرَى طَرَفَاهُ»<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه البخاري (٣٢٩٦).

(٢) أخرجه مسلم (٣٨٧).

(٣) القِيُّ: بكسر القاف وتشديد الياء: هي الأرض القفر.

(٤) رواه عبد الرزاق في مصنفه (٢٠٢١)، وقال الألباني في صحيح الترغيب (٢١٩/١)

رقم (٢٤٩): صحيح.

ولأن الأذان راية عز الأمة العالوية ورفعتها، فإنه إذا ما ارتفع في الأجواء لم يحتمله رأس الشرور ومنبعها إبليس لعنة الله عليه... فينهار عند الاستماع للأذان، فعن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا نُودِيَ لِلصَّلَاةِ، أَذْبَرَ الشَّيْطَانُ وَلَهُ ضُرَاطٌ، حَتَّى لَا يَسْمَعَ التَّائِبِينَ، فَإِذَا قَضَى النِّدَاءَ أَقْبَلَ، حَتَّى إِذَا تُؤَبَّ بِالصَّلَاةِ أَذْبَرَ، حَتَّى إِذَا قَضَى التَّوْبَةَ<sup>(١)</sup> أَقْبَلَ، حَتَّى يَخْطُرَ بَيْنَ الْمَرْءِ وَنَفْسِهِ، يَقُولُ: اذْكُرْ كَذَا، اذْكُرْ كَذَا، لِمَا لَمْ يَكُنْ يَذْكُرُ، حَتَّى يَظُلَّ الرَّجُلُ لَا يَدْرِي كَمْ صَلَّى»<sup>(٢)</sup>.

والآن وبعد ما رُفِعَ الأذان من مسجد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ها هم الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يستمعون النداء يصدح في سماء المدينة يملأ الأجواء، ويبلغ أهدأ ويعلوه، ويصل إلى غير وثور وإلى حدود المدينة.. أو قريباً من ذلك، وتمتلى الصدور به وتطيب، ويدخل البيوت والأسواق ويعطرها، فإذا بالصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يهبون ملبين النداء، وقلوبهم تسبقهم إلى مسجده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.. يصلون خلفه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، حيث تقام الصلاة بنفس كلمات النداء مفردة، وهكذا، فإن من هتفت قلوبهم بالشهادة له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في كل موقف من المواقف معه يجدون أن هذا الأذان قد أفصح عن أعظم شهادة لمخلوق يملأ الآفاق.. فكأن الآفاق هي صدورهم.. بل كأن الآفاق صدر كل واحد منهم.. فما تردد شهادة صادقة في صدورهم هو ما يصدح في الآفاق كل يوم... هو ما ملأ صدورهم حباً وهياماً وفداءً.. ها هو يعلن عن حبهم ويفصح عما لم تفصح عنه السنة كل واحد

(١) التثويب: قال الخطابي رَحِمَهُ اللَّهُ: التثويب هنا الإقامة، والعامية لا تعرف التثويب إلا قول المؤذن في صلاة الفجر: «الصلاة خير من النوم»، ومعنى (التثويب): الإعلام بالشيء، والإنذار بوقوعه، وإنما سميت الإقامة تثويباً؛ لأنه إعلام بإقامة الصلاة، والأذان إعلام بوقت الصلاة.

(٢) أخرجه البخاري (٦٠٨)، ومسلم (٣٨٩).



منهم، فهم لا يسمعون الشهادة لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى والشهادة لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بالرسالة إلا الحب الذي يملأ الوجود، ويسمع كل موجود لأحب إنسان مشى على الأرض، ومشى حبه في شرايينهم، وجرى في كل ذرة في كيانه وفي حياتهم، فاختلط الحب الممكنون بالنداء العالي، واختلط ما في الصدر من الشهادة بما في أجواء المدينة وسماؤها وآفاقها من الشهادة... فاتحدت شهادة هذا المنادي، فلكان المنادي ينادي من على منبر قلب كل صحابي من أصحابه، كيف وهو صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حاضرٌ بينهم؟! كيف وهو صاحب النداء وهو من أمر الله أن ترفع له هذه الشهادة؟!

كيف وهو صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من ملاء حياتهم نورًا وهديًا ورحمة وضوًا؟! كيف وهو الذي ملأ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى قلوبهم بحبه حتى غدا عندهم أحب من آبائهم وأبنائهم؟! وكيف وصاحب الشهادة صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هو من يملأ أسماعهم وأبصارهم وقلوبهم؟! فكل حواسهم تستنير به، وتتقدم، بل تتسابق شرفًا وسعادة لأن ترضيه، لأن تفديه، لأن ترى ابتسامة كريمة خفيفة قد أشرفت من محيائه الكريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

يا عباد الله! تعالوا فلتدبر قليلاً من واقعهم رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ، وكأننا معهم: إن الأذن وهي تسمع لأول مرة الأذان، وتسمع في الأذان العظيم: (أشهد أن محمدًا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ) لتذهل من عظيم المفاجأة بل عظيم البشري لأحب حبيب لهم، بل لمن هو أحب إليهم من أنفسهم، إن كيانهم ليرتج، وإن حبيهم ليتفجر؛ إذ رأى الصحابي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كيف أعطى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى مَنْ هو أحب إليه من نفسه عطاءً سيبقى يملأ أجواء المدينة خمس مرات كل يوم، يملؤها الليل والنهار.. رأى كيف أن رب العالمين تَبَارَكَ وَتَعَالَى عَلِمَ ما في قلوبهم فأثابهم فتحًا عظيمًا وأجابهم حبًا فصيحًا عاليًا دائمًا كريمًا.

يا عباد الله: تعالوا! فلنحاول أن نرحل بأرواحنا إلى مدينته المنورة على جناح البصيرة والإحسان الذي يجب أن نحياه، وكأننا هناك في مدينته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ. نشهد النداء؛ إذ نحن مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ... فما النداء العالي إلا صدّي قلبي الذي يعيش عنفوان حبه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، هكذا هو صداه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بين أضلاع صدري.

وإذ نحن هناك معه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ... فهذا هي الآن الصلاة تقام كذلك، فيتقدمنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ للصلاة؛ إذ تقدّمنا ذكره الآن بإقامة الصلاة.. الآن يصف صفوفنا هو صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وهو المشهود له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في الأذان وفي الإقامة.

صفّنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ... نظر إلينا... اطمأن على حسن استعدادنا للقاء ربّنا... فقال: «إِذَا قُمْتَ فِي صَلَاتِكَ فَصَلِّ صَلَاةً مُودِعًا»<sup>(١)</sup> هذا آخر ما قاله قبل أن يُكبر... استقبل القبلة وكبّر.. فيا لله كيف يقرأ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كلام ربه الذي أنزله على قلبه؟! كيف يغذي الشهادة في كل آية يقرأها... في كل نبرة... في كل عبرة... في كل رفعة صوتٍ وخفضة بكلام ربه.. في كل حركة يتحركها في صلاته... في كل شيء؛ إذ هو صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أمامهم... يسقي الإيمان.. يسقي الشهادة؟! هذا وهي الشجرة العظيمة التي تجاوزت كل خطّ، وما عاد تضرّها آفة، ولا تمسها عاصفة ولا إعصار بأضرار.

وما زال أخذ الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بهمة المتراحي، المترهل في أخذه، المتفضل في صلاته... وهذه والله قاصمة الظهر، ورغم وضوح بعض الأحاديث الثابتة عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إلا أنهم ما زالوا يقولون: الصلاة عندنا ليست واجبة! وأظهر مكان في هذا هو الأذان!



جماع الدعاء والدعوة والصلاة على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عقب الأذان:

**الفضل الحادي والعشرون: الصلاة على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بعد الأذان؟**

عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ»<sup>(١)</sup>.

وهكذا تأتي الصلوات على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بعد انتهاء الأذان وقبل الدعاء له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؛ إعلاءً لشأنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فوق العالمين في الآخرة، كما كان الأذان؛ ذاته إعلاءً لشأنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في الدنيا من الله العلي العظيم سبحانه، كيف لا وقد ضَمَّ اللهُ اسمَ نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إلى اسمه..؟! كيف وقد جعلها شهادتين لا ثالث لهما؟! كيف وقد صرح اللهُ في الشهادة له باسمه محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ولم يجعلها مقتصرة على الرسالة أو النبوة؟! كيف ولا مذكور من خلق اللهُ الذين لا يعدون ولا يحصون أبدًا إلا هو صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟! كيف لا؟! وهل مثل جوار الله جوار سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى؟! كيف لا ولم يجعل اللهُ تعالى ذِكْرًا يسبق ذكره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إلا ذكر ربه تَبَارَكَ وَتَعَالَى؟!!

كيف وقد دخل تحت ذكره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ذكر جميع الأنبياء والمرسلين، حيث إن هذا النداء للعالمين أجمعين؟!!

كيف وقد جعل اللهُ هذا النداء هو النداء الأعلى في الدِّين كله والأعلى على الأرض كلها، وجعل مَنْ حوله يتجاوبون معه من خلقٍ لا نعرفهم، وجعل كل مَنْ حوله يرددون معه إلى أن ينتهي؟!!

(١) أخرجه مسلم (٣٨٤)، وأبو داود (٥٢٣)، والترمذي (٣٦١٤).

هنا جاءت الصلاة عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مع الدعاء المخصوص له؛ إعلاءً له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فوق الثقلين جميعًا.

ثم انتهازًا لأيِّ فرصة تفتح فيها السماوات وتضمن فيها الدعوات تقرب الأمة إلى الله وتتقرب برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فتقدمه على نفسها، والله لا شك يستجيب لها في نبيها صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وهذا يأتي كذلك في نفس منهجية شكر الله له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، كما كان الأذان كذلك، ثم إن الله سبحانه لا يكرم مَنْ يفعل ذلك، فحسب، بل يكرمه إكرامًا، ويجعل الإكرام عن طريق رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؛ لأنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ شكور وهو لا يترك أحدًا أحسن إلا ردها عليه وزيادة؛ حبًّا وشكرًا، وهو سبحانه صاحب الفضل أولاً وآخراً، ورسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هو القائل: «مَنْ لَمْ يَشْكُرِ النَّاسَ لَمْ يَشْكُرِ اللَّهَ»؛ ولهذا جاء جزاء مَنْ حافظ على هذا، أن له شفاعة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

وأمر آخر: هو أن حكمة الأذان مع الصلاة والسلام على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؛ إنما هي إعلان بيعة الأمة دائماً وأبداً على أن قائدها وقادتها الذي لا يُنازعه أحد أبداً؛ إنما هو رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وهو مرجعها الذي لا مرجع لها في الناس سواه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أبداً؛ إنما هو رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؛ ولهذا كان جزاء الأذان النهائي هو الإعلان يوم القيامة عن الفائز بمركز الوسيلة، والذي لا يسع إلا واحداً، كما الشاهد في الدنيا، ومقعده لا يسع إلا واحداً. فحسب، وقد قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؛ بناءً على هذا الدعاء عند كل أذان هو قوله: «وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ».

وسبحان الله، فقد جاء استجاب أن يكون إعلان الأذان عالياً وجميلاً حتى لو كان المؤذن وحيداً في صحراء، أو في شعبٍ من شعاب الجبال لا أحد معه من الناس ولا أحد يستجيب لندائه من الناس، فالله جميل يحب الجمال..

وعليّ يوجب إعلاء الحث إليه سبحانه... إذا فهدف الأذان الوحيد ليس هو أداء الصلاة في جماعة فحسب، ولكن الغاية هو أن تُرفع الراية عالية خفاقة ووحيدة لا ينازعها منازع، وهي إنما تكون حصراً لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

فارفع رايتك، فأنت لست وحدك، وإن كنت في صحراء، فالله معك، والله يشهد أذانك، وملائكته الكرام يشهدون، وارفع أذانك، فالأمة كلها معك، وارفع رايتك، وإن كنت في جمع من القادة والعلماء والأمراء والأغنياء وعلية القوم ورؤسائهم؛ لأن كل هؤلاء يجب أن يعرفوا أنهم أتباع لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وأنهم قادة بحكمه وأمره، وبطاعتهم له واتباعهم له، وهذا هو حزام الأمة الباقي وإن انقرضت، وتعود إليه متى أرادت... فإن الأمة مهما بلغ تمزقها وتشققها بل واحترابها واقتتالها مع بعضها البعض، ومهما بُعدت لا ينبغي أن تترك الأذان ولا يترك أي فرد بعيد وحيد الأذان، كما هو شأن صاحب الراية في الحرب وحفاظه على راية، الجيش وائتمانه عليها بحيث لو نزع روحه بالحرب واستطاع أن لا تسقط رايته فليفعل وليحفظها.

ولهذا، فإن الشيطان عليه - لعنة الله وغضبه - يعرف جيداً غاية الأذان؛ وهو أنه راية الأمة في سلمها وحربها، وأنه رايتها المرفوعة في حال اجتماعها وحال عزتها وشقاقها، أي: حتى لو ذهبت الأمة من إمامة الدنيا وتشقت في شعاب الأمم وأوديتها، وذهبت بعيداً عن الحضارة ومدنها ومركزها، فلا تياس وتُنادِ الذاهبين بعيداً إلى اجتماعها وتناديهم على فلاحها، ولترهم أينما كانوا رايتها، وأن هذا هو قائدها صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إن لم يكن لها قائد، وأن هذا هو صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قائد قائدها إن كان لهم قائد واحد، وأن عليها أن تصبر وتصابر وتصطر حتى تتوحد القيادات في قائد واحد، وتتوحد الأمة وقائدها خلف صاحب الراية؛ وهو رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

واجتماع الأمة هو أخوف ما يخافه الشيطان، والنبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قد قال: «إِنَّ الشَّيْطَانَ مَعَ الْوَاحِدِ، وَهُوَ مِنَ الْإِثْنَيْنِ أَبْعَدُ، مَنْ أَرَادَ بُحْبُوحَةَ الْجَنَّةِ، فَلْيَلْزِمِ الْجَمَاعَةَ»<sup>(١)</sup>؛ ولهذا فإن ذاك الفرد الذي نادى بالأذان إنما نادى على الأمة بالاجتماع، وليس على الصلاة وحدها، فهذا نادى لإقامة الصلاة ونادى للدعوة التامة كذلك، نادى بالصلاح خاصة ونادى بالفلاح عامة، ومن ثم، ففرار الشيطان هنا ليس له نظير، وقد كشف الله الغيب للنبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

ولا يليق بصاحب الراية هنا إلا أن يكون هو صاحب الراية في الآخرة، والذي سوف يتقدم قادة الأمم جميعاً في كل موطن تحتاجه الأمم جميعاً هناك في الآخرة، حيث قال ربنا سبحانه: ﴿ذَلِكَ يَوْمٌ مَّجْمُوعٌ لَّهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَّشْهُودٌ﴾ [هود: ١٠٣]، وليست هذه الراية والغاية التي رجاها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - وإنها لمتحققة له بفضل الله رحمته في الآخرة - إلا نتيجة طبيعية لثمراته في الدنيا وجزاءً لعمله وخرسه، فإن أرض كل نبى هي أمته، والأرض كلها هي ميدان دعوة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ورسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ غرس خير أمة أخرجت للناس، فلا بد أن يكون قائدها وغارسها خير قائد أخرج للناس، وهو القائل: «أَنَا سَيِّدُ وَلَدِ آدَمَ، وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ الْأَرْضُ عَنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا فَخْرَ، وَأَنَا أَوَّلُ شَافِعٍ، وَأَوَّلُ مُشَفِّعٍ، وَلَا فَخْرَ، وَلِوَاءِ الْحَمْدِ بِيَدِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، وَلَا فَخْرَ»<sup>(٢)</sup>.

الدعوة التامة: ولهذا فإن دعاء المؤمنين جاء بعد النداء بصيغة خاصة، فهو ليس الصلاة على النبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فحسب، إنما هو أن يقول: «اللَّهُمَّ رَبِّ هَذِهِ الدَّعْوَةُ التَّامَّةُ، وَالصَّلَاةُ الْقَائِمَةُ، آتِ مُحَمَّدًا الْوَسِيلَةَ وَالْفَضِيلَةَ، وَابْعَثْهُ مَقَامًا

(١) أخرجه الترمذي (٢١٦٥)، وصححه الأرئووط والألباني.

(٢) أخرجه ابن ماجه (٤٣٠٨)، وأحمد في المسند (٢٥٤٦)، وقال شعيب الأرئووط:

حسن لغيره، وصححه الألباني.

مَحْمُودًا الَّذِي وَعَدْتُهُ»<sup>(١)</sup>، فإن [الدعوة التامة] ليست هي [الصلاة القائمة]، وما قُدِّمت الدعوة التامة هنا إلا لأنها الأولى؛ وهي الأشمل، فالدعوة التامة هي دعوة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.. وهي دين الله كله الذي دعا إليه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ولهذا وصفت هذه الدعوة بأنها تامة، وهي الإشارة بأن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قد أتمها وأكملها، وأنه بلغ الرسالة وأدى الأمانة، وأن هذا النداء شهادة بهذا، حتى وإن لم يكن الدين في فترة من الفترات قائمًا وكان عن الناس غائبًا، فهذه الصلاة القائمة والتي هي فعليًا قائمة، بدليل ندائها هذا، فإنها شهادة على أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قد أتمَّ الدين وأكمّله بلاغًا على أرض الواقع وإقامة في دنيا الناس، وأنه ما رحل إلا وقد حقق مراد الله سبحانه من رسالته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وإرساله، وليست هذه الشهادة بهذه الطريقة وبهذه المعاني والمقاصد بأمر هين عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى وعند رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ... ولهذا كان إيشاده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ربّه تَبَارَكَ وَتَعَالَى على أنه بلغ الرسالة وأدّى الأمانة وأتمَّ الأمر في أعظم المجامع وفي آخر حياته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ولئن ذهب ذلك الجيل، وقد أخذ النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ منهم الشهادة بهذا الأمر أمام الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وكان يرفع يديه ويخفضهما في خطبة الوداع؛ إيشادًا منه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ربه تَبَارَكَ وَتَعَالَى على الناس في عصره ومن حضر ذلك المجمع نيابة عمّن لم يحضر، فلقد أبقي الله سبحانه وتعالى له هذا الإيشاد الخالد على كل الأمة وكل الناس، وفي مختلف العصور والدهور من بعده... ومن ذا الذي يشك في أن هذه الشهادة حقٌّ لا ريب فيها، وقد قال ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتَمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

### إمامة: من الله وإلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى؛

وأمر آخر؛ وهو أن ليس المقصود بإمامة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مجرد قيادة سياسية أو إدارية أو اجتماعية أو ما إلى ذلك؛ بل هي كل ذلك، وقبل ذلك هي

(١) أخرجه البخاري (٦١٤).

إمامة إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى؛ فهو الوحيد الذي يؤمننا إلى ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وأيُّ واحدٍ يتولى إمامتنا من بعده إلى يوم القيامة، فإمامته مشتقة كلها من إمامته، وتعيينه منه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ولا طاعة لهذا أو ذاك في معصية رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؛ ومعصية رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ معصية لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

وشاهد هذا النوع من الإمامة وأنها إمامة إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى؛ أنه هي شهادة له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في الأذان نفسه بالرسالة. ولا دخول للإسلام أساسًا فضلًا عن الإمامة وغيرها، والطاعة والبيعة لسواه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - بل هي هنا بيعة على الدخول في الدين أساسًا - إلا بالشهادة لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كما هي الشهادة لله رب العالمين بالوحدانية، ومن ثمَّ جاءت الشهادة بأن لا إله إلا الله أولاً، وجاءت الشهادة لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بالرسالة ثانيًا، وجاءت هاتان الشهادتان مثني مثني؛ لتحقيق كل شيء تحقيقًا، ثم أُلحقت الشهادتان بجميع الطاعات؛ وهي (الفلاح) السبيل المؤدي إلى الفلاح من أعمال البر التي شرعها صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وشرع أصلها، وبعدها جاءت الدعوة إلى الصلاة مرتين كذلك، فهي أعظم الطاعات العملية على الإطلاق وأولها، وهذه لا يمكن معرفتها إلا عن طريق رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، لا يعرفها قائد ولا إمام إلا من خلاله هو صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، كما قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «صَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي».

ومما يشهد بأن إمامة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ما كانت مجرد إمامة ولن تكون كذلك إلى يوم القيامة وأنها غير متعلقة بحياته، فحسب، هو ذكرها بهذا التعظيم والصدق الخالص، فالتعظيم هو الطابع الملازم لذكر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وعنوان التعظيم ورمزه؛ هو الصلاة على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، هذا التعظيم هو الذي يقطع عنق التطاول على مقامه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حيًّا كان أو ميتًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، مع ما فيها من مرجعية وإمامة وقيادة له وحده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ،

كيف وقد جاء التعظيم بهذا الأذان العظيم؟! هذا التعظيم الذي تنقطع الأعناق وهي تحاول إدراكه، فإذا به ذاهب في معارج السماوات والآفاق، كما بينا ذلك.

**يعطي أمته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ما أعطاه الله وإنما الأذان خير شاهد:**

سبحان الله العظيم، فما من كرامة خص بها الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إلا وأكرم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أمته مما أكرمه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى به إلا حَوْلَهَا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لأمته، فأصابها من ذلك، فَعَنَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا؛ أَنَّهُ سَمِعَ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِذَا سَمِعْتُمُ الْمُؤَذِّنَ فَقُولُوا مِثْلَ مَا يَقُولُ، ثُمَّ صَلُّوا عَلَيَّ، فَإِنَّهُ مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا، ثُمَّ سَلُوا اللَّهَ لِي الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنْزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لَا تَبْغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ»<sup>(١)</sup>.

هكذا جاء عطاء رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من عطاء الله له، والذي أسهم في تحقيقه المؤمنون لرسولهم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وليس هذا فضلًا منهم، ففضله هو السابق، كيف وهو الهادي لهم والمعلم والمزكي؟! فكل القربات بما فيها الأذان منه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وهو مصدرها، فإن الشفاعة للرجل المحافظ على هذا الدعاء للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ جاءت؛ لأنه كان مساهمًا - بفضل الله - بحصول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ على الشفاعة العظمى، فلكان هذا المصلي على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الداعي له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بعد الأذان قد اشترى سهمًا خاصًا بربح مضمون النجاح والفلاح والفوز؛ إنها شركة «الشفاعة العظمى»، والله سبحانه ذو الفضل كله.

ومعنى (حَلَّتْ) هنا: لزمت، وكأنه صاحب حق، أو هو مشارك فيها بسهم، فيلزم إعطاؤه مما اشترك فيه؛ ولهذا قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «سَلُّوا اللَّهَ لِي

(١) أخرجه مسلم (٣٨٤)، وأبو داود (٥٢٣)، والترمذي (٣٦١٤).

الْوَسِيلَةَ، فَإِنَّهَا مَنزِلَةٌ فِي الْجَنَّةِ لَا تَنْبَغِي إِلَّا لِعَبْدٍ مِنْ عِبَادِ اللَّهِ، وَأَرْجُو أَنْ أَكُونَ أَنَا هُوَ، فَمَنْ سَأَلَ لِي الْوَسِيلَةَ حَلَّتْ لَهُ الشَّفَاعَةُ»<sup>(١)</sup>.

### يا رب أدركنا فأعدنا :

وحين يدرك الناس عظمة هذا الأذان وعظمة معناه وعظمة ما يترتب عليه في الآخرة... فإن ذلك كفيل بتغير التلقي للأذان إذا أذن المؤذن، وكفيل بإحياء أعظم الآمال التي يرفعها المؤذن حين يرفع أذانه، والآمال التي يرجوها من يردد وراء المؤذن، وكفيل أن يبعث صدقًا جديدًا ينبعث من قلب المؤذن ومن قلب المُردِّد وراءه.

إن المسلم ينبغي أن يعيش وَحْدَةَ المسلمين كلما سمع المؤذن يؤذن، كما يعيش أجواء الأمة الإسلامية الواحدة، وأن يتجدد عنده أمل إعادتها، وإذا ما سمع النداء، ثم أضمّر في دعائه استغاثة بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَى في وقت إجابة منقطع النظير حيث أبواب السماء قد تفتحت للدعوات ما بعد الأذان، وحيث الإجابة مضمونة بإذن الله تعالى، وحيث تقدمت الزلفى إلى الله التي لا يردها الله، وهي تقدم الصلاة والسلام على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وحيث كان الدعاء إلى الله بهذا الذي نريده، وقد تحقق يومًا من الأيام وهو الدين الكامل والنعمة التامة، والتي يقول فيها الداعي: «اللهم ربّ هذه الدعوة التامة»، وهل نحن نريد يا رب إلا إعادة الدعوة إلى الكمال والنعمة إلى التمام، ونعيده كما كان على منهاج النبوة منك وحدك، ربنا لا جهد منا ولا سبب نقدمه، اللهم إلا ما جعلته في قلوبنا من حبك وحب رسولك وذكرك ربنا، والصلاة والسلام على رسولك، وغيره على دينك وعلى عبادك، وعلى أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، يا رب كما ألهمتنا أن نقدم حبيبك - رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - وعودتنا أنا إذا قدمناه قدمت لنا

(١) أخرجه مسلم (٣٨٤)، وأبو داود (٥٢٣)، والترمذي (٣٦١٤).

طلبنا، وها نحن يا رب راجين راغبين محبين.. نُقدِّم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ على أنفسنا وعلى أهلنا وأبنائنا.. اللهم فلاجله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أعد لنا علو الإسلام على الأنام، وعجل يا رب بإدخال كل الناس الإسلام، واملأ يا رب كما وعدت - ووعدك الحق - الأرض قسطاً وعدلاً كما هي قد مُلئت ظلماً وجوراً.

يا رب نحن نؤثره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ والله على أرواحنا وأعراضنا ونفديه بكل شيء، فاشهد يا رب أن هذا هو مطلبنا... كيف لا يا رب ومطلبه هو نحن؟! كيف وما كان لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من همٍّ زوج أو ولد أو مال؟! كيف يا رب وحقيقة هذا المطلب الذي نطلبه هو مطلبه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في الصميم، وهو همُّه الذي مات عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ!؟

يا رب: كيف يليق بدينك أن يكون عنقه أقصر الأعناق بين الأمم اليوم بينما المؤذنون هم أطول الناس أعناقاً يوم القيامة وأنت القائل عن المؤمنين: ﴿وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنْتُمْ الْأَعْلَوْنَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩].

يا رب: ها نحن ما زلنا ندعو ونحن في عصرٍ نرى فيه دين الأمة ليس في الأمة، والأمة في مناهجها بغير هذا الدين، والأمة رُدت إلى أسفل سافلين... يا رب بأسمائك الحسنى ربنا، وبصلاتك على رسولك صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ التي لا تنقطع أبد الأبدين، أن تَرُدَّ هذه الأمة وتُعْلِمْها مع هذا النداء العالي الذي أمر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أن نُعْلِيه بقدر استطاعتنا صوتاً صَيِّتاً جميلاً... فكيف نُعْلِيه صوتاً ونُعْلِيه فوقه دين غيره منهجاً والتزاماً وحياءً كاملة؟!؟

**فليكن الأذان شمس هدايةٍ بحقٍّ:**

يا رب متى نقول كلمات دعائنا للرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، كما كان يقوله أصحابه الكرام؛ إذ هو بينهم يرونه... متى يا رب؟ متى يا رب نقولها، إذ نحن نعيش تمام نعمة الإسلام، ونعيش الدعوة التامة، ونبغ الدعوة التامة للناس

كافة، وما الأذان إلا إشعار وإخبار وإن كان هو في ظاهره وباطنه دعوة وتنبية على الدعوة، وحُصِّلَ لغير المسلمين على أن هذا الدين الذي تسمعون أذانه ما هو إلا إشارة إلى وجوب تَطَلُّبِ معرفة هذا الدين، والتحقق من أهله عن حقيقته، وكيف أنه الدعوة التامة، ولا يوجد على الأرض مطلقاً دعوة تامة، فكل دعوة سواء ناقصة وبُتْراء، بل ضلال وشرك بالله وكفر به وبنعمته، فهو دعوة علنية للناس كافة للتحقق مما ذكره المؤذن، وهو دعوة علنية لكل الناس بما هو كامن في فطر الناس من طلب الكمال والتمام... فهذا هو الكمال والتمام المطلق.

وأول سؤال يتبادر إلى ذهن كل واحد غير مسلم أن يقول لنفسه: لو لم تكن هذه هي الدعوة التامة حقاً وصدقاً... فهل يظن عاقل أن دين الإسلام يمكن أن يجازف هذه المجازفة، ويعلن هذا الإعلان العام، ويتحدى هذا التحدي الكبير إلا ويكون على قدر تحديه؟ كيف ونحن نرى أن الإسلام هو الدين الكبير والأكثر انتشاراً في الأرض كلها؟ وهذا يعني أنه الدين الذي يأكل من كل الأديان والملل ومن اللادينيين كل يوم أكلاً، فيغدون هؤلاء جميعاً موحدين لله رب العالمين.

ثم إن الدعوة هنا هي أنها (التامة)، فهو أعطى كلَّ مَنْ ليس في هذا الدين الفرصة للانقضاء عليه بأن يُظْهَرِ أَيَّ نقصٍ في الإسلام من أيِّ موضع فيه أو تشريع أو حكم ثم هو يفوز في تحديه، أو يظهر أي نقص في الأذان نفسه؛ لأنه سماه الدعوة التامة؟!!

فكم يطوف هذا الأذان على الأرض؟!!

إنه يطوف على الأرض في كل لحظة من لحظات اليوم الواحد، وبهذا يمكن أن نعلن الدعوة إلى الله به من خلال ما سمَّاه الله في الأذان بالدعوة، فهو الدعوة بحق، فلماذا نذهب بعيداً والدعوة نفسها بين أيدينا؟

نعم! يمكن أن نعمل من الأذان دعوة إلى الله بطرقٍ كثيرة جدًا وبوسائلٍ كثيرةٍ وبحوثٍ عديدة، ونجعل منه عملاً مشتركاً لكل من عنده دعوة إلى الله من الأذان نفسه، ويمكن أن نجعل منه حواراتٍ مختصرة وميسرة وهادفة للدخول في الإسلام بطريق الحوار العقلي كما عملنا في كتابنا (لك القرار)، وندخل في هذا الحوار المقارنة العقلية اللطيفة ما بين الأذان من جهة، وجميع النداءات في المعابد غير الإسلامية من جهة أخرى وكل ذلك [بالتي هي أحسن].

وإنه لمجال رَحْبٍ وصريح في الدعوة إلى الله، وإنما لشمس هداية لا بد أن نفسح لها الفضاء لتُتير للخلق القلوب والدروب والحياة.  
فيارب عذراً، فإن الدعوة بين أيدينا وتركناها محاولين التماسها هنا وهناك، المتغافلين عنها.

يارب كان بإمكاننا أن نصنع من كل مؤذن في هذه الدنيا - وكل الناس مؤذنون - داعياً هادياً ياذن الله إلى الله؛ لأن كل مؤذن لو فهمَ هذا الأذان الفهم الحق لما اقتصر أمره على أداء الأذان كوظيفة أو أداء الأذان بقصد حصول الأجر، فحسب، أو أداء الأذان إعلاماً بالصلاة من غير فقهٍ فقط، أيعقل أن يكون هذا الأذان من غير دعوة ولا نور دعوة مع هذه الدعوة العظيمة التي هي بالعبارة الفصيحة، واللغة العليّة الصريحة [الدعوة التامة]، هذا رغم أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يقول: «قَرَّبَ حَامِلٍ فِقْهِهِ إِلَى مَنْ هُوَ أَفْقَهُ مِنْهُ، وَرُبَّ حَامِلٍ فِقْهِهِ لَيْسَ بِفِقْهِهِ»<sup>(١)</sup>؟! وأيُّ حامل فقهٍ مثل المؤذن لو أنه عرف أذانه والكلمات المحددة التي لا تختلف أبداً، وما فيها من هدى ونور ودعوة وعقلانية وتربية، وما فيها من إيمان وتزكية، وما فيها من ربط للمجتمع بعبضه ببعض، وربط بيوتات الأحياء، وما فيه من إنتاجية للأعمال والعاملين، وفيه من راحة للنفس والضمير، وانطلاقة جديدة

(١) أخرجه أبو داود (٣٦٦٠)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح، وصححه الألباني.

في أوقات العمل، وما فيه من توزيع للأوقات بالإعلان الكامل والدعوة التامة، وتجديد للحياة، واستيقاظ الحياة في فجرها، وحكمة تقسيم أوقات الصلوات هذا التقسيم، وما فيه من أن الذي يتحدث ليس هو جماد ولا حجر، كما هو الشأن في الأجراس، إنما هو البشر، وما فيه من دواء للنفوس، وما فيه من أثر تربوي على أفراد الأسرة، وعلى الصغار، وما فيه من إراحة للوليد إذا وُلِدَ - لو كانت ثمة بحوث علمية عملت أو تعمل لهذا الشأن العظيم، وما فيه من بحوث على الكائنات الأخرى.

وقد كان ينبغي لنا نحن المسلمون أن نتساءل هل كان الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى يمكن أن يأمرنا هذا الأمر بالإعلان وفي كل مكان متى حان وقت الصلاة دون أن نعرف معاني الكلمات كدعوة إلى الله؟ وهل يمكن أن يعرضنا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ونحن أبناؤه إلى الحرج الكبير في إعلان ليس مثله إعلان؛ لأنه لا معنى له عيادًا بالله؟

إن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قد أعطانا، لا أقول: جهاز إضاءة ونور، وإنما أعطى كل مؤذن وكل واحدٍ فينا شمسًا، وهي لا تحتاج إلا إلى حركة أصبع بضغطة زرٍ لنوقدها، لكنها حتى اللحظة لم نوقدها، هذا وقد مرَّ على استلامنا هذه الشمس أكثر من ألف وأربعمائة سنة، نعم! إن العتب العظيم ليس على ذلك الجيل، فذاك جيل حفظ الأمانة كما هي وبلغها أحسن بلاغ وأفنى فيها عمره وجهده وماله وأهله، وهذا هو المطلوب عند مرحلة التأسيس، وعمل بها كما هي، أما العتب كل العتب، فعلينا نحن أبناء هذا الزمان الذي طَوَّرنا فيه كل شيء إلا عقولنا في دين الله وفي الدعوة إلى الله، رغم التواصل الاجتماعي وتطوره المذهل في هذا الزمان، والأمر لا يتعلق بالمؤذنين وحدهم، وإنما المؤذنون هم الحلقة الأخيرة والمباشرة وعليهم تقع المسؤولية، لكن غالبًا ما تكون المسؤولية على الأئمة أكثر، فالضامن أكبر من المؤمن، وهذا هو بعض

معاني قول الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «الْمُؤَدِّنُونَ أَمْنَاءُ، وَالْأَيْمَةُ ضَمَنَاءُ، اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِلْمُؤَدِّنِينَ وَسَدِّدِ الْأَيْمَةَ» ثَلَاثَ مَرَّاتٍ<sup>(١)</sup>.

ووزارات الأوقاف ودوائر الأوقاف والمسؤولون عن المساجد ومراكز الدعوة إلى الله المتطوعة، والرسمية - إن كانت ثمة مراكز رسمية - كل هؤلاء مسؤولون، وإن كنتُ مبالغاً في هذا العتَبَ فليظهِروا لنا أيَّ دراسة في الأذان شاملة كاملة تناسب ما في الأذان من التكبير أولاً أربعاً، والشهادة بـ لا إله إلا الله، والإشهاد هنا له نتيجته وأثره على القلب، والشهادة بـ أن محمداً رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، والإشهاد على أن محمداً رسولُ الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ولماذا هو الوحيد في الخلق الذي ينادى على اسمه من بين الخلق جميعاً؟ وهكذا وهكذا. وما الأذان إلا مدخل إلى الإسلام كله، لكنني أكاد أجزم أنه هو النور وهو الهدى، وعنده دخول السامع والسامعة إلى الإسلام، وعنده يقوى الإيمان ويزداد..

أليس هو من الدعوة التامة، وهو شعار الدعوة التامة؟! أليس هو الفلاح والدعوة إلى الفلاح؟! وهكذا وهكذا.





## الفصل الثالث

### جولات القلب ورحلات الفكر أثناء الصلاة على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ



#### انطلاق فكرة الرحلة بالصلاة على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ :

كل ما ذكرنا في الصلاة على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وكل ما سنذكره إنما هو لإحياء جولات الفكر في قلب الإنسان عند الصلاة على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بالصلاة على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وكل ما ذكره العلماء من قبل ومن بعد هو كذلك لإحياء الجولات في فكر الإنسان.. هذه الجولات إنما هي وقود الفكر لِأَنَّ يَحْلُقَ فِي أَفلاكِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ويتنقل وكأن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؛ معه، آخذ بيده يبين له أحداث حياته العظيمة، ومواقعها، وآفاقها وأفلاكها، وصاحبنا هذا لا يفتأ مصلياً مسلماً على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ولا ينقطع ولا يستطيع، وكيف يستطيع وهو يشاهد بعيني بصيرته رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إذ هو صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يُريه بنفسه أحداث حياته ويقص عليه في هذا ما يقص، فهل يستطيع من جرب مرة الرحلة مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أن يفارقه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ولو مرة واحدة في جُمعة واحدة أو جمعة واحدة تَعَوَّدها هذا الرجل أو ذاك يجمع فيها شأنه ويذهب عقله إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ليجول به وبقلبه إلى حيث يشاء هو صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

وربما هذه الرحلة مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أصبحت عادة للبعض مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كل ليلة مرة أو كل يوم مرة، ولكن لا أقل من أن تكون مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في كل جُمعة مرة... فإن يوم الجمعة، وهو

يوم العيد، ويوم الاجتماع، ويوم الأمة، ويوم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وهل إذا أردت أنت زيارة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وهو حي وجئته إلى باب بيته أو وقت أكله سيردك؟! حاشاه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فهل لو ذهبت له الآن وهو في قبره، والأنبياء كما قال المصطفى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أحياء في قبورهم، سيردك الله سبحانه؟ والله سبحانه هو خالقه وهو معلمه وهو ربنا الأكرم، وهو الذي عَلَّمَهُ بالقلم، وهو من قال له أول ما قال سبحانه: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾ الَّذِي عَلَّمَ بِالْقَلَمِ ﴿٤﴾ عَلَّمَ الْإِنْسَانَ مَا لَمْ يَعْلَمْ ﴿العلق: ١-٥﴾.

إياك أن تتوقف عند حد اللسان والآذان، وتقول هنا: ما عهدنا هذا النوع من الصلاة في آبائنا الأولين؟!

نعم! هذا هو المنطق المستقر، فما عهدنا الصلاة على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إلا ترديدًا باللسان، وإكثارًا في العد، وإشغال أكبر كمية من الوقت!

ومع هذا تجد الناس يدافعون عن هذا التحجر في التفكير عند الصلاة على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وكأن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لا يستحق التفكير، وحياته لا تستحق التدبر، وكأن الصلاة على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لا تستدعي المواقف، وكأنها لا تنطلق من المواقف، وكأننا حين نرى مواقف حياة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لا نقول إلا سبحان الله مثلاً، وكأن الصلاة على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ليست من ذكر الله، وليست من الدعاء له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ!!

إن التحجر عند الحروف، وعدم الرغبة في مغادرتها أمر بغیض وخصوصاً في هذا العصر، إني لأجد نفسي تضيق حين أتوقف لأرد على هؤلاء، مقتنعاً تمام الاقتناع أن هؤلاء سوف يكونون من الآثار الغابرة في حياة هذه الأمة، وسيكونون موسومين في تاريخ الأمة بأنهم كانوا من أعظم أسباب تخلفها، ومن أعظم أسباب إعراض الناس عن دين الله، ورميه بالجمود والرجعية، فهم



الصورة الحاضرة للرجعية، والشاهد عليها في أذهان كل مَنْ أراد أن يهاجم الدِّين، ويصد الناس عنه، بل إنهم صناع منهج متخلف في فكره وفي فهمه للدِّين، ولا داعي لأن أكمل الحديث فيهم، ولا أن أرجع له مرة أخرى بإذن الله تعالى.

ليس من السهل أن يتجول الفكر فيما تريد وأنت تنظر بعيني رأسك إلى صور وأحداث وما إلى ذلك مما تراه بعينيك... والإنسان لا يستطيع أن يقطع النظر إلى ما في الحياة مرة واحدة، ولا يستطيع أن يعيش في غرفة مظلمة كلما أراد أن يتفكر، لكن من المعلوم أن الفكرة حينما تستولي على عقل الإنسان وقلبه، فإنه يغيبُ حتى عما يراه بعيني رأسه، ولربما سلّم المارُّ عليه، فلم يرد عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو ذاهل لا يدري، وكأنه لا يرى ولا يسمع ما حوله من صورة أو صوت أو حدث، وانشغال الإنسان في داخله عما يدور خارجه يعود إلى مقدار اهتمامه لما في داخله من صوت وصورة وحدث وشخصيات وما إلى ذلك... كما يعود إلى تعوده على هذه الطريقة في الجولان.

وهنا نعود للسؤال: هل من شخصية أعظم وأعلى وأكرم عمّرت هذه الدنيا مثل شخصية رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟ وهل من أحداث أعظم وأبقى وأعمق وأشمل وأكمل من أحداث حياته الكريمة صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟ فهل يليق بك وأنت تُصلي على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وتذكره بلسانك أن تشيح عنه بوجهك؟! وهل تقول لي: سبحان الله كأنك تريد أن نتعامل مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وكأنه حاضر معنا أو أنه يطلع على صلواتنا؛ إذ نحن نصلي عليه...!

أقول: إي والله، وهذا هو المستوى الذي نرنو إليه عند الصلاة على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فنحن نطمع حقاً أن نصلي عليه وكأننا نراه، وهذه هي درجة الإحسان عند الصلاة عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ونصلي عليه كأنه يطلع على صلواتنا

عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، بل هو يَطَّلِع علينا وعلى صلاتنا حقًا، وذلك على وجه الخصوص يوم الجمعة؛ ولذا ينبغي أن نطلق من يوم الجمعة لسائر أيام الأسبوع ولسائر أيام الحياة، وذلك عند كل مرّة من المرات نجلس فيها للصلاة على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

ولقد ثبت أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال: «أَكْثِرُوا الصَّلَاةَ عَلَيَّ يَوْمَ الْجُمُعَةِ؛ فَإِنَّهُ مَشْهُودٌ، تَشْهَدُهُ الْمَلَائِكَةُ، وَإِنَّ أَحَدًا لَنْ يُصَلِّيَ عَلَيَّ، إِلَّا عُرِضَتْ عَلَيَّ صَلَاتُهُ، حَتَّى يَفْرَغَ مِنْهَا»<sup>(١)</sup>.

وقد بينا من قبل أن هذا من مزيد فضل الله تعالى على المؤمنين يوم الجمعة، وأن صلاة المصلي على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يوم الجمعة لها خصوصية، ولرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كذلك خصوصية في هذا اليوم، فهذا اليوم يومٌ له وهو يوم لأمته في الدنيا والآخرة، فإن الأمر ليس مجرد أن يُبَلِّغَ مَلَكُ رَسولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بصلاة فلان ابن فلان، كما هو الشأن في بقية الأيام، إنما هذه صلاة في هذا اليوم تُعرض عليه؛ وعرض الصلاة عليه يوم الجمعة يعني أن صاحبها يعرض عليه إذ هو يؤدي الصلاة على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فيعرفه باسمه وباسم أبيه، وهذا أمرٌ مُتَحَقِّقٌ؛ لِمَا في الأحاديث الصريحة، سواء كان ذلك بتعريف الله له تَبَارَكَ وَتَعَالَى، أو هو بتعريف المَلَكِ الذي عنده أسماء الخلائق، أو إسماع الخلائق؛ كما مرَّ معنا ذلك من قبل.

والسؤال هنا: هل يليق بي وبك وبأيِّ مسلم بعد هذا الحديث العظيم،

(١) أخرجه ابن ماجه (١٦٣٧)، وقال المنذري في الترغيب والترهيب (٣٢٨/٢): رواه ابن ماجه بإسناد جيد، وقال البوصيري في مصباح الزجاجة (١/٢٩٤): هذا إسناد رجاله ثقات، إلا أنه منقطع في موضعين، عبادة بن نسيّ روايته عن أبي الدرداء مرسله، قاله العلاء، وزيد بن أيمن عن عبادة بن نسيّ مرسله؛ قاله البخاريّ، وكذا قال شعيب الأرنؤوط في تحقيقه لسنن ابن ماجه.

وقد علمنا أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مُطَّلِعٌ بنفسه على صلاتنا عليه؛ إذ نحن نصلي عليه كل صلاةٍ من الصلوات عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ نعرض عنه، ونشبح بوجهنا عنه، ونشغل بسواه عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ونحن نصلي عليه؟! نعم! من كان في شغله فهو في شغله، ومن انشغل بأمرٍ طارئ، وهو يُصلي على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، قضى شغله وعاد للصلاة على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وإن استطاع أتمَّ شغله، وهو يُصلي على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ولم يوقف لسانه من الصلاة على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ما استطاع إلى ذلك سبيلاً، لكن مرتبة الإحسان وإن تقطعت فيها، كأنك تراه أحياناً، فلا بأس، فهذا مما يطرأ على البشر، ويأخذ منهم المأخذ، وهم لا يشعرون، ولا يستطيعون ردِّ ذلك.

أيها المسلم: إن باعث الإحسان في قلوبنا عند الصلاة على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هو حُبنا له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، هو شدة اشتياقنا إليه... الاشتياق الذي أخبر عنه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «مِنْ أَشَدِّ أُمَّتِي لِي حُبًّا، نَاسٌ يَكُونُونَ بَعْدِي، يَوَدُّ أَحَدُهُمْ لَوْ رَأَى بِأَهْلِي وَمَالِي»<sup>(١)</sup>.

فالذي يتبادر إلى الذهن هو الرؤيا المنامية، وهذه رؤيا حق، لا شك في ذلك ولا ريب، والشيطان ممنوع عليه أن يتشبه بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ولا بأيِّ جزء من أجزائه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كرجله أو يده أو لحيته أو أعضائه الكريمة الشريفة، فإنه ممنوع منعاً مطلقاً على الشيطان - نعوذ بالله منه - من التصور أو التكون أو نحو ذلك، بل لا يستطيع الشيطان أن يأتيك في صورة غير صورة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ويقول لك: أنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فهذا من التكوّن، أي: أنه بعدما منعه الله من أن يحمل شبهه أو صاف النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ويأتي للمؤمن في منامه يذهب إليه ويأتيه بصورة أخرى، ويقول للنائم: أنا رسول الله، فهذه كذلك لا يستطيعها،

(١) أخرجه مسلم (٢٨٣٢).

وإلا ما الفائدة بأن يمنعه الله من هنا والشيطان يفتح على المؤمنين الطرق الأخرى من كل جهة؟ بل الطريق محمية محفوظة من كل جهاتها ما بين رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وبين المؤمنين إلى يوم القيامة.. والله سبحانه تكفل بهذا، وهو أوفق لإكرام الله، وأوفق لرحمة الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى لَأَمَةِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في كل الأزمان وكل أصناف الأمة، فليس كل أصناف الأمة علماء حتى يعرفوا أو صافَ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فيقطعوا بأنه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

وفي الحديث: «مَنْ رَأَى فَقَدْ رَأَى الْحَقَّ؛ فَإِنَّ الشَّيْطَانَ لَا يَتَكَوَّنُنِي»<sup>(١)</sup> «(٢) أي: أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يُطْمئن المؤمنين بأن الشيطان لا يمكن أن يأتي للنائم ويكون مثله ولا يكون غير مثله، لكنه يدعي بأنه هو رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

فإن الشيطان كما لا يستطيع أن يأتي بأعضاء لشخصٍ ما ويضع عليها وجه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فهو لا يستطيع العكس سواء بسواء، كما أنه لا يستطيع أن يمثل صوت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ولا يستطيع أن يمثل الوحي المصاحب للروايات الذي يلهمك به أن هذا هو رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فهو لا يستطيع أن يتحوَّلَ أيَّ تحوُّلٍ نحو رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ولا يتكوَّنَ بأي كينونة ولا بعض كينونة، ويوحي إليك بأنه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، سواء بصوته، أو بهمزه ونفته، أو وحيه، فالطريق في وجهه محكم الإغلاق نحو رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في المنام.

إن أحدنا إذا أحب شيئاً ووافق هواه جداً؛ فإنه هو الذي يحضرك ويستدعيك، ويأخذ عليك مشاعرك وتفكيرك وربما انفعالاتك، هذا وأنت في مكانك لم

(١) لَا يَتَكَوَّنُنِي: أي: لَا يَتَكَوَّنُ كَوْنِي، فَحَدَفَ الْمُضَافَ وَوَصَلَ الْمُضَافَ إِلَيْهِ بِالْفِعْلِ، وَالْمَعْنَى: لَا يَتَكَوَّنُ فِي صُورَتِي، فَالْجَمِيعُ رَاجِعٌ إِلَى مَعْنَى وَاحِدٍ، وَهُوَ: لَا يَشْبَهُ بِي، وَلَا يَتَشَكَّلُ بِشَكْلِي. انظر فتح الباري بتصرف (٣٨٦/١٢).

(٢) أخرجه البخاري (٦٩٩٧).



تتحرك ولم تغادره، وهذه في الحقيقة من أعظم أسباب تحقق الدعاء الصادق ومحنة الله وهو الحنَّان - سبحانه - فيهب لعبده، ويحقق له أمله العظيم هذا.

فكم هَوَيْنَا من قبل متابعة مباريات كرة القدم.. فتجد أحدنا ينظر في المباراة وإن لم يحضرها على المدرجات، وتنتهي المباراة، ولكنه من شدة تعلقه يذهب قلبه مع لقطات المباراة، فينظر لها، وربما لا يكاد حتى تأخذه مَشَاهِدُهَا أخذًا وتستدعيه رغماً عنه، فيراها بقلبه حقيقة، فيكون غائباً عما حوله، وكم يمر عليك صاحبك؛ إذ ذاك ولا تشعر به، ويسلم عليك وأنت ذاهب في تصورك ذاك، ولا تسمعه تمامًا، كما لو أنك مشغول مع أناس حولك، لا والله بل أكثر. وما هذا إلا من تفعيل الشيطان، نعوذ بالله منه، كما أنه من النفس نفسها... فلتتشوق النفس لهذا، ولتأخذ به كل مأخذ، والله لطيف بعباده.

### مقدمة الجولات:

كل حياة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ جولات ورحلات، وما أكثر رحلة البدن عنده! لكنها ما كانت إلا استجابةً لرحلة الروح والقلب؛ إذ القلب يُبصر، واللسان يفصح.. إلا أنني سوف أختصر مضطراً على نقاط قليلة، علَّها تُشْعِلُ وَقُودًا لجولاتٍ تطوف بنا في معية رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في كل حياته، فيا حي يا قيوم برحمتك نستغيث، اللهم امنن علينا بذلك، ومتعنا بهذه الجولات، وانفعنا بها أعظم النفع، اللهم آمين.

### الجولة الأولى: ما قبل ولادته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وحتى الغار العظيم:

ولا خير في إغماض العينين لكل من تفقده الصور التركيز أو الخشوع، كما أن صلاة الليل في الظلام أدعى للخشوع. حاول أن تعيش الصلاة على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من أعماق قلبك.. من أعماق عقلك ولُبِّك..

انتقل بفكرك وقد غُيِّبَتْ عنك كل صور الواقع الذي من حولك... وانتقلت

إلى مرحلة ما قبل ولادة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.. فاللهم صلّ وسلم على سيدنا محمد، وابحث في ذاك العالم كله.. اضرب مشارق الأرض ومغاربها.. توقف كثيرًا في جزيرة العرب.. فاللهم صلّ وسلّم على رسول الله الذي لم يخرج للوجود بعد، انطلق وسوف ترى عالمًا قد امتلأ بالظلم والقهر والجور، والظلم ظلمات، عالمًا تستعبده الآلهة الحجرية والحيوانية والشجرية... عالمًا قد باع عقله إلى الأوهام والخرافات والشياطين، عالمًا قد انحدر من سفح كل فضيلة إلى السفول في كل شيء...ء

### فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ مُحَمَّدٍ

فالبشرية كانت هي الحَجَرُ العظيم الذي هوى من أعلى قمة جبل إلى سفحه، ولا يزال الحجر يجرف في طريقه كل ما واجهه ويحطمه؛ وهو إذ يهوي يرتطم يمينًا وشمالًا، فتتحطم عظامه شيئًا و شيئًا، وتتحطم جمجمة رأسه، وأضلاع صدره وهو لَمَّا يبلغ القاع بعد... فمن سوف يتلقى هذا الحجر ويردّه.

### اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ مُحَمَّدٍ

فكم هي أعداد البشرية آنذاك؟! كم هي الذراري التي تنتظر دورها؟! ثم كم هي بقايا الفضائل التي تنتظر التحول إلى رذائل، لو لم يولد رسول الله؟!!

### فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ مُحَمَّدٍ

فهذه الأرض بكل ما فيها وما عليها من مخلوقات كانت أشبه بكرة يلفها الظلام من كل جهة، تعيش عليها حيوانات في أشكال وأنواع مختلفة.

أرأيت هذا الحديث الذي حدثتك به عن العالم قبل ولادته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟! إنما هو الحديث الذي يدور في ذهنك - الآن - مع صورته وبعض أحداثه، كله يمرُّ على قلبك كشريط تشاهده في داخلك، ولسانك الآن لا يتوقف عن الصلاة

على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ولا ينبغي له أن يتوقف، هنا أطلق لنفسك التجول في ذلك العالم بالصلاة على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ... نعم! كثيرًا كثيرًا، وأنت تعيش في تلك الحقبة من الزمان التي بغير تَصَوُّرِهِ لن تبلغ معرفة ما صنعه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

### فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ

وربما بغيرها لن تبلغ صلاتك على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عن هذه المرحلة منزلة الإحسان.. منزلة المعاشة التي ترجوها معاشة تُلْهَب مشاعرك وغيرتك؛ رجاء تغييرها وتبديلها وتطهيرها... لكن أنى ذلك؟ فإن انحدر الصخرة العظيمة يزداد، كيف وقد أصبحت الصخرة جزءًا ضخماً مرعباً من الجبل؟

فهذا الذي أقوله من تقريب وتصوير إنما هو حقيقة أو كالحقيقة، وهذه الحالة التصويرية الحقيقية في داخلك هي التي تبعث صلاتك على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بعثاً آخر.. بعثاً تصويرياً كأنك تراه.. وليس لهذه المرحلة من الصلاة على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حدًا معينًا، فانطلق فلربما أخذك التفاعل فذهب قلبك مع الصلاة على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ طويلاً طويلاً، ولربما حولت بعدها قصدًا إلى مرحلة ولادته، وهكذا وهكذا، ولكل صلاة على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في ظرفها ومرحلتها طعمها الخاص بها.

### فَاللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، الرَّحْلَةَ إِلَيْهِ عِنْدَ وِلَادَتِهِ:

من كان يدرى أن دعوة إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ عند بنائه الكعبة قد ولد جوابها الآن؟

﴿رَبَّنَا وَابْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩].

### فَاللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ

من كان يدري أن الجاهلية في جزيرة العرب قد حضر أجلها بولادته  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟

﴿وَالضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ﴾ [الضحى: ١-٣].

فَاللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ

من كان يدري أنه الآن أذن الله رب العالمين لسيد ولد آدم بالخروج إلى  
الدنيا من عالم الأرحام؟

فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَزِدْ وَبَارِكْ عَلَيْهِ

من كان يعلم أن الشياطين التي اجتالت ذرية آدم سوف ينحسر دورها، بل  
ويسلم منها بعضها... من كان يعلم أن اليوم قد وُلِدَ الوليد الذي سوف يجتاح  
الشياطين من أعز معاقلها، ويطهر جزيرة العرب منها، ثم ينتشر دين هذا الوليد  
فيها حين يكون من أتباعه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مَنْ هُوَ مِنْ ذُرِّيَةِ الشَّيْطَانِ الرَّجِيمِ لعنة  
الله عليه؟

فَاللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ

الله... الله يا أيها العالم الكبير، ماذا ينتظرك من الخير والرحمة بهذا الوليد  
الذي لم ولن تلد الأمهات مثله أبدًا؟

فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ

وهكذا تكون أيها القارئ في هذا الزمان أنت الوحيد الذي انتقلت إلى  
تلك الفترة التي انتقلت إليها بتصورك الذي يعلم بشأن هذا الوليد، وكأنك بهذا  
الحال، وبهذا التفاعل تكون أنت الوحيد الذي كأنه كُشِفَ له الغيب، فأصبح  
يرقبه في الذروة، واستشارة مشاعره في الذروة، وتتبعه لصباه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في  
الذروة، وقلبه متعلق به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كلما نظر إليه في الذروة، بل أصبح مأخوذًا

لا يقوى على البعد عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ طويلاً، فتعود إليه، وكأنك تسارق أهله النظر، حتى يذهب إلى مراع أهله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وهم لا يشعرون...

هكذا هو حالك، فأنت تعلم عنه ما لا تعلم أمُّه الكريمة، ولا أهله، فأنت لا تزال تُصلي عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وتتمتم بالصلاة عليه والناس لا يعلمون؛ ماذا يقول هذا الغريب وبأي شيء تتحرك شفثاه وهم لا يشعرون ولا يفقهون؟ والله عَزَّوَجَلَّ يعينك ويُغذي قلبك بما يريك سبحانه من الأحداث والمشاهد، ويُعينك بكثرة صلاتك وسلامك عليه.

### فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَيْهِ

فاذهب في الصلاة عليه ولا تبال.

### فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَيْهِ

إنهم ينظرون إليه كوليذ رضيع وكصبي صغير ألقى الله محبته في القلوب وهم لا يعلمون لماذا؟! وأنت ترى ذلك النبي المُبشِّر به صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من قبل الأنبياء أجمعين، بل الذين أخذ الله عليهم عهداً بخصوص هذا الصغير، كما قال سبحانه: ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَآ آتَيْنَاكُمْ مِّنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِءَ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا ءَأَقْرَرْنَا قَالَ فَآشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ ﴿٨١﴾ [آل عمران: ٨١]، فصلُّ عليه ما شئت صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وأنت تنظر إليه ببصيرتك التي صبغت بصرك بنورها... صلُّ عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ما شئت الآن، وقد فتحت عيني قلبك على آخرهما.. تريد الارتواء من صورته الكريمة، ولا تستطيع ولا تبلغه.

### فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَيْهِ

تشاهد فيه ما لا يمكن أن يشاهده فيه أحدٌ سواك آنذاك من مستقبل قادم، بل

عالم قادم، عالم متطهر، هذا والناس آنذاك في عالم أجمع على الشرك والظلم والجهل والجاهلية، فهو عالم أعمى عن رؤية ما أدخره الله في هذا الطفل الصغير وهذا الفتى اليانع اليافع... بينما أنت لوحده لا تملك التوقف عن الصلاة والسلام عليه.

### فَاللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ

هذا والذي يشتد عليك باجتذابك رغماً عنك وأنت أسعد ما تكون، كيف لا وأنت تراه الشمس التي تكاد تشرق من وراء الغيب من خلال وجه هذا الفتى المبارك صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، بل القمر الذي ازدان وتألق بعيداً في السماء بنوره الفريد، والذي يزداد نوره وظهوره وجماله كلما اشتدت ظلمة الليل، إلا أن قلبك قد اشتعل من نور وجهه، الذي يكاد يشرق على العالم كله، بل على العالمين، فغدوت محبباً مأسوراً متواصلاً معه بالصلاة عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، لا تفتر أبداً؛ إذ غدا لا يغيب عن قلبك أبداً.

### فَاللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ

أبناء الناس الصغار يلعبون معه في البادية؛ إذ كان يرضع من حليمة السعدية... صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فأبي رضيع هذا الرضيع الذي ما رأيت عينك رضيعاً مثله؟ وأي فتى هذا الذي عليه من المهابة والرعاية الربانية ما لا يمكن أن يصفه لك أحد كما تعرفه أنت من موقعك هذا، وأنت تنظر إليه الآن، وكأن المهابة غمامة تظللّه؟ تنظر إليه بنظرة ويا لها من نظرة، بينما ينظر إليه الآخرون بنظراتهم إلى الآخرين من أسنانه أو نحوهم... فهنيئاً لك بهذا الإجلال الذي ألقى في نظرتك إليه، كلما نظرت إليه، وهنيئاً لقلبك باستدامة النظر إليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وإن غاب عن عينيك وذهب إلى مرضعته في خيمتها، فاللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد، فإنه حتى وإن غاب، فما توقف لسانك من الصلاة والسلام عليه أبداً، ومن ذا الذي

ينظر إليه مثلك، ثم يملك أن يتوقف من الصلاة والسلام عليه؟! فاللهم صلّ على محمد وآل محمد، فهو وإن غاب، فإن قلبك قد ختم بصورته، بل بشخصه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ... حي عظيم...

### فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا وَإِمَامِنَا رَسُولِ اللَّهِ مُحَمَّدٍ

فليهنك هذا الكشف حتى عن رفاقه الذين عاشوا معه في مرابع طفولته وصباه، فلقد أوتيتَ علمًا عظيمًا.. ولا خير في هذا العلم إن لم يثمر علاقة جديدة لقلبك، ولعيني قلبك، وبصر بصيرتك إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ...

فَمَنْ يُدْرِى الْغُلَمَانَ الَّذِينَ كَانُوا يَلْعَبُونَ مَعَهُ بِأَنَّ ذَلِكَ الَّذِي أَخَذَهُ وَصَرَعَهُ؛ إِذْ هُوَ فِي الرَّابِعَةِ مِنْ عَمْرِهِ، وَهُمْ يَنْظُرُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ فِعْلَ شَيْءٍ أَنَّهُ جَبْرِيلُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، لَكِنَّكَ أَنْتَ الْوَحِيدُ الَّذِي تَدْرِي، فَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ «أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَتَاهُ جَبْرِيلُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ يَلْعَبُ مَعَ الْغُلَمَانِ، فَأَخَذَهُ فَصَرَعَهُ فَشَقَّ عَنْ قَلْبِهِ، فَاسْتَخْرَجَ الْقَلْبَ، فَاسْتَخْرَجَ مِنْهُ عَلَقَةً، فَقَالَ: هَذَا حَظُّ الشَّيْطَانِ مِنْكَ، ثُمَّ غَسَلَهُ فِي طَسْتٍ مِنْ ذَهَبٍ بِمَاءٍ زَمْزَمَ، ثُمَّ لَأَمَهُ<sup>(١)</sup>، ثُمَّ أَعَادَهُ فِي مَكَانِهِ. وَجَاءَ الْغُلَمَانُ يَسْعَوْنَ إِلَى أُمِّهِ - يَعْنِي: ظُئْرَهُ<sup>(٢)</sup> - فَقَالُوا: إِنَّ مُحَمَّدًا قَدْ قُتِلَ، فَاسْتَقْبَلُوهُ، وَهُوَ مُتَّعِقُ اللَّوْنِ<sup>(٣)</sup>. قَالَ أَنَسُ: وَقَدْ كُنْتُ أَرَى أَثَرَ ذَلِكَ الْمَخِيطِ فِي صَدْرِهِ»<sup>(٤)</sup>.

### فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ

فهل يملك لسانك بعدَ هذا أن يتوقف لحظة عن الصلاة والسلام على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟ وأنتى له أن يملك ذلك، والقلب هو من يستحبه ويأمره

(١) ثم لأمه: جمعه وضم بعضه إلى بعض.

(٢) ظئره: هي المرضعة، ويُقال أيضًا لزوج المرضعة: ظئر.

(٣) متتعق اللون؛ أي: متغير اللون.

(٤) رواه مسلم: (١٦١).

ويوقده ويشحنه بعدما امتلأ القلب شحنة وامتلاً نوراً وتلاؤلات في صدارة صدره نور من نور رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

فَاللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ

**الجملة الثانية: إلى غار حراء مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ:**

لم يكن ذهاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إلى غار حراء فسحة، ولا صدفة، ولا ضربة حظ... بل كان أولاً وقبل كل شيء إلهاماً من الله سبحانه لذاك الشاب الذي بلغ أشده واستوى، فسبحان من نادى موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى الوادي المقدس طوى... سبحانه، فهو من نادى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إلى ذروة جبل حراء! أن اصعد إلى هنا.

قف أيها الصاحب! وانظر من أسفل الجبل قبل أن تصعد مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إلى حراء، فاللهم صل على محمد وعلى آل محمد.

انظر إلى الذي اضطره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إلى الصعود، انظر إلى الأصنام التي طوّقت الكعبة، وخنقتها، واعتلتها...! فكيف السلامة من الشرك؟ كيف يتوب هؤلاء من الشرك؟ بل كيف سلامة الأجيال القادمة؟!

من يُصغي لتحطيم الأصنام وتوحيد الله؟ بل من يصغي لنداء رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، والذي لم يترك مجلساً ولا سواه إلا حاورهم وناصحهم لا على أنه نبي، ولكن على أن هذا الشرك احتقار للعقل وللإنسانية وللفطرة.. إنه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يريد إنقاذ الخلق، يريد إنقاذ العقل والإنسانية والفطرة والخلق.. وما أهمته نفسه وحده أبداً.

فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَيْهِ

وقد كان هذا التوجه منه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يكرهه سدنة الآلهة وأهل الجاهلية،

إلا أنهم يحتملونه؛ لأنه ليس نبيًّا أوحى إليه ولا معه كتاب ويطلب نصرة الناس وتغيير عقائدهم إنما هو صوت فرد واحد.. سوف يضيع بين الأصوات.. ويطويه صخب الجاهلية. ثم إنه صوت من بيت سادات من ساداتنا وهم المتولون البيت العتيق وما فيه وما عليه من أصنام، والمتولون الرفادة والزيارة. فأين سيذهب، وهذا مقام أهله في قريش؟!!

فأي همٍّ احتمله النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ نيابة عن كل واحدٍ من أهله وقومه، والناس من حولهم؟! أيُّ إشفاق أشفق على الناس وعلى عقولهم وفطرتهم؟!!

### فَاللَّهِمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَيْهِ

هكذا هو رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حتى قبل أن يبعثه الله ويكلفه، وهكذا هم من يختارهم الله في حمل هموم العباد والحمل عنهم، إلا أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ شيء آخر، وذروة لا تبلغها كلُّ الدُّرى.

وهنا في هذه المرحلة العجيبة الغريبة.. والجاهلية البعيدة الكئيبة، وحياة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وقد كانت حياة عجيبة عصيبة.. كان الله سبحانه هو من يرعاه، وهو من يُوجِّهه، وهو من يحميه، ويوصله... وهذا ما لم يكن يشعر به رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ولا أحدٌ من الناس، ولذا قال الله سبحانه مذكِّراً إياه بحالته العصيبة هذه، وكيف سلِّم منها، ووصل إلى حيث يريد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فقال سبحانه: ﴿أَلَمْ يَجِدْكَ يَتِيمًا فَآوَىٰ ۖ وَوَجَدَكَ ضَالًّا فَهَدَىٰ ۖ وَوَجَدَكَ عَائِلًا فَأَغْنَىٰ﴾ [الضحى: ٦-٨].

### فَاللَّهِمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ

هكذا إذا أراد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أمرًا أمضاه، وفتح له طريقه في القلب أوَّلاً، وحببه لصاحبه حتى أذهله عما سواه وأنساه، ولم يعد يبالي بعواقبه المحسوبة بكل ما سواه..

### فَاللَّهِمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ

لو علم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أن في مباشرة أهل الأرض بالنصح والحوار نفعًا لما فارقهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ولكنه علم أن الركام لا يحتمل، وأن الظلام عمّ وطمّ، ولن يُرفع بالمناصحة ولا بالمحاورة ولا بالقوة... فهام صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ على وجهه ما بين الجبال، وانتهى به الطريق إلى النقطة التي يُريدها الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى؛ إنها غار حراء في ذروة جبل حراء.

فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ...

وما كان له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أن يسلك هذا السبيل إلا بهداية الله له ورعايته سبحانه... وهذه النقطة لا ينبغي أن تغيب عن بالك أبدًا أبدًا... ﴿ثُمَّ جِئْتَنَا عَلَىٰ قَدَرٍ يُمْسِي ﴿٤٠﴾ وَأَصْطَنَعْنَاكَ لِنَفْسِي﴾ [طه: ٤٠-٤١].

فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ

فاصعد يا رسول الله إلى تلك القمة الشاهقة، اصعد إلى تلك الذروة وحيدًا فريدًا هناك، فالوحشة هنا خيرٌ من جمعه مع الشرك وأنس المشركين، والنهار هنا أرجى من أسواق المشركين وصفقاتهم فيها، وعاداتهم ومنتدياتهم، والليل هنا أشرف من نهار قريش وما فيه، سوف أصبر هنا وأصابر، وأربط في موقعي هذا علّ الله يقضي في أمري، علّ ربي يفتح بيني وبين قومي فتحًا، وهو خير الفاتحين، سوف أبقى هنا بلا بشر يؤنسني، ولا أغنام أرهاها وتصحبني، ولا أشجار أرهاها آكل منها وتظلّني..

فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ

فليكن كلُّ ذلك، وليكن ما يكون، فثمة في داخلي أنيس ودود وقريب... وهو هو الذي يحكم كل ما حولي وكل ما في الكون، وهو هو الذي أريده وهو يعرفني حقًا لكنني لا أعرفه.

فَصَلِّ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ مُحَمَّدٍ

هو وحده من يستطيع أن يُغيّر قريشًا ويغيّر ما حَوَّلَهَا، وهو مَنْ يغيّر انحدار الأمم نحو الهوة السحيقة وانهارها... وبهذا أصبح المطلوب واضحًا واحدًا لا شريك له، وبهذا وصل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ولكنه بعد ما اتصل.

**فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ مُحَمَّدٍ**

سأبقى هنا في هذا الغار أنتظر المطلوب المحبوب أو أهلك هنا... في هذه الذرّوة النائبة.

**وَصَلِّىَ اللهُ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللهِ وَسَلِّمًا تَسْلِيمًا كَثِيرًا**

إلى هنا أحمل أزوادي القليلة لأيام وليالٍ طويلة.

**فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَيْهِ**

ومن هنا أطل على الكعبة في الوادي الأجرد، فلا مبانٍ شاهقات تحجبها، ولا مبانٍ شاهقات تمنعني من رؤيتها... وهي الباكية حُزْنَاً لأصنام وُضِعَتْ عَلَى رَأْسِهَا وَأثْقَلَتْ كَاهِلَهَا، وَأَصْنَامٌ أُخْرَى أَحَاطَتْ بِخَنَاقِهَا مِنْ حَوْلِهَا... والعباد قد حَوَّلُواها إلى معبد الشرك الأكبر والأول في الأرض كلها بعدما وضعها أبي: إبراهيم وأبي: إسماعيل عَلَيْهِمَا السَّلَامُ؛ لتوحيد الله وحده لا شريك له... آه، ثم آه ثم آه!

كيف السبيل إلى الخلاص.. وإلى تخليصهم من هذا الشرك العظيم؟!

**فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَيْهِ**

يا أيتها الأجيال المؤمنة: يا أبناء أمتي القادمين أجمعين من هذا الغار أطل على الشروق وأطل على الغروب، وهنا انبنى اليقين بأن مَنْ جِئْتَهُ هُوَ مَنْ دَعَانِي لِأَمْرِ عَظِيمٍ، هُوَ مَنْ جَاءَ بِي إِلَى هَذِهِ الذَّرْوَةِ مِنْ هَذَا الْوَادِي الْمُبَارَكِ؛ إِذْ هُنَا يَكُونُ الْلِقَاءُ، وَحَقُّ هُنَا؛ الْإِبْتِدَاءُ، وَأَنَّهُ هُوَ ﴿رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ فَاتَّخِذْهُ وَكِيلًا﴾ [المزمل: ٩]، وهنا كأنني أراه كل يوم هنا؛ إِذْ هُوَ ﴿رَبُّ الْمَشْرِقَيْنِ وَرَبُّ الْمَغْرِبَيْنِ﴾

[الرحمن: ١٧]، وهكذا كأنني أراه من هذا الغار، وهو ﴿فَلَا أَقِيمُ رَبِّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ إِنَّا لَقَدِرُونَ﴾ [المعارج: ٤٠] لكل البلاد وكل العباد... فما دام الأمر هكذا إذاً فإن الأمر المنتظر عظيم جدُّ عظيم، ولا خيار إلا بانتظاره، فإن كان لي من عودة فبعد شهر أو شهرين أو ثلاثة أعود بعدها لأتزوّد تاركاً الغار، وتاركاً قلبي هنا فيه، ثم أعود من فوري إلى قلبي، بل إلى ربي الذي أريده وأنشده وأناشده، وأنتظره ولا أزال حتى لو مت وأنا أنتظره، فوالله ما أحلاه من انتظار، وما أحلاها من موتة في أرفع رباط.

### فَاللّٰهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا

من هنا وأنا في هذا الغار العجيب الذي لا يسع إلا شخصاً واحداً فقط، وله شق واحد في مواجهتك عند الدخول، ومن هذا الشق ترى الكعبة واضحة، بينما إذا رفعت رأسك رأيت فتحة إلى السماء كاشفة.

نريد أن نتأمل معك يا رسول الله.. نريد أن نحيا بعض ما عايشته هناك حتى كانت هي حياتك، وهي محضتك وهي مصنعك... فأبي غار ذاك الغار يا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟!!

### فَاللّٰهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى رَسُولِكَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ

ألا هل رأيتم هذا الغار العظيم؟ فلماذا هذا الغار صخرة مربوطة بذروة الجبل، وإذا أردت الدخول إليه بعدما تبلغ ذروة الجبل كان لا بد لك أن تخطو خطوة في الهواء ترى فيها من تحتك الأرض البعيدة، وكأن الغار مفصول عن الجبل متعلق بالهواء... بل بالسماء.

أكان هذا الغار باختيار رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من بين جميع الجبال وذراها الكثيرة المحيطة بهذا الوادي العميق؟!!

أليست هذه رسالة قد قرأها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وهو الحاذق الفطن بل هو سيدهم جميعًا... كيف لم يقرأها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ونحن نقرأها في هذا الزمان البعيد... كيف وهو صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ما عاش هنا إلا وتأمل كل شيء وما فاته من شيء، وربط كل شيء بالله رب العالمين..

### يا رسول الله عذراً:

يا رسول الله عذراً فإن بعض قومنا أصبحوا يحملون حجارة يسمونها قلوباً، لكنها أقسى من صخور جبال مكة الصمّاء، فهذا جبل حراء شهدك - وهو والله يحبك - يا رسول الله، ويشتاق لمجيئك كلما غادرته، ويرحب بك كلما أقبلت عليه.. هذا الجبل الذي شهد ولادة بعثتك، وشهد أول كلام الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى لك، وشهد لقاء جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ معك، وشهد ما شهد، ولو استنطق اليوم صخره الأصم لَنطق وبكى وأبكى... لكن من الذي يستنطقه؟ من الذي يحدثه ويستمع إلى حديثه؟ من الذي يُذكره بما يهيجه ويشير أشجانه.. مَنْ؟!

### اللهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك محمد

ولربما يكون قد مرَّ بالنبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إلى الغار في بعض الليالي أو الأيام ما يُخيفه... لكن الانجذاب إلى الغار أمر لا يطيق مقاومته ولا يريد، واللذة بإيجاده بالإشارة إلى أن ما يريده موجود هنا في الغار، ما كان يدعه يفارقه... أي: أن التضحية كانت طابع رحلته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ... وإلا أيمن أن تكون تلك الليالي في الغار من غير مخاوف، وهو القائل صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «لَقَدْ أُخِفْتُ فِي اللَّهِ وَمَا يُخَافُ أَحَدٌ»<sup>(١)</sup>.

### اللهم صلِّ وسلِّم على سيدنا محمد وآله وصحبه...

(١) أخرجه الترمذي (٢٤٧٢)، وأحمد (١٤٠٥٥) واللفظ لهما، وابن ماجه (١٥١) باختلاف يسير، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم، وصححه الألباني.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هذا هو رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، كأني أرقبه الآن، وقد ترك  
زوجته وأهله، ساعياً برجليه إلى غار حراء... فالحياة هناك... والعيش هناك...  
والرباط هناك، وليقض الله في أمري ما يشاء، فإني لن أغادر الغار حتى يأذن لي  
ربي أو يعطيني الله بُغيتي، وهو ربي الأكرم، وهو أرحم الراحمين.

### فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ

ولسوف ينطق هذا الطريق من بيت خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا وحتى ذروة ذاك الجبل  
المبارك يوم تُحدِّث الأرض أخبارها، لكن يجب أن نستنطقه اليوم ليخبرنا عن  
رسولنا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فما عاد عندنا من شاهد نستنطقه سواه، كيف وقد كان  
هذا هو طريق أعظم مبعوث يوم أن كان أعظم باحث عن سبيل مرضاة ربه  
تَبَارَكَ وَتَعَالَى، والله عَزَّ وَجَلَّ يقول: ﴿ إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي الْمَوْتَى وَنَكْتُبُ مَا قَدَّمُوا وَآثَرَهُمْ  
وَكُلَّ شَيْءٍ أَحْصَيْنَاهُ فِي إِمَامٍ مُبِينٍ ﴾ [يس: ١٢]، فامش يا رسول الله ذاهباً وآيياً، غادياً  
ورائحاً.. ولن ينقطع مشيك الدهر كله، إلا أن تدرك غايتك أو تذهب في الداهيين  
حقباً، وأي الرجال يمكن أن يدرك حاجته إذا لم يدركها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟  
وهو الذي تقول عنه حُبُّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ  
سَأَلَ عَنِّي - أَوْ سَرَّهُ أَنْ يَنْظُرَ إِلَيَّ - فَلْيَنْظُرْ إِلَيَّ إِلَى أَشْعَثَ شَاحِبٍ مُشَمَّرٍ، لَمْ يَضَعْ  
لَبَنَةً عَلَى لَبَنَةٍ، وَلَا قَصَبَةً عَلَى قَصَبَةٍ، رُفِعَ لَهُ عِلْمٌ، فَشَمَّرَ إِلَيْهِ، الْيَوْمَ الْمِضْمَارُ  
وَعَدَا السَّبَاقُ، وَالْغَايَةُ الْجَنَّةُ أَوْ النَّارُ»<sup>(١)</sup>، ودونك الأهداف إذا شمَّر لها رسول الله  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

### فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَيْهِ

(١) أخرجه الطبراني في الأوسط (٣٢٤١)، وأبو نعيم في حلية الأولياء (٩/١)، وذكره ابن  
عدي في الكامل في الضعفاء (٤/٢٥٠)، وقال العراقي في تخريج الإحياء (٤/٢٩٤): فيه  
مجالد بن سعيد مختلف فيه، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٠/٢٦١): فيه سليمان بن  
أبي كريمة وهو ضعيف، وضعفه الألباني في الضعيفة (١٠/٤٧٧) رقم (٤٨٧٢).

اصعد يا رسول الله الجبل، فلقد وصلت إلى أول صخراته، وكله صخور مدببة، وملساء ليس فيها درجٌ ولا ممسك، لكن من يقدر على الحيلولة بينك وبين الصعود وقد عزمت على صعود الجبل؟ من يمنعك من الصعود ولو كانت الصخور حراباً؟

اصعد، فلقد جمع الله لك في صعودك هذا المعاني والمباني معاً، جمع لك الحركة الحسية والحركة القلبية معاً... حركة النفس والنفس معاً.

فَصَلِّ عَلَى اللَّهِ عَلَيْكَ وَسَلِّمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ

اصعد برجلك، فإذا بقلبك يتناغم مع بدنك صعوداً ويسبقه.

فَصَلِّ عَلَى اللَّهِ عَلَيْكَ وَسَلِّمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ

اصعد فحرارة النفس في تزايد، وحرارة النفس في صعود من شدة الاشتياق.

فَصَلِّ عَلَى اللَّهِ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا

اصعد إلى الأعلى، فإنك بكل خطوة برجلك تصعد وتعلو معها، فتصعد همتك أضعافاً مضاعفة وتعلو.

اصعد إلى هاتيك الذرى في منتهى الجبل... فلقد بلغت هناك قبل أن تصل الذروة؛ لأنك أنت الذروة.. وأنت ذروة الذرى، والجبل بذراه قد غدا تحت قدميك يا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ...

اللهم صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ

هكذا هو الأمر، فإنه لا يملك من ينظر إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بعيني بصيرته إلا أن يشاركه، يعايشه... تلهج أنفاسه وهو يصعد.. يعيش حرارة اشتياقه إلى ذروة الجبل، وقد جرب هناك الأنس حيث يظن الناس وحشة، ولذة المكث مع الوحدة إذا أحس الناس آلام فراق الزوج والأهل والعشيرة

والأحبة وأمان المخاوف؛ إذ لا يدري الباقي طوال الليالي، وهناك حيوانات جبلية مثل القروذ الكثيرة صغيرة وكبيرة، وقد نبهني بعض الباعة محذرًا إياي متخوفًا على أبنائي الصغار، ويخبرونا بقصص حدثت أمام أعينهم، وقصص تحدث بالليل لثلاثاتهم التي يتركونها في نفس المكان.

فكيف لا يكون خوفنا على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ونحن كأننا معه، إي والله، وهو والله أحب إلينا من أبنائنا هؤلاء، بل شعورنا أننا معه يومذاك هناك، ونحن لا نملك إلا أن يتملكننا الخوف على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؛ إذ هو هناك ليلاً ونهاراً، ولا يهدأ لك رَوْعٌ ويرتفع عنك ما ألمَّ بك إلا حين تذكر أو تُذكر بأن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قد مات في السنة العاشرة للهجرة.

وهذا يجعلك تواصل الصلاة والسلام عليه بنوع آخر وطعم آخر ومشاعر أخرى، ما دمت تواصل المسير معه في حياته حدثاً إثر حدث، وقصة إثر قصة، وربما تملكك القصة الواحدة ساعات طويلة، وأنت مأخوذ القلب واللسان بالصلاة عليه لا تبتغي التوقف، بل لا تستطيع مغادرتها.

### فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَيْهِ

وكل صلاة منها لها روحها الحقيقي، وكل صلاة تقربك من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أكثر فأكثر، وكلما أكثر الصلاة والسلام عليه بهذه الروح، كلما اقتربت منه منزلة في الآخرة، فلقد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «أَكْثَرُوا عَلَيَّ مِنَ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ يَوْمَ الْجُمُعَةِ، فَإِنَّ صَلَاةَ أُمَّتِي تُعْرَضُ عَلَيَّ فِي كُلِّ يَوْمٍ جُمُعَةٍ، فَمَنْ كَانَ أَكْثَرَهُمْ صَلَاةً كَانَ أَقْرَبَهُمْ مِنِّي مَنْزِلَةً»<sup>(١)</sup>.

### فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ

(١) أخرجه البيهقي في السنن الكبرى (٥٩٩٥)، وقال الحافظ في الفتح (١١/١٦٧): لا بأس بسنده. أفاده شعيب الأرناؤوط في تحقيقه لكتاب الإحسان في تقريب صحيح ابن حبان، وقال الألباني في صحيح الترغيب ج ٢ ص ٢٩٧ رقم (١٦٧٣): حسن لغيره.



إن الجزاء من جنس العمل، ولو لا القرب الذي عاشه هذا المحب في الدنيا وهو يُصلي على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لَمَا كان جزاؤه القرب منه في الآخرة، وما الإكثار عليه من الصلاة والسلام إلا مظهرٌ لما توقَّد في القلب من التفكير في الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وفي عظمته وعظمة قربه من ربه، وعظمة كلِّ حدثٍ من أحداث حياته، وعظمة حياته كلها، وأما الإكثار من صلاة النافلة نفسها مع الغفلة، فإنها لا تُساوي لحظة تفكير صادقة واحدة في ركعة واحدة، ولحظة صدق واحدة من التفكير المثمر لتنقل العبد درجات، وأيّ درجات، وكل درجة منها مسافتها كذا وكذا؟ فكيف لا تكون الصلاة على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كذلك؟ وكيف لا تكون الصلاة على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قربة في الآخرة؛ إذ كانت كذلك في الدنيا؟ ثم أيُّ قربٍ في الدنيا مثل القرب إليه وأنت في منزلة الإحسان؟ أي: تصلي عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؛ كأنك تراه.

وهكذا يكون سبب القرب منه في الآخرة، هو القرب منه في الدنيا، فعن ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَكْثَرُهُمْ عَلَيَّ صَلَاةً»<sup>(١)</sup>، فإن الولاية هنا أولى ما تكون بولاية القلب، وهكذا هي في أصلها، وفي حياته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ومن زعم ولاية؛ وقلبه لم يتولَّه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ رَدَّه اللهُ عَزَّجَلَّ إِلَى الْحَقِّ، أو فضحه الله؛ ولهذا كان الحب والفداء وكان التولِّي والولاء، وهكذا، فإن الولاء والحب لا يبلغ مقامه المذكور إلا أن يكون صاحبه عظيم التعظيم لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ويكون كثير الصلاة على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وقد بينا هذا الأمر في بدايات البحث. والله الحمد.

### فَاللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ

(١) أخرجه الترمذي (٤٨٤)، وابن حبان في صحيحه (٩١١)، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢/٢٩٤) رقم (١٦٦٨): حسن لغيره، فالحديث قد حسنه الألباني والحويني.

يا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: أنت سيدنا، وأنت معلمنا، ومعلم الناس كافة، وأنت الرحمة للعالمين... أنت تعلم أن الانتظار المأمول من أصعب الأشياء، وساعته الواحدة بساعات... مَنْ عايش هذا الانتظار مثل معاشتك؟ وَمَنْ انتظر مثل انتظارك؟! وكفاك آنذاك أن الله سبحانه هو الواحد الأحد الذي يعلم بحالك ويعلم بذراك في انفعالك، وتَعْطُشُكَ لِمَا لَا تَعْلَمُ، لكن الذي استقر هو أنه الخير، وأنه أصبح على الأبواب.

هكذا يقرب الله سبحانه عبده أحيانًا، ويبعده أحيانًا أخرى ليقربه بعدها أكثر، وهكذا يربي الله عبده حتى يبلغه، وليمحص الله سبحانه قلب عبده تمحيصًا، وينقيه تنقية، وينخله ويغربله ويؤزكيه، ويملؤه بما يريد وبما يحتمله العبد شيئًا فشيئًا... ومتدرجًا درجة بعد درجة، ومرحلة إثر مرحلة، ﴿إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ [الأنعام: ٨٣]، وهو أرحم الراحمين، وهو سبحانه أرفأ بعبده من أمه وأبيه؛ ولأنه أعلم بما يصلح عبده من نفسه التي بين جنبيه، وهكذا تستمر تربية الله عزَّجَلَّ لعبده تهيئة له حتى يبلغه ما أعده الله عزَّجَلَّ... كلُّ حسب درجة.. تُرى فمتى يبلغ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ نقطة الابتداء؟ متى؟ ألا ما أعلاها من درجة وإلا فإن الله سبحانه قادر أن يهيئ رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مرة واحدة... هكذا كان غار حراء كأنه هو الرحم للجنين لولادة البعثة والمبعوث، وكحجر الأم لمن لم يكن في البيت أب ولا أم... ذاك هو.

فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ...

ألا ما أعظم هذا الغار! بل ما أعظم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ! ألا ما أعظم ربنا تَبَارَكَ وَتَعَالَى! وما أعظم رحمته ورعايته لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ!  
فهل لك هنا إلا أن تُصلي على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، بل والله لكأن العبد هو من يستأذن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؛ أن يتوقف عند هذا الحال في

الغار إجلالاً؛ إذ هو على باب الغار؛ يُطلق للسانه الصلاة على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، مغترفاً من هذا البحر من تعظيم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، والذي تولد في قلبه وانبعث منه صلاةً وسلاماً عليه.

اللهم صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ،  
اللهم صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ،  
اللهم صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ،  
اللهم صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ....

ليل حراء: ها هي الشمس قد غربت، ونصب الليل شِراعه على القمم والآكام، والسهول والوديان... ها هو الظلام يحجب مكة وأهلها، ها هو الظلام يقترب ويزداد حتى بدأ يحجب هذه الجبال القريبة، ها هي الحياة في الغار تأخذ طعمًا آخر... فكيف ستقضي الليل الطويل في هذا الغار في وِحدتك يا رسول الله عليك الصلاة والسلام، وإن تصبرت الليلة، فكيف تتصبر في التي تليها؛ وكيف تتصبر الليالي الكثيرة القادمة؟ أتقضيها قيامًا لليل - وأنت عليك الصلاة والسلام - لم ينزل بَعْدُ عليك قرآن، ولا تعرف من الأذكار بعد ما تعرف، والوحي لم يأتك، وكل ما أتاك بعد البعثة إنما هو من الوحي، واليوم لا بعثة إذاً، فلا وحي؟!!

### فَصَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ يَا رَسُولَ اللَّهِ

وأكثر من الصلاة والسلام هنا على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

لا شيء إذا... لا شيء إلا هذا الظلام المحيط... لا شيء إلا تفكر في هذا الظلام نفسه.. تفكر يخرق أطباق الظلام، لا شيء إلا نور يجعله الله في قلبك يا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يُشرق به القلب، فتشرق المساحات المظلمة من حولك، وتأنس به في ظلمتك...

اللهم صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَيْهِ

تغمض عينيك في ذاك الظلام مرارًا وتكرارًا، كعادة المرء إذا أخذ في التركيز في فكرته، فتزداد الظلمات التي من حولك ظلامًا... لكنه يشرق في داخلك - هنا - نورًا لا يمكن وصفه، فتنجذب إليك الأنوار التي لا تحصيها، هنا تصنع نفسك الجديدة صناعة، هنا يصنع الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى التغيير فيك أولاً قبل أن تنتقل، هنا يقع ما يُسميه ربنا سبحانه انشراح الصدر شيئًا فشيئًا... هنا يكتشف الإنسان روابط عظمى مع ربه تَبَارَكَ وَتَعَالَى... هنا في وسط هذا الظلام تتولد الآمال العظمى لتحقق الروابط والمعرفة العظمى بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، هنا يلهج القلب على الدوام يطلب المزيد كلما جاءه المزيد، هنا لا توقف من المزيد، ولا انقطاع عنه أبدًا.

هنا يقطع العبد ما يقطع من مسافات؛ للإعداد للأمر المنتظر في داخله أولاً وقبل كل شيء، بينما رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يقطع ما لا يحصيه إلا الذي يريه. هنا يأتي عبدٌ يمشي وآخر يُهرول ويأتي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بصدق وتقرب واقتراب لا يعلمه إلا ربه..

### فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ مُحَمَّدٍ

فسبحان مَنْ رباك يا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هذه التربية الخاصة العظيمة في هذا الغار، والتي لن نفهمها حتى نفهم ما أنزل الله بعدها.. فسبحان مَنْ أنزل عليك أول ما أنزل مُعَرِّفًا نفسه إليك تَبَارَكَ وَتَعَالَى؛ إذ قال لك: ﴿أَقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ﴾ [العلق: ١]، فهو ربك - تبارك الله رب العالمين -.. ﴿أَقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ﴾ [العلق: ٣] تأكد منها ثانية وثالثة إلى الأبد... إنه ربك أنت هنا، إنه يُربيك هنا.. كل التربية هنا، كل الإعداد للقادم هنا.. هنا المزيد، ثم المزيد، وبعده المزيد، ولا انقطاع أبدًا؛ لأنه الأكرم... ووجودك في هذا الغار لمن أعظم صور الإكرام بالتربية والإعداد لما بعدها، فأنت هنا كريم على الله، وتُكْرَم من الله، وتعدُّ لكرامة لم يكرم بها سواك، حتى وإن كانت الصورة شديدة، والمسافة عن البيت بعيدة، والوحدة فريدة. فاللهم صلِّ وسلِّم عليه.

أرأيت كيف ربي الله رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ شيئاً فشيئاً... مرحلة مرحلة، درجة درجة... حتى بلغه سبحانه بينما وهو صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يودُّ الاستعجال؛ إنقاذاً للناس ورحمة بالناس، وطمعاً فيما يظن أنه ينتظره عند الله، ألم تقل عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «أَوَّلُ مَا بُدِيَ بِهِ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْوَحْيِ الرَّؤْيَا الصَّالِحَةَ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ فَلَقِ الصُّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ، وَكَانَ يَخْلُو بَغَارِ حِرَاءٍ، فَيَتَحَنَّنُ فِيهِ وَهُوَ التَّعَبُّدُ اللَّيَالِي ذَوَاتِ الْعَدَدِ قَبْلَ أَنْ يَنْزِعَ إِلَى أَهْلِهِ، وَيَتَزَوَّدُ لِذَلِكَ، ثُمَّ يَرْجِعُ إِلَى خَدِيجَةَ، فَيَتَزَوَّدُ لِمِثْلِهَا، حَتَّى جَاءَهُ الْحَقُّ، وَهُوَ فِي غَارِ حِرَاءٍ، فَجَاءَهُ الْمَلَكُ، فَقَالَ: اقْرَأْ، قَالَ: «مَا أَنَا بِقَارِيٍّ». قَالَ: «فَأَخَذَنِي، فَغَطَّنِي حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدُ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي فَقَالَ: اقْرَأْ، قُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِيٍّ، فَأَخَذَنِي فَغَطَّنِي الثَّانِيَةَ حَتَّى بَلَغَ مِنِّي الْجَهْدُ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: اقْرَأْ، فَقُلْتُ: مَا أَنَا بِقَارِيٍّ، فَأَخَذَنِي، فَغَطَّنِي الثَّلَاثَةَ، ثُمَّ أَرْسَلَنِي، فَقَالَ: ﴿اقْرَأْ بِأَسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ ﴿١﴾ خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَقٍ ﴿٢﴾ اقْرَأْ وَرَبُّكَ الْأَكْرَمُ ﴿٣﴾﴾ [العلق: ١-٣] فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَرْجِفُ فُوَادُهُ، فَدَخَلَ عَلَى خَدِيجَةَ بِنْتِ حُوَيْلِدٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، فَقَالَ: «زَمِّلُونِي زَمِّلُونِي»، فَزَمَّلُوهُ، حَتَّى ذَهَبَ عَنْهُ الرَّوْعُ، فَقَالَ لِحَدِيجَةَ وَأَخْبَرَهَا الْخَبَرَ: «لَقَدْ خَشِيتُ عَلَى نَفْسِي»، فَقَالَتْ خَدِيجَةُ: كَلَّا وَاللَّهِ مَا يُخْرِيكَ اللهُ أَبَدًا، إِنَّكَ لَتَصِلُ الرَّحِمَ، وَتَحْمِلُ الْكَلَّ، وَتَكْسِبُ الْمَعْدُومَ، وَتَقْرِي الضَّيْفَ، وَتُعِينُ عَلَى نَوَائِبِ الْحَقِّ. فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى آتَتْ بِهِ وَرَقَةَ بْنَ نَوْفَلِ بْنِ أَسَدِ بْنِ عَبْدِ الْعُزَّى، ابْنَ عَمِّ خَدِيجَةَ، وَكَانَ امْرَأً تَنْصَرَفِي الْجَاهِلِيَّةِ، وَكَانَ يَكْتُبُ الْكِتَابَ الْعِبْرَانِيَّ، فَيَكْتُبُ مِنَ الْإِنْجِيلِ بِالْعِبْرَانِيَّةِ مَا شَاءَ اللهُ أَنْ يَكْتُبَ، وَكَانَ شَيْخًا كَبِيرًا قَدْ عَمِيَ، فَقَالَتْ لَهُ خَدِيجَةُ: يَا بَنَ عَمِّ، اسْمَعْ مِنْ ابْنِ أَخِيكَ. فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: يَا بَنَ أَخِي مَاذَا تَرَى؟ فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ خَبَرَ مَا رَأَى، فَقَالَ لَهُ وَرَقَةُ: هَذَا النَّامُوسُ الَّذِي نَزَلَ اللهُ عَلَى مُوسَى، يَا لَيْتَنِي فِيهَا جَدَعًا، لَيْتَنِي أَكُونُ حَيًّا؛ إِذْ يُخْرِجُكَ قَوْمُكَ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «أَوْمُخْرِجِي هُمْ؟!» قَالَ: نَعَمْ. لَمْ يَأْتِ رَجُلٌ قَطُّ بِمِثْلِ

مَا جِئْتَ بِهِ إِلَّا عُودِي، وَإِنْ يُدْرِكُنِي يَوْمَكَ أَنْصُرَكَ نَصْرًا مُؤَزَّرًا. ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةً أَنْ تُؤْفَى، وَفَتَرَ الْوَحْيَ»<sup>(١)</sup>. نعم! تغيب مكة وما حولها يا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في هذه الليلة، ولا يرى من حوله في غاره إلا الصخور القاتمة السوداء، وهذا جزء من إعدادة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فإن هذا سيدفعه دفعًا أن يتبع بصره النور، ولا مصدر لنوره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هذا الذي ينتظره إلا من رب السماوات ورب الأرض وما بينهما وما تحت الثرى، هذا هو مصدر نورك، فبأي شيء يطمع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من الأرض وأهل الأرض، فلا مرجعية له في الأرض كلها؟! ولن ينظر صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ طامعًا طامحًا متطلعًا إلى مستوى الأرض ولا مستوى الجبال التي قد أصبح رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هو فوق ذراها الآن، فأنتى لقلبه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أن يتعلق إلا في أعلى العُلا؟! فإذا عرف هذا فمن هناك الخير كله...

وهنا، والحال هذا لن يبقى أمام رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ طريق إلا التدبر في ملكوت السماوات والأرض؛ ليلبغ به حيث ما يريد هو سبحانه من ذرى اليقين، ثم يمنحه ما يشاء من الذرى، بل وفوق ما يريد، كما قال سبحانه عن أبيه خليل الرحمن إبراهيم الخليل عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَكَذَلِكَ نُرَى إِبْرَاهِيمَ مَلَكُوتَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلِيَكُونَ مِنَ الْمُوقِنِينَ﴾ [الأنعام: ٧٥].

### فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ

ومن هناك.. من ذرى حراء يشهد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كيف يُقلب الله الليل والنهار شهادة بعينيه، وهي في كل يوم تحفز في نفسه فكرة وإشراقاً ورسوخاً، وما من يوم مثل يوم، ولا فكرة مطابقة لفكرة؟!

### فَصَلِّ اللَّهُمَّ وَسَلِّمْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ مُحَمَّدٍ

وكما يشهد الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كيف يُقلب الله الليل والنهار، فإنه الآن يشهد كيف يولج الله النهار في الليل، كما شهد بالأمس وما قبله، كيف أنه سبحانه يولج الليل في النهار... إنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يقف على البرزخ الزماني اللطيف لكل يوم من الأيام ولكل ليلة من الليالي... وحي خفي من الله إليه يهديه للحق ويبين الحكمة وكأنه ينبعث مما حوله وما فوقه وما تحته... فلا مجال للعرض اليوم، ولا للغفلة، ولا للسدور؛ إنها معرفة الدقائق والحقائق لمعرفة الحق، فتبارك الله رب العالمين.

وهل يظن الظان؛ أن وقفة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تشبهها وقفة؟ وهل من أحد من الناس يملك أن يتوقف هذا التوقف ويتدبر تدبر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟ وهل رعاية الله لأبيّ مُعَانٍ من قَبْلِهِ سبحانه كرعايته لرسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وإمداده إياه بأفكار الفتوح وفتوح الأفكار وأنوار الأسرار وأسرار الأنوار كإمداده لرسوله وحببيه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟

اللهم صَلِّ وَسَلِّمْ وَزِدْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا وَنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ  
اللهم صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ  
وَآلِ مُحَمَّدٍ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ

سبحان الله وبحمده.. عدد خلقه.. ورضا نفسه.. وزنه عرشه، ومداد كلماته.

سبحان الله وبحمده.. عدد خلقه.. ورضا نفسه.. وزنة عرشه، ومداد كلماته.

**الطلوع من الغار:** هناك يشهد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كل شيء واضحا...

يشهده وهو بالنسبة لأهل الأرض الأعلى، وإنه كذلك.. هنا يُريه الله كل شيء؛

إذ هو في الأعلى... ليس بزائرٍ ولكن مستقرٌ لا يعلم هو صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مدة

استقراره، لكن ربه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وحده يعلم كم سيبقى هنا: ﴿اللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَحْمِلُ

كُلُّ أُنْثَىٰ وَمَا تَغِيضُ الْأَرْحَامُ وَمَا تَزِدَادُ وَكُلُّ شَيْءٍ عِنْدَهُ بِمِقْدَارٍ ﴿٨﴾ عَلِيمٌ  
الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ الْكَبِيرِ الْمُتَعَالِ ﴿٩﴾ سَوَاءٌ مِنْكُمْ مَنْ أَسَرَ الْقَوْلَ وَمَنْ جَهَرَ بِهِ، وَمَنْ  
هُوَ مُسْتَخْفٍ بِاللَّيْلِ وَسَارِبٌ بِالنَّهَارِ ﴿١٠﴾ لَهُ، مُعَقَّبَتٌ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَمِنْ خَلْفِهِ، يَحْفَظُونَهُ،  
مِنْ أَمْرِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ وَإِذَا أَرَادَ اللَّهُ بِقَوْمٍ سُوءًا فَلَا  
مَرَدَّ لَهُ، وَمَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَالٍ ﴿﴾ [الرعد: ٨-١١].

### فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ

من هنا يُريه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى حركات وتحركات كونية لم نرها نحن، بل رأينا  
آثارها.. هنا يُريه الله سبحانه الفجر الصادق والفجر الكاذب، ويُريه إياه - فيما  
يبدو لنا - من الأعلى، فكيف سيراه؟ وكيف سيطلع عليه وهو قد عاش ليلته  
ويتنظر الفجر علَّ الفجر هو الفجر المنتظر كما اعتقد؟ فإن من عادة الناس أن  
ينتظروا الخبر السعيد صباحًا، ويُربطون الانفراج بالفجر، والانفجار كما يعرفه  
العرب من انفجار الماء وانفجار النور، وانفجار العلوم، وما إلى ذلك بالفجر ﴿وَأَيُّ لَيْلٍ  
إِذَا عَسَسَ ﴿١٧﴾ وَالصُّبْحِ إِذَا نَفَسَ ﴿﴾ [التكوير: ١٧، ١٨].

وهل جلس رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هنا إلا انتظارًا للفرج؟ إنه يُريد شيئًا  
من ربه سبحانه ليعود به إلى قومه، وهو لا يدري ما هذا الشيء، ولا يعرف  
تحديدًا عن ربه إلا ما سمعه من كلمات هنا وهناك، فالتقط ما فيها من حقٍّ  
وذهب الباقي.

ولهذا كان لذهاب الظلام ذهاب الغمَّة، وكان لمجيء الفجر بعد الظلام انفراج  
عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، بل انفراج على الأمة... التي لم تكن وقتها شيئًا مذكورًا.

إنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يشاهد اليوم الضباب، وهو المسحة البيضاء الندية..  
ولمسة الندى الحانية الطرية الذي موَّعه في جزيرة العرب في العادة الطلوع،

أي: من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس.. ثم يرى الشمس كيف تمسحه عن جبين الوجود...

وهو حينما يطلع على هذا المظهر وأمثاله، إنما يراه من زاوية لم يرها من قبل، والحقيقة إنما يُريه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى تفاصيل التصاريف الإلهية، والنعم الربّانية، وإحكام الأقدار، وعظمة الفلك، ومهابة القدرة، ودقة التدبير، فما من شيء إلا وله عند رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الآن ارتباط محكم بربه تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فهو الخلاق العليم ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ الْخَلْقُ الْعَلِيمُ﴾ [الحجر: ٨٦]، ﴿أَفَمَنْ يَخْلُقُ كَمَنْ لَا يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ١٧]، وقال سبحانه: ﴿وَإِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ أُولَئِكَ يَرْجُونَ رِضْوَانَهُ وَلَهُ يَرْجِعُ الْأَنْفُسُ وَأَمْوَالُهَا فَأُولَئِكَ يَفْضَلُونَ﴾ [الأنعام: ٥٩]، إنه تلقى الحكمة، ولقد قال عمر بن عبد العزيز: «إذا رأيتم الرجل يطيل الصمت، ويهرب من الناس، فاقربوا منه، فإنه يُلقَى الحكمة»<sup>(١)</sup>، أما الصمت هنا، فهو شيء آخر في هذا الغار؛ إذ الصمت يعم الوجود من حوله ولا حديث هنا إلا ما يسميه الناس حديث النفس في الصدر، وهو في الحقيقة حديث وحي الله إليه كيف يشاء الله، عمّا يشاء الله من أشياء من فوقه، ومن تحته، وعن يمينه، وعن شماله، وعمّا في داخله، وعن أبواب غيوب لم يطرقتها في حياته مرة، وإلا لِمَ ساقه بلطفه وفضله سبحانه إلى هنا...؟ فعقله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مستنفر، عن آخره، وكل شيء يطلع له ويراه يهديه إلى مآله ومرجعه.. كل شيء يهديه إلى الله... إذ يتبين أن كل شيء من عند الله.

لا تقل: هذه أمور صغيرة وتلك كبيرة.. لا تقل: هذه غلالة صغيرة من ضباب ساقتها نسمة ريح لا تكاد تُحس ولا تُرى، وتلك ظاهرة كبرى هي الشمس التي لا توقف، ولا يملك أحدٌ إيقافها عن مجراها ﴿وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٤٠]...

(١) التبصرة لابن الجوزي (٢/٢٨٩).

هو صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هنا يرى الحشرات الصغيرة، ويرى النسر الذي يسكن الذُّرى وهو ملك الفضاء.

فقد تجذر في اليقين، وطاف بمنازل الإحسان والمحسينين، وأصبح يرى رؤيا العيان إحكام العظمة الإلهية في التدبير، فالصغيرة كالكبيرة سواء بسواء، لا شيء عَرَض، ولا شيء فجأة، ولا شيء صدفة، ولا شيء فرط، ولا شيء منفلت هنا، وهكذا سوف تراه بعد ذلك في كل شيء.. وهكذا أنزل الله عليه من سورة البقرة بعد ذلك قوله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةٌ فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَا أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ إِلَّا الْفٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ [البقرة: ٢٦]، وأنزل عليه سبحانه: ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعٰلَمِينَ نَذِيرًا ﴿١﴾ الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ فَقَدَرَهُ مَقْدِيرًا ﴿٢﴾ وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ ءَالِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ لِأَنفُسِهِمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيٰوةً وَلَا نُشُورًا ﴿٣﴾ وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ هٰذَا إِلَّا إِفْكٌ افْتَرَاهُ وَأَعَانَهُ عَلَيْهِ قَوْمٌ ءَاخِرُونَ فَقَدْ جَاءَ ظُلْمًا وَزُورًا ﴿٤﴾ وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اٰكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمَلَّى عَلَيْهِ بُعْرَةٌ وَأَصِيلًا ﴿٥﴾ قُلْ أَنزَلَهُ الَّذِي يَعْلَمُ السِّرَّ فِي السَّمٰوٰتِ وَالْأَرْضِ إِنَّهُ كَانَ غَفُورًا رَحِيمًا ﴿٦﴾ [الفرقان: ١-٦].

فَاللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ...

يا رسول الله! لقد جعلك ربك تَبَارَكَ وَتَعَالَى في موقع تدرك فيه حركة الزمان حين تدرك المحرك الأعظم الذي جعله الله سبحانه لليالي والأيام، ألا إنه حركة الشمس التي تشهد قرصها وهو يبرز من الأسفل، كما لم تشهد من قبل.. ولا يزال يطَّلَع على الوجود شيئًا فشيئًا؛ لِيُتْرِكَ مع هذه الآية الكبرى من هذا الموقع



ليبني في نفسك ما يريد الله سبحانه، وترى هذه الآية التي تصعد وتصعد، ولا خافص لعودها، وإذا انخفضت، فلا رافع لانخفاضها... لتكون لك آية وتكون لك حجة: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ حَاجَّ إِبرَهيمَ فِي رَبِّهٖ أَنْ ءَاتَهُ اللهُ الْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبرهيمُ رَبِّيَ الَّذِي يُحْيِي وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا أُحْيِي وَأُمِيتُ قَالَ إِبرهيمُ فَإِنَّ اللهَ يَأْتِي بِالسَّمْسِ مِنَ الْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ الْمَغْرِبِ فَبُهِتَ الَّذِي كَفَرَ وَاللَّهُ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ﴾ [البقرة: ٢٥٨].

أيا أعظم متدبر متفكر، ويا أحسن مُدَكِّر: لا لم يفتك أبداً أن هذه الشمس العظيمة التي هي أعظم ما تراها العيون في السماء، ما هي إلا نقطة صغيرة في عالم لا ترى ولا تعرف له نهاية... ولولا أن ذاك الوجود الأعظم الذي لا نراه محكماً في غاية الإحكام لما كان هذا الوجود الذي نراه محكماً في غاية الإحكام...

وما الشمس إلا نقطة الالتقاء ما بين هذا العالم وذاك... بل إن كل نقطة في هذا العالم الظاهر لنا هي نقطة التقاء بين العالمين مهما صغرت ومهما كبرت.. ولو كان ثمَّ اختلال في أصغر نقطة لاختلَّ كلُّ شيء وانفرط الإحكام... وصدق الله الذي أنزل عليك القرآن وقال في أول سورة الرحمن: ﴿السَّمْسُ وَالْقَمَرُ بِحُسْبَانٍ وَالنَّجْمُ وَالشَّجَرُ يَسْجُدَانِ ﴿٦﴾ وَالسَّمَاءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ الْمِيزَانَ ﴿٧﴾﴾ [الرحمن: ٥-٧].

وهنا تأتي البدئية العقلية تقول في عقل أعظم عاقل وهو رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: تُرى لو كان لهذا الوجود الكبير الواسع الذي لا ترى له نهاية، ولا لمخلوقاته عدٌّ ولا حدٌّ... أكثر من صانع أما وقع اختلاف، واضطراب، وتصادم.... بين ما نراه وما لا نراه، بين بعضه البعض... أيمن أن يبقى طوال هذا العمر الذي لا نعرف له بداية ولا ندرى متى النهاية بإحكام وتدبير، فلا اصدامات، ولا تدمير، ولا انفراط، ولا زوال؟

حقاً، إنها العقيدة العقلية القطعية التي توصل إليها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ



حتمًا، وهي التي يقول الله فيها: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَا رَتْقًا فَفَنَقْنَهُمَا وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ كُلَّ شَيْءٍ حَيٍّ أَفَلَا يُؤْمِنُونَ ﴿٣٠﴾ وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِي أَنْ تَمِيدَ بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا فِجَاجًا سُبُلًا لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ ﴿٣١﴾ وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا مَحْفُوظًا وَهُمْ عَنْ آيَاتِهَا مُعْرِضُونَ ﴿٣٢﴾ وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخَلْدَ أَفَإِنْ مِتَّ فَهُمْ الْخَالِدُونَ ﴿٣٤﴾ كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ وَنَبْلُوكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾

[الأنبياء: ٣٠-٣٥].

وهكذا تترسخ عند رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وحدانية الله.. ترسخها في الوجود كله... فأى بناءٍ بينك ربُّك يا رسول الله!؟

### فَاللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ مُحَمَّدٍ وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا

هكذا تمر المظاهر وتتجدد الأحداث... وكان الله عَزَّجَلَّ جعل لكل شيء رسالته ووحية لعبده ورسوله محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.. وكان كل شيء في الوجود اليوم إنما يريد أن يوصل رسالته لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

دقق النظر، وعمق الفكر، والتفكر في الشمس وفي حركتها خاصة يا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فإنك سوف تعلم يوماً من الأيام قريباً عرفت يا رسول الله عليك صلاة الله وسلامه، أن لكل مسافة تتحركها الشمس حكماً في دينك القادم، وأنت الآن لا تدري، فإنه وبمجرد طلوعها سوف تعلن انتهاء وقت صلاة الصبح، وإذا ما طلعت لا تحل الصلاة لأمتك حتى ترتفع قيد ربح أو رمحين، وإذا ما استوت في كبد السماء وزالت قليلاً دخل وقت صلاة الظهر، وهكذا وهكذا، راقبها جيداً في هذا الموقع؛ إذ أنت الآن متفرغ لهذا؛ لتكون هذه العلاقة معها لا تحتاج إلى مراجعتها بعد ذلك... بل راقب ظلها وراقبها بعد الغروب، فإن صلاة العصر سوف تُفرض عليك من خلال النظر في حركة



ظُلَّهَا، فإذا كان ظل كل شيء مثليه؛ وجبت عليك وعلى أمتك صلاة العصر، وإذا ما غربت غروبًا كاملاً لقرصها؛ وجبت عليك صلاة المغرب، وإذا ذهب ولحقها شفقها الأحمر وغاب؛ وجبت عليك صلاة العشاء... إذا فهذه الآية تُحدثني كذلك عن أمة لي تبلغ مشارق الأرض ومغاربها... أمة لا تغيب عنها الشمس... أمة لها شرع من ربك هو أعظم من الشمس، ومما طلعت عليه الشمس؛ لأن شرعها إنما هو شرع الله الذي شرعه لها، والشمس خلق الله، وشرعها هو الشرع الذي يصلح لكل من تطلع عليه الشمس وتغرب، وشرعها لا يزول، وإن طلعت الشمس من مغربها.

فأيُّ أمة عظيمة سوف تُشرق شمسُها إذا أشرقت شمسك أنت؟ وبغير شمسك، فلا شمس، ولا عبرة بهذه الشمس العظيمة، فإن هذه الشمس العظيمة ما تزال تُشرق وتَغيب منذ زمان سحيق ولا تغيير ولا تبديل.

اللهم صلِّ على محمدٍ وعلى آل محمدٍ، اللهم صلِّ على محمدٍ  
وعلى آل محمدٍ... اللهم صلِّ على محمدٍ وعلى آل محمدٍ...

آه ثم آه... فقد طلع النهار! وعند طلوع الشمس تنكشف الحقيقة التي فرَّ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ منها إلى هنا يومذاك طالبًا للعلاج في هذا الغار...

حيث تُظهِر في ظهور النهار قريشًا ومساكنها حول الكعبة، وتُظهِر المسجد الحرام وفي وسط صحنه الكعبة المشرفة ومن فوقها الأصنام، ومن حولها الأصنام صغيرة وكبيرة، ويظهر الطائفون حول البيت العتيق واحدًا هنا وآخر هناك، وتُظهِر من بعيد مجالس لقريش، فمجالسهم حول البيت العتيق.. فمتى يتغير هؤلاء إذا كان هو ارتباطهم الوثيق كل يوم، وكانت الكعبة بهذه المحورية لهم، وكان هذا هو أعظم إرث لآبائهم تركوه لهم، فهو ليس معتقدًا فقط، إنما هو موروث يحمل عزته وشرفه وثقل أمانته، كما يعتقدون من آبائهم الأولين،

وشياطين الإنس والجن على هذا متناصرون... أفيتركون هذا الأمر لِكائن من كان؟ أفيُسلمون هذه الراية لسواهم دون أن يُستأصلوا؟ أيهبون الكعبة لمن يريد لها تنظيفاً من الأصنام؟

هكذا تتجدد الهموم والغموم والعناء على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وتذهب الآمال التي أشرقت على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حين غابت الكعبة في ظلام الليل عن عين رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

بل هكذا كان يربي الله رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كل يوم وكل ليلة... فالنهار يظهر الرجال الذين يبلغهم بصر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؛ لأنهم كانوا ذوي أبصارٍ حديدٍ لما يعيشونه في الصحراء والفضاء ونظافة الأجواء والسماء.. وكل واحدٍ من هؤلاء الرجال يحمل في نفس رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من الشرك والعنجهية والذود عن الباطل والظلم وما إلى ذلك، مما يسند هذه المعتقدات الباطلة عن الأصنام التي حول الكعبة، بل كانت لكل قبيلة آلهتها... فيا ويح من يريد التغيير ماذا سيواجه؟ وماذا سوف يغير؟ ومن سيواجهه...؟

فيا رسول الله! إلى أين الملتجأ...؟ إلى أين المنتهى...؟ إلى من تذهب...؟ وهكذا يعيد النهار رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إلى واقعه الذي ينتظره، وهكذا هو ينظر إلى ما اختزنه في الليل من شحنة إيمانية في داخله حين تصطدم بهذا الواقع الأصم الأعمى الأبكم الأهوج.. وهكذا هو يلتجئ إلى ربه - الذي هداه لهذا الطريق وأوصله إلى هذا المكان - التجاء من يرى الهدف أمام عينيه ولا يبلغه، من يرى عدوه وما يعبد رأي العين، فيواجهه مواجهة أثنى الوحش، وهي ترى من يريد اختطاف صغيرها من بين يديها!

فالتجاء الليل له دوره، والتجاء النهار له دوره، وكل التجاء جناح يطير بالرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إلى ربه أسرع وأسرع، وما الليل والنهار إلا جناحان



يطير بهما النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ويعرج، ولا تدري كيف يكمل رب العالمين رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؛ إذ هو في وحدته في هذا العالم، وعن هذا العالم؟ ولا تدري كيف ينهل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من آية الليل وآية النهار؟! وكيف ينهل؟ وكم ينهل؟ فهي تمده بجداول وأنهار لا عدَّ ولا حصر لأشكالها وأنواعها وأعدادها، كلها تفرغ أحسن ما فيها في بحر قلبه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

لكن كما يقلب الله الليل والنهار، فتخصب الأرض وتتطهر بالشمس... ويقلب الله الليل والنهار، فتكون السحب في أوانها وتنزل الأمطار ويغيث الله الخلق من بعد ما قنطوا وينشر رحمته... ويقلب الله سبحانه الليل والنهار، فتطيب الأجواء، وتخضر المراعي، ويبثُّ الله فيها الحياة في صورة حشرات وأنعام وأزهار وأطيّار... ويقلب الله الليل والنهار ويشدّد البرد ويشدّد الحرّ لتنضج الثمار... هكذا هي سنة الله سبحانه.

إنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بهذه الأجواء الإيمانية يوقن سيد الموقنين صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أنه لا يأس أبداً، وأن أمر الله ماضٍ أبداً، وأن الله سبحانه لن يرجع أبداً، ولا يعجزه شيء أبداً، وأنه سبحانه بالغ أمره أبداً، فأكثرُ غذاء روحه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في ليله حين تغيب كل الصور الحجرية والبشرية عن ناظره، وأكثرُ غذائه العقلي حين تطلع الشمس عن الكعبة وما حولها من المخلوقات وما حلَّ بها.

وهكذا يعرض النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تلقائياً زاد الليل في سوق النهار الجديد، كما يعرض زاد النهار في سوق الليل الجديد، وهكذا يستمر هذا الأمر ما طلعت الشمس وما غربت، وهكذا يمحص الله نفس نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وعقله كل ليلة وكل نهار؛ تمحيصاً لا نظير له، تمحيصاً هو سبحانه يعلمه، أليس الله: ﴿بَلِّغْ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا﴾ [الطلاق: ٣]... وما من ليلة تشبه ليلة، وما من نهار يُشبه نهاراً في آثارهما وثمارهما وعروجهما بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ... فالله هو

الذي يعلم كيف يُرِيَّه ويَعُدُّه إعدادًا ويصنعه صنعًا، وهو القائل لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَأَصْطَنَعْتَ لِنَفْسِي﴾ [طه: ٤٠]، وهو القائل لرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَلِصْنَعِ عَلَيَّ عَيْنِي﴾ [طه: ٣٩].

وهو أعلم سبحانه بما يَخْصُ به رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ويعُدُّه؛ ليكون رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَأَسْرُوا قَوْلَكُمْ أَوِ اجْهَرُوا بِهِ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ﴾ (١٣) أَلَا يَعْلَمُ مَنْ خَلَقَ وَهُوَ اللَّطِيفُ الْخَبِيرُ﴾ [الملك: ١٣-١٤].

## فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ

**مدرسة الغار العظمى:** لن يكون مكثك في الغار يا رسول الله ساعة ولا ساعتين، ولا ليلة ولا ليلتين... إنما هي مدة مفتوحة لا يعلم منتهائها إلا الذي أخرجك من بيتك بالحق، وأنت لا تدري، والناس لا يعلمون.

نعم! هنا في هذا الغار الضيق... الصغير.. الصخري سيكون مجلسك، وفيه سيكون مضجعك.. وفيه ستكون وحدتك.. وفيه ستكون حركتك.. وفيه سيقبلك ربك كيف يشاء.

هنا سوف تشرق عليك الشمس وتغرب، ويضمك الليل وتعيش سكونه وسكوته وطوارقه، ثم يسلخه النهار، وهكذا ﴿وَعَايَةٌ لَهُمُ اللَّيْلُ نَسْلَخُ مِنْهُ النَّهَارَ فَإِذَا هُمْ مُظْلِمُونَ﴾ (٣٧) وَالشَّمْسُ تَجْرِي لِمُسْتَقَرٍّ لَهَا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ (٣٨) وَالْقَمَرَ قَدَرْنَاهُ مَنَازِلَ حَتَّىٰ عَادَ كَالْعُرْجُونِ الْقَدِيمِ (٣٩) لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي لَهَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ وَلَا اللَّيْلُ سَابِقُ النَّهَارِ وَكُلٌّ فِي فَلَكٍ يَسْبَحُونَ﴾ [يس: ٣٧-٤٠]، هكذا يمر الليل على الخلق جميعًا، فكيف يمر على مَنْ أدخله الله عَزَّجَلَّ مدخلًا مباركًا لا نظير لبركته.. خاصًا لا نظير لخصوصيته... قريبًا لا نظير لقربه!؟

هنا الليل والنهار يستويان من حيث أن لا بشر ولا حياة ولا حركة إنسان ولا دابة تدب على الأرض.

هنا لا شيء قريب، اللهم إلا هذا الصخر الكاتم القاتم الأصم، فماذا يمكن أن تستلهم يا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من الصخر إلا طبع الصخر وصِبْغَةَ الصخر؟! لا والله، فبأمر الله يكون الصخر شيئاً آخر، ويكون للصخر درس آخر، وتكون مدرسة حِراء الصخرية مدرسة الخير العظيمة للبشرية، حيث إن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْرَاجُكَ مِنْ بَيْنِ أَصْخَرِ النَّاسِ قُلُوبًا؛ تنزيهاً لك عنهم، وإكراماً لك هنا مع هذا الصخر، منزهاً الصخر عنهم وعن قلوبهم القاسية وأخلاقهم الخبيثة الجافية: ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسَوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشْقُقُ فَيُخْرِجُ مِنْهُ الْمَاءَ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَفِيلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [البقرة: ٧٤].

ابق هنا يا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، في هذه المدرسة، وانظر لنفسك بعد ذلك.. وكيف سيهيئك ربك سبحانه لتلقي كلام الله العظيم؟ وكيف ستنتقل بالرسالة من هذا الغار إلى العالم كله؟ نعم! إلى العالم كله، ولكن النقلة لن تكون بغير المكث في هذا الغار.

من هذا الصخر سوف يُعلمك ربك سبحانه أحسن العلم، ويربيك أحسن التربية، وأحسن الخلق، ويهيئك أحسن التهيئة لَوَحْيِهِ، نعم من هذا الصخر يُعلمك ربك... ومن بين هذا الصخر سوف يخرجك للعالمين قريباً.

فَفِي كُلِّ شَيْءٍ لَهٗ آيَةٌ  
تَدُلُّ عَلَىٰ أَنَّهُ الْوَاحِدُ  
فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَىٰ عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ مُحَمَّدٍ

هنا كل شيء ينطق بالعلم والحكمة، لكن لا يسمعها ولا يراها ولا يتعلم منها إلا من شاء الله له أن يتعلم...

فالعبرة ليست بالجماد ولا بالحيوان ولا بالنبات ولا بالإنسان ولا

بالسماوات ولا بالأرض... إنما العبرة بالمعلم الذي يُعلم.. الله الذي يُنطق ما يشاء بما يشاء كيف يشاء، ويسمعه ويريه ويفقهه من يشاء من خلقه تَبَارَكَ وَتَعَالَى. وسبحان الله، فإن من عَوَّد عقله على أن يستخرج العلم من الصخر ويفجر الحكمة من الحجر، ويستنطق الحجر علمًا، فينطلق بالعلم، له عقل لن يقف أمامه صعب أبدًا، ولن تُعجزه معضلة أبدًا، نعم! فلقد كان أصحاب الكهف أهل دعوة وثبات وغيرة على وحدانية الله، وفداء في سبيل الله، إلا أنهم ما أوا إلى الكهف حتى ناموا، وكان نومهم آية، وكان حماية، أما رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فكان مستيقظًا مستنفرًا، متعبدًا، متحيرًا، مهمومًا... فالتجأ إلى ربه.. ليس عنده كتاب ولا هو يتبع رسولًا.. إنما هو الهائم الذي يطلب النور الذي يشرق له، والجبل الذي يوصله.

حقًا من هذا المكان الصخري تعلم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ اللطف والرفق، ومنحه الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى ما رجاه أصحاب الكهف ودعوا به ربهم عند أول دخولهم إلى كهفهم أو قبيل ذلك، فذكر سبحانه عنهم، فقال: ﴿وَإِذِ اعْتَرَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوْأُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيَهَيِّئْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مَرْفَقًا﴾ [الكهف: ١٦].

وكان هذا أول درس عملوا به بعد استيقاظهم بعد ﴿فَابْعَثُوا أَحَدَكُمْ بِوَرِقِكُمْ هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا فَلْيَأْتِكُمْ بِرِزْقٍ مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١٩].

وما أحسن التلطف إذا مسح الله به كل أخلاق الإنسان، ما أحسن الرفق إذا رافق كل خلق من الأخلاق، فهو الخير كله، كما أخبرنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فقال: «مَنْ يُحْرَمِ الرَّفْقَ، يُحْرَمِ الْخَيْرَ كُلَّهُ»<sup>(١)</sup>، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ

(١) رواه أبو داود (٤٨٠٩)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح، وصححه الألباني.

يُحِبُّ الرَّفْقَ فِي الْأَمْرِ كُلِّهِ»<sup>(١)</sup>، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ اللَّهَ رَفِيقٌ يُحِبُّ الرَّفْقَ، وَيُعْطِي عَلَى الرَّفْقِ مَا لَا يُعْطِي عَلَى الْعُنْفِ، وَمَا لَا يُعْطِي عَلَى مَا سِوَاهُ»<sup>(٢)</sup>، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ الرَّفْقَ لَا يَكُونُ فِي شَيْءٍ إِلَّا زَانَهُ، وَلَا يُنَزَعُ مِنْ شَيْءٍ إِلَّا شَانَهُ»<sup>(٣)</sup>.

وهل من أحدٍ قط يحتاج إلى الرفق أكثر من حاجة الداعي إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى؟ وربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يقول: ﴿خُذِ الْعَفْوَ وَأْمُرْ بِالْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ الْجَاهِلِينَ﴾ [الأعراف: ١٩٩]، ويقول سبحانه: ﴿فِيمَا رَحِمَهُ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظًّا غَلِيظًا لَاقْتَضُوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَوَكِّلِينَ﴾ [آل عمران: ١٥٩].

### فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَيْهِ

هنا لم يصنع الله عَزَّوَجَلَّ من الصخر رفقا، ومن الصلاة رقة، بل صنع منه خلقا... وأيُّ خلقٍ مثل خلقه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فلا والله ليس الرفق وحده، بل الخلق الحسن كله.. فلقد وَضَعَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى له أُسُسَهُ وقواعده الأصلية في هذا الغار المبارك.. ذلك أن التدبر والتأمل والتفكير والاعتبار في الليل وفي النهار إنما كان هو شغله الشاغل.. هو وسيلته الموصلة، وهو طريقه وطريقته... وأيُّ طريق كان لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هناك إِلَّا التفكير في ملكوت السماوات والأرض وما بينهما، وفي أيام الله التي يعرفها هو صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وفي الأحداث الماضية والواقعية، وفي هؤلاء القوم وما في هذا العالم...

وكان التركيز على العقل، فالعقل هو أكبر العاملين إذا ما توقفت كل الأعضاء

(١) رواه البخاري (٦٩٢٧).

(٢) رواه مسلم (٢٥٩٣).

(٣) رواه مسلم (٢٥٩٤).

الأخرى عن العمل، وهكذا يقوى كل جهاز بقدر ما يُدرِّبه الإنسان، وبقدر ما يركز عليه تركيزًا صحيحًا، فكيف والأمر في ذلك إنما هو الله، ومن الله، وبرعاية الله، وبهداية الله، وفي ملكوت الله، وفي أيام الله، انتظار فرج الله انتظار خير الله.

لكن هذا الأمر كله ما كان ساعة في يوم، ولا ساعتين، ولا هو يوم ولا يومين، إنما كان هو الميدان المفتوح له فيه، فأسرج خيول عقلك وارحل في هذا الوجود طوال الليل والنهار...

إذًا، فإن أعظم الأمور التي تأسست هنا في هذا الغار؛ هو التدبر والتفكير والصبر في هذا الشأن، حتى وإن بعدت النتيجة، بل حتى وإن لم أعرف أنني سوف أدرك نتيجة أو لا أدرك... فهو إذًا حسن النظر في مآلات الأشياء، وعدم أسر المظاهر للفكر، أو التوقف عند الأحداث والشخصيات واستعبادها لعقلك وحبسها له وعدم قدرتها على فكِّ أساره.

وهذا البعد في النظر هو الذي ربَّاه الله عليه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى حِسًّا وَمَعْنَى، فما من شيء قريب يشدُّ النظر، ويخطف البصر والبصيرة، إن النظر في الفضاء.. في السماوات، حتى في الليل ونجومه وممره، وأبعاده اللامتناهية، وغيوبه المترهلة، وفي النهار النظر في فجره، في شمسهِ.. وإذا نظر في الأرض، فإنما هو أمام تلك النقطة البعيدة والتي لأجلها خرج، وهي الكعبة وتطهيرها وقومها وهدايتهم...

إذًا فما من شيء قريب يكاد يلفت نظره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وهذا ما انعكس على خلقه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؛ وما من خلقٍ صالحٍ إلا وأساسه وجود قاعدة النظر في المآلات عند الإنسان، ومعرفة عواقب الأشياء، واتخاذ الموقف الخُلُقِيِّ المناسب ليس المستعجل ولا ردة الفعل غير المحسوبة، كما هو شأن أهل الجاهلية وغضبتهم الفورية وحروبهم العنجهية، وإنما هو الموقف الصحيح بناءً على مآلاته، سواءً كانت النتيجة فورية قريبة أو بعيدة فالأمر سِيَّان.

فإن البعد عن أهل الأخلاق الجاهلية ذوي النظرة القصيرة لهو جزء أساس في البناء الرباني، وهو يمثل قطع سبب المرض وعَيْنِهِ، وتجفيف الورم وقيئه، قال الله سبحانه معتذراً عن بلقيس وما أصابها من الشرك رغم رجاحة عقلها وعدلها ﴿وَصَدَّهَا مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنَّهَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ﴾ [النمل: ٤٣].

### فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى رَسُولِكَ مُحَمَّدٍ

هكذا أسس الله سبحانه كل ما أراد قيامه عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ووضع له سبحانه أصل الخير وأصل كل خير، وأساسه، ودربه على ذلك حتى بنيت قواعده كاملة على أحسن وجه، حتى إذا ما جاء كلام الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى نزل على موقعه الصحيح من بين جميع المواقع الأخرى في النفوس البشرية التي خلقها الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى من ذرية آدم، من آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى قيام الساعة.

وحين نزل القرآن طابق موقعه الأوحد في الأرض كلها.

وكل ذلك من عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى قبل أن يبعثه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وبعد ما بعثه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، ولم تبدئ تربية الله لرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بعد نزول القرآن، فما كان هذا الغار إلا المحضن الأخير، والمباشر لمرحلة الوحي، وما هو إلا المرحلة الأكثر تركيزاً، وهي حصاد كل ثمار نتائج تجاربه السابقة للغار من رعي للأغنام وتجارة، ورحلات وما إلى ذلك، بل وسماعاته وما إلى ذلك حتى لحظة: ﴿أَقْرَأُ﴾.

فهذا هو رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في غاره المبارك، بل هذه هي عناية الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وتربيته له هناك... ألم نقرأ أول كلمة قالها الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى له؛ إذ أتى به إلى الموقع الذي يشاء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أن يكون نزول كلام الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى عليه أولاً في هذا الغار؟ نزل القرآن الكريم على ذلك القلب الذي قد أعدّه الله إعداداً كاملاً لنزول القرآن الكريم، ولعل هذه من الحكمة في أن الله سبحانه عبّر بقوله: ﴿عَلَى قَلْبِكَ﴾ بدل [في قلبك] عند ذكره نزول جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ بالقرآن على

النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فقال سبحانه: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَيَّ قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: ٩٧].

بقدر ما تكون المهمة كبيرة، وبقدر ما يكون الأعداء أكثر وأشدَّ شراسة، وبقدر ما يكون أصحاب الحق قليلين وضعافاً بالنسبة للعدو... بقدر ما يحتاج الداعي إلى الله لصبر واحتساب، ولكن أيكون صبر في القرار من غير النظر في مآلات الأمور وعواقبها.. وتربية الأتباع على طول الصبر وطول النفس.... وسعة الأفق؟ هكذا كان لطول المكث في الغار من تربية على تحمُّل الوحدة والوحشة والغربة والمنأى عن الأهل والموطن... الذي سيخرجه من فوقه!

وهكذا علّمه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى؛ إذ الأبعاد الحسية في النظر والأبعاد المعنوية في العقل والبصيرة، تُعطيك نصرًا على العدو؛ إذ ينقطع صبرُ الناس وينفد، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يقول: «وَأَعْلَمُ... أَنَّ النَّصْرَ مَعَ الصَّبْرِ»<sup>(١)</sup>، وهذا لن يكون إلا بعد النظر، وتقديم القرار بناءً على مآلات الأمور؛ ولهذا كان أول ما قال الله سبحانه بعد ما بعثه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا الْمَدْيَنُ (١) قُرْ فَأَنْذِرْ (٢) وَرَبِّكَ فَكَيْفَ (٣) وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ (٤) وَالرِّجْزَ فَاهْجُرْ (٥) وَلَا تَمَنَّ أَنْ تَمُوتَ وَتَكُونُ مِنَ الْكَافِرِينَ (٦) وَلِرَبِّكَ فَاصْبِرْ﴾ [المدثر: ١-٧].

فَاللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ وَسَلِّمًا كَثِيرًا

نعم! إن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى قال له: ﴿وَأَصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِاللَّهِ﴾ [النحل: ١٢٧]. حقًا وصدقًا، ولكن أليس الذي ربّاه على الصبر في حياته، وفي غاره إنما هو الله رب العالمين؟ أليس الذي هيأه للصبر على ما هو قادم عليه هو الله سبحانه؟ أليس الذي أنشأ له قاعدة الصبر في نفسه هو الله سبحانه؟

فإن ما صنعه الله هنا - في الغار - برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وفي خُلُقِهِ وفي معتقده، وكيف أنه هيأه لكل ما سيأتي، إنما كان أمرًا عظيمًا، وبعيد المنال عن

(١) أخرجه أحمد (٢٨٠٣)، وصححه الأرناؤوط.

الأفهام القاصرة، بل والأفهام التقليدية والعادية؛ إنه حقًا يحتاج إلى تأملات، وتأملات لا تنتهي.

### فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ

نعم! إن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى هو مَنْ هداه وعلمه وزكاه.. وجعل خلقه القرآن، ولكن الله سبحانه أَعَدَّهُ قبل نزول القرآن إعدادًا عظيمًا، وَهَيَّأَهُ تَهْيِئَةً كاملة، حتى إذا نزل القرآن كانت المساحة التي سينزل عليها القرآن، والقاعدة التي سيبني عليها القرآن بنيانه العظيم - جاهزة، وقد قلت: لعله لهذا قال الله سُبْحَانَكَ وَتَعَالَى: ﴿قُلْ مَنْ كَانَ عَدُوًّا لِجِبْرِيلَ فَإِنَّهُ نَزَّلَهُ عَلَى قَلْبِكَ بِإِذْنِ اللَّهِ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ وَهُدًى وَبُشْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [البقرة: 97].

### فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ

فالله سبحانه حين يقول لرسوله وحببيه محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨] ليس هذا بعد الرسالة، وإنما قبلها، كما هو بعدها... إذا فهو يستحق الصلاة عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، بل تلزمنا الصلاة عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قبل البعثة وبعدها، نُصَلِّي عليه إذا ذكرناه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قبل أن يُبعث، كما نُصَلِّي عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بعد ما بعث... فإنه في حالاته وكل حياته في عين ربه تَبَارَكَ وَتَعَالَى ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ في المقام الذي ليس مثله مقام، وهو المقام الذي ما قاله الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى لسواه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

فإذا كانت حياة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قبل بعثته كلها إعداد لبعثته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فإن خلاصة كل ما مرَّ بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وغربلته وزُبدته وثمرته إنما كانت حياته في الغار؛ لأنها مرحلة الوَحْدَةِ والخَلْوَةِ عن كل أحد، فهي مرحلة المراجعة لكلِّ ما مضى، ومرحلة الاستشراف لِمَا هو آتٍ، والأهم أنها المرحلة المباشرة لمرحلة الوحي... المرحلة المخضرمة التي واصلت ما بين مرحلة ما قبل البعثة

وما بعدها، وإن شئت سميتها مرحلة البرزخ بين المراحل، فأني مرحلة عظيمة هذه؟!

## فَاللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ

وما الغريب في أن ربه سبحانه يُعِدُّه إعدادًا؟ وما الغريب في أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى يُؤدِّب حبيبه ليصنع منه أعظم مؤدب ومربٍّ وقائد وقدوة؟ وقد روي أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ أَذْبَنِي وَأَحْسَنَ أَدْبِي»<sup>(١)</sup>، وإن كان أغلب العلماء على تضعيف سنده، إلا أن معناه - كما قال العلماء - صحيح.

ما الغريب أن يُعده الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى قبل البعثة للبعثة، وقد ذكر الله سبحانه لموسى عَلَيْهِ السَّلَامُ تفاصيل رعايته له قبل البعثة وإعداده إعدادًا كاملاً شاملاً حتى ناداه من الوادي المقدس، اقرأ سورة طه من قوله: ﴿وَلَقَدْ مَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى﴾<sup>(٣٧)</sup> إِذْ أَوْحَيْنَا إِلَىٰ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰ ﴿٣٨﴾ أَنْ أَقْدِفِيهِ فِي التَّابُوتِ فَاقْدِفِيهِ فِي الْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوٌّ لَهُ، وَالْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِي ﴿٣٩﴾ إِذْ تَمْشِي أُخْتُكَ فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَىٰ مَن يَكْفُلُهُ، فَرَجَعْنَاكَ إِلَىٰ أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا وَلَا تَحْزَنَ وَقَلَلْتَ نَفْسًا فَجَجْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا فَلَبِثْتَ سِنِينَ فِي أَهْلِ مَدْيَنَ ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَا مُوسَىٰ ﴿٤٠﴾ وَأَصْطَنَعْتُكَ لِنَفْسِي ﴿٤١﴾ طه: ٣٧-٤١]، هنا نعرف أن كل ما سبق هذه الآية كان هو الاصطناع نفسه، ويوضحها أكثر ما بعدها وهو أمره بعدها مباشرة بالانطلاق إلى دعوة فرعون وإبلاغه الرسالة، فقال بعدها مباشرة: ﴿أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ بِآيَاتِي وَلَا نَبِيًّا فِي ذِكْرِي﴾<sup>(٤٢)</sup> أَذْهَبَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَىٰ ﴿٤٣﴾ فَقَوْلَا لَهُ، قَوْلًا لِّنَا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴿٤٤﴾ قَالَ رَبَّنَا إِنَّا نَخَافُ أَنْ يُفْرِطَ عَلَيْنَا أَوْ أَنْ يَطْغَىٰ ﴿٤٥﴾ قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا أَسْمَعُ وَأَرَىٰ ﴿٤٦﴾ فَأَنبَأَهُ فَقَوْلًا إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَا نُعَذِّبُهُمْ قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكَ وَالسَّلَامُ عَلَيَّ مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَىٰ ﴿٤٧﴾ إِنَّا قَدْ أُوْحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ

(١) أدب الإملاء والاستملاء للسمعاني ص (١).

الْعَذَابَ عَلَىٰ مَنْ كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ﴿٤٨﴾ قَالَ فَمَنْ زُبَكُمَا يَمْوَسِي ﴿٤٩﴾ قَالَ رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ، ثُمَّ هَدَىٰ ﴿٥٠﴾ قَالَ فَمَا بَالُ الْقُرُونِ الْأُولَىٰ ﴿٥١﴾ قَالَ عَلَّمَهَا عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ لَا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَىٰ ﴿٥٢﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ مَهْدًا وَسَلَكَ لَكُمْ فِيهَا سُبُلًا وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴿٥٣﴾ كُلُوا وَارْعَوْا أَنْعَامَكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّأُولِي الْأَلْبَابِ ﴿٥٤﴾ [طه: ٤٢-٥٤].

### فَصَلِّ عَلَى اللَّهِ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَلِّم تَسْلِيمًا كَثِيرًا

أَيُّ غَيْرَةٍ فَاضَتْ بِكَ حَتَّى خَرَجْتَ مِنْ بَيْنِ قَوْمِكَ لِأَجْلِ قَوْمِكَ؛ خَوْفًا عَلَيْهِمْ وَإِشْفَاقًا أَنْ يَعِيشُوا كَالْأَنْعَامِ، بَلْ هُمْ أَضَلُّ، فَخَرَجْتَ إِلَى نَقْطَةِ فِي الْأَرْضِ وَأَقْرَبَ مَوْقِعٍ مِنَ السَّمَاءِ عَلَى رَبِّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَرَبِّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ أَنْ يَمْنَحَكَ طَرِيقًا تَنْقُذُ بِهِ قَوْمَكَ...

خَرَجْتَ عَلَى غَيْرِ مِيعَادٍ، خَرَجْتَ وَأَنْتَ لَا تَدْرِي مَا التَّيْجَةُ...، وَليكن ما يكون ولأذهب إلى المجهول بل إلى الموت، فإما أن أعودَ بشعلة النور لقومي، وإما أن أهلكَ دونهم.

وَأنا والله لا أقوى على أن أقول عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: أَنْ أَمُوتَ! فَأَنَا وَاللهُ مَنْ يَمُوتُ فِدَاءً لَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَأنا والله أَحَبُّ أَنْ تَذْهَبَ نَفْسِي بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

وَهَلْ وَجَدَ الْبَاحِثُونَ غَيْرَةَ كَمِثْلِ هَذِهِ الْغَيْرَةِ، وَمَرْوَةَ كَهَذِهِ الْمَرْوَةِ... فَهَذِهِ هِيَ قَاعِدَةُ الْغَيْرَةِ وَالْمَرْوَةُ وَالنَّخْوَةُ الَّتِي أَدَّبَ اللهُ بِهَا رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَبْلَ الْبَعْثَةِ.

### فَاللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ

فلقد كان غار حراء، والذي هو في أعلى الجبل أنسب موقع لتكوين قاعدة

شخصية النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الخُلُقِيَّة، فإنك كلما تتأمل يُظهر الله لك من حكمته وعلمه تَبَارَكَ وَتَعَالَى العجب العجاب من تقدير الله؛ أن يكون هذا هو الموقع الأخير قبل انطلاق الرسالة، بل هذا هو الموقع الأول لتلقي الرسالة...

فهنا عَرَفَ اللهُ سبحانه نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أن الناس سواسية كما يراهم هو من أعلى قمة الجبل، فلا فروق لمظاهرهم ولا لأحجامهم ولا لأزيائهم ولا لمواقعهم الاجتماعية، ولا لعشائهم ولا لأصولهم، كما يراهم من هذا الموقع، وكما قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «يَا أَيُّهَا النَّاسُ، أَلَا إِنَّ رَبُّكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا إِنَّ رَبُّكُمْ وَاحِدٌ، أَلَا لَا فَضْلَ لِعَجْمِيَّ عَلَى عَرَبِيٍّ، وَلَا لِأَسْوَدَ عَلَى أَحْمَرَ، وَلَا لِأَحْمَرَ عَلَى أَسْوَدَ إِلَّا بِالتَّقْوَى، إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ»<sup>(١)</sup>، وبهذا تكونت عنده مقادير الناس كما يراهم بعينه... وليس بعد رؤيا العيان من يقين، وليس بعدها من رسوخ في التقييم.. فاللهم صل وسلم وبارك على سيدنا ونبينا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

وَمِنْ هُنَا - مِنْ غَارِ حِرَاءَ - تَأْكُدُ تَرْسِيخَ كِرَاهِيَةِ الْكِبْرِ فَضْلًا عَنِ التَّكْبَرِ، فَهَمَّ مَا يَرْفَعُ الْإِنْسَانَ مِنْ نَفْسِهِ، فَإِنَّهُ لَنْ يَبْلُغَ شَيْئًا بِجَوَارِ الْجَبَلِ، وَهَذَا مَا أَنْزَلَهُ اللَّهُ بَعْدَ ذَلِكَ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ سبحانه: ﴿وَلَا تَمَسَّ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا إِنَّكَ لَنْ تَخَرِقَ الْأَرْضَ وَلَنْ تَبْلُغَ الْجِبَالَ طُولًا﴾<sup>(٢٧)</sup> كُلُّ ذَلِكَ كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهًا<sup>(٢٨)</sup> ذَلِكَ مِمَّا أَوْحَىٰ إِلَيْكَ رَبُّكَ مِنَ الْحِكْمَةِ وَلَا تَجْعَلْ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتُلْقَىٰ فِي جَهَنَّمَ مَلُومًا مَدْحُورًا ﴿[الإسراء: ٣٧-٣٩]، وكان مما قاله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بعد ذلك: «لَا يَدْخُلُ الْجَنَّةَ مَنْ كَانَ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ مِنْ كِبَرٍ»<sup>(٢)</sup>، إِذَا لَيْسَ الْخُلُقُ الَّذِي

(١) أخرجه أبو نعيم في «حلية الأولياء» (٣/ ١٠٠)، والبيهقي في «شعب الإيمان» (٥١٣٧)، وأحمد في المسند (٢٣٤٨٩) مطوّلًا دون عبارة: «إن أكرمكم عند الله أتقاكم»، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح، وصححه الألباني في غاية المرام رقم (٣١٣).  
(٢) رواه مسلم (٩١).

تتكون قاعدته عند رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فكرة حسنة، فحسب، بل هو الخُلُقُ الراسخ رسوخ هذا الجبل الشاهق السامق الشامخ شموخ الموقع الذي شمخ؛ لأن فيه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ. وهكذا بقية الأخلاق والمبادئ، وبهذا يأخذ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أعظم ما في خلق الله عزَّوَجَلَّ... فيكون هنا شيئاً آخر.. ولهذا ما كان له أن يخرج من هذا الغار إلا بالقرآن العظيم.

وإذا لم يأخذ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ خُلُقَ الثبات على المبدأ والرسوخ فيه من موقعه في الجبل، فمن أين يأخذه؟! وأيُّ كائن على الأرض يمكن أن يستلهم منه هذا الخُلُقُ مثل الجبل، بل الجبال هي الرواسي التي تثبت الأرض كلها، وهي الأوتاد، كما قال سبحانه: ﴿وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوْسًا أَنْ تَمِيدَ بِكُمْ وَانْحَرًا وَسُبُلًا لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ﴾ [النحل: ١٥]، وقال: ﴿وَالْجِبَالُ أَوْتَادًا﴾ [النبا: ٧]، وهكذا جاء رب العالمين يحدث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بعد بعثته عن أمور الدين والدنيا والآخرة، مُذَكِّرًا سبحانه بشهادة ما حوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وحول الناس من أحداث بشكل صريح وواضح؛ كقوله سبحانه: ﴿عَمَّ يَسَاءَلُونَ﴾ ١ ﴿عَنِ النَّبِيِّ الْعَظِيمِ﴾ ٢ ﴿الَّذِي هُمْ فِيهِ مُخْتَلِفُونَ﴾ ٣ ﴿كَلَّا سَيَعْمُونَ﴾ ٤ ﴿ثُمَّ كَلَّا سَيَعْمُونَ﴾ ٥ ﴿أَلَمْ نَجْعَلِ الْأَرْضَ مِهْدًا﴾ ٦ ﴿وَالْجِبَالُ أَوْتَادًا﴾ ٧ ﴿وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا﴾ ٨ ﴿وَجَعَلْنَا نَوْمَكُمْ سُبَاتًا﴾ ٩ ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ لِبَاسًا﴾ ١٠ ﴿وَجَعَلْنَا اللَّيْلَ مِعْصِرَاتٍ مَعَاشًا﴾ ١١ ﴿وَبَيْنَنَا فَوْقَكُمْ سَبْعًا شَدَادًا﴾ ١٢ ﴿وَجَعَلْنَا سِرَاجًا وَهَاجًا﴾ ١٣ ﴿وَأَنْزَلْنَا مِنَ الْمُعْصِرَاتِ مَاءً ثَجَّاجًا﴾ ١٤ ﴿لِنُخْرِجَ بِهِ حَبًّا وَنَبَاتًا﴾ ١٥ ﴿وَجَعَلْنَا أَلْفَاظًا﴾ ١٦ ﴿إِنَّ يَوْمَ الْفَصْلِ كَانَ مِيقَاتًا﴾ ١٧ ﴿يَوْمَ يُفْعَلُ فِي الصُّورِ فَنَأْتُونَ أَفْوَاجًا﴾ ١٨ ﴿وَفُيْحَتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ أَبْوَابًا﴾ ١٩ ﴿وَسُيِّرَتِ الْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا﴾ ٢٠ ﴿إِنَّ جَهَنَّمَ كَانَتْ مِرْصَادًا﴾ [النبا: ١-٢١].

نعم؛ فلسوف تمر عليك يا رسول الله الرياح كما تراها، وأنت الآن على الجبل، وتمر عليك الغيوم والغموم كما تراها، يمر عليك الحرُّ والبرد، تمر عليك الظلمة والنور.... فاذا كان هذا الجبل.

ومن كان جبلاً ثَبَّتَ اللهُ به الأرضَ وَمَنْ عَلَيْهَا، ومن كان جبلاً أوى الناسِ إليه عند الطوفان والمخاطر... وأنت ورب الكعبة يا رسول الله أعظم من الجبل في كل عظمة.

### فَصَلِّ عَلَى اللَّهِ عَلَيْكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا

يا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ! وَأَيُّ خُلُقٍ أَحَبُّ إِلَيْكَ مِنْ خُلُقٍ دَعَوْتَ اللَّهُ بِهِ بَعْدَ بَعَثْتَهُ كَثِيرًا، وهو حب المساكين، بل أَنْ تَكُونَ أَنْتَ وَاحِدًا مِنَ الْمَسَاكِينِ، فَعَلِمْتَنَا أَنْ نَدْعُوَ اللَّهَ تَبَارَكَ وَتَعَالَى كَمَا كُنْتَ تَدْعُو رَبَّكَ، فَتَقُولُ: «اللَّهُمَّ أَحْيِنِي مَسْكِينًا، وَأَمْتِنِي مَسْكِينًا، وَأَحْشُرْنِي فِي زُمْرَةِ الْمَسَاكِينِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»<sup>(١)</sup> اللَّهُمَّ آمِينَ.

فَأَيُّ مَسْكَنَةٍ مِثْلَ مَسْكَنَتِكَ أَنْتَ؟ أَنْتَ الَّذِي عَشْتِ يَتِيمَ الْأَبْوِينِ، وَالْآنَ تَعُودُ مِنْ غَارِكَ إِلَى حَيْثُ لَا أَبْوِينَ وَلَا أَحَدَهُمَا، وَالْآنَ تَعُودُ إِلَى بَيْتِكَ وَلَا مَالَ لَكَ، إِنَّمَا الْمَعِيلُ لَكَ هُوَ عَمُّكَ وَمَا بَدَلْتُ لَكَ زَوْجَتَكَ خَدِيجَةَ بِنْتَ خُوَيْلِدٍ، صَلَّى اللَّهُ عَلَيْكَ وَسَلَّمْ يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَعَلَى خَدِيجَةَ رِضْوَانَ اللَّهِ عَلَيْهَا، وَالْآنَ أَنْتَ تَعْلَمُ - بَغَيْرِ ارْتِيَابٍ - أَنَّكَ إِنْ عَدْتَ بِالِدَعْوَةِ إِلَى تَرْكِ عِبَادَةِ الْأَصْنَامِ، فَلَسَوْفَ يَكُونُ مِنْ يُوَاجِهْكَ بِالْحَرْبِ وَالْإِسْتِكْبَارِ هُمُ الْكِبْرَاءُ مِنْ قَوْمِكَ، وَإِنْ أَيْدِكَ مَنْ أَيْدِكَ فَسَوْفَ يَكُونُ أَوْلَهُمْ وَأَكْثَرَهُمُ الْمَسَاكِينِ.

فَالْغُرْبَةُ وَالْوَحْشَةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَالْيَتِيمُ وَالْفَقْرُ كُلُّهُمْ اجْتَمَعُوا عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَكُلُّهُمْ حُضُورٌ مَعَهُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ فِي هَذَا الْغَارِ لَا يَفَارِقُونَهُ... فَأَيُّ خُلُقٍ عَظِيمٍ سَيَتَرَسَخُ عِنْدَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؛ مِنْ حُبِّ الْمَسَاكِينِ، وَإِيْوَاءِ الْغَرِيبِ وَابْنِ السَّبِيلِ، وَإِيْنَابِ الْمَسْتُوحِشِ، وَالْإِنْفَاقِ عَلَى الْفَقِيرِ، وَالتَّكْفُلِ بِالْيَتِيمِ.

وكل هذا أكدّه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وجعله الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى شرعاً بعد ذلك..

(١) أخرجه الترمذي (٢٣٥٢)، وصححه الألباني في الصحيحة (٣٠٨).

وسبحان الله فكم كونت هذه الظروف القاسية أناسًا منحرفين مدمرين للمجتمعات، فاليتيم والوحشة والفقر والغربة لطلأما خرجت من أحضانها شخصيات ناقمة حاقدة (لكنها هنا تربية الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى).

### فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ

هذا الجبل الأصم تَعَلَّم فيه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الرِّقَّةَ والضراعة في الدعاء والخشوع في القلب، والبكاء من خشية الله، وشدة الاضطراب عند الدعاء، والجَلَد في التوجه إلى الله وطول ذكر الله والاستغاثة به تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

فَمَنْ يدري منا، بل من ذا الذي يحتاج أن يدري حال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في الغار، وقد خرج يطلب التعرف على غيب لا يعلمه، ولو كان معلومًا لذهب إليه، والحقيقة العظمى أنه إنما كان يطلب التعرف على ربه، مَنْ يدري؟! كيف ارتجاف قلبه كلما تجلَّت له عظمة جلال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى في ذلك الغار في تلك الظلمة وفي تلك الوَحْدَة؟ من يدري كم بكى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في نهاره وهو ينظر إلى قومه حول الكعبة التي عَلَّتْهَا الأصنام وأحاطت بها؟ بكى غيرَةً عليهم، وبكى خوفًا أن يأخذهم ربُّ البيت بالعقاب، بكى مستعجلًا العودة؛ كي يبذل كلَّ شيء حتى حياته لينقذهم.

مَنْ يدري؟! أطل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الإصغاء لنشيج قلبه وأزيز صدره تعظيمًا لربه الذي لم يوح إليه بعد بذكرٍ ولا دعاء؟ فهو الإصغاء إلى خلجات الصفاء من الصدر الطاهر المطهر والقلب السليم الصافي... فكم تعود هنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ على طول المناجاة وعظيم التركيز فيها مع شدة التفاعل التي لا تزداد إلا توقدًا؟

وكم تعود هنا على طول الصمت وقلة الكلام وكثرة الاستغراق في التفكير حتى لكأنه غائب عمّن حوله؟

فمع مَنْ يتحدث؟! فما هو إلا هذا الإصغاء لهذا الوجود الذي غدا من حوله ناطقًا متناغمًا.

### فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَيْهِ

ولقد أثمرت هذه الدروس العظيمة عظيم التوكل على الله سبحانه؛ فالله أكبر؛ كيف إذا نزل القرآن على هذا القلب..؟ قلب قد توقد في حب الله؛.. فالحب مطلق، والاستعداد مطلق، والتوكل على ربه مطلق، وحسن ظنه مطلق، وبقينه مطلق، وسمعه مطلق، وطاعته مطلقة، وصبره مطلق، وخُلُقُه في الحسن مطلق، وحين أقول: «مطلق» أقصد ما أريد وأحلف على ما أريد، ولا يناسب نزول القرآن العظيم إلا على هذا القلب وحده، من هنا يبدأ القرآن الكريم ﴿ نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ ﴿١٩٣﴾ عَلَى قَلْبِكَ لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ ﴿١٩٤﴾ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ ﴾ [الشعراء: ١٩٣-١٩٥]، ﴿ تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعَقِيبَةَ لِلْمُنْفِقِينَ ﴾ [هود: ٤٩].

فإذا كان هذا بعض وصف قلبه في خشوعه وخشيته، في ذكره ودعوته، في ضراوته واضطراره، في تلذذه القلبي وأزيزه ومخافته، في جلده على التفكير والتدبر وتركيزه واستمراريته، في تدبره في كل ما حوله، ما سكن في الليل والنهار وما تحرك، ترى كيف ستكون نتيجة كلمات الله من كتاب الله العظيم، وهو يسمعها من الوحي، ثم يرددها، ثم يتلوها على أصحابه، ثم يقوم بها الليل والنهار، كيف سيكون أثرها على هذا القلب بعدما اصطنعه الله سبحانه على عينه؟ كيف سيكون أثره على خُلُقِه الظاهر بل على قاعدة خُلُقِه؟ فالقلب هو القاعدة، والإصلاح إنما هو إصلاح القلب، والنبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هو مَنْ يقول: «أَلَا وَإِنَّ فِي الْجَسَدِ مُضْغَةً إِذَا صَلَحَتْ، صَلَحَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، وَإِذَا فَسَدَتْ فَسَدَ الْجَسَدُ كُلُّهُ، أَلَا وَهِيَ الْقَلْبُ»<sup>(١)</sup>.



(١) أخرجه البخاري (٥٢)، ومسلم (١٥٩٩).



وهل من قلب أصلح من قلب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟ إذا لا بد أن تكون رقة الطبع والرِّفق والحنان والمودة والقرب والألفة والتآلف والتأليف، والعفو والسماحة والمسامحة هي خُلُقُه.

لا بد أن يُؤثِّر غيره على نفسه إيثارًا لا نظير له، ولا بد أن ينفق إنفاق مَنْ لا يخشى الفاقة، ولا بد أن يقدم نفسه إذا حَمِيَ الوطيس ويكون عندها ملاذ الشجعان وجبلهم الذي يحتمون به، ومَنْ كان قلبه كذلك كان أعظم الناس مسارعةً في الخيرات، وأعظم نفرة من كل منكر، بل إنكارًا له، لا بد أن تكون له بصيرة في طبعه قبل الوحي لا يبلغها أمثاله من قومه أو غيرهم، لا بد أن تكون له فطنة وذكاءٌ للصفاء الذي في قلبه، لا بد أن يكون عنده نظر إلى المآلات مثل نظر الناس فيما يرونه بأعينهم وأكثر، لا بد أن تصفوَ عنده الفطرة صفاء الفضاء بعد نزول الغيث وطلوع الشمس وأكثر، لا بد أن يبلغ هو كل يوم من القرب والاقتراب ما يعرفه في نفسه وعن نفسه، ما يحسه بيده لو كان مثل هذا يُتَحَسَّس، ويعرف ذلك هو يقينًا في داخله يشعره فارقًا ظاهرًا، يشعره من كل جهة من جهات نفسه الكريمة صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ووقت جديد وحين، إنه أمر الله الرحمن الرحيم؛ إنه تَبَارَكَ وَتَعَالَى يصنع هنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؛ ليكون رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ليهدي هذه الرحمة للعالمين كافة صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، أليس هو القائل صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا أَنَا رَحْمَةٌ مُهَدَّاةٌ»<sup>(١)</sup>؟

(١) أخرجه الدارمي في مسنده (١٦٦/١) رقم (١٥)، والبيهقي في شعب الإيمان (١٤٤/٢) رقم (١٤٠٤)، قال الدارقطني في العلل (١٠٥/١٠) رقم (١٨٩٧): رَوَاهُ وكيع عن الأعمش، عن أبي صالح، عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُرْسَلًا، وَهُوَ الصَّوَابُ، وكذا قال شعيب الأرنؤوط في تحقيقه لسنن أبي داود (١٥٤/٦)، إلا أنه قال: إنه يعضده الحديث «إني لم أبعث لعائنًا، وإنما بعثت رحمة» الذي رواه مسلم. وصححه الألباني في تخريج مشكاة المصابيح (١٦١٥/٣) رقم (٥٨٠٠).

فَمَنْ يَمْلِكُ هُنَا إِلَّا أَنْ يَتَوَقَّفَ عَنِ الْكِتَابَةِ أَوْ عَنِ الْحَدِيثِ وَيَنْطَلِقَ بِقَلْبِهِ قَبْلَ لِسَانِهِ، بَلْ وَهَمَّا مَعًا بِالصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ....

اللَّهُ يُعِدُّ رَسُولَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لِلرَّسَالَةِ.. الْأَمْرُ بَيْنَ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ وَبَيْنَ عَبْدٍ مِنْ عِبَادِهِ، هُوَ الْأَعْلَى وَالْأَفْضَلُ وَالْأَكْرَمُ... فِي الْعَالَمِينَ... هُنَا يَعِدُهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ؛ لِيَكُونَ كَذَلِكَ، وَلِيَجْعَلَ كُلَّ مَا فِيهِ مِمَّا خَلَقَهُ اللَّهُ سُبْحَانَهُ أَسَاسًا هُوَ لِلْعَالَمِينَ؛ وَلِهَذَا قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

ثم إن هذه هي المرحلة الأخيرة في الإعداد وربما الليالي والأيام الأخيرة، ولا أحدٌ يدري ماذا كان قبل اللحظات الأخيرة؛ أهو بلوغ ذُرَى الذَّرَى، وأصبح التهيؤ عنده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ والاستنفار الإيماني عن آخره، أم أن التهيؤ كان من الهدوء الذي يسبق العاصفة، كما يقولون، فترة سكون وسكينة، أو فترة، فتور هو ينكره في نفسه، وقد كان متحمسًا قبلها أشد ما تكون الحماسة، وما رجاه من مسيرٍ إلى أعلى لم يتحقق، بل غلب الفتور على النفس، وهو لا يدري كيف يُسَيِّرُهُ ربه سبحانه: ﴿وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٨٢]، ولو أنه كان الأمر بيده كما رضي بالفتور لحظة، ولا توقف عن العروج لحظة، فيعلم هنا يقينًا أن أمر قلبه ليس بيده، وأن حاله وتحوله لا يملكه هو، وليس له إلا الاستسلام في كل فترة، وهذا وحده مكسب جديد وإصلاح لنفسه جديد: ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١٦].

إنها - والله تعالى أعلم - إنما كانت مرحلة فتور؛ كفتور مرحلة الفترة من انقطاع الرسالات السماوية، وهي ما بعد عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى بعث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، مما اصطاح الناس على تسميتها (الفترة)، وتسمية مَنْ مات فيها (أصحاب الفترة).



فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ



إنها مرحلة الاستسلام المطلق لربه سبحانه، مثلما علمنا هو صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إذا انتهينا من أعمال اليوم وأخذنا مضاجعنا أن نقول، كما في حديث البراء بن عازب قال: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «يَا فُلَانُ، إِذَا أُوْتِيَ إِلَى فِرَاشِكَ فَقُلْ: اللَّهُمَّ أَسَلَمْتُ نَفْسِي إِلَيْكَ، وَوَجَّهْتُ وَجْهِي إِلَيْكَ، وَفَوَّضْتُ أَمْرِي إِلَيْكَ، وَالْبَجَاتُ ظَهْرِي إِلَيْكَ، رَغْبَةً وَرَهْبَةً إِلَيْكَ، لَا مَلْجَأَ وَلَا مَنجَا مِنْكَ إِلَّا إِلَيْكَ، آمَنْتُ بِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلْتَ، وَبِنَبِيِّكَ الَّذِي أَرْسَلْتَ، فَإِنَّكَ إِنْ مِتَّ فِي لَيْلَتِكَ مِتَّ عَلَى الْفِطْرَةِ، وَإِنْ أَصْبَحْتَ أَصَبْتَ أَجْرًا»<sup>(١)</sup>.

إنها أعظم المكاسب، إنه لا تسيير له، لا قدرة له، لا حول ولا قوة له إلا بالله رب العالمين.. هذا هو اليقين الذي يؤهله للتحول الأعظم، وهذا هو ما قاله الله سبحانه: ﴿وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ وَرَحْمَتُهُ لَهَمَّتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ أَنْ يُضِلُّوكَ وَمَا يُضِلُّونَ إِلَّا أَنْفُسَهُمْ وَمَا يَضُرُّونَكَ مِنْ شَيْءٍ وَأَنْزَلَ اللَّهُ عَلَيْكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَعَلَّمَكَ مَا لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾ [النساء: ١١٣].

ونحن إنما نتحدث عما وصل إليه قبل أن ينزل الله على رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الكتاب والحكمة ويعلمه ما لم يكن يعلم، وكما قال سبحانه: ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيهَا إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمَكَ مِنْ قَبْلِ هَذَا فَاصْبِرْ إِنَّ الْعُقُوبَةَ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [هود: ٤٩].

هذا الاستسلام المطلق في النفس لباريها، إنما هو في حقيقة الأمر اضمحلال النفس في عين نفسها في نظرها إلى مُراد الله بها، وانعدام الاعتراض عما يأتي به الله، ولسان حاله يقول ما قاله معاذ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، وهو في سكرات الموت، والسكرات تشتد عليه: «أَخْتَقُ خَنْقَكَ، فَوَعَزَّتْكَ إِنِّي لِأَجِبُكَ»<sup>(٢)</sup>.

(١) رواه البخاري (٧٤٨٨)، ومسلم (٢٧١٠).

(٢) سير أعلام النبلاء للذهبي (١/٤٦٠)، والطبقات الكبرى لابن سعد (٣/٥٨٩)، وتاريخ دمشق لابن عساكر (١١/٤٦٠).

أنه حياتي ولينته لي كل شيء في هذه الحياة، أو ابدأ لي حياة جديدة لأنطلق في سبيلك باذلاً كل شيء، الأمر كله إليك، وأنا راضٍ بالموت والحياة على حدٍّ سواء، وأحبُّهما إليَّ أرضاهما عندك ربي.

أنا يا رب لست بشيء، ولا أدري عن شيء، ولا أقدم أو أؤخر شيئاً... فحياتي ومماتي نفس الشيء في هذه اللحظة، [فاللهم إن أمسكت نفسي فارحمها، وإن أرسلتها، فاحفظها بما تحفظ به عبادك الصالحين] <sup>(١)</sup>، إي والله، فلقد بلغ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ اليقين القاطع الذي لا ريب فيه أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى قد أمسك نفس رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في هذه الفترة الأخيرة من تلك المرحلة، فكان يسأل الله رحمته لها؛ لكنه ليس إمساك الموت، ولا رحمة ما بعد الموت... فكان بعد هذا الإمساك الرحمة، وكان هو الرحمة العظمى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

هكذا هي نفس رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فخير ترجمة لحاله هو ما ورد عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بعدما أوحى إليه؛ إذ هو التفسير الصحيح لما غاب عنا مما لا نعلمه ولا يعلمه إلا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى... وهكذا هو حقيقة حال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في داخله، فإما أن يمسك نفسه ربه إلى الأبد، وإما أن يرسلها.. وهو يرجو الخير من ربه سبحانه في الحالين. كما قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حين عودته من الطائف مهموماً هائماً على وجهه: «إِنْ لَمْ يَكُنْ بِكَ عَلَيَّ غَضَبٌ فَلَا أَبَالِي، وَلَكِنْ عَافَيْتَكَ هِيَ أَوْسَعُ لِي» <sup>(٢)</sup>.

ومما يُتَرَجَّمُ حاله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كذلك هو ما عَلَّمَنَا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إياه إذا بلغ الأمر مبلغه ومنتهاه... كما هو حاله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ومقامه الكريم، فقال: «اللَّهُمَّ إِنِّي عَبْدُكَ، ابْنُ عَبْدِكَ، ابْنُ أُمَّتِكَ، نَاصِيَتِي بِيَدِكَ، مَاضٍ فِيَّ حُكْمُكَ،

(١) رواه البخاري (٦٣٢٠) عن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

(٢) السيرة النبوية لابن هشام (٤٢١ / ١).

عَدْلٌ فِي قَضَائِكُمْ، أَسْأَلُكَ بِكُلِّ اسْمٍ هُوَ لَكَ سَمَّيْتَ بِهِ نَفْسَكَ، أَوْ عَلَّمْتَهُ أَحَدًا مِنْ خَلْقِكَ، أَوْ أَنْزَلْتَهُ فِي كِتَابِكَ، أَوْ اسْتَأْثَرْتَ بِهِ فِي عِلْمِ الْغَيْبِ عِنْدَكَ، أَنْ تَجْعَلَ الْقُرْآنَ رَبِيعَ قَلْبِي، وَنُورَ صَدْرِي، وَجِلَاءَ حُزْنِي، وَذَهَابَ هَمِّي»<sup>(١)</sup>.

وسبحان الله: كيف تنطبق هذه الأدعية على حال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حتى لكأنها جاءت من نبع الوحي في الغار، أو أن الله سبحانه أخبره بمحتواها فعبر عنها صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بتعبيره الذي هو «جوامع الكلم» لجوامع الأحوال والأحداث والأزمنة والمصطلحات، فكان أن انطبعت كلماته بالمرحلة التي لا تُنسى ولا يُمحي طابعها أبد الأبدين، وهكذا هو الإنسان، وهكذا تأثره في مراحل معينة من حياته، حيث يبقى طابعها أبد الأبدين، وهل الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إلا بشر، كما قال سبحانه له وعنه: ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهٌُ وَاحِدٌ فَمَن كَانَ يَرْجُوا لِقَاءَ رَبِّهِ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَادِقًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ١١٠].

ثم هل كان صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وهو في الغار إلا في عين الله، كما قال تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ وإني لأرى أن هذا لمرحلة ما بعد النبوة، ولم يكن ثم فاصل قاطع مانع ما بين بشرية النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بما يحويه من جسد وروح وعقل وقلب ونفس وما إلى ذلك، وبينه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بعد النبوة... كيف ومرحلة الغار هذه هي مرحلة الإعداد لمرحلة ﴿يُوحَىٰ إِلَيَّ﴾؟ وهي مرحلة ﴿قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ﴾، فكانت هذه هي حالة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في الغار على الأخص.. ووحدته.. وهو ذروة طلبه للحق، وذروة إياسه من الحق عند أهل الأرض، وشدة حاجته عند انقطاع نفسه أو يكاد، بالإضافة إلى إعداده الأخير قبيل تلقي الوحي والخروج للعالم... إنه أحوج ما يكون إلى الاحتضان.. إلى الحنان..

(١) رواه أحمد في مسنده (٣٧١٢) واللفظ له، وابن حبان (٩٧٢)، والطبراني (٢١٠/١٠) رقم (١٠٣٥٢) باختلاف يسير، وصححه الألباني في الصحيحة (١٩٩).

إلى التغيير إلى الرعاية.. إلى الاستخلاص ولا عبارة أعظم فيضًا مما ذكرنا بما لا يحصى هنا من كلمة الله العظيمة: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعْيُنِنَا﴾ [الطور: ٤٨].

فَاللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ أَجْمَعِينَ

مرحلة التعقيد الإيماني، ولقد أصبحت هذه المرحلة هي المنتهى وتمام التعقيد الأخلاقي، والتعقيد الشامل، وأقل ذلك وأول ذلك ما كان من تطهير قلب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وإخراج القطعة السوداء منه مرة، وهو صغير يلعب مع الغلمان، ومرة قبل الإسراء والمعراج؛ والشاهد أن هذا من الإعداد له، وما كان غسل قلبه في المرة الأولى من بعد نزول الوحي إنما كان قبل ذلك، ويجهل الإنسان أيما جهالة إذا ظن أن الله سبحانه ما التفت إلى نبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إلا بعد نزول الوحي عليه... نعم! فلقد كان نزول الوحي هو المرحلة الأعلى، والعظمى، والثمرة الإلهية لحياة طويلة طولها أربعون سنة فيها من التأسيس ما فيها، وفيها الرعاية ما لا يمكن حده، ولا يمكن معرفته؛ لأنه لا رواية في ذلك الوقت ولا أتباع ولا أمر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؛ لأنها مرحلة خاصة به هو صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - لنفسه، لبنائه، لتكوينه، لإعداده للرسالة ولا رسول بعده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ولا رسول مثله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؛ ولهذا فإن مرحلة الإعداد للرسالة هي من القوة والشدة والعظمة والتركيز ما لا يمكن تصويره، فكيف ولا نبي مثله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؛ إذا فلا إعداد مثل إعداده، ومرحلة الغار هي ذروة الإعداد له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ولهذا فإن ميزة التشريع للأمة هي التيسير والرحمة والتخفيف حتى وإن ظهر أن فيها شدة، والحاجة إلى تحمل الجوع والعطش والتعب، فإن مقصودها التيسير وليس أظهر من الصيام، فقد قال سبحانه: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِّلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِّنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ فَمَن شَهِدَ مِنْكُمُ الشَّهْرَ فَلْيَصُمْهُ وَمَن كَانَ مَرِيضًا أَوْ عَلَى سَفَرٍ فَعِدَّةٌ مِّنْ أَيَّامٍ



أُخْرَ يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمْ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمْ الْعُسْرَ وَلِتُكْمِلُوا الْعِدَّةَ وَلِتُكَبِّرُوا  
اللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدٰنَكُمْ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿البقرة: ١٨٥﴾.

وهكذا قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَنِ الْقُرْآنِ عَنْ نَفْسِهِ: ﴿الْمَص ١﴾ كِتَابٌ أَنْزَلَ إِلَيْكَ فَلَا  
يَكُن فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِّنْهُ لِتُنذِرَ بِهِ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿[الأعراف: ١٠٢]، وهكذا  
قال سبحانه عن الجهاد: ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفًا فَإِن يَكُنْ  
مِّنْكُمْ مِّائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِن يَكُنْ مِّنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ  
مَعَ الصَّابِرِينَ ﴿[الأنفال: ٦٦].

وبقدر ما تتصور عظمة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بقدر ما تتصور عظمة تهيئة  
الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لَهُ قَبْلَ الْبَعْثَةِ عَمُومًا، وفي الغار خصوصًا.

وبقدر ما تعرف من عظمة الإسلام وشموله للحياة في عهده وشموله  
للزمان والأجيال من بعده، تعرف سمة الشمولية في تهيئة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ لرسوله  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تهيئةً جعلته متهيئًا لكل شيء دون استثناء، مُعَدًّا لكل زمان، وعقله  
وحكمته تتسع وتستوعب كل أمة موجودة وقتها أو ستوجد إلى يوم القيامة،  
وهذه مزية تجدها في خطابه بعد الوحي، كما هي كل مزاياه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، لكن  
هذه المزية وغيرها ما كانت لتكون شيئًا لولا الوحي، وهذه هي المزية العظمى،  
ذلك أن الكثير من أهل الجاهلية والكثيرين في هذه الدنيا أعدتهم الظروف إعدادًا  
شديدًا، ومحصتهم التجارب تمحيصًا، ولكن كم من هؤلاء المُجَرَّبِينَ والقادة  
وجدوا ورحلوا كأن لم يولدوا، وكم منهم ليتهم ما وجدوا - كما يقال - لما دمروه  
في حياتهم.. هكذا هم بدون الوحي، بدون رعاية الله... كيف لو أن هؤلاء اتبعوا  
رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أي: اتبعوا الوحي... كيف سيغدون في أعين أممهم  
وكيف سيغدون نافعين لأقوامهم قدوات لأجيالهم وما إلى ذلك.. هذا باتباع  
رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فكيف برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وقد جاءه الوحي؟!!

هنا يحدث الفارق الهائل، هنا الأرض تطوى، هنا مسافات السماوات تطوى.. هنا الدنيا والآخرة تنضمان لبعضهما، هنا تعلم علم اليقين - إذا انكشف لك - أن حياة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ما كانت إلا قطعة واحدة، لوحه واحدة، وأن راعيها وباريها واحد، وهو ربه تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وإلا فهل يشك مسلم أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كان في رعاية الله قبل الرسالة، وأنه كان في عين الله قبل الرسالة، وإلا فَعَمَّنْ وعن أي فترة، قال الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿وَالضُّحَىٰ ۝١ وَاللَّيْلِ إِذَا سَجَىٰ ۝﴾ [الضحى: ١-٢].

بل لو سألتك لأقررت يقيناً بأن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى رعاه في الأصلاب البعيدة حتى ظهر صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مبعوثاً رحمة للعالمين.

فيا ترى ما هو أعظم إنسان كان سيذهب لو أن إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ ذُبح...؟ هل كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ سيولد؟ هل كانت أمته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ والإسلام، و... و... سيكون موجوداً؟!

فالله سبحانه ما ترك إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ وَسَلَّمَهُ إِلَّا لِحَكْمٍ عَظِيمَةٍ، لكن ما من حكمة أعظم من وجود رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، والذي بدونه لن تكون أعداد أهل الجنة إلا أعداداً محدودة، ولن تشهد الأرض أعظم ما خُلِقَتْ لأجله....

### فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ مُحَمَّدٍ

أرأيت كيف أن الله حفظه في أصلاب الأصلاب، حتى إذا بعث ورأينا ما صنع صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وعادت بنا الذاكرة إلى عهد إسماعيل، علمنا اليوم لِمَ نَجَّى اللهُ إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ بالدرجة الأساس، فهو الحكمة العظيمة لِنَجَاةِ أَبِيهِ إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهكذا في نجاة والده عبد الله رَحِمَهُ اللهُ مِنَ الذَّبْحِ.

فالذاكرة لا خير فيها إن لم تكن حية، فطنة مستنبطة.. تراجع أحداث ما

قبل البعثة، بل أحداث التاريخ، وستجد حياة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، كحياة هذا الوجود وحدة واحدة في ترابطه من أصغر ذرة إلى أكبر مجرة، فإذا كان الله عَزَّوَجَلَّ هو من يصنعه، وهو كذلك بغير شك، فإنما يصنعه ليعده إعدادًا لا نظير له لرسالة لا نظير لها؛ ولهذا فإنك سوف تجد أن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قد أعدّه الله فكان في مرحلة إعداده لا نظير له في أمثاله؛ لأنه حين أصبح رسولاً أصبح صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لا نظير له في الأنبياء والمرسلين عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وتصديق هذا في حديث النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «النَّاسُ مَعَادِنٌ، خِيَارُهُمْ فِي الْجَاهِلِيَّةِ خِيَارُهُمْ فِي الْإِسْلَامِ إِذَا فَقَّهُوا»<sup>(١)</sup>.

اللهم صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، اللهم صَلِّ عَلَى  
مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، اللهم صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ.

ذروة مراحل ما قبل الوحي في الغار: وهنا تعود وتقول لي: وما ميزة غار حراء عن مراحل حياته وحياة الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ؟

أقول: نحن لا ندري كيف ربَّى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ تفصيلاً، وأظهر ما نعلمه في ذلك هو القاسم المشترك الذي جعله بينهم، وهو رعي الأغنام...

إذا نظرت في مراحل حياته قبل غار حراء، فإنك سوف تجدها لوحة كاملة لتجارب متنوعة مختلفة متفاوتة، وكأن حياة الناس اجتمعت فيها، ثم جاء الغار ليصهر كل التجارب في داخل نفسه، كل تلك التجارب، ويستخرج ثمراتها للناس كافة في شخصية لا ينقصها بعد الغار إلا الوحي، فجاء الوحي بعد الغار مباشرة وكان الوحي كل شيء.

فلقد كان ما قبل اليتم، ثم كان اليتم، وما كان اليتم مجرد تجربة، بل عاش

(١) أخرجه البخاري (٣٣٨٣)، ومسلم (٢٣٧٨).

رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ اليتم حقيقة بكل تفاصيلها؛ يتم الأب.. ثم الأم، ثم البلد حين أُخرج منه، وقد كان التغرب رضيعًا وبُرْعَمًا، وكان العيش في البادية، وكان رعي الأغنام على قراريط، فكانت مسؤولية الأغنام، وكانت إدارة النفس حيث القراريط لمصروفه وأهله، ولعل الاعتماد على النفس - بموت أمه - وكان التنقل بين المتعبدين والسماع منهم؛ ومنهم ورقة بن نوفل، وعمرو بن نفيل، وكان الحضور لمجامع مكة، وما كانت من بلدة لها من المجامع مثل ما لمكة في بلاد العرب، ويكفي في ذلك أن تنظر في أسواقها، وآدابها، ومعلقاتها المعلقة في الكعبة، والأهم هو أن تنظر في مواسم الحج كل عام، واجتماع العرب هناك، واجتماعهم في أسواق عكاظ وذي المجاز، وكل قبيلة تفخر بأحسن ما عندها من شعراء وخطباء وحكماء وأحداث وما إلى ذلك.

فهو ينظر إلى تناطح الأفكار، وتصارع العقول، وتقادح الألسن بالبيان.

ثم كان ما كان، ومما كان سفره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في التجارة إلى الشام، وكان بعض آيات في الطريق هناك، وكانت بعض المبشرات، وكانت حصيلة من الوصايا، من أهمها وصية بحيرى الراهب لجده عبد المطلب: أن خذ حذرک من اليهود على ولدک.

وهنا في الغار العظيم يأتي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بكل ما اجتمع في حياته الأربعين سنة السابقة، فلأن سيده ومولاه أطلقه حين أخرجه من بطن أمه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وقال له: اذهب الآن حيث تريد أو يريد أهلك، شرّق وغرّب... فكل ذلك وأنت في عيني ورعايتي، ولكنك لن تشعر بذلك ولا تدري، إلا ومضات لا تكاد تُدرك.. ومضات لا تؤثر على قرارك ولا تشكل حياتك..

وهأنذا وبعدهما كادت الأربعون أن تنتهي جئت بك هنا.. إلى حيث لا بشر ولا شجر ولا أغنام، ولا شيء من ذلك.. هنا سوف يكون التحصيل... مما



جمعبته هناك، هنا سوف يكون الاستخراج من الذاكرة والعمل والصور، وكل شيء موجود في الذاكرة، هنا سوف يكون التصنيع لباطنك؛ بل لشخصيتك الجديدة.

عش يا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هنا الفترة التي يُريدها الله ربُّ العالمين.

عش في داخلك شيئاً فشيئاً؛ لتستعيد هنا من أحداث حياتك التي عشتها مما رأيت به بنفسك، وحتى مما رواه لك أهلك، كما ورد في الحديث عَنِ الْعَرَبِاضِ بْنِ سَارِيَةَ الْفَزَارِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنِّي عِنْدَ اللَّهِ مَكْتُوبٌ بِخَاتَمِ النَّبِيِّينَ، وَإِنَّ آدَمَ لَمُنْجَدِلٌ فِي طَيْبَتِهِ، وَسَأُخْبِرُكُمْ بِأَوَّلِ ذَلِكَ: دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ، وَبِشَارَةُ عِيسَى، وَرُؤْيَا أُمِّي الَّتِي رَأَتْ حِينَ وَضَعْتَنِي أَنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَتْ لَهَا مِنْهُ قُصُورُ الشَّامِ»<sup>(١)</sup>.

وَعَنْ خَالِدِ بْنِ مَعْدَانَ عَنْ أَصْحَابِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، أَنَّهُمْ قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَخْبِرْنَا عَنْ نَفْسِكَ، فَقَالَ: «دَعْوَةُ أَبِي إِبْرَاهِيمَ، وَبُشْرَى عِيسَى، وَرَأْتُ أُمَّي حِينَ حَمَلْتِ بِي أَنَّهُ خَرَجَ مِنْهَا نُورٌ أَضَاءَتْ لَهُ بُصْرَى وَبُصْرَى مِنْ أَرْضِ الشَّامِ»<sup>(٢)</sup>.

وَعَنْ أَبِي مَرْيَمَ قَالَ: أَقْبَلَ أَعْرَابِيٌّ حَتَّى أَتَى رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَهُوَ قَاعِدٌ وَعِنْدَهُ خَلْقٌ مِنَ النَّاسِ، فَقَالَ: أَلَا تُعْطِنِي شَيْئًا أَتَعَلَّمُهُ وَأَحْمِلُهُ وَيَنْفَعُنِي وَلَا يَضُرُّكَ؟ فَقَالَ النَّاسُ: مَهْ اجْلِسْ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «دَعْوُهُ، فَإِنَّمَا سَأَلَ الرَّجُلُ لِيَعْلَمَ»، قَالَ: فَأَفْرَجُوا لَهُ حَتَّى جَلَسَ، قَالَ: أَيُّ شَيْءٍ كَانَ أَوَّلَ أَمْرٍ

(١) أخرجه ابن حبان (٦٤٠٤)، وقال الأرنبوط: صحيح لغيره.

(٢) أخرجه الحاكم (٤١٧٤)، وقال: «خَالِدُ بْنُ مَعْدَانَ مِنْ خِيَارِ التَّابِعِينَ، صَحِبَ مَعَادَ بْنَ جَبَلٍ فَمَنْ بَعْدَهُ مِنَ الصَّحَابَةِ، فَإِذَا أَسْنَدٌ حَدِيثًا إِلَى الصَّحَابَةِ، فَإِنَّهُ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ»، ووافقه الذهبي، وانظر السلسلة الصحيحة (١٥٤٥).



نُبُوتِكَ؟ قَالَ: «أَخَذَ اللَّهُ مِنِّي الْمِيثَاقَ، كَمَا أَخَذَ مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ، ثُمَّ تَلَا: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّينَ مِيثَاقَهُمْ وَمِنكَ وَمِنْ نُوحٍ وَإِبْرَاهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰ ابْنِ مَرْيَمَ وَأَخَذْنَا مِنْهُمْ مِيثَاقًا غَلِيظًا﴾ [الأحزاب: ٧]، وَبَشَّرَ بِي الْمَسِيحِ ابْنَ مَرْيَمَ، وَرَأَتْ أُمَّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي مَنَامِهَا أَنَّهُ خَرَجَ مِنْ بَيْنِ رِجْلَيْهَا سِرَاجٌ أَضَاءَتْ لَهُ قُصُورُ الشَّامِ»، فَقَالَ الْأَعْرَابِيُّ: هَاهُ وَأَدْنَىٰ مِنْهُ رَأْسُهُ وَكَانَ فِي سَمْعِهِ شَيْءٌ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «وَوَرَاءَ ذَلِكَ»<sup>(١)</sup>.

هنا سوف تراجع كل الأحداث؛ كل شيء عنك أو عن سواك، وهكذا سوف تصنع نفسك من داخلك.. سوف يصنع قلبك الجديد.. سوف تغربل أحداث الأربعين عامًا لا تبقى ولا تلتلف، ولكن لتُصنع نفسك الجديدة من داخلها، وإلا ماذا كان يصنع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟ بل ماذا كان الله رب العالمين يصنع بنفسه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟ بل ماذا كان يصنع منه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟ وصدق الله؛ إذ قال سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُغَيِّرُ مَا بِقَوْمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ﴾ [الرعد: ١١].

فَاللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ

هنا كما قلنا من قبل النظر في كل شيء على الإطلاق مما مرَّ على هذه الأرض والأقوام التي عمرتها، وكل ما مرَّ على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من قبل، وكل ما أراد الله أن يبلغه إياه، كما يشاء سبحانه وتعالى، وهكذا صُنعت نفسه من جهة أخرى صناعة لا نظير لها؛ إذ أصبح كأنه الشاهد المشاهد لكل ما مرَّ على الأرض مما أراد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ له أن يمرره عليه ويريه إياه أو كأنه يراه.. وهكذا صنع الله نفس رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ..

فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا وَنَبِيِّنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ

(١) أخرجه الطبراني في الكبير (٨٣٥)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٨/ ٢٢٤): رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ وَرِجَالُهُ وَثِقُوا، وَحَسَنَةُ الْأَلْبَانِي فِي صَحِيحِ الْجَامِعِ (٢٢٤).



هنا أراه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى ما حوله حتى السماوات، وأراه الوجود، وهو في داخل ليله وفي خارجه، وفي داخل نهاره وفي خارجه، وأراه ما شاء من أحداث الوجود.. مما لا نعلمه.. لكن الأمر في صناعة نفس النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ جدٌ عظيم..

وهكذا أنشأ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى علاقة للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بكل ما حوله من الوجود.. أنشأ فهمًا... أنشأ نفسًا... أنشأ قلبًا كبيرًا يحوي ذلك كله.. أنشأ قائدًا يقود الدنيا ويفهم الناس بكل ما يحتاجونه، وبكل ما حولهم وعلاقتهم بذلك.

فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ،

اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ.. اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى مُحَمَّدٍ

وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، اللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ....

فماذا بقي يا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟ ماذا بقي يا مَنْ ستصبح بعد قليل أنت أعظم رسول أرسله الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى إلى ذرية آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وذرية إبليس لعنة الله عليه ﴿سَنَفَرُغْ لَكُمْ آيَةُ الثَّقَلَيْنِ﴾ [الرحمن: ٣١]؟!

لقد عرف رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حتى هذه اللحظة، واتضح له يقينًا كَلِّ ما أريد له أن يعرفه، وما ترك الله من شيء مما يحتاجه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إلا عَرَفَهُ إياه، كما عَلم آدم الأسماء كلها، كما قال سبحانه: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الْأَسْمَاءَ كُلَّهَا﴾ [البقرة: ٣١] وَلَمَّا يَأْذَنُ اللَّهُ لِلْوَحْيِ بِالْبَدءِ بَعْدُ... لكن الأمر حان... لقد حان الأمر بعدما عَرَفَ وَعَلمَ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بكل شيء، وعن كل شيء، وما بقي إلا الشيء الذي بدونه، فلا قيمة لكل ما عَرَفَهُ، ولا قيمة لكل شيء، ولا لأي شيء عرفه أو لم يعرفه... إنه الشيء الذي تجتمع عنده كل تلك الأشياء، وتجتمع عنده كل الأشياء مطلقًا، ولا يفلت منها شيء واحد، ولا يشذ عن المسار المحدد لها ذرة واحدة.

الآن يأتي التعريف باليقين الذي لا يحتمل الاستنتاج، والعيان الذي لا يحتاج بعد الآن إلى التدبر ولا التفكير ولا النظر فيه؛ إذ كل ما مرَّ من تدبر، ففي مخلوقات، وأحداث مخلوقة، وفي كل ما حولك يا رسول الله، وكل ما حولك مخلوق...

نعم! كل ما رأيته في حياتك وما سمعته وما مرَّ عليك في ليل أو نهار في بلدك أو خارجه.. كله يؤدي إلى هذا الشيء، وارتباطه فيه أمر يقطع فيه العقل ولا يشك، وقد هداه الله في كل ذلك، وهذا هو ذروة ما يمكن أن يتوصل له عقل خلقه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، أما الآن، فإنه تعريفك بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَى بالطريق الذي هو فوق العقل وفوق الاستنتاج وفوق طاقة البشر؛ لأنه لو عرف الله بطريق العقل لكان مصيبًا، ولكنه سيكون مفكرًا صالحًا من المفكرين الصالحين الذين مرُّوا على هذه الأرض لكنه ليس كذلك، إنما هي الرسالة التي لا تكون إلا بالوحي والتي كانت من قبل، كما قال سبحانه: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَعَائِشَةَ دَاوُدَ زَبُورًا﴾ [النساء: ١٦٣]، فإذا ما جاءك الوحي وعرفت ربك تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وأصبح الوحي بالوحي ملء سمعك وبصرك ونفسك ارتقى كل ما علّمه ربه في غار حراء إلى درجة أعلى ولا نظير لها في عالم اليقين كذلك، فأصبح ما توصل له إليه عقله من قبل يراه بعينه، وارتقت نتائجه من ارتباط كل مخلوق من حوله ارتباطًا، حتى أصبح يراه بعينه، كما أصبحت الأحداث، بل الأقدار وارتباطها بالله تعالى كلها رؤيا العيان بعد مجيء الوحي إليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فما عاد الأمر توقعًا كتوقعات المستنبتين من بني البشر، ولا هو استنتاجًا للأحداث كما يستنتجها حُذَاق المحللين ونحوهم، وإنما هو أمرٌ فوق.. فوق طاقة العقل البشري مجتمعًا كله.

فاللهم صلِّ وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلِّم تسليمًا كثيرًا



وبمجيء الوحي سوف تنتظم المخلوقات في نسق واحد، كأنها مخلوق واحد، كأنها نقطة واحدة متحدة من شدة ترابطها، أو ذرة واحدة من شدة إحكام أمرها، وإن تباعدت أشكالها وأنواعها، واختلفت في خصائصها، وتضادت في طبائعها، أو تباينت أحجامها، كما هو الشأن ما بين الذرة والمجرة، أو ما بين السماوات العظيمة وحبّة الرمل، فكلّها محكمة الترابط متطابقة الانسجام، كلُّ في فلك يسبحون؛ ولهذا قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَحْيِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا فَأَمَّا الَّذِينَ ءَامَنُوا فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ اللَّهُ بِهَذَا مَثَلًا يُضِلُّ بِهِ كَثِيرًا وَيَهْدِي بِهِ كَثِيرًا وَمَا يُضِلُّ بِهِ ءِلَّا الْفٰسِقِينَ﴾ [البقرة: ٢٦].

وكلها كأنها ذرة واحدة - كذلك - في كونها مخلوقة تحكمها كل صفات المخلوقية لا تختلف بعضها عن بعض أبداً أبداً، وليس بينها واحد ولا جزء واحد ولا ذرة واحدة ليست مخلوقة على الإطلاق.

إذاً فهكذا كان التدرج الذي ختم في الغار وابتدأ في الغار، فلقد عرّف الله سبحانه رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بكل ما ذكرنا وبكل ما لم نذكر مما يتعلق بالمخلوقين، حتى إذا اكتملت المعرفة التي حددها ووزنها الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى وأحكم ميزانها جاءه في اللقاء الأول له في الرسالة وفي الغار، وهو اللقاء الأخير له في الغار تعريف رب العالمين له بنفسه سُبْحٰنَهُ وَتَعَالَى لرسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فهو سبحانه الأول والآخر، وهو الظاهر والباطن، وهو بكل شيء عليم.

فَاللّٰهُمَّ صَلِّ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا

سبحان الله وبحمده، عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته.

سبحان الله وبحمده، عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته.

سبحان الله وبحمده، عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته.

## ﴿أَقْرَأْ﴾ وما أدراك ما ﴿أَقْرَأْ﴾



مَنْ يَقْدِرُ عَلَى الْحَدِيثِ عَنِ الْإِقْدَاءِ عِنْدَمَا نَزَلَ جَبْرِيْلٌ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ..؟ وَمَنْ ذَا الَّذِي يَجْرُو، وَمَنْ ذَا الَّذِي يَسْتَطِيْعُ، وَإِنِّي لِأَحْسِبُ الْإِرْسَالَ يَنْقَطِعُ عَنِ الْقَلْبِ وَالْقَلَمِ، فَلَا شَيْءَ عِنْدَ الْقَلْبِ يَأْمُرُ بِهِ الْقَلَمُ حَيْثُ يَجْفُ حِجْرَهُ، وَيُنْتَهِي أَمْرَهُ إِلَى أَنْ يَتَجَاوَزَ لِحِظَةَ الْإِقْدَاءِ الْعَظِيْمِ وَوَصْفَهُ إِلَى غَيْرِهِ... لِيَنْطَلِقَ قَلْبُهُ وَلِسَانُهُ مَجْتَمِعَيْنِ عَلَى الصَّلَاةِ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ صَلَاةً وَسَلَامًا دَائِبَيْنِ دَائِمَيْنِ لَا يَحْسَبُ إِذَا ابْتَدَأَ بَهُمَا فِي هَذِهِ اللَّحِظَةِ أَنْ يَنْقَطِعَا إِلَّا بِنَوْمَةٍ تَغْلِبُهُ أَوْ شَاغِلٍ يَدْهَمُهُ، فَيَنْقَطِعُ وَهُوَ لَا يَدْرِي. وَأَرْجُو مِنَ اللَّهِ أَنْ يَهْبَ لِي وَلِكُلِّ مَنْ يَقْرَأُ هَذَا الْكِتَابَ فِي أَقْرَبِ نَوْمَةٍ لَهُ أَنْ يَجْلِلَ مَشْوَارَهُ وَيَتَوَجَّجَ رِحْلَتَهُ هَذِهِ بِرُؤْيَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَاللَّهُمَّ آمِينَ.

اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ،  
اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ،  
اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ،  
اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ

إنها لحظة تغيب فيها التعبيرات والأوصاف، فتحل فيها الصلاة على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، هنا الغياب بالصلاة على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، هنا الهيام بها والهيام معها، هنا الذهاب مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ذهاب القلب يتداوى بالصلاة على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، هنا ذهاب العقل تدبرًا وربطًا للموقف بالصلاة على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، هنا يكون للصلاة على رسول الله



صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مذاقًا جديدًا، مذاقًا فريدًا... لأنه من هذه اللحظة اصطف رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مع المرسلين عَلَيْهِمُ السَّلَامُ الذي يُشْرَعُ في حقهم ذلك: ﴿إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَءَاتَيْنَا دَاوُدَ زَبُورًا﴾ [النساء: ١٦٣]، بل من هذه اللحظة اصطف خلفه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ جميع المرسلين عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

ومن هذه اللحظة بلغ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ووصل... هذا مطلوبك وفوق مطلوبك، هذا ما لم يبلغه أحدٌ من قبلك من آباءك وأجدادك يا رسول الله، هنا أطيب ما تكون الصلاة على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

**اللهم صلِّ على سيد ولد آرم وآله وصحبه وسلِّم تسليمًا كثيرًا**

كيف لا تطيب الصلاة والسلام على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وهنا بأمر الله رب العالمين يضمه جبريل ضمة، ولو أنه كان بشرًا لقلنا: إنه ضمه إلى صدره حبًّا وودًّا في أول مرة.

**اللهم صلِّ وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلِّم تسليمًا كثيرًا**

ألا أيتها الخلائق تعالوا واشهدوا ما يحصل الآن في ذلك الغار.

**اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد**

الآن لو تعلمون من بعث الله تبارك وتعالى؟ ولمن بعث؟

الآن لو تعلمون أن هذا اللقاء لكم أنتم، وثمرته لكم.

فليكن هتافكم من الآن الصلاة والسلام عليه، كلما قرأتم حديثًا من ذكره.

فلنتقل بأفكارنا إلى تلك المرحلة، كأننا من هذه اللحظة ابتدأنا.

فهل تعرفون من هذا الذي أرسل إليه جبريل الآن؟

أتدرون أن هذا خَيْرٌ مَنْ سَكَنَ صَلْبَ آدَمَ وَكُلَّ صَلْبٍ مِنْ بَعْدِهِ إِلَى صَلْبِ أَبِيهِ عَبْدِ اللَّهِ؟ الْآنَ تَعْلَمُونَ أَنَّ آدَمَ هُوَ الْأَبُ، لَكِنَّهُ لَيْسَ سَيِّدَ الذَّرِيَّةِ، وَلَا النَّبِيَّ الْكَرِيمَ هَذَا وَلَا ذَاكَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، إِنَّمَا السَّيِّدُ هُوَ هَذَا الَّذِي وَصَلَ الْآنَ، فَصَلُّوا وَسَلِّمُوا عَلَيْهِ.

### اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ

أَلَا أَيُّهَا الْخَلَائِقُ هَلْ تَعْلَمُونَ مَا الَّذِي يَحْدُثُ الْآنَ فِي غَارٍ مِنْ غَيْرَانِ هَذِهِ الْأَرْضِ... فِي جَبَلٍ مِنْ جِبَالِ مَكَّةَ، فِي أَعْلَى ذَلِكَ الْجَبَلِ الَّذِي يُقَالُ لَهُ: جَبَلُ النُّورِ وَفِي غَارِهِ الَّذِي يُقَالُ لَهُ: غَارُ حِرَاءٍ؟

فَقَدْ رَوَتْ أُمُّ الْمُؤْمِنِينَ عَائِشَةُ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا قَالَتْ: «أَوَّلُ مَا بَدَأَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مِنَ الْوَحْيِ الرَّؤْيَا الصَّالِحَةَ فِي النَّوْمِ، فَكَانَ لَا يَرَى رُؤْيَا إِلَّا جَاءَتْ مِثْلَ مَثَلِ فَلَقِ الصَّبْحِ، ثُمَّ حُبِّبَ إِلَيْهِ الْخَلَاءُ، وَكَانَ يَخْلُو بِغَارِ حِرَاءٍ... فَرَجَعَ بِهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَرْجِفُ فؤَادَهُ... فَانْطَلَقَتْ بِهِ خَدِيجَةُ حَتَّى أَتَتْ بِهِ وَرَقَةَ... ثُمَّ لَمْ يَنْشَبْ وَرَقَةَ أَنْ تُوْفِيَ، وَفَتَرَ الْوَحْيَ»<sup>(١)</sup>.

هَلْ عَشْتُمْ مَاذَا حَدِثَ فِي الْغَارِ بِأَنْفُسِكُمْ...؟ هَلْ رَأَيْتُمْ مَاذَا حَدِثَ بِالْغَارِ بِأَعْيُنِكُمْ أَوْ أَعْيُنَ قُلُوبِكُمْ وَبَصَائِرِكُمْ؟

لَا بَدَ لَنَا نَحْنُ الْخَلَائِقُ أَنْ نَعِيشَ هَذِهِ لِنَصِلِي عَلَيْهِ حَقًّا وَصِدْقًا، فَإِنَّ عِظْمَةَ الْمَوْقِفِ تَفْرِضُ الْعِظْمَةَ فِي الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ.

أَلَا أَيُّهَا الْخَلَائِقُ تَعَالَى وَاشْبَعِي مِنَ الصَّلَاةِ وَالسَّلَامِ عَلَيْهِ...  
أَنْصَتُ لِلْعِظْمَةِ الْغَالِبَةِ كُلِّ حَدِيثٍ وَكُلِّ سَكُونٍ وَصَلِّ عَلَيْهِ.

### فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ

يا ذرية آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ: نعم؛ إن أباكم هو آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ حَقًّا وصدقًا، إلا أنه ليس سيد الأولين والآخرين، ولا فلان النبي ولا فلان ولا فلان عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.. ها نحن الآن علمنا السيد... ها هو سيد الذرية قد طلع وأشرق.. ها قد بعث إليه، فصلوا وسلموا عليه، وهو القائل بعد ذلك: «أنا سيد ولدِ آدمَ ولا فَخْر»<sup>(١)</sup>، فكم سنتوقف هنا لنُصلي عليه في هذه اللحظة - لحظة بعثته..

### فَاللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ

سبحان الله عدد خلقه، سبحان الله رضا نفسه، سبحان الله زنة عرشه، سبحان الله مداد كلماته.

سبحان الله وبحمده، سبحان الله عدد خلقه، سبحان الله رضا نفسه، سبحان الله زنة عرشه، سبحان الله مداد كلماته.

سبحان الله وبحمده، سبحان الله عدد خلقه، سبحان الله رضا نفسه، سبحان الله زنة عرشه، سبحان الله مداد كلماته.

الآن أيها الجن اعلموا أن منقذكم قد جاء، وهو سيدكم أنتم كذلك؛ لأنه سيد الثقلين، والله سبحانه سوف يخاطبكم جميعًا في كتابه الكريم: ﴿يَمْعَشَرِ الْجِنَّ وَالْإِنْسِ﴾ [الرحمن: ٣٣].

أيا أيها الثقلان جاءكم داعي الله الأعظم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الذي لم يخرج من صلب آدم داعٍ إلى الله مثله، ولم يمش على الأرض وفوق ظهرها داعٍ لله مثله، ولن يكون إلى يوم القيامة داعٍ إلى الله مثله.

هل علمتم أيها الناس من هذا الذي يبعث الآن في الغار أم لم تعلموا بعد..؟

(١) رواه ابن ماجه (٤٣٠٨)، وابن حبان في صحيحه (٢٢٢٠)، والطبراني في الأوسط، والحاكم (٤١٨٩)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، والبيهقي في شعب الإيمان (١٤٨٨)، وقال الأرنبوط: صحيح لغيره.

والله لو علمتم - أيها الناس جميعًا - ما تخلف منكم منذ هذه اللحظة عن الاستجابة لندائه أحدٌ أبدًا، ولأوصيتم باتباعه وفدائه الأهل والبنين والشعوب والقبائل... ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللَّهُ مِيثَاقَ النَّبِيِّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَابٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِءَ وَلَتَنْصُرُنَّهُ قَالَ أَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِي قَالُوا أَقْرَرْنَا قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنَا مَعَكُمْ مِنَ الشَّاهِدِينَ﴾ [آل عمران: ٨١]، وهل هذا النداء الذي استغرق لأجله حياته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إلا لأجل التعارف، وربنا سبحانه يقول: ﴿يَتَأَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ ذَكَرٍ وَأُنْثَىٰ وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللَّهِ أَتَقْوَىٰ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾ [الحجرات: ١٣].

فيا أيتها الشعوب والقبائل، ويا أيها الناس، ويا أيها الجان... أي شيء تعرفون؟ ومن ذا الذي تعرفون من المخلوقين إذا لم تعرفوا داعي الله الأول، وسيد الدعاة إلى الله جميعًا؟

أتعرفون أباكم [آدم عَلَيْهِ السَّلَام] هو ومن خرج من صلبه، وأباكم [الجان] أيها الجن هو وذريته جميعًا، كلهم تحت لوائه يوم القيامة.. فمن هذا الذي نتحدث عنه..؟ إنه هذا الذي يوحى إليه في غار حراء الآن، فهل قدرنا هذه الساعة حق قدرها؟  
إذا فلنشفِّ القلوب حقًا بالصلاة على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

### فَاللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ

أنا وأنت أيها الإنسان وأباؤنا أجمعون إلى ذلك اليوم وإلى تلك الساعة التي كنا جميعًا نسير بأرجلنا إلى نار الله الموقدة - عيادًا بالله منها - بل كان أباؤنا على شفا حفرة من النار... وذهبوا جميعًا وبقينا نحن، وها نحن اليوم نشهد ساعة بعثة هذا المنقذ لنا جميعًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أو كأننا نشهدها..

فأي لهفةٍ يتلفها مخلوقٌ أعظم من لهفته لطلَّة المنقذ، وقد ظهر من الأفق البعيد منطلقًا بأقصى سرعة، وهو أشد حرسًا على إنقاذنا من حرصنا على

أنفسنا، وهو يرانا على شفا حفرة من النار، ويرى بعضنا يتساقط في النار فعليًا، ولا يملك أحد من الخلق جميعًا إعادة مَنْ سقط.

إي والله، هذا هو رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، الذي الآن وهو في غار حراء تحوّل إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، الآن بعث بالرسالة، الآن أطلق في هذا الميدان.

هذه هي الحقيقة... كيف وهو القائل: «إِنَّمَا مَثَلِي وَمَثَلُ النَّاسِ كَمَثَلِ رَجُلٍ اسْتَوْقَدَ نَارًا، فَلَمَّا أَضَاءَتْ مَا حَوْلَهُ جَعَلَ الْفَرَاشُ وَهَذِهِ الدَّوَابُّ الَّتِي تَقَعُ فِي النَّارِ يَقَعْنَ فِيهَا فَجَعَلَ يَنْزِعُهُنَّ وَيَغْلِبْنَهُ، فَيَقْتَحِمْنَ فِيهَا، فَأَنَا آخِذٌ بِحُجَزِكُمْ عَنِ النَّارِ، وَهُمْ يَقْتَحِمُونَ فِيهَا»<sup>(١)</sup>.

ألا أيها الثقلان فلنصلّ على منقذنا كمنقذ لنا، وليست تراتيل وترانيم معتادة.. لتتعرف أساسًا على مَنْ نصلي.. وفي أي لحظة نصلي، إنا لنصلي عليه من لحظة بعثته، وهل لحظة البعثة وساعتها إلا ساعة التعارف.

ألا أيتها السماوات العلى: يا من جفّ أو كاد يجف صعود أيّ عمل من الأعمال الصالحة إليك...

الآن افتحي أبوابك؛ بل كوني كُلِّكِ أبوابًا، فلسوف تزدحم عليك الأعمال الصالحة... فإن شمس خير أمة قد بدأ شروقها على الأرض بطلوع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من ذرى جبل النور.. بل من ذرى النور إلى الأرض.

أيها الإنسان: كم تشتري الخروج من النار..؟ بل كم تشتري نفسك؟ والله هذا منقذك، إنه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فكيف تصلي وتسلم عليه..؟ الآن صلّ... الآن سلّم عليه...

اللهم صلّ وسلّم عليه تسليمًا كثيرًا

(١) أخرجه البخاري (٦٤٨٣).



أيها الإنسان: كم تشتري موضع سوطٍ في الجنة إذا كانت الدنيا كلها لا تُساوي ثمنًا لموضع سوط واحد وليس موضع إنسان؟! هذا هو الذي يهبك بإذن الله الجنة مصورًا.

ألا أيتها الجنة العظيمة: افتحي خزائنك، واعرضي بضائعك، وتزيني، وتجملي، فالآن يُبعث من سيبدأ بعد قليل بنشر فضائلك، وعقد الصفقات المربحة لطلابك.

ألا أيها الحور العين: غني اشتياقًا، واطربي وأطربي، فبعد قليل سوف يعقد القرآن عليك من خطّابك، وسوف يبدأ المسير إليك، فيصلك من تتغنين به الآن...

إنه ليس واحدًا ولا ألفًا ولا ألف ألف...

إنه الرجل الذي حجز عند ربه ثلثي سكان الجنة له ولأمته، وإن كان هو الآخر وأمته الأخيرة بين الأمم.





## الفصل الرابع

### الصلاة على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في القرآن العظيم



لو أن القلب فتح عينيه على ذكر الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى لرسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وهو يقرأ القرآن الكريم، وأنه كلما ذكره ربه تنبه القلب لهذا، فصلى على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ولما استطاع القارئ ولا السامع أن يقرأ صفحة واحدة من القرآن الكريم إلا بضعف الوقت الذي تستغرقه في العادة، ولتقطعت المعاني والتوصيل بينها، فليس في الوجود موضع فيه ذكر للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مثل القرآن العظيم مطلقاً، ولكن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى جعل ذكر نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ سلساً سهلاً هو من رُوح النص نفسه وليس مضافاً عليه.. لا تحمله أنت ولا أنا بصلاتنا عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، إنما الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى يحمل رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في كلامه تَبَارَكَ وَتَعَالَى... لكن القلب يشهد من اليوم حضور رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في بعض ما يقرؤه من يقرأ القرآن الكريم، والقلب يشهد أن قدر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حين يذكر في القرآن العظيم قدر عظيم بما لا يحصى عما قبل أن ينزل عليه القرآن، وكما أصبح القرآن الكريم هو معجزة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فإن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تحول بذكره في القرآن إلى معجزة بمعنى الكلمة.

انظر إلى أيِّ قصة ذكرها الله سبحانه في القرآن العزيز، وانظر إليها لو لم يذكرها في كلامه الكريم تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فالقصة هي القصة، لكنها حين يقصها الله في القرآن الكريم تتحول إلى شيء؛ إنها سوف تحمل خصائص القرآن العظيم، تحمل من خصائص كلمات الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى... ودونك هذا الأمر العظيم.

قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى في أول قصة يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿مَنْ نَقَضَ عَلَيْهِ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ﴾ [يوسف: ٣].

والحديث هو الحديث، لكن حين يذكره الله ويتكلم به في كتابه الكريم فإنه حديث الله، وحديث يغلب الحدث مهما كان، وحديث يصبغ الحدث بما يصبغه به من هذه النسبة العلية، فلا تقل عندها: إن القصة عظيمة وإن الأحداث شائعة أو أن الأشخاص كذا وكذا أو النهاية عجيبة أو ما إلى ذلك، نعم! يكون الأفراد والأحداث لهم ما لهم من المقام، لكن لَمَّا تحدث الله تبارك الله رب العالمين بهذه القصة أصبحت بحورًا من المعاني لا تنفذ، وبحورًا من العبر والدروس، وارتبطت بما هو أعظم... ارتبطت بالله رب العالمين، واجتمعت فيها عوالم لم نكن نعرفها لولا أن الله سبحانه قصها علينا، وارتبطت حياتنا بها، وعرضها الله سبحانه لنا نحن، وهل ذكرها الله في كتابه الكريم إلا لأنها تعيننا، وأصبحت ملاذًا وأملًا، وأصبحت عبرةً وتجربةً وقربةً، وأصبح كل حرفٍ منها إذا قرأته لك فيه ما لك من الأجر، وأصبحت تزيدك إيمانًا كسائر كلام الله الكريم، وحملت وسم الإعجاز، فمن المستحيل إزالتها من القرآن أو تحريفها أو حذف شيء منها ولا حرفًا واحدًا؛ لأنها من قوله سبحانه: ﴿فَلْيَأْتُوا بِحَدِيثٍ مِثْلِهِ إِنْ كَانُوا صَادِقِينَ﴾ [الطور: ٣٤]، ولأنها من قوله: ﴿قُلْ لَنْ أَجْمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨].

ولما أصبحت هذه القصة أو تلك من كتاب الله رفع عنها طابع الملل من قراءتها أو سماعها، بل أصبحت ربيعة القلوب ونور الصدور وجلاء الأحزان وذهاب الهموم، وكلما رددتها وكررت قراءتها وسماعها ازدادت بها التصاقًا ولها حبًا، وازداد قلبك منها تشربًا وغذاءً بل ودواءً.

ولو تأملت في كتاب الله الكريم لوجدت أن القصة هي إحدى أعاجيب هذا الكتاب الكريم، حتى تكاد تقول: إن طابع القصة صبغ جُلَّ الخطاب القرآني، وفيه قصة الخليفة، وفيه قصة الحياة، وفيه قصة خلق السماوات والأرض، وفيه قصة الأمم على الأرض، وقصة النبوات، وقصص هلاك الأمم، وبقائها، وفيه قصة الصراع القادم، كما في سورة البقرة وغيرها، وفيه قصة الدار الآخرة، وقصة أهل الجنة وقصص أهل النار؛ قصصهما في الدارين طبعاً، كل هذه وغيرها أخذت المزايا التي ذكرناها والتي لم نذكرها، ودخلت في قوله سبحانه: ﴿ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمَنِ الْغَفْلِينَ ﴾ [يوسف: ٣]، وقوله: ﴿ اللَّهُ نَزَّلَ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا مُتَشَابِهًا مَثَانِيَ نَقَّشَهُ مِنْهُ جُلُودَ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ ﴾ [الزمر: ٢٣]، وقوله: ﴿ وَلَوْ أَنَّمَا فِي الْأَرْضِ مِنْ شَجَرَةٍ أَقْلَمٌ وَالْبَحْرُ يَمُدُّهُ مِنْ بَعْدِهِ سَبْعَةُ أَبْحُرٍ مَا نَفِدَتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴾ [القمان: ٢٧].

فكيف وكل هذا القرآن بكل ما فيه من بحورٍ لا تنفد، إنما هو أنزل على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، والله سبحانه يذكر ذلك وينص على ذلك، فأنت لا يمكن أن تتلقى النص وتغفل عمن توجه إليه حديث الله في أول القصة، كقصة آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ حيث يقول له سبحانه: ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً ﴾ [البقرة: ٣٠] أعد قراءة الآية ثم أعد وأجب؛ لِمَنْ وَجَّهَ اللهُ الخطاب؟ لِمَنْ قال اللهُ تعالى؟ على مَنْ يقصُّ اللهُ أول قصة عن خلق آدم قبل أن يخلق؟ ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ ﴾، فإذا تبين لك ذلك، فماذا تملك إلا أن تصلي وتسلم عليه؟!

فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَيْهِ..

اقرأ من حيث شئت أن تقرأ وانظر لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بعينك، كأنك

تراه.. تنظر إليه؛ إذ السائل أو السائلة تسأله، تنظر إليه وجبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ قد نزل عليه.. تنظر إليه وقد أفاق، وهو يتلو على من وجد من كتاب المصحف ما أنزل الله عليه الآن... تنظر إليه وهو يقف بين يدي الله الذي أنزل عليه الآن كلامه.. وهو يقرأ لربه كلامه الذي أنزله سبحانه عليه الآن.. يقرؤه في صلاته... والصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يتلقونه من لحظته يتقاطر وحيًا من كلماته لو صح التعبير. لكن مما لا يمكن الدخول هنا بأي شكل من التصور؛ بأي شعور يتلقى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كلام الله... هكذا بهذا الوضوح.. أي: ما بين الله وبين رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.. كيف هو صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وهو أعلم الناس بهذا؟! كيف والله يذكره دائمًا وأبدًا؛ أن هذا القرآن مني وأنا ربك تَبَارَكَ وَتَعَالَى إليك مباشرة، بل كل آية فيها ما يذكرك.. بل كل آية كلها تذكرك، وما أكثر ما فيها من الإشارات التي تذكره.. وأحيانًا يصرح له بهذا ويذكره، فقال سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ تَنْزِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٣].

وهذا ماذا يعني؟! وهذا والله كل شيء... إن هذا يعني أن أعظم قصة في القرآن إنما هي قصة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في القرآن وقصته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مع القرآن.. وقصته مع ربه تَبَارَكَ وَتَعَالَى وربه عَزَّ وَجَلَّ يكلمه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في القرآن، ويجيبه في القرآن، ويجيب عنه في القرآن، ويحميه ويدافع عنه ويبين مقامه في القرآن، والله يحدثه بكل شيء نعم بكل شيء في القرآن ﴿وَنَزَّلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ تِبْيَانًا لِّكُلِّ شَيْءٍ وَهُدًى وَرَحْمَةً وَبُشْرَىٰ لِلْمُسْلِمِينَ﴾ [النحل: ٨٩] فَهِمْ مَنْ فَهِمَ... وشطر يفهم كل ما فهمه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ... فأبي قصة هذه؟ إنها قصة الصلاة على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ والقرآن العظيم!؟

فهل أدركنا ماذا تعني قصة الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مع قراءتنا القرآن أو سماعنا للقرآن؛ إنها تعني الرابط الذي أدخلنا ذلك المدخل الذي لا طريق إليه إلا بالصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؛ إذ إن هذا الموضوع إنما هو بين

الله وبين رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ... فهنا لا يكون حديث ولا تفسير ولا بيان، إنما هو الإنصات والاستسلام والصمت.. مع ما نتعلمه من الصلاة على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عند الإدراك.

فكما أن القرآن كله نزل عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فإن القرآن، إمَّا له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وإمَّا عنه، ومع هذا يمر ذكره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ولا يشعر به أحد أكثر الأحيان.. يمر ذكره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ نسيماً وسط النسيم، وعبقاً طيباً في رَوْح الطيب الطائر الغامر؛ ولهذا فحقيقة الصلاة على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في قلب المؤمن المستبصر لرسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وحرسته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وسكناته، وقوله وفعله، وذكر الله له في آياته لا يمكن أن ينقطع؛ ولهذا فالصلاة بالقلب متواصلة دائمة ما دام هذا القرآن أبد الأبدین.

### فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ

ومع هذا، فإن المرء لا يملك أحياناً إلا أن يتوقف ليروي اشتياًفاً إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بعثته كلمات الله تبارك الله رب العالمين، فيأخذ بالصلاة على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وكأنَّ اللسان غَارَ من القلب، فأبى إلا المشاركة ولم يطق الصبر على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وهو يجده حياً متحرِّكاً في كلمات الله، ووالله لهي أرقى حياة وأحيا حياة.

وكيف يستطيع القلب أن يمر المرّات والمرّات والله سبحانه يذكر رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أمامه، ثم هو لا يتوقف لِحَيْظَةٍ ليُصلي عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟! وهل يملك اللسان أن يتأخر؛ إذ القلب هنا أبصر... أبصر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، بل بَصَرَهُ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى برسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وهذا والله كثير لِمَنْ بَصَرَهُ اللهُ برسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حياً، كقطع الحياة في القرآن الكريم، بل كقطع الإحياء بالقرآن الكريم؛ لأنه كلام الله الحي القيوم، وكلام الله الحي الذي وهب الحياة

ويهبها لكل حي، ولكل من يشاء وما يشاء ولو كان كلامًا، وهل الحياة إلا بكلمة من الله؟!

والبعض لا يدرك هذا لما تعودنا من اشتراط وجود شاهد حربي منصوص وهاك مثل منصوص، وهل يملك القلب إلا أن يأمر اللسان أن يستجيب فيصلي على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حين رأى مطلع ختام سورة البقرة ذكر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فالله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى يقول: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكِيهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۗ وَاعْفُ عَنَّا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٥﴾﴾ [البقرة: ٢٨٥، ٢٨٦].

فيهدف القلب من أعماقه: يا أيها الإنسان اهتف بالصلاة على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

### فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ

إني أريد أن أرفع إلى ربي صلاة على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، صلاة لا نظير لها بالنسبة إليّ، صلاة أرفع ما في هذه الختام العظيم؛ ليتقبلها الله مني كما تقبل هذا الدعاء الوارد في الختام كله...

فأرفعها وكأنّها جزء من الدعاء كله... وهل هذا الدعاء كلّهُ إلا لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وهو الكنز الذي ختمت به سورة البقرة، أنزله الله إلا لرسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ



لا شك أن لسان المؤمن إذا جاءه التنبيه من القلب أن ارفع هنا إلى الله صلاة وسلاماً على رسول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فإنه يستجيب مباشرة ولا يتأخر، ولكن ما أكثر ما يأتي ذكر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ سهلاً عابراً، رَوْحاً وريحاناً... فلا يستشعره إلا بعد فوات الآيات الكريمات... بينما القلب يُصلي على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في أكثر الأحيان قبل فوات الأوان؛ إذ هو يقرآن كلمات الله عنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في القرآن، وصلاة القلب عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هو باعث يبعثه الله في قلب المؤمن حين يذكر رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، يبعث على تعظيمه، وتبجيله، وتقديره وإجلاله، فإذا تنبه العبد أكثر انتقلت هذه الروح إلى الصلاة والسلام عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من حركة القلب إلى حركة اللسان، وإلا عاشت روح الصلاة على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في قلب المؤمن وجالت في أرجاء صدره حباً واشتياقاً.

هكذا يزيد الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى عباده ارتباطاً بالرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ويحكمها بكلمات الله التامات.. وهكذا يصبح العبد كلما قرأ من القرآن أكثر زاد ارتباطه برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أكثر، وكلما تنبه قلبه لذكر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أكثر كلما صلى على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أكثر، وهل توجد كلمة تُثبِتُ كل المعاني التي يقصد بها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أكثر من الصلاة والسلام عليه، وإلا فما هي وسيلة الصلة الأخرى؟!

وانظر كيف نُفَوّت عقد الصلة والاتصال برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إذا فوتنا الصلاة عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في كل مرة؟ وانظر كمية الإيمان وتجديده وتأكيده بالرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وكمية الحب والاتباع والافتداء والفداء وما إلى ذلك إذا ثبتناها في كل مرة تنبعث فيها روح الإيمان وروح تلك المعاني عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في القلب... ثبتناها بالصلاة على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ولا يمكن أن يستيقظ القلب بل يبلغ ذروة الحياة والإحساس والإشفاق مثلما إذا

تليت عليه آيات الله، وعند ذلك تنبعت الصلاة على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من ذلك الإيمان القوي الحي النقي الذي يحفظ أثره ويشدد وطؤه بالصلاة والسلام على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

لا يشغب أحدٌ ويشوش على هذا الأمر العظيم، فإن مشروعية الصلاة على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ منوطة بذكره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، كما قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ ذَكَرْتُ عَنْدهُ...»<sup>(١)</sup> سواءً كان ذكره بالقرآن الكريم أو بحديثه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أو بأي وسيلة ذكّر له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فكيف إذا اجتمع الذكران: ذكّر الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى له في القرآن، وذكر القلب له.. فلم لا يستجيب اللسان.

ثم مَنْ ذا الذي يقول: إن الدعاء لِنَفْسِي إذا قرأت القرآن يجوز لي بينما الصلاة على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في الصلاة لا تجوز؟!!

أليس من حَقِّي الذي عَلَّمَنَا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إياه أن ندعو الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى لأنفسنا بما يُناسب ما قرأنا من القرآن؛ فَعَنْ حُذَيْفَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «صَلَّيْتُ مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ذَاتَ لَيْلَةٍ، فَافْتَتَحَ الْبَقْرَةَ، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ عِنْدَ الْمِائَةِ، ثُمَّ مَضَى، فَقُلْتُ: يُصَلِّي بِهَا فِي رَكْعَةٍ، فَمَضَى، فَقُلْتُ: يَرْكَعُ بِهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ النِّسَاءَ فَقَرَأَهَا، ثُمَّ افْتَتَحَ آلَ عِمْرَانَ، فَقَرَأَهَا، يَقْرَأُ مُتْرَسِّلاً؛ إِذَا مَرَّ بِآيَةٍ فِيهَا تَسْبِيحٌ سَبَّحَ، وَإِذَا مَرَّ بِسُؤَالٍ سَأَلَ، وَإِذَا مَرَّ بِتَعَوُّذٍ تَعَوَّذَ، ثُمَّ رَكَعَ، فَجَعَلَ يَقُولُ: «سُبْحَانَ رَبِّي الْعَظِيمِ»، فَكَانَ رُكُوعُهُ نَحْوًا مِنْ قِيَامِهِ، ثُمَّ قَالَ: «سَمِعَ اللهُ لِمَنْ حَمَدَهُ»، ثُمَّ قَامَ طَوِيلًا قَرِيبًا مِمَّا رَكَعَ، ثُمَّ سَجَدَ، فَقَالَ: «سُبْحَانَ رَبِّي الْأَعْلَى»، فَكَانَ سُجُودُهُ قَرِيبًا مِنْ قِيَامِهِ»<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٤٦)، وقال: هذا حديث حسن صحيح، والحاكم (٢٠١٥)، وصححه، وأحمد في المسند (١٧٣٦)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده قوي، رجاله ثقات.

(٢) أخرجه مسلم (٧٧٢).

فماذا عليّ إذا قرأتُ مثلاً قول الله تعالى: ﴿ءَامَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ ءَامَنَ بِاللَّهِ وَمَلَكَيْهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ ﴿٢٨٥﴾ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إَصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ ۗ وَاعْفُ عَنَّا وَاعْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ﴿٢٨٦﴾ [البقرة: ٢٨٥-٢٨٦]، فما أطق، إذ رأيت ربنا تبارك وتعالى قد قدم رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أن أقدم نفسي عليه بالدعاء! معاذ الله.

كيف إذا أثرت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ على نفسي، وقدّمته على طبعي الفطري، فدعوت له قبل دعائي لنفسي؟!

فحاشا الله أن يؤخرني؛ لأنني قدمت رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

فخذها يا رسول الله تفضلاً منك صلاة تلتهب حياةً وحيوية، وتتقد صلة ونورانية مع كلمات الله الحية، بل هاك يا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ السلام.

فالسارم عليك يا رسول الله.. السارم عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته

يارب وأنا أجاورها بما لا يحصى له عدد، علّ الصلاة على رسولك والسلام عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يمسهما من هذا التسييح، فتغدوان بغير حدٍّ ولا عدٍّ.

سبحان الله وبحمده.. عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته

سبحان الله وبحمده.. عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته

سبحان الله وبحمده.. عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته

وهل أرجو بهذه الصلاة في هذا الكنز الذي أنزله الله في ختام سورة البقرة خاصة من ربي إلا أن يعجل ربي هذا الدعاء المجاب، فيستجيب الصلاة على

رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ نفسها، وأن يعجّل فرج الأمة بهذه الصلاة على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ويستجيب كل دعاء في هذه الكلمات الكريمة من رب العالمين على لسان القارئ لها يرفعها بضمير الجمع الذي صيغ الدعوات، فهو دعاء عن الأمة كلها.. وهل الجمع هنا إلا عَنْ رُكْبِ اتِّبَاعٍ مَنْ تَصَدَّرَ ذَكَرَهُ أَوَّلَ الْآيَاتِ وختم بالدعوات: ﴿فَأَنْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ ❦ أي: كافة.

فَاللّٰهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا

ألا أيها القارئ الكريم! ألتقي حبلً وصالك برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، كلما غلب على قلبك تعظيمه وتبجيله وذكّره وغمرت قلبك محبته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.. وهذا هو ما يصنعه القرآن الكريم، ولا يصنع أحد صنع الله رب العالمين، فوالله ما أحلاها صلاة... وما أحيها صلاة، وما أقواها صلاة، وما أضمن وصولها إلى صاحبها صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من صلاة، وما أعظم كفالة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى وضمانه لها لِمَنْ صَلَّى بها من صلاة...

فَاللّٰهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ

رب العالمين هو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى من يوقفنا على مراتب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ويمر بنا على حياته، ويمر بنا على مواقفه، ويمر بنا على مواقعه وغزواته، ويمر بنا على تربيته وأصحابه، ويمر بنا على عباداته وعموم حياته، وذلك من خلال كلامه سبحانه العظيم.. كيف وكل كلامه العظيم لرسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ونزله على قلبه بالحق؟!!

فهل يمكن أن ينسى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وهذا القرآن موجود أبد الأبدين. وهل يمكن للمسلم الحاضر القلب إلا أن يشهد ما يشهده الله عليه ويجعله الله سبحانه يشاهده بعينه أو بعيني قلبه، فأنتي للزمان وإن طال أن ينسى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وهذا صنيع الله معه في القرآن العزيز.

وهل يغفل المؤمن عن انتهاز كل فرصة في القرآن الكريم والمبادرة بالصلاة عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

## فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ

لا تملك وأنت تقرأ قول الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى عن رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِلَّا أَنْ تَطْعَمَ نَفْسَكَ بِطَابَعِ نَحْوِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كل موقفٍ بحسبه...، ولذا فإنك لا تملك في موقف قرآني إِلَّا أَنْ تُبَجِّلَهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

ففي هذا الموقف تهيم به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حبًّا، وهنا تشتاق للقاءه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وهنا تُشاركه الموقف، وهنا تحن له، وهنا تبكي لأجله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وهنا تؤدُّ لو أنك كنت ثمًّا لتتشفرب بغدائه، وهنا تباعبه بأحرَّ بيعةٍ ومن أعماق قلبك.

وفي كل موقفٍ من مواقفها تقول بقلبك ولسانك معًا: اللهم صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، وَبَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مُجِيدٌ.

هكذا يصنع الله سبحانه بقلبك، وهذا لا تجده منطلقًا مثلما تجده حين تقرأ كلام الله رب العالمين عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

ولا تملك إِلَّا أَنْ تُصَلِّيَ عَلَيْهِ بقلبك في كل مرة، وربما غلب ذلك على لسانك فهتفت بالصلاة والسلام عليه هنا، وتوقفت بالصلاة والسلام عليه هنا، وكل صلاةٍ لها معناها وكأنها غير الصلاة التي قبلها، وهكذا الصلاة تتنوع طوال قراءتك لكلام الله عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وأنت إنما تُغذِّي جوانب العلاقة بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَى بالصلاة على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فالصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تُغذِّي الرجاء في القلب، وتغذي الخوف بالله، وتغذي التوكل على الله، وتغذي حسن الظن بالله، وتغذي حب الله، وتغذي حب رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وهكذا وهكذا حتى لا يبقى جانب من جوانب

عقيدة المسلم إلا غَدَّتْهُ الصلاة على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، أو ليس هو ذكر القدوة صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟ أو ليس هو هنا خوف النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الذي اضطررك إلى الصلاة عليه؛ اقتداءً بخوفه، وهو الذي جعلك تُصلي عليه من شدة الشوق إليه، ويأتيك موقف توكله على الله، وثقته بالله، وحسن ظنه بالله، وحبه لأمته، وأنت في كلِّ موقف تُصلي عليه، ورب العالمين هو مَنْ يبعثك لِتُصلي عليه؛ إذ أنت في جلال كلامه تَبَارَكَ وَتَعَالَى الذي يتحدث فيه عن رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ... فهل يملك القلب إلا أن يتغذى؟ وهل يملك العقل إلا أن يحفظ ويرسخ؟!

**صلاة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ دعاء.. أم ثناء.. أم جزاء؟**

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ﴾ [الأحزاب: ٥٦]: وهنا سؤال مهم: وهو أن الصلاة الأولى والعظمى، إنما هي صلاة الله على نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بغير شك. فهل هي أن يقول الله عَزَّجَلَّ سبحانه: اللهم صلِّ على محمد وآل محمد... أي: يقولها سبحانه كما عَلَّمْنَا أن نقول في التشهد وفي المواطن الأخرى؟

**والجواب:** لقد ذكر الله سبحانه وتعالى في كتابه العزيز اسم رسول الله [محمد] صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أربع مرات في القرآن العزيز باسمه الصريح، ولم يصلِّ عليه بهذه الصلاة مرة واحدة.. أي: لم يقل: اللهم صلِّ على محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

فهل لو كانت هذه صلاة الله عَزَّجَلَّ على رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لأمرنا بها وتركها.. تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا.

كما ذكر الله عَزَّجَلَّ باسم الرسالة: ﴿الرَّسُولَ﴾ [البقرة: ١٤٣]، أو ﴿رَسُولَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ٦١]، أو ﴿رَسُولُنَا﴾ [المائدة: ١٥] كثيرًا.... ولم يقل الله عَزَّجَلَّ مرة واحدة:

صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ...



وهكذا ذكر الله عَزَّجَلَّ اسم ﴿التِّي﴾ [آل عمران: ٦٨] كثيرًا، ولم يذكر هذه الصلاة عليه مرة واحدة.. عند ذكره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

إن هذا يكفي أن نعلم أن صلاة الله على رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ليست هذه، ولا هي المقصودة أبدًا.

فما الجواب إذا؟

الجواب: هو أن صلاة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى على رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ غيب عند الله تعالى.. فلقد ادّخر الله عَزَّجَلَّ صلواته على نبيه غيبًا عنده.. تعظيمًا، وتكثيرًا، وتكبيرًا.. إجلالًا وتكريمًا.. ورحمة بالعباد، فإنه لا طاقة لعقولهم بهذا الجزاء.. والله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَعْلَمُ، فاللهم صَلِّ عليه.. اللهم زد وبارك.

إذا، فإن الدعاء بـ [اللهم صَلِّ على محمد وعلى آل محمد] إنما هي صلاة المُكَلَّفِينَ.. صلاة الخلق على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وهي دعاء كما نراها، أو إخبار.. فإذا كانت دعاء، فالله يدعو مَنْ؟ ويخبر مَنْ؟ وهو الله رب العالمين سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى...؟

فإذا أشكل على البعض صلاة الله على بعض خلقه، كقوله في الصابرين: ﴿الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمُ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ (١٥٦) أَوْلِيكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأَوْلِيكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ ﴿ [البقرة: ١٥٦، ١٥٧]، فإن صلوات الله على كل أحدٍ تناسبه.. مثل أيِّ اشترك بيننا وبين رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في أيِّ عمل آخر أو حسنة أخرى..

ومن ذا الذي يستطيع أن يحدِّد معرفة صلاة الله على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عدًّا، أو حدًّا، أو كمًّا، أو نوعًا.. فلنرجع إذًا إلى آية الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَلَعَلَّنَا نَظْفِرُ بِشَيْءٍ يَعِينُنَا وَيُعَلِّمُنَا وَيَهْدِينَا، وكلام ربنا كله هداية؛ ذلك أن هذه الصلاة تكتنفها الخصوصية من كل جهاتها؛ ليشير بها رب العالمين إلى أن جزاء

صلاته سبحانه غيب عنده، وأن ما تعرفونه منها إنما هو اسمها وهو الصلاة، وأن لا سبيل لكم لمعرفة جزائها.

**فالخصوصية الأولى:** أن الله سبحانه وتعالى لم يقدم أحدًا قبل نفسه تَبَارَكَ وَتَعَالَى في الصلاة على رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، تشریفًا له وتعظيمًا وتكريمًا.. فقال في أولها: ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾، فلم يقل: [يا أيها الذين آمنوا]، ولا [يا أيها الناس]، ولا [وإذ قلنا للملائكة].. وإنما قال مباشرة: ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾، وكفى هذا التقديم في هذا المقام إشارة وبشارة بأمر لا علاقة لأحد به إلا المتكفل به وحده سبحانه وتعالى.

**أما ثانيها:** فقد جعل سبحانه وتعالى هذه [الصلاة] منه سبحانه منسوبة إلى [الله] عَزَّوَجَلَّ، وكونها منسوبة إلى [الله] عَزَّوَجَلَّ فقد استحال تحديد نوعية العطاء، ولا ماهيته، ولا عدده، ولا سعته، ولا أي إشارة تقرب الأمر إلينا.. اللهم إلا أن نقول - والله أعلم: بما أن أسماء الله الحسنى تعرف باسم الله وبنسبتها لاسم الله عَزَّوَجَلَّ - [الله] تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فإن قوله سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ﴾ يعني أن لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حسنًا وإحسانًا من كل اسم من أسماء الله الحسنى، فلرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من الله حسنى من كل اسم من أسمائه الحسنى.

وكونها منسوبة إلى الله ليس كما لو نسبت لاسم من أسماء الله الحسنى الأخرى - وكلها حسنى - فلو قال الله عَزَّوَجَلَّ مثلاً: [إن الله كان غفورًا رحيمًا] لحد لنا أن عطاء الله هنا هو العفو والمغفرة، وأنعم به من عطاء.. وهكذا في جميع الآيات المماثلة.. وهكذا الأمر في جميع الأسماء الحسنى الأخرى، أما هنا فأتى لأحد أن يحددها بشيء، والله عَزَّوَجَلَّ ما ذكر إلا الصلاة عليه؛ فقال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾، فمن ذا الذي يستطيع أن يقول: المقصود بالصلاة من ربه عليه هي المغفرة، أو الرحمة، أو العفو، أو الرضى، أو نحو ذلك؟! فهذا تحديد وتقييد لم يأذن الله عَزَّوَجَلَّ به، ولم يذكره رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، بينما حدّد

الله المقصود بالصلاة على المؤمنين بالمغفرة والإخراج من الظلمات إلى النور، والهداية؛ فقال سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي يُصَلِّي عَلَيْكُمْ وَمَلَائِكَتُهُ لِيُخْرِجَكُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾ [الأحزاب: ٤٣]، ثم ختمها بقوله: ﴿وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا﴾، فهنا تحدّد مقصود الصلاة أكثر وأكثر بالنسبة للمؤمنين، فلا يختلط علينا المشرب الكريم، وبقيت الصلاة على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.. كما هي رمزاً لجزاء من الله عَزَّوَجَلَّ لرسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فهذا مشرب كريم فرد فذُّ أحد.. فلنعاملها بهذه الخصوصية.. فهي خصوصية عند الله، فلم يبقَ إلا أن يُربطَ الجزاء بـ [الله] وأسماء [الله الحسنى].

فإن الله سبحانه قال: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، فلا شيء أقرب من أن نقول: إن لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من كل اسم من أسماء الله الحسنى.. حسنى؛ وما أعظم هذا.. إي والله؛ إنه لعظيم.

وأي مخلوق كريم عرّف الناس بأسماء الله الحسنى مثل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.. فما جزاء من فعل ذلك إلا أن يجازيه الله عن كل اسم من أسمائه الحسنى جزاء كل اسم على حدة، وجزاء كل الأسماء مجتمعة، وقد علّمنا ربنا سبحانه أن لكل اسم من أسماء الله الحسنى سلطانه، وله عظّمته، وله جلاله، وله جماله، وله إعادته، وله عطاؤه، وله ما لله، تبارك الله رب العالمين... ﴿بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ۝١ اللَّهُ الصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَكُنْ لَهُ كُفُوًا ۝٣ وَلَمْ يَكُنْ لَهُ يُولَدٌ ۝٤﴾ [الإخلاص: ١-٤].

أمثالها: فإن الله سبحانه قال: ﴿وَمَلَائِكَتُهُ﴾ وفي هذه الكلمة غيوب لا يعلمها إلا الله، ولا يمكن أن يعلمها أحد إلا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فمن هم ﴿وَمَلَائِكَتُهُ﴾ تَبَارَكَ وَتَعَالَى؟ هل هم ملائكته الخاصون الذين لا نعلمهم تحديداً، أم ﴿وَمَلَائِكَتُهُ﴾ بعض

ملائكته من ذوي المهام الخاصة ﴿وَمَا مِنَّا إِلَّا لَهُ، مَقَامٌ مَّعْلُومٌ﴾ [الصفات: ١٦٤]؟  
 أم ﴿وَمَلَائِكَتُهُ﴾ المصلون عليه هم جميع ملائكته؛ لأنه الأعم الأشمل  
 والأفضل، وهو المعنى الجامع لجميع المقامات، ولأنه الموافق لسياق الآية،  
 حيث إنه إذا تقدّم الله عَزَّوَجَلَّ بأمر فيه رضاه سارعت الملائكة كلُّها لمرضاته  
 تَبَارَكَ وَتَعَالَى؛ قال الله تعالى عن ملائكته: ﴿فَالسَّيِّدَاتِ سَبَقًا﴾ [النازعات: ٤].. وهنا  
 الأمر ليس مخصوصًا بتكليف معين لملائكة معينين في مهمة معينة، فالأصل  
 في ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾ أن هذا فضل عام تفضّل الله به على  
 ملائكته.. ورضًا عامًّا نشره على ملائكته.. وتقريب عام يتقرّب به ملائكة الله  
 إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وزُلفى يتزلفون بها إليه سبحانه... إذ الصلاة على حبيبه إليه  
 بقدر محبته حبيبه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ومن ذا الذي يستطيع أن يقدر محبة الله لحبيبه  
 ورسوله محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟!!

أما رابعها: فقولُه سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾، نعم! إن  
 الصلاة لفظ مشترك بين الله وبين ملائكته وبين المؤمنين... إلا أن هذا لا يدعونا  
 إلى الظن بأن صلاة الله على رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كصلاة خَلْقِهِ من ملائكته أو  
 صلاة المؤمنين، فإنه إذا لم تكن صلاة المؤمنين كصلاة ملائكته فكيف تكون  
 صلاة المخلوق كصلاة الخالق سبحانه؟ والله عَزَّوَجَلَّ يقول: ﴿أَفَمَن يَخْلُقُ كَمَن لَّا  
 يَخْلُقُ أَفَلَا تَذَكَّرُونَ﴾ [النحل: ١٧]..، فمثلًا منذ متى يصلي الخلق على رسول الله  
 صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟ منذ متى يصلي أتباع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وأُمَّته عليه؟ ومنذ  
 متى يصلي ملائكة الله عَزَّوَجَلَّ عليه؟ ولا نستطيع أن نقول: منذ متى يصلي الله  
 عَزَّوَجَلَّ؟ فقد قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ﴾، وما ذلك إلا  
 تعظيمًا لهذا الجزاء الذي لن يبلغه العادّون والله أبدًا.

أما خامسها: فإن الله سبحانه قال هنا: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى



النَّبِيِّ ﷺ، فما قال الله عزَّ وجلَّ: على [الرسول]، ولو قال لكان حقًّا، ولكن قوله الحكمة، والحكمة هنا هي ما قال الله، وهي قوله: ﴿عَلَى النَّبِيِّ ﷺ﴾، فالنبي في اللغة من النبأ، وهو أنسب ما يكون لهذا المعنى الذي ذكرنا من أن جزاء الصلاة على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لا يعلمه إلا الله وحده لا شريك له، وأنه نبأ مستقل ونبأ قادم، وأنه عند الله... وأن لا سبيل إلى معرفة هذا النبأ إلا في الآخرة لهذا النبي، فهو نبأ عظيم إذا ما كشفه رب العالمين وأظهره يوم النبأ العظيم.. فذاك النبي العظيم، يوم النبأ العظيم للنبي العظيم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.. وما دام الأمر كذلك... فأبي مفاجأة عظيمة طواها الله عزَّ وجلَّ لرسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في هذا اللفظ الكريم ﴿النَّبِيِّ ﷺ﴾؟ وأي مفاجأة للعالمين أجمعين؟

أما سادسها: فإن قول الله عزَّ وجلَّ: ﴿يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ ﷺ﴾ فالصلاة عليه من المقام الأدنى؛ ليستغرق كل مقام له.. ولو قال في هذه الآية: يصلون على [الرسول]، لربما حمله البعض على تخصيص هذه الصلاة عليه بكونه رسول الله، وليس نبي الله، فتكون الصلاة عليه من المقام الأعلى.. أما مقام النبوة؛ فدونها.. لكن الله عزَّ وجلَّ قال: ﴿النَّبِيِّ ﷺ﴾ فمن كل مقام عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، وفي كل حالة عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، ومن كل اتجاه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ... وهكذا، فهو من كل مقام هو الذروة التي لا يبلغها أحد؛ لأن فيها، ومنها تأتي الصلاة والسلام عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

### أما سابع الخصوصيات:

فإن الله عزَّ وجلَّ ذكر هنا ﴿النَّبِيِّ ﷺ﴾ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ... ولم يحدّد بحرف واحد يشير إلى تحديد النبي، كأن يخاطبه الله عزَّ وجلَّ بيا [أيها النبي]، أو يشير له باسم إشارة، أو حرف إضافة كحرف الكاف، أو نحو ذلك، وهذا لا يعني أنه إذا قيل: الرسول أو النبي لم ينصرف إلا إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فحسب... فإن الأمر هنا جاء بصيغة الإخبار، والأمر كذلك في هذه الآية، والصيغة

تدل على أنه إذا ذُكِرَت الصلاة على النبي عند الله وعند ملائكته، فلا حاجة إلى التحديد، فهو رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ولا أحد سواه، مثلما أنه لا أحد معه في هذا الجزاء.

حتى لو ورد في بعض الأحاديث ذكر بعض الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وذكر الصلاة عليهم بلفظ [صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ]، فهذا شيء وما في هذه الآية شيء آخر... فإن ما في هذه الآية فيه صلاة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وفيه صلاة ملائكته، وفيه صلاة المؤمنين جميعاً.. وهذا يختلف عن مجرد الصلاة والسلام عليه مثل: [صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ]، فهنا رب العالمين في الصلاة أولاً، ثم هنا أظهر الخلق أجمعين وأقرب المقربين وهم ملائكة الله، وهنا أظهر مَنْ في الأرض وهم المؤمنون والمُكَلَّفون عند الله بشكل مطلق، وهم في هذا الأمر مُكَلَّفون تكليفاً مخصوصاً بكل عظمة... إن الصلاة في هذه الآية هي الكمال كله كما هو شأن كلام الله. هنا الصلاة على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ آية كاملة خاصة برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.. فعظمتها من كلمات الله التامات هذه.

وثامن الخصوصية: هو أن صيغة الصلاة على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ خاصة دون سواه، فما قال الله عَزَّجَلَّ ذلك عن أحدٍ غير رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.. فما أشرك الله في هذه الصلاة أحداً مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أبداً، لا المؤمنين، ولا الآل، ولا أحداً من الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أبداً.

فوالله ما أدري ما أقول من التعظيم والتخصيص والتهنئة على هذه الكلمات التامات التي قالها الله عَزَّجَلَّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦]، والحمد لله رب العالمين.

فربما قال قائل: هذا جزاء الله عَزَّجَلَّ لعباده على حسناتهم؛ قال الله سبحانه: ﴿مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ عَشْرُ أَمْثَالِهَا﴾ [الأنعام: ١٦٠]، فيجري على رسول الله

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ما يجري على بقية عباده... فَلَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من كل حسنة عشر أمثالها!

والجواب: أن هذا هو جزاء مَنْ صَلَّى عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وليس جزاء رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بصلاة الله عليه.

نقول: نعم! قد بين رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عطاء الله لِمَنْ صَلَّى على رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ... الحديث: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ وَاحِدَةً، صَلَّى اللَّهُ عَلَيَّ عَشْرًا»<sup>(١)</sup>.

فكان جزاؤه معلومًا، كما قال الله عَزَّوَجَلَّ له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؛ فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ أَبِي طَلْحَةَ، عَنْ أَبِيهِ؛ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ جَاءَ ذَاتَ يَوْمٍ وَالشُّرُورُ يَرَى فِي وَجْهِهِ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا لَنَرَى الشُّرُورَ فِي وَجْهِكَ، فَقَالَ: «إِنَّهُ أَتَانِي مَلَكٌ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَمَا يُرْضِيكَ أَنْ رَبَّكَ عَزَّوَجَلَّ يَقُولُ: إِنَّهُ لَا يُصَلِّي عَلَيْكَ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِكَ إِلَّا صَلَّيْتُ عَلَيْهِ عَشْرًا، وَلَا يُسَلِّمُ عَلَيْكَ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِكَ إِلَّا سَلَّمْتُ عَلَيْهِ عَشْرًا، قَالَ: بَلَى»<sup>(٢)</sup>. هو الشاهد على أن هذا جزاء مَنْ صَلَّى عليك، فيا ترى كيف سيكون جزاؤك أنت؟ وما هو جزاء صلاة الله عليك صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟!

هذا جزاء مَنْ تَزَلَّفَ لي بالصلاة عليك؛ فلا جلك أعطيته كل هذا العطاء، علمًا أن مَنْ دعا لأخيه في ظهر الغيب قيل له: «آمِينَ وَلَكَ بِمِثْلِ»<sup>(٣)</sup>، أما عليك فله عشر.. فماذا سيكون عطائي لك أنت؟ عبدي تَزَلَّفَ لي بالصلاة عليك فقبلته وضاعفت له.. وإنما لَزَلْفِي عظيمة.. فكيف ترى عظمة عطائي لك وأنت سر العطاء؟!

(١) أخرجه مسلم (٤٠٨).

(٢) رواه أحمد (١٦٣٦٣)، وأحمد في المسند (٣٦٦٦)، وقال شعيب الأرنؤوط: حسن لغيره، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢/٢٩١) رقم (١٦٦١): حسن لغيره.

(٣) رواه مسلم (٢٧٣٣).



## الفصل الخامس

### رسائل الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ



**الرسالة الأولى: لله رب العالمين شهادة يرفعها عباده المشفقون؛ رسائل من**

عباده المؤمنين يرفعونها لله رب العالمين تَبَارَكَ وَتَعَالَى.

يا ربنا إنا حينما نُصلي على رسولك محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فإننا نرفع إليك من باب أولى إيمانًا قاطعًا بأننا به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أعظم إيمانًا وإيثارًا له على أنفسنا وحبًّا هو أعظم من حب أنفسنا وحب آبائنا وأبنائنا، وأنت يا رب بهذا أعلم.

**فاللهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك**

يا ربنا: أشهد وأنت خير الشاهدين بأننا نحبك، تباركت ربنا وتعاليت، حبًّا لا نظير له مطلقًا، ونحب رسولك صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أكثر من حبِّنا أنفسنا وأولادنا وكل شيء، والصلاة على رسولك صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أعظم شهادة على هذا.

**فاللهم صلِّ وبارك على سيدنا محمد وآله وصحبه وسلِّم**

**اللَّهُمَّ لَوْلَا أَنْتَ مَا اهْتَدَيْنَا وَلَا تَصَدَّقْنَا وَلَا صَلَّيْنَا**

**فَأَنْزِلْ لَنَا سَكِينَةً عَلَيْنَا وَثَبِّتِ الْأَقْدَامَ إِنْ لَاقَيْنَا<sup>(١)</sup>**

فنحن حين نُصلي على رسولك وحبيبك محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إنما نُصلي عليه

(١) أخرجه البخاري (٤١٠٦).

أساسًا؛ لأنها إرضاءٌ لك ربنا وحدك لا شريك لك، ثم إرضاءٌ له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قبل أن نفكر أنها لنا نحن المؤمنين وأن أجرها لنا.

### فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ مُحَمَّدٍ

ونحن حينما نُصَلِّي على حبيبك ونيك محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، إنما نُصَلِّي عليه يا ربنا أولاً وقبل كل شيء؛ لأنه حبيبك الأول في الثقلين، فنحن نحبك ونحب مَنْ تحب يا ربنا، وما من حبيب لك في ذرية آدم مثل حبيبك محمد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ... فأَيُّ شغل لنا مثل شغلنا بأعظم ما تحبه؛ برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، والصلاة والسلام عليه، صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

### فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ مُحَمَّدٍ

فمحببة مَنْ تُحب يا ربنا هي الأساس الذي أذهلنا عن كل ما نحبه، فهل تُرَدُّ حبيبًا جاء مقدّمًا حبيبك محمدًا رسولك وسيد ولد آدم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ... فحُبُّك ربنا وحُبُّ رسولك في قلوبنا لا ينفصلان أبدًا، وقد قال رسولك صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ: أَنْ يَكُونَ اللَّهُ وَرَسُولَهُ أَحَبَّ إِلَيْهِ مِمَّا سِوَاهُمَا، وَأَنْ يُحِبَّ الْمَرْءَ لَا يُحِبُّهُ إِلَّا لِلَّهِ، وَأَنْ يَكْرَهُ أَنْ يَعُودَ فِي الْكُفْرِ بَعْدَ إِذْ أَنْقَذَهُ اللَّهُ مِنْهُ؛ كَمَا يَكْرَهُ أَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ»<sup>(١)</sup>.

### فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ مُحَمَّدٍ

فالحب يا ربنا كله لك وحدك لا شريك لك... ومن حُبِّك وتحبيبك نبع حُبِّ رسولك صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ونبع حُبِّ كل ما تحب ومن تحب... أما نحن يا ربنا فأنت تعلم كم نحب رسولك صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، إلا أننا نترلّف بحبنا رسولك صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إليك ربنا... لأن ذلك هو الأحب إليك، ولأنه والله، ثم والله

(١) أخرجه البخاري (١٦)، ومسلم (٤٣)، والترمذي (٢٦٢٤) واللفظ له، والنسائي (٤٩٨٧)، وابن ماجه (٤٠٣٣)، وأحمد (١٢٠٢١).



أحب إلينا من أنفسنا بتحبيبك يا رب لنا ذلك، ولأنه حقيقة أحب إلينا من أنفسنا بفضلك، يا رب وهذه الصلاة العظيمة إحدى الشواهد لما نقول؛ فنحن نترقب وقت إجابة الدعاء، فنرفع إليك الصلاة والسلام على رسولك صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ... وما ذلك إلا لأن رسولك صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أحبُّ إليك منا.

فيا ربنا - وأنت أعلم - لو أنك لم تعط على ذلك جزاء - وحاشاك - لقد منا ما تحب على أنفسنا؛ لأن ذلك أحب إليك... وكفانا ذلك جزاء.

فيا رب أعننا نحن أمة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لنجعل هذا منهج حياتنا كلها في أصغر شؤوننا وأعظمها.

### فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ مُحَمَّدٍ

إلا أن الله سبحانه يُعطي وهو ربنا الأكرم، وعطاؤه سبحانه لا حدَّ له، ومع هذا، فإن عطاءه سبحانه مطلق لمن قدَّم ما يحبه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى؛ لأن الله يحبه حتى لو فرض أن ليس عليه جزاء، فهنا عطاء الله لا يُحدُّ ولا يُعدُّ؛ لأن هذا المنهج مطلق في كل شيء، فجاء الجزاء من جنس العمل، ولأن الحب مطلق لا حدَّ له مع الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فكان الجزاء مطلق لا حدَّ له، ولأن تقديمه محابَّب الله على كلِّ شيء بشكل مطلق دون النظر في قُرْبها منه أو بُعْدها عن اهتمامه بها أو عدم اهتمامه بها، فالاستعداد مطلق في كل شيء، والميزان مفتوح، فكل شيء يوضع في الكِفَّة المقابلة لمحبة الله تعالى ومحبة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فهو مرجوح بغض النظر له ولِمَاهِيته وأهميته.. حتى لو كانت الروح والولد والثروة والملك، فكانت كِفَّة صاحب هذا المنهج عند الله راجحة بشكل مطلق حتى لو لم يتعرض لاختبارات متواصلة وخيارات دائمة ﴿أَلَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ بِالشَّاكِرِينَ﴾ [الأنعام: ٥٣]!

وهل أدل على هذا من فعل سيدنا سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ بِخِيَلِهِ؟! وهل أدل على الجزاء على هذا الطريق من الحب وعمل المحب من جزاء الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى سيدنا

سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ في فعله هذا؟! فقال سبحانه: ﴿وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ نِعَمَ الْعَبْدِ إِنَّهُ أَوَّابٌ﴾ (٣٠) إِذْ عُرِضَ عَلَيْهِ بِالْعَشِيِّ الصَّافِئَاتُ الْجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي حَتَّى تَوَارَّتْ بِالْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَيَّ فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ ﴿٣٣﴾ وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ وَأَلْقَيْنَا عَلَى كُرْسِيِّهِ جَسَدًا ثُمَّ أَنَابَ ﴿٣٤﴾ قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَهَبْ لِي مُلْكًا لَا يَنْبَغِي لِأَحَدٍ مِّنْ بَعْدِي إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ ﴿٣٥﴾ فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾ [ص: ٣٠-٣٦]، فهو عَلَيْهِ السَّلَامُ ينصُّ على أن الأمر أمر محبة، هكذا كان عند سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ، ومن ثمَّ حسم حبُّ الله سبحانه الأمر، فقال: ﴿إِنِّي أَحْبَبْتُ حُبَّ الْخَيْرِ عَنْ ذِكْرِ رَبِّي﴾ [ص: ٣٢]، فهو لم يذكر الشر إنما أحب الخير، لكن ثمَّ خير، الخير كله وأحب محبوب مطلقًا.

### فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ مُحَمَّدٍ

وإن قاعدة تقديم الأحب إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى لتجعل الإنسان يشق لنفسه فيها طريقًا خاصًا لا يخالف ما ورد، بل يتوافق مع الأصول، وأعظم الأصول وأصلها محبة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، والمُحِبُّون في هذا يجتهدون اجتهادات عجيبة لا يلتفت إليها سواهم.

فهذا محبُّ رأى حديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «ثِنْتَانِ لَا تُرَدَّانِ، أَوْ قَالَ: قَلَمًا تُرَدَّانِ: الدُّعَاءُ عِنْدَ النَّدَاءِ، أَوْ عِنْدَ الْبَأْسِ حِينَ يُلْحِمُ بَعْضُهُمْ بَعْضًا، وَتَحْتَ الْمَطَرِ»<sup>(١)</sup>، فقال: يا رب لأفرغن ما بين الأذان والإقامة للصلاة على رسولك صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ. أوليست الصلاة عليه دعاء؟! أوليس الدعاء مجابًا؟! أوليس رسولك وحبيبك محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أحب إليك مني... فاشهد يا رب على

(١) أخرجه الحاكم (٢٥٣٤)، وَقَالَ: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، وَوَاقَهُ الذَّهَبِيُّ، وَالطَّبْرَانِيُّ فِي الْمَعْجَمِ الْكَبِيرِ (٥٧٥٦)، وَصَحَّحَهُ الْأَبَانِيُّ فِي صَحِيحِ الْجَامِعِ (٣٠٧٨).



حبي لك وأنت ربي الأكرم؛ أني قدّمت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ على نفسي وأنت لم تأمرني بهذا الدعاء المخصوص، وهو الصلاة والسلام عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ولم تعدني بشيء مخصوص على هذا، لكنه يا رب حُبُّك وحدك لا شريك لك، وحب رسولك صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟!!

وهكذا يبقى هذا الصنف من المحبين مُفْتَحِي العيين يرقبون الخيارات الأطيب والأحسن، فيختارونها لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؛ لأنه الأحب إلى الله منهم؛ ولأنهم يحبون الله ورسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أكثر من حبهم أنفسهم، وحالهم في هذا حال الولد البارّ الذي ينتقي أطيب البشائر من الفواكه الطيبة عند أول التبشير بها ولا يأكلها حتى يأتي بها أباه وأمه، ولا يمد يديه إلى لقمة، خشية أن عين والديه عليها، ولا يغبق ولدًا ولا أهلاً عليها.

وهكذا كان أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ورضي الله عنهم يختارون له لحم الذراع؛ لأنه أحب إليه، ويهدون له في يوم عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا؛ لأنها أحب إليه، وهكذا في كل شيء.. فماذا بقي لنا - نحن - نخصه به مثل الصلاة والسلام عليه - صلى الله وسلم عليه وآله - كما نخص آلَهُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ؟

نعم! إن للنفس مطالبها، وهي تريد أن تدعو بها، وإن لطلب الحاجة بشكل مباشر من العبد لربه سبحانه وبصراحة المطلب ضرورتها؛ ولهذا الجمعة كلها لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إلا ساعة واحدة جعلها الله للإنسان نفسه، وهي ساعة وقد جاءت التوصية النبوية أن يدعو الإنسان فيها.

ومع هذا؛ فإن هذه الساعة تُغري المحبين أكثر، فيقدموا هذه الساعة لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وليفعل الله سبحانه ما يشاء بي.

فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ مُحَمَّدٍ

ولتكن الجمعة كاملة لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؛ لأنه أحب عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى مني ومن الناس كافة؛ ولأن الله ورسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أحب إليَّ من نفسي التي بين جنبي، ومع أن الله يجعل للعبد ساعة، فليدع بها كاملة لمن يشاء، ومما يختاره الغيورون المحبون لله ولرسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؛ هو أن يدعوا لأمة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وهذا الدعاء في الحقيقة إنما هو علامة على إثارة الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وتقديمه على النفس؛ لأن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كان يُقدِّم أمته على نفسه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

### فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ

وإنك لترى ذلك يقيناً من خلال حياة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فإنه لا مؤثر مثله على نفسه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ثم هو لا يؤثر أحداً إيثاره أمته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حتى تصل إلى يقين؛ أن ما تراه من أدعية النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لنفسه أو لرزقه؛ إنما هو من تعليم أمته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ومن الأدلة كذلك على هذا أن تجد أن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كان يدعو بعد الوضوء، فيقول: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي ذَنْبِي، وَوَسِّعْ لِي فِي دَارِي، وَبَارِكْ لِي فِي رِزْقِي»<sup>(١)</sup>، فهل وسع الله سبحانه للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في داره؟ لقد مات في الحجرة التي عاش فيها أغلب حياته ودُفن فيها صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وهكذا أدعيته للوالدين، وقد عاش صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يتيماً، ثم إن الله سبحانه أرسل له يُخبره أن يجعل له جبال مكة ذهباً أو بطحاء مكة ذهباً وبين المسكنة، فاختار المسكنة، فلم لم يقبلها، وهو من دعا بالغنى في هذا الحديث، وفي أحاديث أخرى.

(١) أخرجه أحمد في «مسنده» (١٩٥٧٤)، وقال شعيب الأرنؤوط: حسن لغيره، والنسائي في «عمل اليوم والليلة» (٨٠)، وأبو يعلى في «مسنده» (٧٢٧٣)، وابن أبي شيبة في «مصنفه» (٢٩٣٩١)، ومسدد في «مسنده» كما في «إتحاف الخيرة المهرة» (٥٨١)، والطبراني في «الدعاء» (٦٥٦)، وصححه النووي في «الأذكار» (ص ٢٩)، وابن القيم في «زاد المعاد» (٣٥٤/٢)، وابن الملقن في «البدر المنير» (٢/٢٧٩).

هنا تقطع بأنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كان هو المعلم وهو المربي في هذه الأحاديث التي فيها شيء لنفسه.

فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ مُحَمَّدٍ

**الرسالة الثانية: إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من أمته:**

يا رسول الله! نُشْهِدُ اللَّهَ، وَنُشْهِدُ حَمَلَةَ عَرْشِ اللَّهِ، وَنُشْهِدُ مَلَائِكَتَهُ، وَنُشْهِدُ الْخَلْقَ كَافَةً؛ أَنْ أُمَّتَكَ تَحِبُّكَ حُبًّا يَا رَسُولَ اللَّهِ لَمْ تَحِبَّهُ أُمَّةٌ رَسُولُهَا عَلَيْهِ السَّلَامُ قَطُّ، بَلْ وَلَا مِثْلَهُ وَلَا قَرِيبًا مِنْهُ.

يا رسول الله: ما منا من أحدٍ إلا يحبُّكَ ذلك الحب.. حتى العُصاة منا ومرتكبي كبائر الذنوب من أمتك ليحبونك ويفدونك بأرواحهم، وإنهم يفرطون في مبادئ كثيرة، ويفرطون حتى في حقوق أولادهم وآبائهم، لكنهم يتهافتون تهافت الفراش في النار إذا انتهك أحدٌ من الناس حقَّك أو اعتدى عليك، أو سخر من شيء يخصُّك... وشعارنا جميعًا: إلاً أنت يا رسول الله.

فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ مُحَمَّدٍ

يا رسول الله: أنت الذي أشفقت على مدمن الخمر وغرت عليه من صحابتك حين شتمه أحدهم وأنت تنهاه، وتقول له: «لَا تَلْعَنُوهُ، فَإِنَّ اللَّهَ مَا عَلِمْتُ أَنَّهُ يُحِبُّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ»<sup>(١)</sup>.

فهذه أمتك تُشهد الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وهي في هذا الزمن الغابر أنها تحبُّك... فغيرتك تُغَيِّرُنَا.. وغيرتك تنزل غيرة الله علينا، وقطرة من غيرتك تسري في عروقنا تفجر براكين الغيرة من أعماقنا، ألسنت أنت من تقول يا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «أَتَعْجَبُونَ مِنْ غَيْرَةِ سَعْدٍ؟! فَإِنَّ اللَّهَ لَأَنَا أَغْيَرُ مِنْهُ، وَاللَّهُ أَغْيَرُ مِنِّي،

(١) أخرجه البخاري (٦٧٨٠).

مِنْ أَجْلِ غَيْرَةِ اللَّهِ حَرَّمَ الْفَوَاحِشَ، مَا ظَهَرَ مِنْهَا، وَمَا بَطَنَ، وَلَا شَخْصَ أُغْيِرٍ مِنَ اللَّهِ، وَلَا شَخْصَ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْعُذْرُ مِنَ اللَّهِ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ بَعَثَ اللَّهُ الْمُرْسَلِينَ، مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ، وَلَا شَخْصَ أَحَبُّ إِلَيْهِ الْمِدْحَةُ مِنَ اللَّهِ، مِنْ أَجْلِ ذَلِكَ وَعَدَّ اللَّهُ الْجَنَّةَ»<sup>(١)</sup>، أَلَسْتَ أَنْتَ الْحَيُّ فِي قَبْرِكَ؟ «حَيَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ تُحَدِّثُونَ وَنَحَدِّثُ لَكُمْ، وَوَفَاتِي خَيْرٌ لَكُمْ تُعْرَضُ عَلَيَّ أَعْمَالُكُمْ، فَمَا رَأَيْتُ مِنْ خَيْرٍ حَمَدْتُ اللَّهَ عَلَيْهِ، وَمَا رَأَيْتُ مِنْ شَرٍّ اسْتَعْفَرْتُ اللَّهَ لَكُمْ»<sup>(٢)</sup>.

ومع هذا، فلقد علمتنا ألا نستغيث إلا بالله، ونحن إنما نستغيث بالله وبما يُغيثنا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى بِهِ، وأيُّ غيرة لله أعظم من غيرته على رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟! يا رب! فنحن إرثه، ونحن ورثته الشرعيون.

### فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ مُحَمَّدٍ

يا ربنا: هذا رسولك صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ونحن أتباعه ومحبهوه... نحن الأيتام اليوم على موائد اللثام، نحن حماة القصعة الذي غلبوا حتى على قصعتهم، فلم يترك الأعداء طعامًا ولا قصعة أصلاً!

يا رب! نتوجه إليك برسولك صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ... يا رب نستنفر كل دعاء دعاه رسولك صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وكل دمعة كريمة هطلت من عينيه، وكل زفرة زفرها، وكل أزة أزيز أزها صدره المبارك، وكل هم حمله بسببنا، يا رب إنا نجدد اليوم حال الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لو أمكن تجديده، إنا نستحضره كأنه يا رب الآن يرتفع إليك منه هو صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، إنا نستمطر الإجابة لاستغاثاته الآن ربي، أو لَمْ تَقُلْ: يا رب أمي - ودمعته التي سالت على لحيته الكريمة... عنا ولأجلنا،

(١) أخرجه مسلم (١٤٩٩).

(٢) أخرجه البزار في مسنده (١٩٢٥)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٢٤/٩) رقم (١٤٢٥٠): رَوَاهُ الْبَزَّازُ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ.



ألم يُبِكِ هذا الحال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الذي أصابنا نحن ليالي وأيامًا، ولأجله دعا قائمًا وقاعدًا وراقدًا، عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو بْنِ الْعَاصِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا؛ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تَلَا قَوْلَ اللَّهِ عَزَّجَلَّ فِي إِبْرَاهِيمَ: ﴿ رَبِّ إِنِّي أَضَلَلْتُ كَثِيرًا مِّنَ النَّاسِ فَمَنْ تَبِعَنِي فَإِنَّهُ مِنِّي ﴾ [الآية [إبراهيم: ٣٦]، وَقَالَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿ إِن تَعَذَّبْتُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [الآية [المائدة: ١١٨]، فَرَفَعَ يَدَيْهِ وَقَالَ «اللَّهُمَّ! أُمَّتِي أُمَّتِي» وَبَكَى، فَقَالَ اللَّهُ عَزَّجَلَّ: «يَا جِبْرِيلُ! اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ، وَرَبُّكَ أَعْلَمُ، فَسَلِّمْهُ مَا يُبْكِيكَ؟ فَأَتَاهُ جِبْرِيلُ عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ فَسَأَلَهُ، فَأَخْبَرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِمَا قَالَ - وَهُوَ أَعْلَمُ - فَقَالَ اللَّهُ: يَا جِبْرِيلُ! اذْهَبْ إِلَى مُحَمَّدٍ، فَقُلْ: إِنَّا سَنَرْضِيكَ فِي أُمَّتِكَ وَلَا نَسُوءُكَ»<sup>(١)</sup>.

أكان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يحمل همَّ أصحابه وقد هاجروا إلى المدينة واستقروا بها، وأقاموا فيها خلافة النبوة، وهم من عزَّ إلى عزِّ أكبر وهكذا...؟! إنما هو حالنا نحن الذي لا أسوأ منه حالاً مرَّ على الأمة بشكل مطلق، وأيُّ حال أسوأ من غروب شمس القرآن كاملاً عن أمة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كاملة؟! وأيُّ سعادة للأب وهو يرى أبناءه في احتراب واقتتال ودماءؤهم تنزف بحراهم...؟! وحدث من هذا ولا حرج.

يا رب: اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على رسول الله وآله وصحبه... اللهم نرفع أحسنَ ما عندنا من استغاثة بك وحدك لا شريك لك... استغاثة معها زفيرها وأنينها، معها دموعها وبكاؤها، معنا إشفاقها وحرارتها، من أخلص قلبٍ عرفك يا ربنا، من قلب رسولك صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ...

يا رب! هذا حالنا لا يخفى عليك، وهذا مقامنا في الأمم لا يُفرح رسولك، بل يُبكيه ويُحزنه ويُوجعه ويُؤلمه لو كان بيننا... كيف وقد أخبرته بما سيكون،

(١) أخرجه مسلم (٢٠٢).

وها هو ما أخبرته به قد أصبحنا نحن المأساة التي استعاث لأجلهم رسولك صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

يا رب! يا رب يا رب يا ذا الجلال والإكرام، يا حي يا قيوم برحمتك نستغيث.. لا حول ولا قوة إلا بالله، لا إله إلا الله العظيم الحليم، لا إله إلا الله رب العرش العظيم، لا إله إلا الله رب السماوات ورب الأرض ورب العرش الكريم، سبحان الله وبحمده، عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته... سبحان الله وبحمده، عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته... سبحان الله وبحمده، عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته...

يا رب: لو أردت الانتقام لرسولك صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ منا لخذلانا وهجرانا، وحاشاك، لما أبقيتنا ولا أبقيت على ظهرها من دابة...

كيف لا وما من معصية فعلت في الأمم السابقة التي أهلكتهم ربنا سبحانك بألوان من العذاب إلا ومعاصيهم قد حيت في أمة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟! ﴿فَكَلَّا أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِ فَمِنْهُمْ مَنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا وَمِنْهُمْ مَنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ وَمِنْهُمْ مَنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ وَمِنْهُمْ مَنْ أَعْرَفْنَا وَمَا كَانِ اللَّهُ لِيُظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ﴾ [العنكبوت: ٤٠]، ومع هذا فقد لطفت بنا لأجل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

### فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ

يا رب: إن من قومنا من جأهروا بالمعاصي واستعلنوا بها، يا رب ومن الرعاة من شرع لها وحماها.. يا رب يا رب يا رب! إي والله يا رب، فلقد فعلت في أمة حبيبك صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كل ذلك وأكثر من ذلك، يا رب لكننا أمة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.. يا رب نسبتنا لمحمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

يا رب! لقد وعدت رسولك صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وها قد جاء وقت الوفاء، ومن أوفى بعهده منك ربنا.. ففي تلك الليلة التي بكى فيها رسولك صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وانتحب، ولا أحد يعلم بحاله سواك، فحننت عليه وأنت الحنان ربنا، وأَيَّ مَحَنَةٍ كَمَحَنَةِ رَبَّنَا عَلَى حَبِيبِهِ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَكَانَ مَا كَانَ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: لَمَّا كَانَ لَيْلَةً مِنَ اللَّيَالِي قَالَ: «يَا عَائِشَةُ ذَرِينِي أَتَعْبُدُ اللَّيْلَةَ لِرَبِّي»، قُلْتُ: وَاللَّهِ إِنِّي لِأُحِبُّ قُرْبَكَ وَأُحِبُّ مَا سَرَّكَ. قَالَتْ: فَقَامَ، فَتَطَهَّرَ، ثُمَّ قَامَ يُصَلِّي. قَالَتْ: فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي، حَتَّى بَلَ حِجْرُهُ. قَالَتْ: ثُمَّ بَكَى، فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي، حَتَّى بَلَ لِحْيَتَهُ. قَالَتْ: ثُمَّ بَكَى، فَلَمْ يَزَلْ يَبْكِي، حَتَّى بَلَ الْأَرْضَ، فَجَاءَ بِلَالٌ يُؤَذِّنُهُ بِالصَّلَاةِ، فَلَمَّا رَأَهُ يَبْكِي قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! لِمَ تَبْكِي وَقَدْ غَفَرَ اللَّهُ لَكَ مَا تَقَدَّمَ وَمَا تَأَخَّرَ؟ قَالَ: «أَفَلَا أَكُونُ عَبْدًا شَكُورًا؟! لَقَدْ نَزَلَتْ عَلَيَّ اللَّيْلَةَ آيَةٌ وَيَلُّ لِمَنْ قَرَأَهَا وَلَمْ يَتَفَكَّرْ فِيهَا: ﴿إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾ الْآيَةَ كُلَّهَا [آل عمران: ١٩٠]»<sup>(١)</sup>.

نعم! إن الآيات الكريمة التي أنزلت هي في التفكر... لكن التفكير نفسه وسيلة، والسموات الأرض وخلقهما هما ميدان التفكير، وهو وسيلة كذلك، فما هي النتيجة؟ بل ما هو هدف هذا التفكير؟

إن الله سبحانه يطمئن رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ على أمته ومصيرها رغم ما سيقع لها وما أخبره الله به عنها، وأن في خلق السموات والأرض لآيات ظاهرات على ثبات الحق، وهل الحق إلا في أمتك يا محمد؟ وهل خلق الله السموات والأرض ليتمكن الباطل وليرث الحق؟ ﴿رَبَّنَا مَا خَلَقْتَ هَذَا بَطْلًا سُبْحَانَكَ فَقِنَا عَذَابَ النَّارِ﴾ [آل عمران: ١٩١].

وهنا يوثق الله دعاء رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ويوثق نداءه في الأولين لآخر

(١) أخرجه مسلم (٦٢٠).

أمته محفوظًا ليوم يقول فيه الناظرون - كما هو الآن - : قد ذهبت أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إلى لا عودة، قد ذهب الناس إلى الخلود في النار، قد انطفأ نداء رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وهو الداعي للإيمان ﴿ رَبَّنَا إِنَّا سَجَعْنَا مُنَادِيًا يُنَادِي لِلْإِيمَانِ أَنْ ءَامِنُوا بِرَبِّكُمْ فَءَامَنَّا رَبَّنَا فَاغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرْ عَنَّا سَيِّئَاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ الْأَبْرَارِ ﴿١١٣﴾ رَبَّنَا وَءَايَاتِنَا مَا وَعَدْتَنَا عَلَى رُسُلِكَ وَلَا تُخْزِنَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّكَ لَا تُخْلِفُ الْمِيعَادَ ﴿١١٤﴾ فَاسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّي لَا أُضِيعُ عَمَلَ عَمَلٍ مِّنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أَنشُرَ بِعَضُكُم مِّنْ بَعْضِ الَّذِينَ هَاجَرُوا وَأُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَأُوذُوا فِي سَبِيلِي وَقَتَلُوا وَقُتِلُوا لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ ثَوَابًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَاللَّهُ عِنْدَهُ حُسْنُ الثَّوَابِ ﴿١١٥﴾ لَا يَغْرَنَكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ ﴿١١٦﴾ مَتَّعٌ قَلِيلٌ ثُمَّ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمِهَادُ ﴿١١٧﴾ لَكِنَّ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِّنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ ﴿١١٨﴾ وَإِنَّ مِنْ أَهْلِ الْكِتَابِ لَمَنْ يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَمَا أُنزِلَ إِلَيْهِمْ خَشِيعِينَ لِلَّهِ لَا يَشْتَرُونَ بِعَايَتِ اللَّهِ ثَمَنًا قَلِيلًا أُؤْتِيَتِكَ لَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ ﴿١١٩﴾ يَتَأَيَّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿ آل عمران: ١٩٣-٢٠٠ ﴾ .

### فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ

وكيف لا نديم الصلاة عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إلزامًا لنا وهو مَنْ حَمَلْ هَمَّنَا قَبْلَ أَنْ نَكُونَ؟! واليوم نحن ننتظر والله إجابة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى وهو ربنا سبحانه لا شريك له دعاء رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فينا، وهل من شيء أقرب عند الله من دعاء رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لأمته بالرحمة والنجاة والعز والتمكين؟!!

يَا رَبِّ صَلِّ وَبَارِكْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا

يَا رَبِّ! نحن الضائعون، فاجمعنا! يَا رَبِّ نحن المُمَزَّقُونَ، فاجمع شملنا!

نحن المتفرقون، فألف بين قلوبنا! نحن الأذلة، فأعزنا بعزتك يا عزيز يا رحيم!  
يا ربنا! إنا مغلوبون فانتصر لنا، وانصرنا، وارفعنا!

يا رب! نحن من ضيع حوته اليابس الذي كان من صيد صاده أباه، فاتخذ  
سبيله في البحر سرِّبًا وذهب في البحر، فأنتى لنا أن نجدَه؟ نحن من خرق سفينته  
في لُجَّة البحر، فأنتى لنا أن ننجو ونحن في لُجَّتَه؟ نحن من ضيع أيتامه في قرية  
اللئام، بل نحن الأيتام على موائد اللئام، نحن من أسلم عدونا ما تحت جدارنا  
من كنوز وتحت أرجلنا من ثروة، فأنتى لعدونا أن يرحمنا؟!!

فاللهم إنا نسألك من خير ما سألك منه محمد عبدك ورسولك، ونعوذ بك  
من شر ما استعاذ بك منه محمد عبدك ورسولك صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

يا رب: نجيت المشركين، وقد جاءهم الموت من كل مكان كالجبال حين  
دَعَوْكَ مضطرين، يا رب ليس عندنا أعلى ولا أغلى عندك ولا أثقل ولا أرجى  
من اضطرار رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ونحيبه وهو يهتف وسط الليالي: يا رب  
أمتي، يا رب أمتي.... والعين تلمي، فتنفجر دموعًا كريمة على لحيته الكريمة  
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حتى تبتل، وتزيد العين فيضًا من الدموع إثر فيض حتى يبَل  
حجره.... الله أكبر أي ليلة كانت تلك الليلة؟! وأي دموع تفجرت من تلك  
العينين الكريمتين حتى بَلَّت الأرض؟! نعم! بَلَّت الأرض التي كان يُصلي  
عليها مباشرة ويباشر القيام عليها برجليه الكريمتين، ويباشر السجود عليها  
بجبهته الشريفة... هناك كان ذاك الهتاف المجاب لنا منه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ربنا  
وأنت أعلم...

فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَيْهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ

يا رب! أنت سبحانك خالق الزمان والمكان وخالق الخلق... فلا ماضٍ  
عندك ولا مستقبل، فكله عندك وفي علمك سيان، فعلمك يا رب بحال رسولك

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ آنذاك - في تلك الليلة - كعلمك بحال أمة رسولك صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ التي استغاث لها لهذا اليوم، فما اختل شيء وما اختلف ﴿هُوَ الْأَوَّلُ وَالْآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [الحديد: ٣].

يا رب: اليوم نستغيث بك باستغاثه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ العظيمة تلك.

يا رب: اليوم تبتعث في قلوبنا في ذاكرتنا حالة نبينا وحبينا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وهو يتوجع بين يديك ويرتجيك ألا ترده وحاشاك.

يا رب: نحن نحفظ ذلك الحال بالروايات التي وردت إلينا هذا قصارانا، وأنت يا رب الحي القيوم، السميع البصير، الذي قلت لرسولك، وقولك الحق سبحانه: ﴿الَّذِي يَرَبُّكَ حِينَ تَقُومُ ﴿٢١٨﴾ وَتَقْلُبُكَ فِي السَّجِدِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٨-٢١٩] فأنت من يذكّرنا الآن ربي، وأنت ربي من ثورت هذا الرجاء فينا، وأنت من حفظ عهد رسولك صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وأنت من أجابه آنذاك ليومنا هذا نحياه الآن؛ يا رب! يا رب! يا رب! نحن الذين أحزنه حالنا حين كُشِفَ له الغيب فرآنا ورأى هذا الحال الأسفل لأمته.. نحن من أبكاه حالنا، نحن من أوجعته أو جاعنا، يا رب قد حان.. يا رب قد حان.

ليست هذه الاستغاثه إلا من منبع تعليم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلَكَ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ مُحَمَّدٌ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا عَاذَ مِنْهُ عَبْدُكَ وَنَبِيُّكَ»<sup>(١)</sup>، مصحوبة بكل ما يمكن استحضاره من حال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في دعائه لنا نحن الآن، منبعثة من آلام الأمة اليوم وعنائها وأوجاعها، وأحمالها وأصاؤها وآهاتها ونيرانها المشتعلة في كل مكان منها.

يا رب! ما أعظم فضلك على رسولك صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حينما أجبت دعاءه في أمته، وأوقفت أسباب فناء الأمم أن تأخذ مجراها بعدما أحاطت بالأمة

(١) رواه أحمد (٢٥٠١٩)، وقال الأرنبوط: إسناده صحيح.



من كل جهة، واحتوتها من كل عضو وعصل وعصب وعظم وشعر وبشرٍ فيها، يا رب! قد حفظت أمة يونس بن مَتَّى عَلَيْهِ السَّلَامُ بعدما خرجوا إلى العراء؛ عَجَزْتهم وأطفالهم، ودوابهم معهم تجأر خوفاً منك ربنا، واشتدت استغاثتهم وصرائحهم، وطافت عليهم سحب الهلاك، سوداء مظلمة، واقتربت ولا تزال: ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَا إِيمَنُهَا إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّا ءَامَنُوا كَشَفْنَا عَنْهُمْ ءَعَابَ الْآخِرِي فِي الْحَيَوٰةِ الدُّنْيَا وَمَتَّعْنَاهُمْ إِلَىٰ حِينٍ﴾ [يونس: ٩٨]، فكشفت عنهم ذلك العذاب بمننك وكرمك وعفوك، فيا رب! ونحن أمة حبيبك نتزلف إليك بحبيبك محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وبدعائه لا بدعائنا، فليكن إنقاذ الأمة مما نُعَانِيه نحن اليوم، وإعادتها إلى سيادة الأمم أمرٌ فوق طاقة كل ذي حِجْرٍ، وكل مستخدم عقله. يا رب إن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ أُلْقِيَ فِي النَّارِ، فَمَنْ يُصَدِّقُ أَنَّ النَّارَ لَنْ تَأْكُلَهُ وَأَنَّهُ سَيُخْرِجُ مِنْهَا، هَذَا وَمَنْ أَلْقَاهُ فِيهَا قَعُودَ حَوْلِ النَّارِ؟! وَلِذَا فَإِنْ إِعَادَةَ هَذِهِ الْأُمَّةِ إِلَىٰ عَزِّهَا الْأَوَّلِ سَيَكُونُ عَلَىٰ مَسْتَوَىٰ الدُّنْيَا كُلِّهَا بِإِجَابَةِ دَعَاةِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَإِنَّهُ وَاللَّهِ أَعْظَمُ بِمَا لَا يُوصَفُ - فِي مَقَائِيسِ الْبَشَرِ وَقَدْرَاتِهِمْ - مِنْ إِجَابَةِ دَعَاةِ خَلِيلِ الرَّحْمَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَإِنْقَاذِهِ مِنَ النَّارِ، فَأَيْنَ إِنْقَاذُ أُمَّةٍ اجْتَمَعَتْ عَلَيْهَا كُلُّ الْأُمَمِ مِنْ إِنْقَاذِ فَرْدٍ وَاحِدٍ اجْتَمَعَ عَلَيْهِ أَفْرَادٌ وَأَكْرَمُ بِذَلِكَ الْأُمَّةِ خَلِيلِ الرَّحْمَنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ؟!!

فكم لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ علينا من فضل عظيم؛ إذ حفظنا الله بدعائه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟! وهذا والله هو من قَدَمِ الصَّدَقِ الَّذِي قَدَمَهُ أَصْدَقُ الْخَلْقِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عند ربه لأناس لم يأتوا بعد، ولم يُخْلَقُوا بعد يوم رفع دعاءه.

فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلَّمَ

كم لله على رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من فضل عليه وعلى أمته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟

وكم له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عند الله من جاهٍ ووجاهةٍ وحبٍ ومحبةٍ حتى يُعْطِيَهُ مَا

رَجَاهُ وَيَزِيدُهُ فَوْقَ رَجَائِهِ مِمَّا لَمْ يَدْعُ بِهِ أُسَاسًا؟

فلو أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أعاد الأمة اليوم على يد رجل واحدٍ منها لكان في ذلك خير عظيم وفيه الكفاية؛ إذ كان إصلاحها على يد رجل واحدٍ من أبنائها، ولكن الذي فعله الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى هو أنه سبحانه يُصلحها على يد واحدٍ من أبنائها، وهو واحد من أبنائه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وبهذا جمع الله لرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ المحبتين: محبة أمته، ومحبة ذريته، وإن شئت قلت: المحبة الشرعية والمحبة الفطرية...

فالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ما سأل الله أبداً أن يجعل المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ ولده، ولم يعلم هو بالمهدي قبل أن تأتيه البشارة من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى به؛ ولهذا فهي محض فضل من الله تعالى، كما أنها من عدل الله، فإن الكثير من البيوت حكمت في الأمة إلا بيت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فإنه لم يحكم من ذريته من بعده أبداً... فكان من عدل الله في هذه أن يحكم بيته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ولو لمرحلة واحدة ولو لآخر مرة.. كيف وأنت لا تكاد تجد بيتاً تعرّض للأذى والظلم ما تعرض له بيت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وذريته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ... فكانت هذه المرة القادمة هي المرة الوحيدة وكانت عن كل مرة، وكانت الإجابة لدعوة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «يا رب أمّتي، يا رب أمّتي»، وما كان مقصودها أمّتي في الدار الآخرة في هذا الموضع، وإنما الدار الدنيا، أما الدار الآخرة، فلها أحاديث كثيرة أخرى، إذا فكانت إجابة الله رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في تلك الليلة، حيث جاء جبريل، وقال له: «إِنَّا سَرَّضِيكَ فِي أُمَّتِكَ وَلَا نَسُوءُكَ»<sup>(١)</sup>، كإجابة الله دعوة أبيه إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ حين دعا عند دعاء البيت العتيق هو وإسماعيل عَلَيْهِمَا السَّلَامُ حين قال: ﴿رَبَّنَا وَأَبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ إِنَّكَ أَنْتَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [البقرة: ١٢٩]، فسبحان الله على هذا الإحكام والإكرام.



فَاللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى آلِ  
إِبْرَاهِيمَ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ،  
وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ عَمِيدٌ مَجِيدٌ.

سبحان الله وبحمده، عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته  
سبحان الله وبحمده، عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته  
سبحان الله وبحمده، عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته

لقد كان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يعلم كم هو فضل الله العظيم عليه حتى خرج  
على أصحابه والبشر يظهر عليه.

ويعلم كيف سيعوض الله أمته بفضل تَبَارَكَ وَتَعَالَى وبتدعوته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ،  
حيث جعلها مرحلة النعيم الأعلى في حياة الأمة، حتى قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ:  
«فَتَنَعَمُ فِيهِ أُمَّتِي نِعْمَةً، لَمْ يَنْعَمُوا مِثْلَهَا قَطُّ»<sup>(١)</sup>.

ولهذا خرج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يوماً منتشياً مفتخراً بحقِّ بابن أمته، وهذا ابنه  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «مِنَّا الَّذِي يُصَلِّي عِيسَى ابْنَ مَرْيَمَ خَلْفَهُ»<sup>(٢)</sup>.

فتأسيس الأمر كله راجع للمهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ، رغم أن النبي الرسول عيسى  
عَلَيْهِ السَّلَامُ، ومن أولي العزم من الرسل، إلا أن إمامة الدين والدنيا عائدة للمهدي  
عَلَيْهِ السَّلَامُ مادام حياً؛ ولهذا قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنْ عِيسَى يَقُولُ حِينَ قَدَمَهُ  
المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ: لَا، إِنْ بَعْضُكُمْ عَلَى بَعْضٍ أَمْرَاءُ. تَكْرِمَةَ اللَّهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ»<sup>(٣)</sup>،  
وعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لا يعني كل أفراد الأمة، وأن الإمامتين محصورة فيهم ولا

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٠٨٣)، وحسنه الألباني.

(٢) رواه أبو نعيم في أخبار المهدي، وقال الألباني في الصحيحة (٢٢٩٣): صحيح.

(٣) أخرجه مسلم (١٥٦).

يتولَّى عليهم عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، إنما أراد المهدي تخصيصًا؛ لأنه هو عَلَيْهِ السَّلَامُ مَنْ يحكم بعد المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ مباشرة ويستمرُّ حكمه أربعين سنة، وهل يحكم عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ إلا أمة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟ لكن بعد المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ، وجميع الفتوح تقريبًا إنما تكون في عهد المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ، وما يبقى لعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ إلا نشر السلام، حتى ينتشر السلام بين الدواب، كما قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «فَيَكُونُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي أُمَّتِي حَكَمًا عَدْلًا، وَإِمَامًا مُقْسِطًا، يَدُقُّ الصَّلِيبَ، وَيَذْبَحُ الْخَنْزِيرَ، وَيَضَعُ الْحِزْيَةَ، وَيَتْرُكُ الصَّدَقَةَ، فَلَا يُسْعَى عَلَى شَاةٍ، وَلَا بَعِيرٍ، وَتُرْفَعُ الشَّحَنَاءُ، وَالتَّبَاغُضُ، وَتُنزَعُ حُمَةٌ<sup>(١)</sup> كُلُّ ذَاتِ حُمَةٍ، حَتَّى يَدْخَلَ الْوَلِيدُ يَدَهُ فِي فِي الْحَيَّةِ، فَلَا تَضُرُّهُ، وَتَفِرُّ الْوَلِيدَةُ الْأَسَدَ، فَلَا يَضُرُّهَا، وَيَكُونُ الذَّنْبُ فِي الْغَنَمِ كَأَنَّهُ كَلْبُهَا، وَتُمَلَأُ الْأَرْضُ مِنَ السَّلْمِ، كَمَا يُمَلَأُ الْإِنَاءُ مِنَ الْمَاءِ، وَتَكُونُ الْكَلِمَةُ وَاحِدَةً، فَلَا يُعْبَدُ إِلَّا اللهُ، وَتَضَعُ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا، وَتُسَلَبُ قُرَيْشٌ مُلْكُهَا، وَتَكُونُ الْأَرْضُ كَفَأْتُورِ الْفِضَّةِ، تُنْبِتُ نَبَاتَهَا بِعَهْدِ آدَمَ حَتَّى يَجْتَمِعَ النَّفْرُ عَلَى الْفُطْفِ مِنَ الْعِنَبِ، فَيُشْبِعُهُمْ، وَيَجْتَمِعُ النَّفْرُ عَلَى الرَّمَانَةِ، فَتُشْبِعُهُمْ، وَيَكُونُ الثَّوْرُ بِكَذَا وَكَذَا مِنَ الْمَالِ، وَتَكُونُ الْفَرَسُ بِالْذُرِّيهِمَاتِ»<sup>(٢)</sup>.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «يُنزَلُ ابْنُ مَرْيَمَ إِمَامًا عَادِلًا، وَحَكَمًا مُقْسِطًا، فَيَكْسِرُ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلُ الْخَنْزِيرَ، وَيُرْجِعُ السَّلْمَ، وَيَتَّخِذُ السُّيُوفَ مَنَاجِلَ، وَتَذْهَبُ حُمَةٌ كُلُّ ذَاتِ حُمَةٍ، وَتُنزَلُ السَّمَاءُ رِزْقَهَا، وَتُخْرِجُ الْأَرْضُ بَرَكَتَهَا، حَتَّى يَلْعَبَ الصَّبِيُّ بِالثُّعْبَانِ، فَلَا يَضُرُّهُ، وَيُرَاعِي الْغَنَمَ الذَّنْبُ، فَلَا يَضُرُّهَا، وَيُرَاعِي الْأَسَدُ الْبَقْرَ، فَلَا يَضُرُّهَا»<sup>(٣)</sup>.

نعم قدم المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ الدنيا للسلام الشامل والكامل حتى إنه لا يبقى

(١) الحُمَة: بالتخفيف السُّمُّ.

(٢) أخرجه ابن ماجه (٤٠٧٧)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده ضعيف.

(٣) أخرجه أحمد (١٠٢٦١)، وقال الأرنؤوط: حديث صحيح.

لعيسى إلا أن يُلغى الجزية؛ لأنه ما عاد في الأرض إلا الإسلام كنظام وكأمة، ويقتل الخنزير؛ لأن لا أكل له، وهذه علامة على عز الإسلام وظهوره المطلق، ويكسر الصليب؛ لأنه الوحيد الذي جعل الله له الأمر، ليس لأن الصليب حق، معاذ الله، وإنما لأن المصلوب على الصليب هو عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ نفسه كما صوره المشركون من النصارى، فكان صاحب الحق في هذا هو عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ولا حقُّ لأحد أن يأخذ هذا الحق بنفسه، ومن فعل هذا يكون مثل أخذ حق ولي الدم قد جعله الله حقه، ولهذا فإن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لم يُرو عنه إطلاقاً أنه كسر صليبا، لم يرو عنه أنه أمر أحداً بذلك، ثم إن عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين دخل المسجد الأقصى لم يخلع الصلبان التي على صدر القساوسة، ولم يُحطم الصلبان التي على الكنيسة المجاورة للمسجد الأقصى... فهذا حق ادَّخره الله سبحانه لعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، كما أن فيه تخفيفاً على أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

فانظر ماذا صنع ابن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بالدنيا؟ وكيف غيَّر الله به العالم كله؟ وكيف أدخل الله به الهدى إلى كل بيت؟ كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «لَيَلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ اللَّهُ بَيْتَ مَدْرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ، بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِدُلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللَّهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَذُلًّا يُذِلُّ اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ»<sup>(١)</sup>، فأُتي خبر أطيب لقلب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من هذا الخبر، وولده هو القائد الذي يقضي على الشرك والشر والظلم كله في الأرض، وكان هو القائد الذي أزال شر مَنْ دَبَّ على الأرض، وهم اليهود أول مرة، بل وثاني مرة حينما نزل عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، فلقد كان هو خليفة الله في الأرض حين قتل عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ الدجال، عليه لعنة الله.

(١) رواه أحمد (١٦٩٥٧)، والطَّبْرَانِي (٥٨/٢) (١٢٨٠)، والْحَاكِم (٨٣٢٦)، والْبَيْهَقِي (٣٠٥/٩) (١٨٦١٩). قال الهيثمي في «مجمع الزوائد» (١٤/٦): رجاله رجال الصَّحِيح. وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم، وقال الألباني في «تحذير الساجد» (١٥٨): على شرط مسلم، وله شاهد على شرط مسلم أيضاً.

ولِعَظِيمِ مَا فَعَلَ الْمَهْدِيُّ بِالدُّنْيَا وَلِأَنَّهُ نَقَضَ عَقْدَ الشَّيْطَانِ، وَحَطَمَ التَّاجَ الَّذِي أَعَدَّهُ الشَّيْطَانُ لِلدِّجَالِ لِيُؤَلِّقَهُ الْعَالَمَ، بَلْ لِيَلْعَنَهُ رَبُّ الْعَالَمِ، غَضِبَ الدِّجَالُ غَضْبَتَهُ وَانْتَفَخَ حَتَّى حَطَمَ أَغْلَالَهُ وَخَرَجَ، وَالنَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «إِنَّمَا يَخْرُجُ مِنْ عَظْبَةٍ يَغْضَبُهَا»<sup>(١)</sup>، وَإِلَّا لِمَ لَمْ يَغْضَبِ الدِّجَالُ طَوَالَ الْقُرُونِ الَّتِي مَضَتْ، وَعَلَى الْأَخْصِ الْعُقُودِ الَّتِي مَرَّتْ؟! وَلِمَ كَانَتْ هَذِهِ الْغَضْبَةُ وَالْمَهْدِيُّ مَوْجُودَ وَعَيْسَى لَمْ يَنْزِلْ بَعْدَ؟! وَهَذِهِ مِنْ حِكْمَةِ اللَّهِ، فَلَوْ أَنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثِ الْمَهْدِيَّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي هَذِهِ الْفِتْرَةِ وَظَهَرَ الدِّجَالُ كَمَا هُوَ حَالُ الْمُسْلِمِينَ الْيَوْمَ، لَوَقَعَ فِي الْأَرْضِ مَا تَفَطَّرَتْ لَهُ السَّمَاوَاتُ وَخَرَّتِ الْجِبَالُ هَدًّا حَقِيقَةً.

فَاللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ...

وهذا الأمر بكل تفاصيله من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِأَجْلِ دَعْوَةِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ،  
فِي رَبِّ لَكَ الْحَمْدُ.

يَا رَبِّ صَلِّ عَلَى رَسُولِكَ وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا

أَقْلِيلُ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ أَنْ يَمْلَأَ اللَّهُ الْأَرْضَ كُلَّ الْأَرْضِ قِسْطًا وَعَدْلًا لِأَجْلِ  
دَعْوَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

أَقْلِيلُ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ أَنْ يَجْمَعَ اللَّهُ لِلنَّاسِ غِنَى النَّفْسِ وَغِنَى الْقَلْبِ، وَكَأَنَّهُ لَمْ  
يَجْمَعْ مِنْ قَبْلِ النَّاسِ فِي أَيِّ عَهْدٍ، وَذَلِكَ لِأَجْلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، كَمَا  
فِي الْحَدِيثِ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ! لِيُوشِكَنَّ أَنْ يَنْزَلَ فِيكُمْ ابْنُ مَرْيَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ  
حَكَمًا مُقْسِطًا، فَيَكْسِرَ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلَ الْخِنْزِيرَ، وَيَضَعَ الْحَرْبِيَّةَ، وَيَفِيضُ الْمَالُ  
حَتَّى لَا يَقْبَلَهُ أَحَدٌ»<sup>(٢)</sup>.

أَقْلِيلُ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ أَنْ يُوسِعَ اللَّهُ عَلَى النَّاسِ تَوْسِعَةً يَنْعَمُ عَلَيْهِمْ فِي عَصْرِهِ

(١) أخرجه مسلم (٢٩٣٢).

(٢) أخرجه مسلم (١٥٥).

نعيمًا لم يتذوق أهل الإسلام مثله قط، وذلك لأجل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، حتى قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «فَتَنَعَمُ فِيهِ أُمَّتِي نِعْمَةً، لَمْ يَنَعَمُوا مِثْلَهَا قَطُّ»<sup>(١)</sup>.

أقليل يا أمة محمد أن يعيد المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ قِوَامَةَ الْقُرْآنِ وهيمته على الكتاب كله، ولا يقبل مع القرآن شريكًا في حكم الله، ولا يرضى به ملتحدًا... وإلا كيف يملأ الأرض قسطًا وعدلًا؟!

بل هذا والله أعظم عظيم، فإنه لم يسبق قط أن أحدًا أقام القرآن على الأرض كلها؛ ولهذا جاء في الحديث: «... وَلَا يَتْرُكُ...»، فصلوا وسلموا عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

### فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ

وهل من خطر على العالم كله منذ آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى قيام الساعة أخطر من المسيح الدجال، حتى قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «أَوِ الدَّجَالَ فَشَرُّ غَائِبٍ يُتَنَظَّرُ»<sup>(٢)</sup>، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «... مَا بَعَثَ اللَّهُ مِنْ نَبِيٍّ إِلَّا أَنْذَرُ أُمَّتَهُ، أَنْذَرَهُ نُوحٌ وَالنَّبِيُّونَ مِنْ بَعْدِهِ...»<sup>(٣)</sup>.

فبِمَنْ يردُّ الله كيدَ الدجال ويبطل مكره وعمله.. هل من أحدٍ إلا المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ، فهو يظهر وقد حصن المهدي الأمة، وأعادها إلى كتاب ربها وسنة نبيها صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ولو أن الدجال ظهر والأمر كما نرى لكانت ردّة عمت الأرض كلها، لكن بهذا حفظ الله نوره وأقام كتابه وحصن دينه، ثم ينزل عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٠٨٣)، وحسنه الألباني.

(٢) أخرجه الترمذي (٢٣٠٦)، وقال: هذا حديث حسن غريب، وضعفه الألباني في ضعيف الترمذي رقم (٢٦٠)، وكذلك ضعفه الحويني في النافلة في الأحاديث الضعيفة والباطلة: (٢٢ / ١).

(٣) أخرجه البخاري (٤٤٠٢).

فيقتل الدجال، فإنما يقتله والخليفة هو المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ، وعيسى لا شك خير منه، لكن هكذا أرادها الله لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وهكذا أرادها لأمة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

والأمر يطول، لكن هذا في هذا الموطن كافٍ بإذن الله.

سبحان الله وبحمده، عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته.

سبحان الله وبحمده، عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته.

سبحان الله وبحمده، عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته.

أما أنتم يا مَنْ تقرأون هذه الكلمات سوف تدركون المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ بإذن الله، وإني لأحسب أن هذا الجيل - الذي نحن فيه ومنه - هو جيل المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ وجُنْدُهُ منهم... لكنكم يا أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ سوف تصلُّون على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يومها صلاة غير هذه الصلاة التي تصلونها الآن.. لأنكم سوف تدركون فضل الله علينا به عياناً بياناً... سوف تستنشقون عبير العزة، وتعيشون العزة، وتتمرغون فيها، وتحيون حياة العزة، وتتولون إمامة العالمين... ولأنكم تصلُّون عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حين تنظرون لولده المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ فكأنكم ترون رسولكم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهل يُذَكَّرُ النظر إلى الولد بشيء أعظم من تذكيره بأبيه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ مُحَمَّدٍ

سبحان الله وبحمده، عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته.

سبحان الله وبحمده، عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته.

سبحان الله وبحمده، عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته.

والله يا رسول الله - صلى الله عليك وسلم تسليماً كثيراً - ها هي أمتك



قد ملأت الأرض كثرة، فما تشرق الشمس ولا تغرب إلا على أتباعك وأحبائك، فما من أحدٍ رفع: [أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ] سوى أمتك يا رسول الله، فاللهم صلِّ وسلِّم على رسولك وآله وصحبه، وما من بقعة في الأرض إلا بنتُ أمتك بيتًا لله يصدق عاليًا: [أشهد أن لا إله إلا الله وأشهد أن محمدًا رسول الله]، وما هي الشمس تسير كل يوم سيرًا منتظمًا من الشروق وحتى الغروب على شطري الأرض، وفي اللحظة التي تغرب فيها من هنا تُشرق فيها على الشَّطْرِ الآخر من الأرض، بناءً على وجود المسلمين وحركة الليل والنهار بحركة الشمس والأرض.

وبهذا التطابق ما بين الكون ونظام التشريع، فإن ذكرك يا رسول الله - بفضل الله وحده - ما عاد يغيب عن الأرض لحظة واحدة، والصلاة عليك لا تنقطع عن الصعود إلى الله لحظة واحدة، وإن أمتك لتهبُّ على بكرة أبيها متحيِّنة تفتُّح أبواب السموات بانتهاء أذان المؤذن بالصلاة، داعية لك يا رسول الله من خالص قلبها، وصادق ودِّها وحبها، طالبة من ربها في كل لحظة؛ أن تكون أنت كما رجوت يوم القيامة.. أنت الأول، أنت صاحب المقام المحمود، أنت صاحب الوسيلة والفضيلة، هذه الأمة تهتف بذلك بعدما تفتحت لدعواتها أبواب السموات، وبعدها تفتحت أبواب الإجابة بالصلاة والسلام عليك يا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وعندها ترفع لك ما علَّمتها أنت عليك صلوات ربي وسلامه قائلة: «اللهم ربَّ هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة، آت محمدًا الوسيلة....».

فمن يُحبك يا رسول الله اليوم على الأرض حبَّ أمتك صلى الله عليك وسلم - والله ولرسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الفضل -؟!!

مَنْ يدعو لأحدٍ ممن خَلَقَ اللهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى دعاء أمتك لك صلى الله عليك وسلم تسليماً كثيراً؟

من يطرق أبواب السماوات طرق أمة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لك يا رسول الله  
صلى الله عليك وسلم تسليماً كثيراً؟!!

أيُّ اسم يناشِد رب العالمين لأجله مثل مناشدة أمتك لك باسمك الكريم  
(محمد) صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ما بين مُصَلِّ ومُسلِّمٍ وداعٍ بعد الأذان وباكٍ لذكر ربك  
ولأجلك يا رسول الله؟!!

### فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ مُحَمَّدٍ

أيُّ محبوب في الوجود كلُّه من البشر قد سكن قلب أمة كما سكنت أنت  
يا رسول الله قلب أمتك؟ فأنت الحبيب الذي لا تزال هناك حيث يراك الله رب  
العالمين في قلب أمتك المشحون بحبك يا رسول الله...

قلبها الذي يعرِّد في قفصه بحبك يا رسول الله، يُعرِّد مترنماً باسمك، قد  
امتلاً اعتزازاً بك، وتفاخراً بالانتماء لك يا رسول الله، وهو لا يزال يوثق ذكرك  
يا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بالصلاة والسلام عليك كلما ذكرك.

فَاللَّهُمَّ اشهد أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هو صاحب الفضل من الخلق  
علينا، هو مَنْ عَلَّمَنَا، هو مَنْ زَكَّانَا، هو مَنْ عرفنا الحبَّ، هو مَنْ سبقنا بالحب،  
هو مَنْ سبقنا بالاشتياق إلينا، هو مَنْ أفاض علينا حتى غدا حبه في قلوبنا نبضها  
ونشيجها وحنينها وأنينها الذي لا يسكن إلا برويتك يا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ،  
ولو كانت رؤيا منام.

### فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا

سبحان الله وبحمده، عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته.

سبحان الله وبحمده، عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته.

سبحان الله وبحمده، عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته.

## الرسالة الثالثة: رسالة من الصلاة على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ نفسها تقول: إنني دعوة إلى الله:

ليست الصلاة على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هي مفتاح الدعاء المجاب، ولا هي مفتاح أبواب الخيرات، ولا هي ختم إجابة الدعاء، فحسب، ولكن لَمَّا كانت الصلاة على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لازمة، كلما ذُكِرَ النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، والله وحده يعلم أن المسلم سوف يذكر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أمام غير المسلمين، وسوف يُصَلِّي عليه أمامهم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كان ذلك بغير شك مثار تساؤلاتهم؛ ما هذا الكلام؟ ما هذه الصلاة؟ لِمَاذا تذكرون محمداً في كل شيء؟ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ... ولِمَاذا كلما ذكرتكم نبيكم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ذكرت الصلاة عليه بقولكم: صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟!!

وهذا التساؤل كافٍ لفتح شمس من الهدى على هؤلاء السائلين والآخرين من أمثالهم؛ ولِذَا فإن هذا الأمر يلزم كلَّ محب لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من المؤمنين أن يحسنَ الجواب؛ الجواب الصحيح وهو الجواب الهادي إلى الحق بإذن الله، بل أنت من يحمل الناس على سؤالك لتدخل إليهم وعليهم من باب الهدى، بل حتى لو كانوا مسلمين كان الشروع من هذا الباب لهم حتى لو لم يتساءلوا عن الصلاة ليعرفوا معناها ويتفقهوا في مغزاها، ويحملونها شمس هداية إلى الآخرين.

**يا هؤلاء: تتساءلون لِمَ نُصَلِّي على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كُلِّمًا ذكرناه؟!**

**والجواب بكلمة واحدة:** إننا نحبه ونموت مسرورين لأجله، وننفق أموالنا لأجله، ونقدم أهلينا وأبناءنا وكل محبوب لأجله...

فهلَّا تساءلتم: لِمَاذا تحبونونه؟

أقول: تأكد أننا نحبه أكثر من حبا آباءنا وأمهاتنا؛ لأنه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؛ لأنه هو مَنْ أَنْقَذَنَا وَأَنْقَذَ الْعَالَمَ مِنَ الْجَهْلِ، هو مَنْ رَدَّ لِلْعَالَمِ عَقْلَهُ الَّذِي اسْتَلْتَبْتَهُ الْخِرَافَاتِ وَالشُّعُوزَاتِ، وَأَصْبَحَ أَكْرَمَ مَخْلُوقٍ يَحْقِرُ أَعْلَى مَا فِيهِ وَهُوَ الْعَقْلُ الْكَرِيمُ، بَلْ يُلْغِيهِ لِيَعْبُدَ حَيَوَانًا أَوْ جَمَادًا أَوْ نُورًا أَوْ أَيَّ مَخْلُوقٍ آخَرَ.. هذا وهو سيد المخلوقات.. فكيف لا نحبه؟!!

أنا لم يُنْقِذْنِي أَبِي وَلَا جَدِّي وَلَا أَبُوهُمْ وَلَا جَدُّهُمْ.. وَالْآخِرُ يَقُولُ نَفْسَ الْكَلَامِ عَنَا، وَلَكِنِ الَّذِي أَنْقَذَنِي وَأَنْقَذَهُمْ هُوَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَكَيْفَ لَا أَحِبُّهُ أَكْثَرَ مِنْ هَؤُلَاءِ وَهُمْ أَحْزَنُ النَّاسِ عِنْدِي؟! فَأَنَا أَحِبُّهُ لِأَجْلِ نَفْسِي وَلِأَجْلِ آبَائِي وَلِأَجْلِ أَبْنَائِي كَذَلِكَ... فَفَضْلُهُ عَلَى الْآبَاءِ وَالذُّرِّيَّاتِ... فَحِبِّي أَكْثَرَ مِنْ حُبِّ هَؤُلَاءِ مَجْتَمِعِينَ.

فكيف لا أعبر عن حبه بالصلاة والسلام عليه؟!!

فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَيْهِ تَسْلِيمًا كَثِيرًا

فهل فهمتم كم تحمل الصلاة والسلام عليه من معاني الحب؟! إنها مجرد رمز للحب، وتحت هذا الرمز بحور محبة ومعانٍ وغايات عظيمة لا تنتهي.

فَاللَّهُمَّ صَلِّ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا

يا أيها المتسائل: لماذا نحبه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟ فثمة أجوبة لا تعدُّ ولا تُحصى... لو عشتَ حياتنا فَسَتَجِدُ أَنَّهُ هُوَ أَعْظَمُ مَنْ يَكُونُ حُبًّا لَنَا، وَلَيْسَ حُبُّهُ لَنَا مَجْرَدُ مَشَاعِرٍ نَحْنُ نَرِيدُ التَّعْبِيرَ عَنْهَا وَنَقُولُ إِنَّهُ يُحِبُّنَا، بَلْ نَحْنُ نَجِدُ حُبَّهُ لَنَا فِي كُلِّ تَفَاصِيلِ حَيَاتِنَا، فِي شَرْبِ الْمَاءِ عَلَّمْنَا، وَعَلَّمْنَا كَيْفِيَّتَهُ، وَفِي الْأَكْلِ عَلَّمْنَا آدَابَهُ، وَفِي النَّوْمِ عَلَّمْنَا، وَفِي الْبَيْتِ عَلَّمْنَا، وَفِي السُّوقِ عَلَّمْنَا، وَفِي السَّفَرِ عَلَّمْنَا، وَفِي التَّضْيِيفِ عَلَّمْنَا، وَفِي اللَّيْلِ عَلَّمْنَا وَفِي النَّهَارِ عَلَّمْنَا، وَفِي كُلِّ تَقَلُّبَاتِ الْحَيَاةِ



علمنا، وكأنه معنا، بل هو الحاضر الوحيد والمؤدب، والمعلم الذي لا يكاد يفارقنا، فيكف لا نحبه، وهو في كل علم وتربية وتأديب يملؤه حبًّا لنا ويبقى هذا الحب يفور حرارة، ويتفجر بركانًا في كل وقتٍ وحين، وعلى مدى الأجيال إلى يوم الدين؟

يا أيها المسلمون: هل تعرفون قصة سيد من سادات العرب وهو ثمامة بن أثال، وقد أسرته سريّة من سرايا المسلمين، فحبسه النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وأمر به أن يربط في سارية من سواري المسجد، فكان سبب دخوله الإسلام هو حب الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ للرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وقال للنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كما في الحديث عن أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: بَعَثَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ خَيْلًا قَبْلَ نَجْدٍ، فَجَاءَتْ بِرَجُلٍ مِنْ بَنِي حَنِيفَةَ يُقَالُ لَهُ: ثُمَامَةُ بْنُ أَثَالٍ، فَرَبَطُوهُ بِسَارِيَةٍ مِنْ سَوَارِي الْمَسْجِدِ، فَخَرَجَ إِلَيْهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟» فَقَالَ: عِنْدِي خَيْرٌ يَا مُحَمَّدُ، إِنْ تَقْتُلَنِي تَقْتُلْ ذَا دَمٍ، وَإِنْ تُنْعِمُ تُنْعِمَ عَلَيَّ شَاكِرٍ، وَإِنْ كُنْتَ تُرِيدُ الْمَالَ، فَسَلْ مِنْهُ مَا شِئْتَ، حَتَّى كَانَ الْغَدُ، ثُمَّ قَالَ لَهُ: «مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟» قَالَ: مَا قُلْتُ لَكَ: إِنْ تُنْعِمُ تُنْعِمَ عَلَيَّ شَاكِرٍ، فَتَرَكَهُ حَتَّى كَانَ بَعْدَ الْغَدِ، فَقَالَ: «مَا عِنْدَكَ يَا ثُمَامَةُ؟» فَقَالَ: عِنْدِي مَا قُلْتُ لَكَ، فَقَالَ: «أَطْلِقُوا ثُمَامَةَ»، فَاِنْطَلَقَ إِلَى نَخْلٍ قَرِيبٍ مِنَ الْمَسْجِدِ، فَاغْتَسَلَ، ثُمَّ دَخَلَ الْمَسْجِدَ، فَقَالَ: أَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا رَسُولُ اللَّهِ، يَا مُحَمَّدُ، وَاللَّهِ مَا كَانَ عَلَيَّ الْأَرْضُ وَجْهٌ أَبْغَضُ إِلَيَّ مِنْ وَجْهِكَ، فَقَدْ أَصْبَحَ وَجْهَكَ أَحَبَّ الْوُجُوهِ إِلَيَّ، وَاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ دِينٍ أَبْغَضُ إِلَيَّ مِنْ دِينِكَ، فَأَصْبَحَ دِينَكَ أَحَبَّ الدِّينِ إِلَيَّ، وَاللَّهِ مَا كَانَ مِنْ بَلَدٍ أَبْغَضُ إِلَيَّ مِنْ بَلَدِكَ، فَأَصْبَحَ بَلَدُكَ أَحَبَّ الْبِلَادِ إِلَيَّ، وَإِنَّ خَيْلَكَ أَخَذْتَنِي، وَأَنَا أُرِيدُ الْعُمْرَةَ، فَمَاذَا تَرَى؟ فَبَشَّرَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَأَمَرَهُ أَنْ يَعْتَمِرَ، فَلَمَّا قَدِمَ مَكَّةَ قَالَ لَهُ قَائِلٌ: صَبَوْتَ، قَالَ: لَا، وَلَكِنْ أَسْلَمْتُ مَعَ مُحَمَّدٍ رَسُولِ اللَّهِ

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَلَا وَاللَّهِ، لَا يَأْتِيكُمْ مِنَ الْيَمَامَةِ حَبَّةٌ حِنْطَةٌ حَتَّى يَأْذَنَ فِيهَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ<sup>(١)</sup>.

### فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ

**والسؤال:** كم في هذه الدنيا من معلمين؟ لكن من منهم أحبه قومه محبة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟ وكم من محب من هؤلاء كان حبهم له عن علم، فلم يكن مجرد حب أو تقليد، أو تعصب أو لأوهام اصطنعوها، بل هو حب لأنه علمنا كل شيء؟ ومن ذا الذي علم قومه مثلما علمنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟ وكم من معلم علم قومه ما لا ينفعهم، ونحن نتحدى أن أحداً يظهر لنا أصغر معلومة علمنا إياها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ليست صحيحة؟ وكم من معلم كذلك لم يرب أهله وقومهم، ولم يُزكِّهم ويطهرهم، لكن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ علم ودق، ولكنه فوق هذا يربي ويزكي، فكيف لا نُصَلِّي عليه صلاة المحبين؟!

### فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ

بل إننا نُصَلِّي عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؛ لأن صلاته ذاتها رحمة بنا، فهل عرفتم لماذا؟

ونُصَلِّي ونُسلِّم عليه؛ لأنه متقدنا من نار الخلود الأبدي، نعوذ بالله منها.

### فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَيْهِ تَسْلِيمًا كَثِيرًا

إن الصلاة عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تفتح لنا سيرته، فأبسط سؤال يقوله غير المسلم: من هذا الذي كلما ذكرتموه صليتكم عليه؟

وهنا يكون الفتح بالدخول إلى حياته العظيمة، وسيرته الهادية، وأخلاقه الحانية.. حتى كأن السائل يراه.

(١) أخرجه البخاري (٤٣٧٢).



إن هذا السؤال ذاته يحمل جوابه القاطع الهادي إلى الحق لو أصغى أصحابه لسؤال الفطرة التي في نفوسهم لهم؛ إذ الفطرة تقول: هل لو كان عند هؤلاء المسلمين حرج في أصغر جزئية من دينهم، ومن سيرة نبيهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لذكروه في هذا الأذان العام، والذي أمروا أن يرفعوه بأندى صوت، ويرفعوه في كل مكان لم يرفع فيه الأذان، ولمدة خمس مرات في اليوم واللييلة؟

يا قوم: إن ميزة الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ شمس تتقد كلما صلينا عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فحبه لا يزال في تصاعد، وشمسه في مزيد نور تبعته لنا الصلاة والسلام عليه، فهي رباط حاضر لنا به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، كلما ذكرناه.

فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ

سبحان الله! لقد أصبحنا في زمان يتساءل المتسائل: كيف نستطيع أن نجعل من الصلاة على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ سبيلاً للدعوة إلى الله، وسبيلاً لهداية الخلق؟!!

عجباً: أحتاج ذلك إلى بيان؟! فكل أمرٍ في حياته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يدفعا دفعا، حباً ووفاءً وتعظيمًا وتبجيلًا للصلاة عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.. فالصلاة عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ باب الدعوة، كما أنها باب الدعاء وختم إجابته.

فرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هو الدعوة كلها؛ والقرآن الكريم في صدره، والقرآن وما أدراك ما القرآن الكريم؟! وكلامه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بالوحي، وفعله بالوحي، وكل شأنه بالوحي، ورب العالمين يراعه في كل شأنه ﴿ وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُوا مِنْهُ مِنْ قُرْآنٍ وَلَا تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلَّا كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَنْ رَبِّكَ مِنْ مِثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُبِينٍ ﴾ [يونس: ٦١]، ويقول له: ﴿ وَإِذْ عَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقْعِدَ الْقِتَالِ وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴾ [آل عمران: ١٢١].

## الرسالة الرابعة: السلام إليك يا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ:

﴿وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته، السلام عليك يا رسول الله ورحمة الله وبركاته.

يا رب العالمين بَلِّغْ سلامي هذا إلى رسولك صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؛ إذ أنا أكتبه الآن عني وعن كلِّ فردٍ في أمة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

يا رب بَلِّغْ هذا السلام من كلِّ قارئٍ يقرؤه إلى رسولنا وحبينا وسيدنا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

يا رب ما كان لنا أن نؤدي السلام على رسولك صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لولا أنك سبحانك فتحت لنا هذا الباب في صلاتنا من حيث كنا؛ حيث نقول في كلمة التشهد الثانية: «السَّلَامُ عَلَيْكَ أَيُّهَا النَّبِيُّ وَرَحْمَةُ اللَّهِ وَبَرَكَاتُهُ»<sup>(١)</sup>، فنحن على هذا الدرب سائرون، ويا له من طريق ما أحلاه! وما أطيبه!

يا رب يا أرحم الراحمين: أنت سبحانك مَنْ علمتنا أن الصلاة على نبيك شيء، والسلام عليه شيء آخر، وأن الصلاة عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لها أجرها، وأن السلام عليه له أجره، فالصلاة عليه بصلاة منك، والسلام منا عليه بسلام منك سبحانه، كما روى عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَاتَّبَعْتُهُ حَتَّى دَخَلْتُ نَخْلًا، فَسَجَدْتُ، فَأَطَالَ السُّجُودَ حَتَّى خِفْتُ - أَوْ خَشِيتُ - أَنْ يَكُونَ اللَّهُ قَدْ تَوَقَّاهُ - أَوْ قَبَضَهُ - قَالَ: فَجِئْتُ أَنْظُرُ فَرَفَعَ رَأْسَهُ، فَقَالَ: «مَا لَكَ يَا عَبْدَ الرَّحْمَنِ؟» قَالَ: فَذَكَرْتُ ذَلِكَ لَهُ، قَالَ: «إِنَّ جِبْرِيلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لِي: أَلَا أُبَشِّرُكَ إِنَّ اللَّهَ عَزَّجَلَّ يَقُولُ لَكَ: مَنْ صَلَّى عَلَيْكَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ،



وَمَنْ سَلَّمَ عَلَيْكَ سَلَّمْتُ عَلَيْهِ»<sup>(١)</sup>، زاد في رواية: «فَسَجَدْتُ لِلَّهِ عَزَّجَلَّ شُكْرًا»<sup>(٢)</sup>.

## فاللهم صلِّ وسلم عليه

يا رب قد خصَّصْتَ رسولك صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من بين الموتى بخصيصة إبلاغه السلام... اللهم فأبلغه سلامنا عنا وعن أمته كافة، فهو صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مَنْ أَخْبَرْنَا بطريقة إبلاغه السلام، فعن ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال: «إِنَّ لِلَّهِ مَلَائِكَةً سَيَّاحِينَ يُبَلِّغُونِي مِنْ أُمَّتِي السَّلَامَ»<sup>(٣)</sup>.

فهؤلاء مجاميع الملائكة لا يعلم أعدادهم إلا الله، ولا يعلم بقدرتهم على سرعة التواجد إلا الله، قد خصَّهم الله بهذا العمل العظيم، فماذا على الأمة إذا هي واصلت السلام عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حتى لو كان السلام مع الصلاة عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، أو كان السلام منفردًا؟ وكم يقلق الأب ويتألم إذا هجره ولده حتى من إرسال السلام إليه؟! وكم يرى في المنام الأبناء البررة آباءهم الميتين حزينين إذا انقطعوا عن زيارتهم ولو فترة قصيرة؟ فلا يحسبن أحد أن رحمة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حين مات تغيرت على أمته؟ لا والله.

وعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «مَا مِنْ أَحَدٍ يُسَلِّمُ عَلَيَّ إِلَّا رَدَّ اللَّهُ إِلَيَّ رُوحِي حَتَّى أَرُدَّ عَلَيْهِ السَّلَامَ»<sup>(٤)</sup>.

(١) أخرجه أحمد (١٦٦٢)، وقال شعيب الأرنؤوط: حسن لغيره، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢/٢٨٩) رقم (١٦٥٨): حسن لغيره.

(٢) أخرجه أحمد (١٦٦٤)، وقال شعيب الأرنؤوط: حسن لغيره، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢/٢٨٩) رقم (١٦٥٨): حسن لغيره.

(٣) أخرجه النسائي (١٢٠٦)، وابن حبان في صحيحه (٩١٤)، وأحمد في المسند (٣٦٦٦)، قال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم، وقال الألباني في صحيح الترغيب (٢/٢٩٢) رقم (١٦٦٤): صحيح.

(٤) أخرجه أبو داود (٢٠٤١) واللفظ له، وأحمد (١٠٨١٥)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده حسن، وحسنه الألباني في صحيح أبي داود.

ومع أن الله على كل شيء قدير، فإنه لأجل الجَمْع بين الأحاديث نقول: لعل المقصود بهذا الحديث هو من يُسَلِّم عليه وهو في زيارته ويكون بجوار قبره، أو لعله مختص بيوم الجمعة.. ولكن يبقى هذا الحديث مختصاً بإفراد السلام عليه ولم يذكر الصلاة عليه مع السلام، وهذا يعني أن للسلام خصوصية، ومفهوماً من الحديث الشريف هذا لو أن رجلاً وقف على قبره ولم يُسَلِّم عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وإنما صَلَّى عليه فقط لم يردَّ الله سبحانه على رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ روحه في هذا المقام؛ لأن هذا الشخص لم يُسَلِّم عليه إنما صلى عليه، فإذا ثبت هذا ثبت أن للسلام خصوصيته للبعيد، كما هو للقريب، وثبت أن ثَمَّ فرقاً لجزء السلام عن جزء الصلاة صلى الله عليه وسلم تسليمًا كثيرًا... فهذا خاص بردُّ روحه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ - كما في الحديث نفسه - نعم! وردت أحاديث أخرى بأن مَنْ يُصلي عليه تبلغه الملائكة الصلاة عليه من ذاك الشخص، وهذا فضل الله، فليست الصلاة عليه بأقلَّ من السلام عليه أجرًا ولا قدرًا، معاذ الله.

وعن أبي طلحة الأنصاري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ جَاءَ ذَاتَ يَوْمٍ وَالشُّرُورُ يُرَى فِي وَجْهِهِ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللهِ، إِنَّا لَنَرَى الشُّرُورَ فِي وَجْهِكَ، فَقَالَ: «إِنَّهُ أَتَانِي مَلَكٌ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَمَا يُرْضِيكَ أَنَّ رَبَّكَ عَزَّوَجَلَّ يَقُولُ: إِنَّهُ لَا يُصَلِّي عَلَيْكَ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِكَ إِلَّا صَلَّيْتُ عَلَيْهِ عَشْرًا، وَلَا يُسَلِّمُ عَلَيْكَ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِكَ إِلَّا سَلَّمْتُ عَلَيْهِ عَشْرًا، قَالَ: بَلَى»<sup>(١)</sup>.

فهنا جاء التفريق بينهما في اللفظ، فلم يجمعهما بلفظ الصلاة ولا بلفظ السلام، وإنما جعل كل واحدٍ منهما مستقلاً عن الآخر، وفرَّق بينهما بحرف الواو وهي واو المغايرة، والملفت حقاً في هذا الحديث، كما في حديث عبد الرحمن ابن عوف السابق أن التفريق بين الصلاة عليه وبين السلام عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ،

(١) رواه أحمد (١٦٣٦٣)، وأحمد في المسند (٣٦٦٦)، وقال شعيب الأرنؤوط: حسن لغيره، وقال الألباني في صحيح الترغيب والترهيب (٢/٢٩١) رقم (١٦٦١): حسن لغيره.



كما ورد في العمل، فقد جاء التفريق في الجزاء الفوري من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى: ففي حديث عبد الرحمن بن عوف رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ جَبْرِيْلَ عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ لِي: أَلَا أُبَشِّرُكَ، إِنَّ اللَّهَ عَزَّجَلَّ يَقُولُ لَكَ: مَنْ صَلَّى عَلَيْكَ صَلَّيْتُ عَلَيْهِ، وَمَنْ سَلَّمَ عَلَيْكَ سَلَّمْتُ عَلَيْهِ»<sup>(١)</sup>، هكذا جاء تفصيلهما وتفريقهما عن بعضهما، وهكذا جاء التفريق في نفس حديث أبي طلحة الأنصاري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وبنفس الطريقة مع اختلاف في الملك واختلاف في مقدار الأجر، فقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّهُ أَتَانِي مَلَكٌ، فَقَالَ: يَا مُحَمَّدُ، أَمَا يُرْضِيكَ أَنْ رَبَّكَ عَزَّجَلَّ يَقُولُ: إِنَّهُ لَا يُصَلِّي عَلَيْكَ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِكَ إِلَّا صَلَّيْتُ عَلَيْهِ عَشْرًا، وَلَا يُسَلِّمُ عَلَيْكَ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِكَ إِلَّا سَلَّمْتُ عَلَيْهِ عَشْرًا، قَالَ: بَلَى»، إذا فَرَّقَ بينهما في العمل كما في الجزاء، فلكل واحدة منهما جزاؤها، وَمَنْ ذَكَرَ وَاحِدَةً مِنْهُمَا كَانَ لَهَا جَزَاؤُهَا وَحِذَاهَا، وَلَوْ أَنَّ الصَّلَاةَ وَالسَّلَامَ كَانَتَا شَيْئًا وَاحِدًا لَجَمَعَهُمَا النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِلَفْظٍ وَاحِدٍ فِي الْعَمَلِ، أَوْ جَمَعَهُمَا بِالْعَالَمِينَ فِي الْجَزَاءِ بِلَفْظٍ وَاحِدٍ كَمَا يَقُولُ: [فَمَنْ صَلَّى وَسَلَّمْ عَلَيْكَ كَانَ لَهُ عَشْرًا] لَكِنَّ اللَّهَ لَمْ يَقُلْ ذَلِكَ، هُوَ أَكْرَمُ مِنْ ذَلِكَ وَرَسُولُهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَسْتَحِقُّ أَكْثَرَ مِنْ ذَلِكَ.

فيا رب! لك الحمد ولك الشكر، كم تحب عبدك ورسولك محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حتى تُفَصِّلَ الأجر لأجله هذا التفصيل، فلا تعطيه مجملًا إنما تعطيه مفصلاً ثم تتفضل بالمضاعفات تفضيلاً.

### فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ مُحَمَّدٍ

يا رب شرعت لنا في التشهد لصلواتنا حين نلتقائك على هذه الأرض سلامًا خاصًا منك على رسولك صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ... لكل مصلاً يُقَابِلُكَ رَبَّنَا، فيقول: (السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته)، كما شرعت لنا في القسم الثاني

(١) رواه أحمد (١٦٦٢)، وقال الأرنبوط: حسن لغيره.

من التشهد الصلاة على نبيك صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ دون السلام، فاجتمع في الصلاة الواحدة السلام عليه مستقلاً كاملاً والصلاة عليه كاملة مستقلة، لكن شاهدنا أن ربنا جعل كل واحدٍ منهما شيئاً غير الآخر، وفرَّق بينهما بكلام، ثم إنه ابتداءً سبحانه السلام عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وهكذا يكون الأمر عند ابتداء اللقاء، فهل يضيرنا يا ربنا من شيء إذا نحن فصلنا بين السلام والصلاة عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟! يا رب ماذا عليّ إذا هاج قلبي اشتياقاً إلى أبي وكنتُ بعيداً عنه، فأرسلت له سلاماً بيد مسافر من الصحب ألا يفرحه ذلك؟ كيف وهذا رسولك يا ربي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟ هو أحبُّ إليّ من أبي، فأرسلت عن طريقك يا رب العالمين سلاماً إليه أو عن طريق ملائكتك وأنا أخاطبه بشكل مباشر: (السلام عليك أيها النبي ورحمة الله وبركاته)... ألا يصل سلامي؟!!

### فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ مُحَمَّدٍ

يا رب: إذا كان أبي المدفون في بلدي أسلمت عليه حين أذهب إلى قبره القريب مني بعدما أسلمت على أهل المقبرة عامة، ثم آتي قبره وأسلمت عليه خاصة... أَفَنَقْطَعُ أنا وكل المسلمين عن رسولنا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ السلام، ونُحْرِمُ من السلام عليه إلا إذا سافرنا وأتينا من بعيد - وإنه ليستحق الروح والمال والولد - وسلمنا عليه بجواره وكأنه كأبي ميتٍ من موتى المسلمين؟!!

حاشاك ربي أن تعامل الأقرب إلى كل قلبٍ معاملة سواه، والله إني ما أحسب إلا أن يقربه الله لنا حتى لكأنه الحاضر عند السلام عليه والصلاة عليه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ... حتى لو تمتم الرجل بينه وبين نفسه تمتمة بالصلاة والسلام عليه لأسمعتها رسولك وحبيبك أو بلغته أنت سبحانه أو بلغته ملائكتك السواحون، فعن ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال: «إِنَّ



لِلَّهِ مَلَائِكَةٌ سَيَّاحِينَ يُبَلِّغُونِي مِنْ أُمَّتِي السَّلَامَ»<sup>(١)</sup>، لأنك ربنا سبحانك أنت ربنا الحبيب الذي له منتهى الحب وكماله ولحبك أحببناه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وهو حبيبنا الأول في الخلائق جميعًا، وأنت حبيبه الذي لا شريك لك، فاجتمعنا في حقيقة الأمر نحن ورسولك صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ على حبك... فكيف لا تجمع المحبين المتحابين فيك متى أرادوا وتوصل سلامهم لسيدهم متى أرادوا وأنت على كل شيء قدير، وأنت القريب الودود ربنا؟!!

فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَآلِهِ وَصَحْبِهِ

### الرسالة الخامسة: تعالوا يا غير المسلمين:

يقولون: لماذا تكثرون الصلاة عليه؟ إنه نبيكم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

يا أيها الناس كافة: إن الصلاة على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ رسالة تقول لكم: يا كل من لم يصل على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من غير المسلمين، لماذا جعلتمونا أحق برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ منكم، من خدعكم وقال لكم: إن الأمر أمر قومية عربية، أو أمر عرق أو وراثته دين...؟!!

هو صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لنا جميعًا لكل أتباع الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ دون استثناء... وإن شككتكم في هذا فاقروا كتبكم التي لم تحرف بعد وستجدون الوصية به صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ واضحة.

ثم إن الجواب موجود في نفس الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فأكملوا الصلاة وسوف تجدون الجواب القاطع: (فَاللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ؟ كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وبارك على محمد، وعلى

(١) أخرجه النسائي (١٢٠٦)، وابن حبان في صحيحه (٩١٤)، وأحمد في المسند (٣٦٦٦)، وقال شعيب الأرنؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم، وقال الألباني في صحيح الترغيب (٢/٢٩٢) رقم (١٦٦٤): صحيح.

آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم)، هل انكشفت الحقيقة فأبصرتموها بعيونكم؟! ... أليس إبراهيم أبا الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ؛ الأنبياء الذين هم أصحاب الديانات أو الشرائع جميعاً.. هكذا هي الصلاة على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.. فكيف إذا عرفتم أن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ هو أبو النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ولده... إذاً أوليس الأنبياء عليهم الصلاة والسلام إخوة، والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يقول: «أَنَا أَوْلَى النَّاسِ بِعِيْسَى ابْنِ مَرْيَمَ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَالْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَّاتٍ، أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ»<sup>(١)</sup>!

إذاً فنحن نصلي على إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهو قاسمنا المشترك، بل نحن نصلي على جميع أنبيائكم عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، فما لكم لا تصلون على نبينا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟!

فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ

ربما قال قائلكم: أنتم لا تصلون على أنبيائنا، بل أنتم تصلون على نبيكم فقط، وتقولون: كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وبهذا تخلصتم من الصلاة على أنبيائنا؟

تعالوا وصلوا عليه؛ اطرقوا بابه من خلال الصلاة والسلام عليه، وستعرفون في كل تشريع من شرعه حكمة وإتقاناً مثل إتقان الذرة الصغيرة مع المجرة الكبيرة؛ لأن الخلق خلق الله، ودين محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ دين الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، فلا يمكن أن يكون اختلال في دين الله، بل هو أحكم وأتقن... وسينجلي لكم الحق في الصلاة على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ خاصة، كلما زدتم من الاعتراضات أكثر.

تعالوا وصلوا عليه، فليس لكم في نهاية الأمر إلا هذا، فنحن حينما نقول:

(كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم) ونقول: (كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم) فنحن نقرُّ بأن الصلاة التي نطلبها لمحمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قد تحققت فعلياً على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وأن البركة التي نطلبها لمحمد ولآل محمد قد تحققت كذلك فعلياً لإبراهيم ولآل إبراهيم، فنحن نُريد لمحمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ولآل محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من البركات مثل ما أعطيت إبراهيم وآل إبراهيم عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

أرأيتم إلى أيِّ درجة تُبين لكم الصلاة والسلام على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كم أنتم مُضيعون لأنفسكم ولأنبيائكم حين تتركون الصلاة والسلام على رسول الله محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تسليمًا كثيرًا؟!!

أرأيتم إلى أيِّ درجةٍ صرفكم الشيطان وشياطين الإنس حين صرفوكم عن محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وعن الصلاة عليه؟!!

### فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ

ألا أيها الناس: تعالوا إلى منبع الهدى والنور في الصلاة على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، تعالوا وستقول لكم الصلاة نفسها: إن صيغة الصلاة على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لتشهد بأن رسول الله محمدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هو خاتم الأنبياء جميعًا، وأن آل محمد هم ختام كل آلٍ للأنبياء جميعًا، وإلا لِمَ جاء التعبير بفعل الماضي في قوله: (كما صليت) وقوله (كما باركت)، بينما الدعاء مستمر بالصلاة على محمد وعلى آل محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؛ لأن آله مستمر من رسول الله محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إلى يوم القيامة.

تعالوا وانظروا في الصلاة على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وادخلوا على رسول الله، وأنتم تُصلون عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وعلى آله، فإنه هو نبيكم بعدما ذهب أنبياءكم عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، هو وصية أنبيائكم عَلَيْهِمُ السَّلَامُ قبل أن يذهبوا، ولم يبق

لوجود أنبيائكم من معجزة قاطعة بين أيديكم أبدأ، اللهم إلا شهادة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وشهادة معجزة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هي القرآن.

تعالوا واشهدوا لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وصلوا عليه صلاة كاملة وعلى آله، فآله هم آل أنبيائكم، أتدرون لماذا؟

لأن آل أنبيائكم جميعاً قد ذهبوا ولا يعرفون، وحتى لو عرف عند البعض بعضهم، فأنتم أنفسكم تشككون في ذلك، ومنكم من يكذبونهم، ولا دليل قاطع عندكم عليهم، ولا يبقى لآل أنبيائكم بشكل قاطع إلا آل محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؛ لأن آل محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هم آل إبراهيم، فهم من إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، ومن أبنائه إلى أن انتهى الأمر إلى آخر الأنبياء مطلقاً، وهو ابن إبراهيم وابن إسماعيل عَلَيْهِمَا السَّلَامُ؛ إنه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

فهل تنوون أن تضيعوا الآل الذين هم آل أنبيائكم، كما ضيعتم أنبياءكم عَلَيْهِمَا السَّلَامُ؟!!

### فَاللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَآلِ مُحَمَّدٍ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا كَثِيرًا

تعالوا واشهدوا بأن الصلاة على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ شهادة بأن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عبد لله رب العالمين، وأنه أول المذكورين عبودية لله تعالى.. كما أن جميع المرسلين عبادٌ لله رب العالمين.. وذلك لأن الصلاة هنا تعني الدعاء، وقولنا: (اللهم) تعني (يا الله)، أليست الصلاة على رسول الله كافية لِأَنَّ تُوَحِّدَنَا فِي عِبَادَةِ اللَّهِ؛ لِأَنَّهَا وَحَّدَتْ أَنْبِيَاءَنَا جَمِيعًا عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فِي عِبَادَةِ اللَّهِ؛ لِأَنَّ جَمِيعًا مَحْتَاجُونَ لِلَّهِ تَعَالَى، وَلَوْلَا ذَلِكَ مَا دَعَوْنَا لَهُمْ، وَهَذِهِ وَحْدَهَا كَافِيَةٌ لِأَنَّ تَهْدِمُ كُلَّ مَنْ عَظَّمَ نَبِيَّهُ وَزَعَمَ أَنَّهُ إِلَهٌ، لِأَنَّهُ لَوْ كَانَ إِلَهًا مَا دَعَوْنَا لَهُ، وَلِأَنَّهُ مَهْمَا كَانَ رَفِيعًا حَتَّى مِنْ قَالُوا: إِنْ عَيْسَى ابْنُ اللَّهِ، فَإِنَّ ابْنَ إِبْرَاهِيمَ إِذَا عَجَزَ رَفَعَ حَاجَتَهُ إِلَى وَالِدِهِ، وَإِذَا سَأَلُوهُ عِبَادَةً، وَمَا اسْتَطَاعَ رَفَعَ حَاجَتَهُمْ إِلَى أَبِيهِ، إِذَا فَلِمَاذَا يُسْأَلُ



الناس الولد؟! لماذا لا يُباشرون سؤال الله رب العالمين؟! ثم إنها تتضمن دليل العجز بالنسبة لجميع المخلوقين؛ أنبياء وغيرهم، ودليل الكمال المطلق في كل شيءٍ للواحد الأحد الله رب العالمين: ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ﴾ [الإخلاص: 1]، إنها من الكلمة السواء التي دعانا الله إليها: ﴿قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: 64].

فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ

يا أيها الناس: تعالوا اطرقوا على سيدنا محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ باب الصلاة على رسول الله صادقين، وسترون الخلق العظيم الذي هو جُمَاع خلاصة خلق سادة خلق العالمين مجتمعين وزيادة، فإن أفراد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وآله من جهة بالصلاة عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ واجتماع إبراهيم وآل إبراهيم، وفيهم الأنبياء وآلهم عليهم الصلاة والسلام، ليبين أنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الآخر الذي لم يتأخر وراءه نبي، وأن آله آخر آل الأنبياء، فلم يتأخر وراء آلهم أحد، وأن هذا النبي الأخير عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ هو الوارث لجميع الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، ولذا فإن الترتيب الزمني يقتضي أن البناء الإنساني ما زال يتدرج التدرج النفسي والعقلي وذلك من خلال اكتمال التجارب... حاله في ذلك حال الفرد نفسه؛ فالفرد بغير تجربة ليس كمن جرب، ومن جرب في جانب واحد ليس كمن مرت عليه التجربة مرتين، ومن جرب في جهة واحدة ليس كمن جرب في مختلف الجهات.. هذا في الشخص الواحد، فكيف بتجارب الأمم، كيف بالعقول التي عرَّكَتْهَا التجربة، والعقول التي ما زالت لم تتفتح بعد أبوابها... والله يخاطب الأمم على قدر عقولهم، وعلى قدر مؤهلاتهم؛ لأنه لطيف بعباده تَبَارَكَ وَتَعَالَى، ولهذا فإن كون الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تدل على أنه الآخر، فإنها تدل على أن الصلاة عليه هي الصلاة على مَنْ تأخذ عنه ما جاء به دون تردُّد ولا تمهل ولا شك؛

لأنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هو الآخر، ولا نقص في نبي من الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، ولكن من المستحيل أن تُعطي اختبارات الجامعة لرياض الأطفال أو للمرحلة الابتدائية، ومن المستحيل أن تكلف طلاب المرحلة الابتدائية برسالة كرسالة الدكتوراه لينتقلوا من المرحلة الابتدائية.

فأنت حينما تخصصه لوحده منفرداً بالصلاة، إنما تُصلي على اكتمال الرسالات وكمالها التي ابتدأت عند اكتمال النفسية الإنسانية وتمامها، واكتمال العقل الإنساني وبلوغه أشده... وعند بلوغ الإنسانية هذا الحد تأتي هذه الرسالة لتطلق للإنسانية كامل طاقاتها، وكامل قواها، وتطلقها في آفاق لا تنتهي الإنسانية، ولا يختم للبشرية إلا ببلوغ ذروة ذراها؛ ولهذا كان ملازماً للصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أن تُصلي كذلك وتسلم لزوماً على آل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ذلك أن بلوغ الآفاق التي ترنو إليها الإنسانية إنما يكون حين يبعث الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى ولد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، واسمه المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ، فيزيل كل العوائق التي تحول بين الإنسانية وبين آفاقها، فيزيل الظلم كله من الأرض، وهل من عائق مثل الظلم، ويملاً الأرض قسطاً وعدلاً، ولهذا قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا يَوْمٌ لَطَوَّلَ اللَّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ حَتَّى يَبْعَثَ فِيهِ رَجُلًا مِنِّي» - أو «مِنْ أَهْلِ بَيْتِي» - يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي، وَاسْمُ أَبِيهِ اسْمُ أَبِي» زاد في حديث فطر: «يَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا، كَمَا مِلْتَّ ظُلْمًا وَجَوْرًا»<sup>(١)</sup>، كما في جاء وصف المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ في كتب العهد القديم بأنه [تضاعف المعارف في عهده]، إذاً فهو يظهر في عصر المعارف، وهل عصر المعارف إلا هذا العصر الذي يُسمى عصر العلم أو عصر الثورة العلمية؟! ثم

(١) أخرجه أبو داود (٤٢٨٢)، وقال شعيب الأرنؤوط: صحيح لغيره، وقال الألباني:

إن المعارف في عهد لا تمشي على نفس التقدم العلمي الذي كان متصاعدًا، وإنما تتضاعف إلى أضعاف مضاعفة.

فَاللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ،  
اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ.

فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ مُحَمَّدٍ

تعال إلى الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لِتشهد أن ما من نبي جاء بالشرعية الكاملة لأنه ما من نبي جاء برسالة لكل أهل الأرض جميعًا، وما من نبي إلا جاء لقومه خاصة، والمعنى هو الخصوصية والتخصص، فهذا شريعته تخصص فيما يعني قومه خاصة، وذاك فيما يعني قومه خاصة، وثالث، ورابع، وهكذا كانت الرسائل السابقة عظيمة ومتخصصة، وبالتالي، فإن بعد هذا الركب العظيم الكبير وهم أعظم المتخصصين على الإطلاق، وكل واحد منهم استحق الصلاة والسلام عليه منفردًا إذا ذكر لوحده، ومع جميع الجمع إذا ذكروا مع أبيهم إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثم يأتي من بعدهم الكامل الذي استحق الصلاة والسلام عليه منفردًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؛ لأنه جاء بالكمال المطلق، والكمال هو الذي صنعه الأنبياء من قبله، فجاء هو أقرهم على كل ما جاؤوا به، ثم زاد على ذلك ما شرعه الله سبحانه له من شرع زائد... «مَثَلِي وَمَثَلُ الْأَنْبِيَاءِ مِنْ قَبْلِي كَمَثَلِ رَجُلٍ بَنَى بُيْتَانًا، فَأَحْسَنَهُ وَأَجْمَلَهُ، إِلَّا مَوْضِعَ لَبَنَةٍ مِنْ زَاوِيَةٍ مِنْ زَوَايَاهُ، فَجَعَلَ النَّاسُ يَطُوفُونَ بِهِ وَيَعْبُجُونَ لَهُ، وَيَقُولُونَ: هَلَّا وُضِعَتْ هَذِهِ اللَّبَنَةُ، قَالَ: فَأَنَا اللَّبَنَةُ، وَأَنَا خَاتَمُ النَّبِيِّينَ»<sup>(١)</sup>، فمن أراد أن يرى نبيه عَلَيْهِ السَّلَامُ الذي لم يره، فلي نظر إلى رسول الله محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ومن أحزنه ضياع دين نبيه، فليأخذ بيد نبيه، ففيه دينه، ومن ندم على ضياع سيرة نبيه، وأنها ذهبت مع الذاهبين، فلا

(١) أخرجه البخاري (٣٥٣٥)، ومسلم (٢٢٨٦) واللفظ له.

يحزن، فإنها موجودة مائة بالمائة تمامًا في أخلاق النبي محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ولهذا حفظ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى دين محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وحفظ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أخلاق النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، لم يُفقد منها شيء نحتاجه مطلقًا، وحفظه حفظًا يروى لنا بالروايات الصحيحة؛ كأننا نراه رأي العيان، ورُويت أغلب الأخلاق من خلال قصص حصلت، فكان حفظها أسهل وروايتها أسهل كذلك؛ لهذا أقول لك: إذا رأيت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ رأيت نبيك ورأيت أخلاقه وعرفت سيرته، وعرفت دينه كاملاً غير منقوص؛ ولهذا قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ»<sup>(١)</sup>.

وماذا يرجو المصلحون في كل الأمر وكل المجتمعات وكل الأمم إلا أن يبلغوا بأممهم مكارم الأخلاق؟ إذا فيا أيها المصلحون! ويا أيها الأمم! إن الغاية التي تنشدون إنما هي عند من لا يزال البعض يستتكف إذا ذُكر أن يُصَلِّيَ ويسلم عليه!!!

ودعني الآن أعمل اختبارًا أخيرًا لعله يُدْخِلُ قلبك وعقلك فعليًا الصلاة والسلام عليه كلما ذُكِرَ رسول الله أمامك صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؛ وذلك من خلال خُلُقِهِ... وحياته كلها خُلُقَهُ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ. هات الآن أي خُلُقٍ طيب من الأخلاق الكريمة التي أجمعت عليها الأمم، ولننظر هل لهذا الخلق وجود عند النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أم ليس له وجود...؟ وأنا أتحدى ألا تجد خُلُقًا كريمًا واحدًا من أخلاق الأمم السالفة ولا تجده عند النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، بل أتحدى على ما هو أكبر من هذا؛ وهو أن كل خُلُقٍ كريم ترويه لي عن الأمم السابقة أو اللاحقة سوف تجد ذروة ذلك الخلق وكماله عند النبي محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ...

(١) أخرجه أحمد (١٩٥٢)، والبخاري في «الأدب المفرد» (٢٧٣)، والبخاري (١٩٤٩)، وأحمد في المسند (١٩٥٢) بلفظ: «صالح الأخلاق»، وقال شعيب الأرنؤوط: صحيح. وصححه الألباني في الصحيحة (٤٥).

وسوف أسرد للقارئ المكرم عينات من أخلاق النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قد كُتِبَتْ في كل عينة منها بابًا كاملاً في كتب الروايات المتخصصة الصحيحة ومنها ما كتب كتاباً في كل خُلق، وأحياناً كتباً في الخُلق الواحد من أخلاقه، وكل واحدٍ اليوم يستطيع أن يدخل بنفسه خلال هاتفه على المكتبات ولينظر في هذه العينات التي أخذها من أخلاق النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ العملية، وسيرته الحياتية، بالإضافة إلى كلماته الواضحة في كل خلق... وتطبيقاته العملية لها، فهو الكمال العلمي والعملية، وهو القدوة القائمة، فانظر فأمامك الآن كوكبة من محاسن الأخلاق.. فانظر فيها، ثم أعد النظر، ولن تجد في التاريخ البشري كُله مماثلاً للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أبداً، فضلاً أن تجد متفوقاً عليه فلا والله أبداً: خُلق الإخلاص، خلق الاحتساب، خلق الإخاء، خلق الإرشاد، خلق الاستئذان، خلق الاستقامة، خلق الإصلاح، خلق الاعتذار، خلق الإغاثة، خلق إفشاء السلام، خلق الشهادة، خلق الأمانة، خلق الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، خلق الإنابة، خلق الإنذار، خلق الإنصاف، خلق الإنفاق، خلق الإيثار، خلق عمل البر، خلق برِّ الوالدين، خلق البشارة، خلق البشاشة، خلق التآني، خلق التبليغ والتبيين، خلق التدبر، خلق التعارف، خلق التعاون على البر والتقوى، خلق تعظيم الحرمات، خلق التفاؤل، خلق تفريج الكربات، خلق التفكير، خلق التقوى، خلق تكريم الإنسان، خلق التناصر بالحق، خلق التواضع، خلق التودد، خلق التوسط، خلق التيسير، خلق التيمن، خلق الثبات، خلق الثناء، خلق الجود والكرم، خلق الحذر، خلق حسن الخلق، حسن السَّمْت، خلق حسن الظن، خلق حسن العشرة، خلق حسن المعاملة، خلق حفظ الأيمان، خلق حفظ العورات، خلق حق الجار، خلق الحكمة، خلق الحلم، خلق الحمد، خلق الحنان، خلق الحياء، خلق الحيطة، خلق خفض الصوت، خلق الدعوة إلى الله، خلق الرأفة، خلق الرجاء، خلق الرجولة، خلق الرحمة، خلق الرِّضا، خلق الترغيب، خلق

الرفق، خلق الترهيب، خلق الزهد، خلق الستر، خلق السكينة، خلق السلم، خلق السماحة، خلق الشجاعة، خلق الشرف، خلق الشفاعة، خلق الشكر، خلق الشهامة، خلق الشورى، خلق الصبر، خلق الصدق، خلق الصبح، خلق صلة الرحم، خلق الصمت وحفظ اللسان، خلق طلاقة الوجه، خلق الطمأنينة، خلق الطموح، خلق الطهارة، خلق العدل، خلق العزّة، خلق العزم والعزيمة، خلق العطف، خلق العفة، خلق علو الهمة، خلق عيادة المريض، خلق غض البصر، خلق الغيرة، خلق الفقه والفطنة، خلق القناعة، خلق القوة والشدة، خلق كظم الغيظ، خلق كفالة الأيتام، خلق الكلم الطيب، خلق مجاهدة النفس، خلق محاسبة النفس، خلق المحبة، خلق المداراة، خلق المروءة، خلق المسارعة إلى الخيرات، خلق المسؤولية، خلق المعاتبة والمصارحة، خلق المواساة، خلق النبل، خلق النزاهة، خلق النشاط، خلق النصيحة والتواصي، خلق النظام، خلق الورع، خلق الودع، خلق الوفاء، خلق الوقاء، خلق اليقظة، خلق اليقين.

### اللهم صلّ على عبدك ورسولك محمد وسلّم تسليمًا كثيرًا

أليس من الإنصاف أن تتوقف بعدما تقرأ كل خلق من الأخلاق المذكور هنا لُحِيظَةً واحدة لترفع له الصلاة والسلام فتقول: اللهم صلّ على محمد وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد، اللهم بارك على محمد وعلى آل محمد، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، إنك حميد مجيد.

سبحان الله وبحمده، عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته.

سبحان الله وبحمده، عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته.

سبحان الله وبحمده، عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته.

أليست هذه الأخلاق الطيبة موافقة للفطرة الإنسانية السليمة، وهي في

الحقيقة منظومة أخلاق الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ؟ لكن هل توجد هذه المنظومة بهذا الحجم وبهذا التفصيل عن إنسانٍ غير رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟!

فَاللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ مُحَمَّدٍ وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا

يا أخي الإنسان! ماذا تملك وأنت ترى هذا المُعَلَّم الشاهق الأعظم إلا أن ترى فيه مجموع الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ جميعًا؟

وَبِمَ تحكم على مَنْ أتى بأخلاق ضد هذه الأخلاق؟ أليس هو عدوًّا للإنسانية؟!

والآن تعال أخي الإنسان: أليس لِمَنْ قَدَّمَ لِلإنسان كل هذه الأخلاق في منظومة واحدة اسمها: حياة محمد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، حق الشكر على كل إنسان؟ ومن يشكر على هذا إلا الله عَزَّجَلَّ: ﴿لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَزَكَرِيَّهُمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [آل عمران: ١٦٤]، ألا ترى أنه حقًّا ينبغي أن يكون هو «النبي الخاتم والآخر» حتى لو لم يرد لك نصًّا... كيف وقد ورد في القرآن حيث يقول الله سبحانه: ﴿مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ﴾ وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا ﴿[الأحزاب: ٤٠].

إذاً أليس هو النبي والرسول الجامع لكلِّ رسالات الأنبياء جميعًا عَلَيْهِمُ السَّلَامُ؟! أخي الإنسان: ألا تود - من خالص قلبك - لو يُفتح الطريق بينك وبينه فتقول له كلمة شكر وعرفان على ما علَّمنا وزكَّانا وقدَّم لنا ما لا غنى لنا عنه اليوم مطلقًا ولا أي يوم؟!

وهل تستطيع أن تمسك قلبك عن شكره وأنت تقرأ كل خلق من هذه الأخلاق الكريمة الرفيعة على حدة؟!

هاك إذا ما تتمنى؛ حرّك لسانك بالصلاة والسلام عليه بعد كل خلق من الأخلاق.

اللهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك محمدٍ وآل محمدٍ، كما  
صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، اللهم بارك على محمدٍ  
وعلى آل محمدٍ، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم

وإني لأحسب كل قارئ مسلم وغير مسلم يُعيد الآن قراءة ما مرَّ من أخلاق وردت مواقفها وتفصيلها عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إلا أن يشكره صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من أعماق قلبه عن نفسه وعن الإنسانية جمعاء، وتمنى لو أنَّ للإنسانية قلبًا واحدًا ولسانًا واحدًا لهتفت من أعماق قلبها الواحد وبصوتها الواحد هتافًا يملأ السماوات والأرض والوجود كله شكرًا لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يقول فيه: اللهم صلِّ وسلِّم وبارك على محمد وعلى آل محمد تسليمًا كثيرًا.

اللهم صلِّ على محمدٍ وعلى آل محمدٍ، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم،  
اللهم بارك على محمدٍ وعلى آل محمدٍ، كما باركت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم

سبحان الله وبحمده، عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته.

سبحان الله وبحمده، عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته.

سبحان الله وبحمده، عدد خلقه، ورضا نفسه، وزنة عرشه، ومداد كلماته.

فهل عرفنا لِمَ قال الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى لرسوله محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللهُ فَبِهِدْيِهِمُ اقْتَدِهْ﴾ [الأنعام: ٩٠]؟ إنه النبع الواحد والمصدر الواحد لكل هؤلاء القدوات... وهل يكون هذا المصدر من صنع البشر - معاذ الله؟ إنه الله رب العالمين، فالله رب العالمين هو مَنْ أمر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أن

يقتدي بكل هؤلاء الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وجعله في الختام؛ ليجمع فيه للإنسانية كلها كل خصال الخير، ويجعله هو القدوة، وهو الأسوة صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ للجميع، فانظر كيف عدد الله من عدد الأنبياء قبله، ثم قال له هذه النتيجة: ﴿أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَفْتَدَهُ﴾ [الأنعام: ٩٠]، فاقراً ماذا قال الله سبحانه: ﴿وَتِلْكَ حُجَّتُنَا آتَيْنَاهَا إِبْرَاهِيمَ عَلَى قَوْمِهِ نَرْفَعُ دَرَجَاتٍ مَن نَشَاءُ إِنَّ رَبَّكَ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ ٨٣ وَوَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ كُلًّا هَدَيْنَا وَنُوحًا هَدَيْنَا مِن قَبْلُ وَمِن ذُرِّيَّتِهِ دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ وَأَيُّوبَ وَيُوسُفَ وَمُوسَى وَهَارُونَ وَكَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ٨٤ وَيَحْيَى وَعِيسَى وَإِلْيَاسَ كُلٌّ مِّنَ الصَّالِحِينَ ٨٥ وَإِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ وَيُوشَعَ وَلُوطًا وَكُلًّا فَضَّلْنَا عَلَى الْعَالَمِينَ ٨٦ وَمِن آبَائِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ وَإِخْوَانِهِمْ وَاجْتَبَيْنَاهُمْ وَهَدَيْنَاهُمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ٨٧ ذَلِكَ هُدَى اللَّهِ يَهْدِي بِهِ مَن يَشَاءُ مِن عِبَادِهِ وَلَوْ أَشْرَكُوا لَحِطَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ ٨٨ أُولَئِكَ الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَ وَالنُّبُوَّةَ فَإِن يَكْفُرْ بِهَا هَؤُلَاءِ فَقَدْ وَكَلْنَا بِهَا قَوْمًا لَّيْسُوا بِهَا بِكَافِرِينَ ٨٩ أُولَئِكَ الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ فَبِهِدَّتْهُمْ أَفْتَدَهُ قُلْ لَّا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِن هُوَ إِلَّا ذِكْرِي لِلْعَالَمِينَ ٩٠ وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ إِذ قَالُوا مَا أَنزَلَ اللَّهُ عَلَى بَشَرٍ مِّن شَيْءٍ قُلْ مَن أَنزَلَ الْكِتَابَ الَّذِي جَاء بِهِ مُوسَى نُورًا وَهُدًى لِّلنَّاسِ لِيَجْعَلُوهُنَّ قِرَاطِينَ تُبَدُونَهَا وَتُخْفُونَ كَثِيرًا وَعُلِّمْتُم مَّا لَمْ تَعْلَمُوا أَنْتُمْ وَلَا آبَاؤُكُمْ قُلِ اللَّهُ ثُمَّ ذَرْهُمْ فِي خَوْضِهِمْ يَلْعَبُونَ ٩١ وَهَذَا كِتَابٌ أَنزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ مُصَدِّقٌ الَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ وَلِنُنذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَن حَوْلَهَا وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ يُؤْمِنُونَ بِهِ وَهُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ يُحَافِظُونَ ٩٢ وَمَن أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا أَوْ قَالَ أُوحِيَ إِلَيَّ وَلَمْ يُوحَ إِلَيْهِ شَيْءٌ وَمَن قَالَ سَأُنزِلُ مِثْلَ مَا أَنزَلَ اللَّهُ وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلَائِكَةُ بَاسِطُوا أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنتُمْ عَن آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ ٩٣ وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرْدَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرْكُنتُمْ مَا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءُ لَقَدْ نَقَطَعَ بَيْنَكُمْ وَصَلَ عَنْكُمْ مَا كُنتُمْ تَزْعُمُونَ ﴿ [الأنعام: ٨٣-٩٤].

وهل تنبّهت أخي الإنسان! كيف أن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى بعدما ذُكِرَ الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وذكر أخلاقهم. ذكر الكتاب الذي أنزله على موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، ثم بين بيانًا خاصًا عن هذا القرآن وقال عنه: إنه مبارك، فَفَضَّلَهُ فَاقَّ كُلَّ فَضْلٍ، وعلمه فَاضَّ عَلَى كُلِّ الْمَصَادِرِ.

### فَاللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ مُحَمَّدٍ وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا

ومن قرأ سورة كسورة الإسراء عرف أيَّ أخلاق أنزلها الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى فِي الْقُرْآنِ الْكَرِيمِ، وعرف لِمَ أَجَابَتْ عَائِشَةُ بِذَلِكَ الْجَوَابِ لِلرَّجُلِ الَّذِي سَأَلَهَا عَنْ خُلُقِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَتْ: «كَانَ خُلُقُهُ الْقُرْآنَ، أَمَا تَقْرَأُ الْقُرْآنَ، قَوْلَ اللَّهِ عَزَّجَلَّ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤]»<sup>(١)</sup>، وتعرف حقيقة لِمَ قَالَ: «إِنَّمَا بُعِثْتُ لِأَتَمِّمَ مَكَارِمَ الْأَخْلَاقِ».

أخي فِي الْإِنْسَانِيَّةِ: تَعَالَى مَعِيَ الْآنَ وَمَا أَحْسَبُكَ إِلَّا تَوَصَّلْتَ بِعَقْلِكَ لَوْحَدِكَ وَاسْتَنْبَطْتَ الْخَاصَّ إِلَى مَزِيَّةِ عَظْمَى لِلصَّلَاةِ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا، فَالصَّلَاةُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لَيْسَتْ تَرَانِيمٌ يُرَدِّدُهَا الْإِنْسَانُ، وَرَبْمَا أَكْثَرُ مَنْ يَرُدُّ التَّرَانِيمَ الْآخَرَى عِنْدَ الْأَقْوَامِ! لَا يَعْقِلُ مَعْنَاهَا!

أما الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هنا؛ إنما هي هداية إلى خُلُقٍ مُعِينٍ، وَالصَّلَاةُ عَلَيْهِ هُنَا هِدَايَةٌ إِلَى خُلُقٍ آخَرَ، وَالصَّلَاةُ عَلَيْهِ ثَالِثَةٌ هِدَايَةٌ لِخُلُقٍ ثَالِثٍ وَرَابِعٌ وَسَابِعٌ وَعَشْرٌ وَسَابِعٌ وَعَشْرِينَ وَسَبْعِينَ وَسَبْعِمِائَةً، وَهَكَذَا وَهَكَذَا، فَهِيَ هِدَايَةٌ إِلَى خُلُقٍ عَمَلِيٍّ، بَلْ هِدَايَةٌ إِلَى سَيِّدِ الْأَخْلَاقِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَهَلْ مِنْ رَجَاءٍ يَرْجُوهُ الْمُنْصِفُ أَكْبَرَ مِنْ أَنْ يَهْدِيَهُ الطَّرِيقَ حَتَّى يَنْتَهِيَ بِهِ إِلَى سَيِّدِ الْمُرْسَلِينَ أَجْمَعِينَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟!!

### فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَبَارِكْ عَلَى سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِهِ وَصَحْبِهِ وَسَلِّمْ تَسْلِيمًا كَثِيرًا

ويا أخي: ألا ترى معي إلى أن الصلاة على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تهديني وتهديك، وتهدي كل ناظر أنها هي الهادية إلى طبيعة هدى محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ودينه، وهو أن دينه دين الحياة كلها، وأنه لا يحتاج الناس إلى شيء سواه في كلِّ مجال من المجالات؛ نعم بهذا الإطلاق.

أو ليس هو دين الله..؟! أو ليس الخلق خلق الله!؟

ثم هل رأيت التفاصيل الموجودة في منظومة الأخلاق الواردة عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟ هل تجد مثلها في كل ميدان من ميادين الحياة؟

وما أكثر ما أطلق دين محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ للعقل طاقاته؛ ليستنتج هو ما يصلحه ويصلح الناس، كما في إعمار الأرض والخلافة التي ولَّاه الله إياها، وقواعد هذا كثيرة في القرآن الكريم، كقوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي خَلَقَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا ثُمَّ أَسْتَوَىٰ إِلَى السَّمَاءِ فَسَوَّاهُنَّ سَبْعَ سَمَاوَاتٍ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٩]، وقوله: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الْأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْنُوبًا عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَالْإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُمْ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ فَاَلَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنزِلَ مَعَهُ ۗ أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الأعراف: ١٥٧]، وقوله سبحانه وتعالى عن رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨]، وقوله: ﴿وَفَوْقَ كُلِّ ذِي عِلْمٍ عَلِيمٌ﴾ [يوسف: ٧٦].

وأعود لأقول: فلنقرأ القرآن لنعرف حقيقة دين سيدنا وإمامنا محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فلنقرأ سورة الإسراء وسورة الكهف وسورة مريم وسورة طه وسورة الأنبياء، فلقد قال صاحب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: أنه قال في بني إسرائيل،

وَالْكَهْفِ، وَمَرْيَمَ، وَطه، وَالْأَنْبِيَاءِ: «إِنَّهُمْ مِنَ الْعِتَاقِ الْأَوَّلِ، وَهُمْ مِنْ تِلَادِي»<sup>(١)</sup>.

وقول ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إنهم من العتاق الأول: عتيق يعني: قديم، أي: من أول ما نزل، وعتيق: هو كل ما بلغ الغاية في الجودة، والتلاد: يريد أنها من أول ما قرأه وحفظه من القرآن الكريم. والله أعلم<sup>(٢)</sup>.

والعجيب حقاً أن الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تشمل كل موقف له صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أيًا كان ذلك الموقف، فهي لا تتبع الموقف إنما تتبع الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ...

أولا ترى في هذا أنها إشارة تنبيه لك ولكل واحدٍ أيًا كان؛ هنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فإما أن تصلي عليه وتستغفر إن لم تكن مسلماً... ولا خيار لك إلا ذلك.

ألا تلاحظ يا أخي أننا لا نكتم الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟ فما دمننا ذكرنا وأعلينا ذكره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، أو أشرنا إليه بأي صورة من الصور، فيلزمنا أن نُصلي عليه ونعلن الصلاة عليه، سواء كان السامع مسلماً أو غير مسلم، وعلى أي دين كان، بل حتى لو كان ملحدًا.

أولا ترى في الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وأنت تستمع أو وأنت تقرأ مثل هذا الكتاب حثاً لك وتحفيزاً لِدِهْنِكَ أن يسأل ليتهدي للجواب؟ وسوف يكتشف في كل مرة أنه حين يسأل إنما بطرق باب الهداية بالصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إلى أن تفتح الهداية قلبك بالصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، أو تزيدك هدى وإيماناً إن كنت من المهتمدين.

فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى سَيِّدِنَا رَسُولِ اللَّهِ

(١) رواه البخاري (٤٩٩٤).

(٢) فتح الباري (٣٨٨/٨)، شعب الإيمان للبيهقي (٤٧٦/٢)، نقلاً من كتاب فضائل

سور القرآن الكريم ص (٢٥٨-٢٥٩).



يا أخي في الإنسانية: ألا يبلغ بك ذكر الصلاة على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كلما ذُكِرَ هو أو ذُكِرَ أي أثر عنه كريم، وكل ما يذكر عنه كريم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، أن تتنبه إلى أن ليس في دينه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ خللٌ مطلقاً، وليس في دينه حرجٌ مطلقاً، وليس في دينه ما يستحيا منه مطلقاً، بل إنه كلما زادت الصلاة على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أضافت يقيناً جديداً على الهدى الذي تلقاه، ونوراً من الصلاة على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فوق النور الذي عندك، وهذا يعني بنظر المعاند للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ومنطق الجاحد أن هذا يتحداني ويستفزني بالصلاة على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أن أنهض لأعرض!

ونحن نقول: نعم! إن هذا الفهم للمعاندين حق، وإنما نستفز قواه العقلية كلها، لتتنبه في كل مرة، وهي تستمع للصلاة على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فتظهر، ولو لمرة واحدة؛ أن الصلاة على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كانت في غير موضعها أو لم يكن موقعها هذا مستحقاً؛ لأن الهدى لم يكن هدىً - عياداً بالله من ذلك! -

أيها الإخوة في الإنسانية: هل ترون هذا ممكناً، بمعنى: هل ترون أن الصلاة على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في موضع ما لم تكن هدىً وذلك من خلال ما مررتم به من هدى، وهو كافٍ لتحكموا.

إذا فالصلاة على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قطعاً دليل الهدى، وفيها الهدى نفسه، وتحمل الهدى لصاحبها... فليكن كل واحدٍ منا صاحبها، حتى لو لم يكن مسلماً.

فإلهم صلِّ وسلِّم على عبدك ورسولك محمدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ

يا أيها الإنسان: تعال وانظر ودقق النظر ما شئت! فإن هذا التدقيق هو المطلوب؛ لأنه لن يكون التدقيق إلا موصلاً وموضحاً للحق الذي عند صاحب الحق، فإن حقيقة الصلاة على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؛ أنها كاشفة لحياة

النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كشفًا، حتى إنها لم تدع مجالًا واحدًا من مجالات الحياة إلا وأظهرت ما كان يفعل فيه أو يقول أو يتعامل.

حقًا! إنها في كل مرة تشير لك: تنبه؛ هنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، هنا كان يفعل كذا وكذا وكذا، وهنا مرَّ عليه هذا الأمر، وكان تصرفه كذا، وهكذا في كل شيء، حتى لا تكاد تجد جانبًا من جوانب الحياة بخلوها ومرَّها إلا وتجد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ثم، وتجد هو القدوة والأسوة...

فلا غموض مطلقًا في حياته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فتوقن عندها أنه الحق، فلو لم يكن كذلك لخاف من انكشاف ما يسوء، كما توقن أنه قدوة للعالمين جميعًا دون استثناء، حتى لو كانت بعثته في الأميين، بل ما كانت بعثته في الأميين إلا إشارة إلى أن دينه أولى للمتعلمين غير الأميين، فقال سبحانه: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾ [الجمعة: ٢]، فلسان الحال يقول: إذا كان مفعول ما جاء به محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هو أن حوّل الأميين إلى الأمة التي صدرت للعالم مفاتيح العلوم وكنوزها من خلال حضارة امتدت من بغداد إلى الأندلس... فكيف لو تناول علماء العصر الحاضر هذه الحضارة وآمنوا برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ثم بحثوا في كتابه الذي أنزل عليه، وبحثوا في حياته... أي كنوز ستفجر للعالمين؟!!

فَاللّٰهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلٰى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ

يا إخواننا في الإنسانية: هل أدركتم أن باعث الصلاة الداخلي للصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هو الحب الحقيقي، الحب العاجز عن أداء حق المحبوب مهما كان الحب، والفداء العاجز عن أداء حق المُفتدى، حتى لو كان المال والولد والروح وكل شيء، والشكر العاجز عن أداء حق الشكر والعرفان له، وأن هذه الصلاة عليه صلة تصلني مباشرة إليه، وهي طريق مفتاح يبلغ بي إلى

أن أصِلَ إليه، وأي شيء أحب إليّ من زيارته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لو كان حيًّا؟! إلا أنني الآن أستطيع أن أسير إليه بِحُذَاءِ الصلاة والسلام عليه.

فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ وَبَارِكْ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ

أسير إليه حتى استأذنتم أدخل عليه الباب، فالصلاة على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فيها الإذن والترحاب، أو ليس فيها السلام؟! وهل السلام إلا للاستئذان؟! وهل الجواب بالإذن إلا قد حصل حين ردَّ الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى على مَنْ يُصَلِّي عليه صلاة صلى الله عليه عشرًا روحه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ومن يسلم عليه سلامًا سلم الله عليه عشرًا؟ فأبى جواب ينتظره مُسْتَأْذِنٌ أبلغ وأحبَّ من هذا الجواب، فعن أبي طلحة الأنصاري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: أَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَوْمًا طَيِّبَ النَّفْسِ يُرَى فِي وَجْهِهِ الْبَشْرُ، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَصْبَحْتَ الْيَوْمَ طَيِّبَ النَّفْسِ، يُرَى فِي وَجْهِكَ الْبَشْرُ، قَالَ: «أَجَلٌ، أَتَانِي آتٍ مِنْ رَبِّي عَزَّجَلَّ، فَقَالَ: مَنْ صَلَّى عَلَيْكَ مِنْ أُمَّتِكَ صَلَاةً كَتَبَ اللهُ لَهُ بِهَا عَشْرَ حَسَنَاتٍ، وَمَحَا عَنْهُ عَشْرَ سَيِّئَاتٍ، وَرَفَعَ لَهُ عَشْرَ دَرَجَاتٍ، وَرَدَّ عَلَيْهِ مِثْلَهَا»<sup>(١)</sup>.

إذا فالصلاة على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ليست طريق الهداية، فحسب، إنما هي طريق المحبة الغامرة مع الهداية، طريق المحبة القائمة الفاعلة الحاضرة، طريق السعادة المتصاعدة، إنها النفخة الباعثة لإحياء الأمة وبعثها من جديد.

فَاللَّهُمَّ صَلِّ وَسَلِّمْ عَلَى عَبْدِكَ وَرَسُولِكَ سَيِّدِنَا مُحَمَّدٍ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تَسْلِيمًا كَثِيرًا





﴿إِلَّا الْمَوَدَّةَ﴾!



«أَذْكُرُّكُمْ اللهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي  
أَذْكُرُّكُمْ اللهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي  
أَذْكُرُّكُمْ اللهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي»

رواه مسلم





## المقدمة: التشهد يشهد



«اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ»<sup>(١)</sup> هذه هي الصلاة التي جعلها الله في كل صلاة نصليها لرب العالمين، ولو كانت ركعة واحدة..

فهل هذه الكلمات المباركات إلا دعاءً بصلاة وسلام وبطلب البركة على هذه العترة والقريبى والآل دائمة لا تنقطع إلى أبد الأبدين...

وهكذا تلقّت الأمة كلها هذه الكلمات؛ لتدعو بها حين تكون في لقاء ربها كل وقت وحين لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ولذريته عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

إنه الوفاء الدائم المتعاقب في الأجيال حتى آخر الأمة يدعو به كل مسلم.. لباني الأمة ومؤسسها وهاديها بعد الله عَزَّوَجَلَّ، ألا إنه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

ألا ترى أن هذا دعاءً مجاباً؛ لأنه وحي من الله عَزَّوَجَلَّ على رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وهو تعليم لكل مصلاً من المسلمين.. يرفعه إلى الله؛ إذ هو في لقاءه فهو دعاءً مجاباً قطعاً.

إنه رحمة من الله عَزَّوَجَلَّ بالأمة أولاً؛ إذ إن البعض ربما غفل عن وصية الله عَزَّوَجَلَّ ووصية رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بآل بيته عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ، والله قد قال: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: ٢٣]، فكان في هذا التشريع تحقيق بعض المودة لآل البيت والله تعالى يتقبله منهم، ويثيبهم على ذلك.

(١) أخرجه البخاري (٣٣٧٠).

فهنيئًا والله هنيئًا لآل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بصلاة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عليهم في كل صلاة صلاها لرب العالمين...

وهنيئًا لهم؛ إذ هو صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كان أول من صَلَّى عليهم فمن سيبلغ مبلغ هؤلاء الآل.

وهنيئًا والله هنيئًا لضم الصلاة والسلام على الآل إلى الصلاة والسلام على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ... وحاشا لله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أن يردَّ دعاءً هو شرَّعه.. وسؤالاً هو سبحانه عَلَّمَنَا إِيَّاهُ وَأَوْجِبَهُ.. أو يردَّ جمعًا جمعهم سبحانه مع رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على أمره، أو يردَّ وفدًا وفدوا عليه يتقدمهم أحب خلقه إليه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.. أو يردَّ أمة تناشد ربها بالليل والنهار في آل بيت رسول الله الأَطْهَارِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تسليمًا كثيرًا.

هنيئًا لمن اختصتهم أمتهم بهذا الدعاء ترفعه لربها في كل لحظة من لحظات الزمن.. فلا أحسب أن الأرض بحكم سياحتها الفلكية في منظومة الفلك تخلو لحظة واحدة من مصليين على رسول الله وآله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، هذا في الفرائض ومواقيتها الخمسة وحدها.. فكيف إذا ضُمَّت لها النوافل التي لا حدَّ لها ولا عدَّ.

فسبحان الله هكذا إذا أراد الله عَزَّجَلَّ أن يكرم..

**وهل الإكرام إكرامٌ معنويٌّ أو أخرويٌّ فحسب؟!**

**والجواب:** الإكرام بكل صور الإكرام وأعظمها الإكرام الأخروي، ولكنه كذلك إكرامٌ في هذه الحياة.. إكرام فعليٍّ مشهود؛ لذا أبقاءه الله بقاءً حقيقيًّا في أمة عظيمة؛ قدوة ومحبة واشتياقًا.. كما أبقاءه بقاءً ماديًّا.. حسيًّا.. جسديًّا في آلِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.. وبقي هذا الدعاء حافظًا لهؤلاء الآل الباقين في الأمة الخالدة.. وكان بقاء هذا الدعاء إشارة ظاهرة إلى بقاء هؤلاء الآل وخلودهم في هذه الأمة



العظمى ما بقيت الصلاة، بل ما بقي ذكر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، كما يبقى هذا الدعاء حافظًا لآل بيت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من الضلال جميعًا، ومن شدَّ لا حكم له.. فهذا هو الأصل فيهم.. وما ذلك إلا حماية لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الآخرين، ورعاية له في عقبه، وخلافة له خاصة من رب العالمين في أهله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإلا فإن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قد استخلف الله في أمته كافة وفي ظروف الفتن المزلزلة خاصة في كل مسلم من المسلمين ومنهم آل البيت بغير شك كما قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَاللَّهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ»؛ فَعَنِ النَّوَّاسِ ابْنِ سَمْعَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الدَّجَالَ ذَاتَ غَدَاةٍ فَخَفَّضَ فِيهِ وَرَفَعَ حَتَّى ظَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ، فَلَمَّا رُحْنَا إِلَيْهِ عَرَفَ ذَلِكَ فِينَا فَقَالَ: «مَا شَأْنُكُمْ؟» قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ذَكَرْتَ الدَّجَالَ غَدَاةً، فَخَفَّضْتَ فِيهِ وَرَفَعْتَ حَتَّى ظَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ! فَقَالَ: «غَيْرُ الدَّجَالِ أَخَوْفِي عَلَيْكُمْ، إِنْ يَخْرُجُ وَأَنَا فِيكُمْ فَأَنَا حَاجِبُهُ دُونَكُمْ، وَإِنْ يَخْرُجُ وَلَسْتُ فِيكُمْ فَاْمُرُّوْا حَاجِبِ نَفْسِهِ، وَاللَّهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ»<sup>(١)</sup>.

ويكفي أن نعرف هنا حكمة الله العظيمة أن جعل هذه الصلاة شرعًا شرعه الله لأجل الآل على جميع أمة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.. فإن الأمر المنتظر يستحق ذلك أعظم الاستحقاق... ولأنه أمر الأمة كلها وليس أمر آل البيت وحدهم.. ولأنه ميراث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وجودًا وعدمًا.. ولأنه أمر القرآن العظيم.. ولأنه ختام صراع الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ على هذه الأرض قد كان مع الشيطان وجنده؛ ولأنه إما أن يصدق وعد الشيطان نعوذ بالله منه حين قال: ﴿وَلَا يَجِدُ أَكْثَرَهُمْ شَاكِرِينَ﴾ [الأعراف: ١٧]، أو يصدق وعد الله، ومن أصدق من الله قِيلًا، ومن أوفى بعهده من الله، ﴿حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَكُمْ لِيْلًا﴾ [الأنفال: ٣٩]، وقوله سبحانه: ﴿وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [الأعراف: ١٢٨]، وقوله:

(١) رواه مسلم (٢٩٣٧).

﴿وَالْعَقِبَةُ لِلْقَوِيِّ﴾ [طه: ١٣٢]، وقوله: ﴿يُظْهِرُهُ عَلَى الدِّينِ كُلِّهِ وَلَوْ كَرِهَ الْمُشْرِكُونَ﴾ [التوبة: ٣٣] وقد جعل الله الآل هم حاضنة المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ، والأمة هي حاضنة الآل.. وهكذا جاء الدعاء من الكل إلى كل جزء من أجزائه؛ ليعود الحفظ والعلو على الكل بجميع أجزائه دون استثناء.

### وربما يتفضل فاضل بسؤال يقول: ولماذا الدعاء لآل البيت ولم يكن للمؤمنين والصالحين كافة في التشهد؟

**والجواب** في التشهد نفسه، وذلك فيما كان قبل الدعاء لآل البيت في التشهد نفسه... أوليس في التشهد الأول قول الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ»<sup>(١)</sup>، أليس أسبق؛ «عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ» هم الصحابة، ومن بعدهم التابعون والقرون الثلاثة الأولى، ثم جميع المؤمنين إلى يوم الدين، فهل قَدَّمَ كل هؤلاء أم لم يقدِّموا في التشهد؟

فالآل هم الآل ولا مقصود سواهم، ولا تعميم للآل ليشمل الصالحين والتشهد يشهد بأن مصطلح الآل هنا شيء، ومصطلح الصالحين شيء آخر وإن كان الجميع صالحين.. فلو كان هؤلاء هم هؤلاء ما جاء في التشهد هذا، وهذا فقال: «السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ»، ثم قال: «اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ...»<sup>(٢)</sup> إلى آخره، فهل يمكن أن يقع هذا التكرار في هذا التقارب في هذا الذكر؟ أليس هذا نقصًا ومعيبًا في لغة العرب؟ وهذا لا يمكن أن يكون في دين الله!

وهنا أمرٌ لطيف إذا تدبرنا الدعاءين وجدنا؛ أن «السَّلَامُ عَلَيْنَا وَعَلَى عِبَادِ اللَّهِ الصَّالِحِينَ» هو أن القاسم المشترك بيننا وبين عباد الله الصالحين هو السلام،

(١) رواه البخاري (٨٣١)، ومسلم (٤٠٢).

(٢) رواه البخاري (٣٣٧٠).



بينما الصلاة على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومعها الصلاة على الآل فصيغتها [اللهم صل على محمد وصل على آل محمد]، أي: أن قاسمهما المشترك هو الصلاة، فكان القائل يقول: [اللهم صل على محمد وصل على آل محمد].

إن الشرط الثاني من الدعاء شاهد على خلود آل البيت في الأمة الخالدة، بل شاهد على ما هو أكبر وأكثر من البقاء والحفظ؛ وهو الزيادة والكثرة والبركة، وهل إذا بارك الله شيئاً استطاع أحدٌ أن يوقف بركته، فوجود هؤلاء الكرام وكثرتهم منذ الزمان الأول، حتى هذا الزمان، إنما هو من إجابة هذا الدعاء لهم خاصة بالبركة، وأن أعظم البركة على هذه الأمة بعد عهد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وأصحابه الكرام سوف تأتي بظهور النعم والخيرات التي لم تعرف هذه الأمة مثلها في كل عهودها قط، وما هي إلا من هذا الدعاء العظيم وقبلة من دعاء رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الذي أخبرنا بما ستكون عليه النعم وحال الأمة - والفضل لله أولاً وآخراً - فقال: «فَتَنَعَّمُ فِيهِ أُمَّتِي نِعْمَةً، لَمْ يَنْعَمُوا مِثْلَهَا قَطُّ»<sup>(١)</sup>، وسيأتي معنا ذلك بإذن الله.

لقد جعل الله عَزَّجَلَّ الصلاة على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وكذا طلب البركة ومزيد البركة لهم قبل التشهد بالشهادتين، وجعل قبل التشهد بالشهادتين التحايا والتحيات المباركات والصلوات الطيبات من العبد لربه سبحانه.. وهذا يعني أن كل موجبات إجابة الدعاء قد تقدمت قبل الصلاة على النبي والآل؛ إذ الشاء على الله أولاً ثم فتحت أبواب السماء لأعظم كلمة؛ وهي كلمة الشهادتين التي اختارها رسل الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ليوم عرفة يوم يفتح الله عطاءه لخلقه، فقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «خَيْرُ يَوْمٍ طَلَعَتْ عَلَيْهِ الشَّمْسُ يَوْمَ الْجُمُعَةِ؛ فِيهِ خُلِقَ آدَمُ، وَفِيهِ أُدْخِلَ الْجَنَّةَ، وَفِيهِ أُخْرِجَ مِنْهَا»<sup>(٢)</sup>، وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «خَيْرُ الدُّعَاءِ دُعَاءُ يَوْمِ

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٠٨٣)، وحسنه الألباني.

(٢) رواه مسلم (٨٥٤).

عَرَفَةً، وَخَيْرٌ مَا قُلْتُ أَنَا وَالنَّبِيُّونَ مِنْ قَبْلِي: لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، لَهُ الْمُلْكُ وَلَهُ الْحَمْدُ، وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ»<sup>(١)</sup>.

وهكذا تكون الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في ختام التشهد، فهي إذا دعوة مجابة، وكذا تأتي في ختام الصلاة، لتكون سبباً في رفع جميع ما دعا به العبد ربه في صلاته وأركانها من افتتاح الصلاة حتى آخر سجودها، كما أن الصلاة على النبي وآله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في هذا الموقع تكون مقدمة لجميع الدعوات التي شرعت بعدها، وجميع المطالب الأخرى التي يختتم بها العبد صلاته ويطلبها، وذلك لما ورد عن فضالة بن عبيد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ رَجُلًا يَدْعُو فِي صَلَاتِهِ لَمْ يُمَجِّدِ اللَّهَ تَعَالَى، وَلَمْ يُصَلِّ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «عَجَلْ هَذَا»، ثُمَّ دَعَا، فَقَالَ لَهُ: - أَوْ لغيره - «إِذَا صَلَّى أَحَدُكُمْ، فَلْيَبْدَأْ بِتَمْجِيدِ رَبِّهِ جَلَّ وَعَزَّ، وَالشَّاءِ عَلَيْهِ، ثُمَّ يُصَلِّي عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ثُمَّ يَدْعُو بَعْدَ مَا شَاءَ»<sup>(٢)</sup>، وَعَنْ عُمَرَ بْنِ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «إِنَّ الدُّعَاءَ مَوْقُوفٌ بَيْنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ، لَا يَصْعَدُ مِنْهُ شَيْءٌ حَتَّى تُصَلِّيَ عَلَى نَبِيِّكَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»<sup>(٣)</sup>.

ومن هذا الموقع للصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ نجد كذلك الحكمة ظاهرة وعظيمة في نفع الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ على أمته، وأن الصلاة والسلام والتبريك على الآل لا يتحجر عليهم وخدمهم، فبعد هذه الصلاة والسلام والتبريك والتقرب يُفتح الباب أمام المصلي، ليختتم صلاته بالدعاء وأنعم به من ختام... فتأمل كيف يسوق الله عبده ليجيب دعاءه وتأمل هذه المراتي التي يُرتقي بها الله عبده، حتى يحقق له إجابة دعائه إذ هو في صلاته وقبل سلامه.

تأمل؛ كيف ابتدأ التشهد وهو ختام الصلاة، ثم جاء الملتقى ما بين أول التشهد

(١) أخرجه الترمذي (٣٥٨٥)، وصححه الألباني.

(٢) رواه أبو داود (١٤٨١)، وصححه الألباني.

(٣) أخرجه الترمذي (٤٨٦)، وحسنه الألباني في صحيح الترمذي (٤٠٣).



وآخره عند الشهادتين فهما الذرى.. ومن هذا المقام يكون عروج الدعاء القادم وأوله ومفتاحه وهو الصلاة على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وهذا جزء لا يتجزأ من الصلاة ومن الدعاء.. وهو المفتاح؛ وهو الدعاء فيه التدرج في العروج؛ فأول الصلاة هذه قدّم المضمون ضماناً لا ريب فيه.. وخبراً منصوفاً بالقرآن لا خُلفَ فيه وهو ﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٦].

فلقد تقدم أعظم مضمون وأكرمه وأعمه وأعلاه وأعظمه وهو صلاة الله وملائكته على نبيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ثم جاء بعدها التبريك على المضمون وهو على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ففي الشقين - الصلاة والتبريك - تقدم المضمون وهو رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ليكون ذلك ضماناً لإجابة الدعاء لمن أرفقوا معه وهم آله وهم أولى الناس التحاقاً برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.. وأمهم الزهراء أول الخلق التحاقاً برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وهي الرابط الوحيد ما بين رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وبين أبنائه إلى يوم الدين، وهل تسع شفاعته العالمين ولا تسع شفاعته لأهل بيته.. ومن هذه الضمانات تكون الانطلاقة للداعي ليطلب المصلي لنفسه ولأهله ولأمة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وللناس أجمعين؛ ولهذا علمنا أمر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أن هذا الختام مقام دعاء، وقد ثبت أن للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هنا دعاءً كثيراً متنوعاً؛ لأنه أعلم صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بالموقع والتوقيت والأثر وأعلم بربه سبحانه وتعالى، ومما ورد عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ:

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا تَشَهَّدَ أَحَدُكُمْ، فَلْيَسْتَعِذْ بِاللَّهِ مِنْ أَرْبَعٍ يَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ جَهَنَّمَ، وَمِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَمِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ، وَمِنْ شَرِّ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ» (١).

وَعَنْ عُرْوَةَ بْنِ الزُّبَيْرِ؛ أَنَّ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا زَوْجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَخْبَرَتْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَانَ يَدْعُو فِي الصَّلَاةِ: «اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنْ عَذَابِ الْقَبْرِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْ فِتْنَةِ الْمَحْيَا وَالْمَمَاتِ. اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ مِنَ الْمَأْتَمِ وَالْمَغْرَمِ». قَالَتْ: فَقَالَ لَهُ قَائِلٌ: مَا أَكْثَرَ مَا تَسْتَعِيدُ مِنَ الْمَغْرَمِ يَا رَسُولَ اللَّهِ؟! فَقَالَ: «إِنَّ الرَّجُلَ إِذَا غَرِمَ حَدَّثَ، فَكَذَّبَ، وَوَعَدَ فَأَخْلَفَ»<sup>(١)</sup>.

وَعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ كَانَ مِنْ آخِرِ مَا يَقُولُ بَيْنَ التَّشَهُدِ وَالتَّسْلِيمِ: «اللَّهُمَّ اغْفِرْ لِي مَا قَدَّمْتُ وَمَا أَخَّرْتُ، وَمَا أَسْرَرْتُ وَمَا أَعْلَنْتُ وَمَا أَسْرَفْتُ، وَمَا أَنْتَ أَعْلَمُ بِهِ مِنِّي، أَنْتَ الْمُقَدِّمُ وَأَنْتَ الْمُؤَخِّرُ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ»<sup>(٢)</sup>.

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنْتُ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ جَالِسًا يَغْنِي: وَرَجُلٌ قَائِمٌ يُصَلِّي، فَلَمَّا رَكَعَ، وَسَجَدَ، وَتَشَهَّدَ دَعَا، فَقَالَ فِي دُعَائِهِ: اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ بِأَنَّ لَكَ الْحَمْدَ، لَا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ الْمَنَّانُ، بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ، يَا ذَا الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ، يَا حَيُّ يَا قَيُّوْمُ، إِنِّي أَسْأَلُكَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِأَصْحَابِهِ: «تَدْرُونَ بِمَا دَعَا؟» قَالُوا: اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَعْلَمُ، قَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ لَقَدْ دَعَا اللَّهُ بِاسْمِهِ الْعَظِيمِ، الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجَابَ، وَإِذَا سُئِلَ بِهِ أُعْطِيَ»<sup>(٣)</sup>.

وَعَنْ السَّائِبِ بْنِ مَالِكٍ قَالَ: «صَلَّى بِنَا عَمَّارُ بْنُ يَاسِرٍ صَلَاةً، فَأَوْجَزَ فِيهَا، فَقَالَ لَهُ بَعْضُ الْقَوْمِ: لَقَدْ خَفَّفْتَ، أَوْ أَوْجَزْتَ الصَّلَاةَ، فَقَالَ: أَمَا عَلَيَّ

(١) رواه البخاري (٨٣٢)، ومسلم (٥٨٩).

(٢) رواه مسلم (٧٧١).

(٣) رواه النسائي (١٣٠٠)، وأبو داود (١٤٩٥)، وصححه الألباني.

ذَلِكَ، فَقَدْ دَعَوْتُ فِيهَا بِدَعَوَاتٍ سَمِعْتُهُنَّ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمَّا قَامَ تَبِعَهُ رَجُلٌ مِنَ الْقَوْمِ هُوَ أَبِي غَيْرَ أَنَّهُ كُنِيَ عَنْ نَفْسِهِ، فَسَأَلَهُ عَنِ الدُّعَاءِ، ثُمَّ جَاءَ فَأَخْبَرَ بِهِ الْقَوْمَ: اللَّهُمَّ بَعِّمِكِ الْغَيْبِ، وَقُدِّرْتِكِ عَلَى الْخَلْقِ أَحْيَيْ مَا عَلِمْتَ الْحَيَاةَ خَيْرًا لِي، وَتَوَفَّنِي إِذَا عَلِمْتَ الْوَفَاةَ خَيْرًا لِي، اللَّهُمَّ وَأَسْأَلُكَ خَشْيَتِكَ فِي الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ، وَأَسْأَلُكَ كَلِمَةَ الْحَقِّ فِي الرِّضَا وَالْغَضَبِ، وَأَسْأَلُكَ الْقُصْدَ فِي الْفَقْرِ وَالْغِنَى، وَأَسْأَلُكَ نَعِيمًا لَا يَنْفَدُ، وَأَسْأَلُكَ قُرَّةَ عَيْنٍ لَا تَنْقَطِعُ، وَأَسْأَلُكَ الرِّضَاءَ بَعْدَ الْقَضَاءِ، وَأَسْأَلُكَ بَرْدَ الْعَيْشِ بَعْدَ الْمَوْتِ، وَأَسْأَلُكَ لَذَّةَ النَّظَرِ إِلَى وَجْهِكَ، وَالشُّوقَ إِلَى لِقَائِكَ فِي غَيْرِ ضَرَاءٍ مُضِرَّةٍ، وَلَا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ، اللَّهُمَّ زَيْنًا بَزِينَةَ الْإِيمَانِ، وَاجْعَلْنَا هُدَاةً مُهْتَدِينَ»<sup>(١)</sup>.







## الباب (١) الأول

يا آل بيت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هذا بعض ما لكم



لكم أولاً: الصلاة في الصلاة عليكم:

«اللَّهُمَّ صَلِّ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا صَلَّيْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ، إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ، اللَّهُمَّ بَارِكْ عَلَى مُحَمَّدٍ، وَعَلَى آلِ مُحَمَّدٍ، كَمَا بَارَكْتَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَعَلَى آلِ إِبْرَاهِيمَ إِنَّكَ حَمِيدٌ مَجِيدٌ».

نعم! إنها الصلاة على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ولأجل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ولكن؛ ألا ترون أن ثم شيئاً لا يكاد يتدبره بعضنا في هذه الصلاة، ولا يأخذ من تدبرنا وتفكرنا وخشوعنا في الصلاة انتباهة سريعة، فضلاً أن نتوقف عنده بينما جعله رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ جزءاً لا يتجزأ من الصلاة عليه، وجزءاً لا يتجزأ من فريضة الصلاة وسننها؛ إذ لا يمكن أن تكون الصلاة جائزة وفيها الصلاة على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ جائزة بدون جزئها هذا، وهو [وعلى آل محمد]! فسبحان الله كيف يفوت هذا الشطر الأساس من الصلاة على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، والصلاة كلها بركوعها وسجودها وقيامها وقعودها لا تقبل من دون الصلاة على [آله] صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟! وكيف يمكن أن تقبل؟

فهل يقبل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ التفريق بينه وبين أهله!؟

(١) اخترت لكل موضوع فاصلاً عن الموضوع الآخر، ورمزت له بـ «الباب»، فنحن نريد بيت النبوة، والدخول إلى البيت لا يكون إلا من الباب، وإتيان البيوت لا يكون إلا من أبوابها، وكان لهذا الكتاب أربعة أبواب، والحمد لله رب العالمين.

أيرضي الرجل إذا جاء هو وأهله عندك أن تدخله، وتردّ أهله؟!!

أيرضيه أنه إذا جلس هو وأهله سقيته وحده، وتركت أهله؟!!

أيرضيه أن تهمل أهله، وإن بالغت في العناية به؟!!

أيرضي الرجل أنه إذا ما سافر أو مات وجاءك أهله من بعده لم تأبه بهم، ولم تعطهم بعض الحق الذي كنت تعطيه لهم يوم كانوا يأتون في مَعِيَّةِ أبيهم؟! أترأه سوف يرضى عنك إذا لقيته بعد ذلك؟!!

إن الله عَزَّوَجَلَّ لن يقبل ركعة واحدة - كركعة الوتر - لو صليتها وصليت فيها على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ولم تصلِّ فيها على آله فذلك لا يرضى الله ولا يرضى رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ... ألا يكفيننا هذا كي نعيد حساباتنا من جديد؟!!

### فأين هم آل محمد في واقعنا نحن؟

هل نحن نستشعر؛ أن آل بيت النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ما زالوا موجودين.. وإن سلاطنتهم ما زالت حية ترزق.. وأن نسبهم ما زال محفوظاً... وأنه البيت الأكثر، والأكبر... المحفوظة بحفظ الله في هذا العالم المترامي إلى هذا اليوم وإلى يوم الدين، وإن تشققت الأمة وقُطعت تقطيعاً، بل إن [بيت النبوة] ما زال يجمع حوله من الصادقين المحبين ما الله به عليم.. هذا ولا سلطان لهم ولا مُلك، ولا زكاة تحل ولا خمس يوجد، وغالبهم مساكين، كما يأخذ البعض ذلك من قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ ارْزُقْ آلَ مُحَمَّدٍ قُوتًا»<sup>(١)</sup>؟!!

وفي مقابل هذا: ألم تتناقص وتتقاصر أسرُ أكاسرة وقياصرة وأباطرة وملوك وأمراء شيئاً فشيئاً، حتى ذابوا بعد فترة من الزمان من ذهاب مُلكهم، ثم أصبح الناس يقولون: إنهم انقرضوا!، ولا يعرفهم أحد في المجتمعات إلا بعضهم



بعضًا، ثم يأتي جيل منهم لا يتشرف بالانتساب إليهم أبدًا... وكم من هؤلاء بيننا ونحن لا نشعر؟! وكم من هؤلاء سيأتي عليهم ما أتى على من قبلهم وهم ما كانوا يظنون حدوث ذلك أبدًا؛ لأنهم لا يتصورون إلا أنهم في أملاكهم وأموالهم خالدين فيها أبدًا؛ لأنهم أصحاب الأحقية منها.. وأنهم بنوها بأنفسهم، كما قال قائلهم من قبل: ﴿إِنَّمَا أُوتِيْتُهُ، عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي أَوْلَمَ يَعْلَمَ أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمْعًا وَلَا يُسْئَلُ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ﴾ [الفصص: ٧٨].

إنهم لا يحسبون - حين يكونون في القمة العالية عند الناس - إلا أنه الخلود فوق القمم: ﴿يَحْسَبُ أَنَّ مَالَهُ أَخْلَدَهُ﴾ [الهمزة: ٣].

وفي مقابل هذا أحيانًا لشدة خفاء واختفاء ذكر آل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الحقيقيين في هذا الزمان، واختفاء ذكرهم بين آل فلان وآل فلان وآل علان أصبح المرء يتساءل: أحقًا انقرض آل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟!!

هل حقًا أننا أصبحنا حين نصلي ونسلم على آل محمد، فإنما نصلي ونسلم على الأولين من آله الذين كانوا في عهده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وبعده بقليل انقرضوا أو أنهم لا يكادون يُعرفون أو يُذكرون..؟!!

هل حقًا أن الصلاة والسلام على آل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أصبحت تعبديّة محضة.. لا نصيب لها من الواقع..؟!!

أحقًا أن آل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تفانوا.. فما من مُخْبِرٍ ولا من أثرٍ ولا أثارَةٍ؛ فالأثر ذهب بذهاب أهله، والأثارَةُ حُورَّتْ لغيرهم، فتحوّلت إلى غيرهم وما عاد لهم في المذكورين من ذكرٍ، ولا عاد للمتأخرين عليهم من شكرٍ.

ولقد قال الله وقوله الحق المبين: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَنْ يَقْرَبْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حَسَنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [الشورى: ٢٣]، فلقد قطع

الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى دابر الظنون هنا، كما قطع سبحانه دابر الشيطان لعنه الله<sup>(١)</sup> فقد أنزل في آل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وأقربائه بشكل مطلق وصيته هو سبحانه بشكل صريح، وأمر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أن يبلغ أمته بها عنه هو سبحانه بشكل صريح كذلك؛ لتبقى وصية خالدة، فإن بقاء قُربى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وخلودهم في هذه الدنيا لهو أعظم علامة على خلود الأمة، ولولا ذلك فكيف يوحي الله تعالى أمة غير خالدة بأناس خالدين، والعكس صحيح؟!!

### لكم ثانياً: وصية الله الجازمة... الدائمة.. اللازمة بكم ولكم:

﴿إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾: تلك الوصية القاطعة الصريحة من رب العالمين هي قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿ذَلِكَ الَّذِي يُبَشِّرُ اللَّهُ عِبَادَهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [الشورى: ٢٣]، فقد حفظ الله عَزَّجَلَّ أمره الصريح هذا لرسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بقوله سبحانه: ﴿قُلْ﴾، وما كان له صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إلا أن يقول ويبلغ؛ لأنه أمر الله له، ولأنها وصية الله لأمة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من بعده كافة إلى يوم القيامة، حيث يبلغها هو ويبلغها المؤمنون ويتواصى بها المتبعون له إلى يوم القيامة ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقْرِفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾، فبلغها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بما أوتي من جوامع الكلم، فأصبحت هي وصية الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، ووصية رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ... فلم يُبقِ الله عَزَّجَلَّ لإحكام هذه الوصية بعد هذا الإحكام إحكامًا.

والأدلة من خارج هذا النص كثيرة على أن علو هذه الأمة لا يمكن أن

(١) إذا قلنا: [لعنه الله]، فقد لعنه الله، وهذا أشد ما يكون عليه، وقد ثبت هذا في كتاب الله وسنة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، كما ثبت الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم عند ذكره، نعوذ بالله منه، أما مدح الشيطان بذكر أعماله، فهذا هو المنهني عنه، نعوذ بالله من الشيطان الرجيم.



يتحقق وآل البيت مهانون مستضعفون في ذلة، والله يقول: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ٤]، وفي الصلاة على رسول الله وآله في الصلاة هو رفع ذكر الله ورفع ذكر الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، والزعم برفع ذكر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لا يمكن أن يقبله الله ورسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مع وضع ذكر آله وإهانتهم عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، فالرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لا يرضى أن يفرق أحد بينه وبين آله، كما لا يمكن أن يرضى الله عَزَّوَجَلَّ أن تتبع الأمة النفاق في التعامل مع آله، بحيث تدعو الله لآل البيت في صلاتهم مع ربهم، ثم هي تدمهم أو تهملهم في حياتها فلا بد أن يصدق عملهم دعاءهم، ولا بد أن تجسد صلاتهم حياتهم، ﴿قَالُوا يَشْعِيبُ أَصَلَوْتُكَ تَأْمُرُكَ أَنْ نَتْرَكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَنْ نَفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاءُ إِنَّكَ لَأَنْتَ الْحَلِيمُ الرَّشِيدُ﴾ [هود: ٨٧]، ولا بد أن ترفعهم الأمة حقيقة وتدعو الله برفعتهم وقد رفع الله عَزَّوَجَلَّ ذكره؛ كرسولٍ وكقدوةٍ وإمام، وما إلى ذلك، وأن يُلْحِقُوا آله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وأقرباءه وعترته وأهله به، كما ألحقهم الله به في الصلاة والسلام والتبريك في الصلاة عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

وإذا لم تُفسَّر سنة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الواضحة القاطعة في نفس الموضوع الذي ورد في القرآن العظيم في هذا الموضوع، فلا أدري والله متى تُفسَّر، ومن ذلك قول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ويا له من قول: «وَأَنَا تَارِكٌ فِيكُمْ ثَقَلَيْنِ: أَوَّلُهُمَا كِتَابُ اللَّهِ فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ، فَخُذُوا بِكِتَابِ اللَّهِ، وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ»، فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ وَرَغَبَ فِيهِ، ثُمَّ قَالَ: «وَأَهْلُ بَيْتِي، أَذْكُرْكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي. أَذْكُرْكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أَذْكُرْكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي» (١).

أي عظمة في الوصية؟! وأي بلاغ أبلغ في الأهمية وطلب الاهتمام من أن يجمع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الوصية بأهل بيته إلى الوصية بالقرآن، وأن

يجمعها في اسم واحد وهو «ثَقَلَيْنِ»؛ وأيُّ ثقل هذا الذي يُجْمَع مع القرآن؟ وأيُّ تعظيم لهذه الوصية من أن يسبقها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ بكلمة هي أعظم من كلمة [الله]، ثم هو يكررها ثلاثاً، ولقد كانت الواحدة كافية في الوصية والتذكير والتبليغ بها... ولكنه التذكير الذي لا تذكير مثله.. التذكير للأمة أجمعها.. التذكير بالمصير، فكيف وهو يؤكد على كلمة التذكير، فيقول: «أَذْكُرُّكُمْ اللهُ».. «أَذْكُرُّكُمْ اللهُ».. «أَذْكُرُّكُمْ اللهُ»؟! نعم! هي وصية، واضحة لكنها تحمل روح الإشهاد الأعظم عليهم من خلال الكلمة الأعظم [الله].

لتبقى تصدح في أرجاء الزمان، وأسماع بني الإنسان، ويتراوح صداها في صدور أهل الإيمان.. ما تبقى في صدورهم الإيمان.

ثم اجتماع الاثني: القرآن العظيم، وأهل البيت في اسم مشترك ووصف واحد هو الـ«ثَقَلَيْنِ»؛ ليدل بوضوح على أنهما رباط للأمة مشترك وارتباط واقعي وثيق.. ولا يتمثل هجر القرآن بعد عهد الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ وعهد الصحابة يتمثل في هجر القرآن في مرحلة إلا في مرحلة ما قبل ظهور المهدي؛ إذ انحلت الأمة من القرآن وانحلت عنه، فيأتي المهدي فيعيد القرآن.

وربما قال قائل، وما دور آل البيت في فترة ما بعد الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ إلى عهد ظهور المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ؟

أقول: بل الوصية للأمة بآل البيت كافة، ولكل الأجيال، والجواب الكامل على هذا التساؤل هو هذا الكتاب كله، إلا أن آل بيت رسول الله هم عتره رسول الله وأهله وذرياته، وهم حاضنة المهدي في أصلاهم يحملونه جيلاً بعد جيل، والله يعلم ما سيحدث لهذه الأمة، وخصوصاً قبيل ظهوره من قتل وتشريدٍ وتطريدٍ وفيضاناتٍ وغرقٍ وحرائقٍ، فكانت المحافظة عليه أشد، وذلك ما لا يكون إلا بالمحافظة على آل البيت جميعاً ودائماً وأبدًا؛ إذ يمكن أن يكون أيُّ

واحد هو المهدي، أو هو الظَّهْر الذي يحمله، أو هو الرحم الذي يحتويه، ومثل هذا ما صنعه الله في حفظ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَىٰ آلِهِ وَسَلَّمَ بحماية إسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ من الذبح.. وقد صح في الحديث الذي سيمر معنا عَنْ مُحَمَّدِ ابْنِ الْحَنَفِيَّةِ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ عَلِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، فَسَأَلَهُ رَجُلٌ عَنِ الْمَهْدِيِّ، فَقَالَ عَلِيُّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: هِيَهَا، ثُمَّ عَقَدَ بِيَدِهِ سَبْعًا، فَقَالَ: «ذَٰكَ يُخْرَجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ إِذَا قَالَ الرَّجُلُ: اللَّهُ اللَّهُ قُتِلَ، فَيَجْمَعُ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ قَوْمًا قُرْعًا كَقُرْعِ السَّحَابِ، يُؤَلِّفُ اللَّهُ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَا يَسْتَوْحِشُونَ إِلَى أَحَدٍ، وَلَا يَفْرَحُونَ بِأَحَدٍ، يَدْخُلُ فِيهِمْ عَلَى عِدَّةِ أَصْحَابِ بَدْرٍ، لَمْ يَسْبِقْهُمْ الْأَوْلُونَ وَلَا يُدْرِكُهُمُ الْآخِرُونَ، وَعَلَى عِدَّةِ أَصْحَابِ طَالُوتَ الَّذِينَ جَاوَزُوا مَعَهُ النَّهْرَ»<sup>(١)</sup>، نعم! إن الحافظ للمهدي هو الله، والذي لا يعلم بسلسلة آبائه إلا الله، ولا يعلم بتنقله من صلب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حتى ظهوره إلا الله عَزَّجَلَّ، إلا أن من عادة الله عَزَّجَلَّ أن يكلف الأمة بحفظ ما ضمن حفظه، ويكلفها بحماية ما ضمن حمايته، ويكلفها بإعلاء ما ضمن إعلاءه، بل ذلك يكون أعظم أجرًا.. ومنه حفظ المؤمنين القرآن والحث عليه، وهما بعض هدي الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وسنته، وحماية الكعبة والمسجد الحرام، وإعلاء الإسلام وكلمة الله مع أن كل واحدة من هذه فيها نص في الضمان.

لذا فقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «ثَقَلَيْنِ»، وذلك لأنه ما إن يبعث الله المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ حتى يقيم القرآن العظيم منهج حياة للأمة وللناس كافة، - كما سيأتي بيانه بإذن الله لاحقًا - وهذا هو اجتماعهما القرآن والآل بعد افتراق دام مائة عام؛ فإذا اجتمعا، فإنهما لن يفترقا حتى يلتقيا مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على الحوض.. أي حتى يلتقي القرآن ورسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ والمهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ على الحوض، ومن بعدهم الآل والأمة في عصر المهدي جميعًا؛

(١) أخرجه الحاكم (٨٦٥٩)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ، ووافقه الذهبي.

لنصرتها له وإعادتها للقرآن ولهدى سيد الأنام، فهذا هو موضوع هذا اللقاء.. اللهم اجعلنا من أهله وحضوره.

### لكم ثالثاً: حفظ ذرياتنا بحفظ ذرياتكم يا آل البيت؛

إن من أسباب حفظ ذرية الإنسان من بعده؛ أن يحفظ هو ذريات الآخرين بقدر استطاعته، كما قال سبحانه منذراً ومبشراً: ﴿وَلْيَخْشَ الَّذِينَ لَوْ تَرَكَوْا مِنْ خَلْفِهِمْ ذُرِّيَّةً ضِعَافًا خَافُوا عَلَيْهِمْ فَلْيَتَّقُوا اللَّهَ وَلْيَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا﴾ [النساء: ٩]؛ فكيف بذرية رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؛ وهي التي حَمَلَ اللهُ عَزَّجَلَّ أجيال الأمة كلَّها وصية خاصة منه هو سبحانه ومن رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ وَمَن يَقَرِّفْ حَسَنَةً نَّزِدْ لَهُ فِيهَا حُسْنًا إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ شَكُورٌ﴾ [الشورى: ٢٣]، إذا فهل من الغريب أن يكون الجزاء من جنس العمل؟ ولا أقصد ضياع الأمة بتضييع أبناء رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وإنما كذلك تضييع الذراري بتضييع ذريته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴿جَزَاءً وَفَاكًا﴾ [النبا: ٢٦]؛ إذ كيف يحفظ الله مَنْ يُضَيِّعُ وصية الله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟ وكيف يحفظ الله عَزَّجَلَّ ذراري مَنْ لم يحفظ وصية الله في ذرية رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ولا عجب أن تجد بلاء الأمة منذ فترة من الزمان في فُشُوِّ الفساد في ذراريها.. وانتشار العقوق، وضياع أبناء الأمة، بل وانحلال الأخلاق، وانتشار الأمراض، وذهاب القوة والرجولة، فلا حماية ذاتية لهم يدفعون بها عن أنفسهم، مع ذهاب المجاهدة من حياتهم، والرخاوة في الهمم والأهداف والأخلاق والأبدان، وهذا وغيره كثير كله ثابت في أحاديث صحيحة عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

### وربما يقول القائل: وهل اخترت كل المصائب بتضييع آل البيت؟

أقول: لا ولكن المصائب كثيرة وأسبابها كثيرة، ولكل ذنب جزاؤه الذي يناسبه، وتلك هي سنة الله، وذلك هو عدل الله، والله يقول: ﴿وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ



سَيِّئَةٌ مِّثْلَهَا ﴿ [الشورى: ٤٠]، ثم إن مثل هذا التساؤل لِينَمَّ عن استهانة أو تهاون بوصية الله عَزَّجَلَّ ووصية رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وهذا هو التضييع، وهل جزاء التضييع إلا الضياع؟ وهل جزاء التيه إلا التيه؟ وهل ضاع بنو إسرائيل في الأرض إلا حينما أضاعوا الوصية التي كتبها الله عليهم؛ وهي حفظ الأرض المقدسة فقال الله: ﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَى لِقَوْمِهِ يٰ قَوْمِ أَدْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا وَءَاتَاكُمْ مَا لَمْ يُوْتِ أَحَدًا مِّنَ الْعَالَمِينَ ﴿٢٠﴾ يٰ قَوْمِ ادْخُلُوا الْأَرْضَ الْمُقَدَّسَةَ الَّتِي كَتَبَ اللَّهُ لَكُمْ وَلَا تَرْتُدُّوا عَلَىٰ آدْبَارِكُمْ فَتَنْقَلِبُوا خَاسِرِينَ ﴿ [المائدة: ٢٠، ٢١] إلى أن حق عليهم جزاء التضييع بالتيه، فقال سبحانه: ﴿ قَالُوا يٰ مُوسَىٰ إِنَّا لَن نَّدْخُلَهَا أَبَدًا مَا دَامُوا فِيهَا فَاذْهَبْ أَنْتَ وَرَبُّكَ فَقَتَلْنَا إِنَّا هَاهُنَا قَاعِدُونَ ﴿٢٤﴾ قَالَ رَبِّ إِنِّي لَا أَمْلِكُ إِلَّا نَفْسِي وَأَخِي فَافْرُقْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿٢٥﴾ قَالَ فَإِنَّهَا مُحَرَّمَةٌ عَلَيْهِمْ أَرْبَعِينَ سَنَةً يَتِيهُونَ فِي الْأَرْضِ فَلَا تَأْسَ عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ ﴿ [المائدة: ٢٤-٢٦]، ولقد حق على الجيل الجبان المتخلف - الذي حُمِّل الأمانة فلم يتحملها - التيه والضياع حتى الموت أو العجز والهرم؛ إذ كان عذابهم في هذا التيه هو أربعون سنة، وما أدراك ما عذاب اليوم الواحد في التيه؟ فكيف بالأربعين سنة؟!

الأمر الذي نشهده ونشهد به؛ هو أن الأمة في عمومها في غياب أو تغيب عن وصية الله العظمى في ذرية رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ووصية رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في ذريته حتى آخر أيامه في هذه الدنيا.. وهو صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؛ إذ يوصي أمته بآل بيته كأنه يُشْهَد الله عليهم، وكأنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يدلُّهم على طريق سلامتهم؛ إذ أراه الله عاقبة التنصل من الوصية، وبهذا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يأخذ أمته إلى طريق علوهم.. وطريق حفظ ذرياتهم هم، وسبب تخليص الله لهم مما حلَّ بهم اليوم.

أليس من الأسباب الشرعية لسحب الولاية من الوصيِّ تضييع الوصيِّ للوصية؛ لسقوط الأهلية؟!

وإن مما اعتاده الناس وتفاخروا به في مفهوم الرفعة - وعلى وجه الخصوص عند العرب؛ لأن العرب هم من يحفظون الأنساب - هو رفع ذكر الأب بأبنائه والله أعطى رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الكمال في كل شيء؛ ولهذا سموا من لا ولد له يذكر به [أبتر]، ولقد عدَّ من صور الأذى والصدِّ عن اتباع العرب للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هو تكذيب قريش له، فكانوا يقولون: [قَوْمُهُ أَعْلَمُ بِهِ، لَوْ أَنَسُوا مِنْهُ خَيْرًا لَكَانُوا أَسْعَدَ النَّاسِ بِهِ]؛ ويروى أن بَيْحَرَةَ بن فراس وجد قومه قد أذنوا لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن ينزل عندهم، فقال: مَا أَعْلَمُ أَحَدًا مِنْ أَهْلِ هَذِهِ السُّوقِ يَرْجِعُ بِشَيْءٍ أَشْرَّ مِنْ شَيْءٍ تَرْجِعُونَ بِهِ، بَدَأْتُمْ لِنَتَابِذُوا النَّاسَ وَتَرَمَيْكُمْ الْعَرَبُ عَنِ قَوْسٍ وَاحِدَةٍ، قَوْمُهُ أَعْلَمُ بِهِ، لَوْ أَنَسُوا مِنْهُ خَيْرًا لَكَانُوا أَسْعَدَ النَّاسِ بِهِ، أَنْعَمِدُونَ إِلَى رَهَيْتِ قَوْمٍ، قَدْ طَرَدَهُ قَوْمُهُ وَكَذَّبُوهُ فَتَوَّوْهُ وَتَنْصُرُوهُ؟! فَبَيْسَ الرَّأْيِ رَأْيْتُمْ<sup>(١)</sup>، ولقد أنزل الله عَزَّجَلَّ سورة خاصة في مثل هذا، فقال سبحانه: ﴿تَبَّتْ يَدَا أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ۝١ مَا أَغْنَىٰ عَنْهُ مَالُهُ، وَمَا كَسَبَ ۝٢ سَيَصْلَىٰ نَارًا ذَاتَ لَهَبٍ ۝٣ وَامْرَأَتُهُ حَمَّالَةَ الْحَطَبِ ۝٤ فِي جِيدِهَا حَبْلٌ مِّن مَّسَدٍ﴾ [المسد: ١-٥]. ولهذا؛ فإن من أعظم الأذى للنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ولدينه أن يؤذى أهل بيته أو يحتقرون من قبل أمته، والعكس صحيح، إذ من يمثل الأب إلا أهله وأولاده؟! .. فهل تقبل أمته أن تقوم مع ذريته مقام قريش مع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وهو والد الذرية؟!

**لكم رابعاً: لا خلود للأمة إلا بخلودكم:**

﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾: بهذه الآية الكريمة جعل الله عَزَّجَلَّ في وجود

(١) البداية والنهاية لابن كثير (٤/ ٣٥٠-٣٥١).



ذريته عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في كل فترات الزمان معجزة لكتاب الله تعالى، وشهادة على أن القرآن العظيم حق، وأنه سبحانه عالم الغيب والشهادة، وأنه الخلاق العليم، وشهادة بقاء هذه الذرية إنما يعني ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾؛ إذ لو انقطع نسبه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في أي فترة من الفترات لتتحقق ما نفاه الله: ﴿وَلَا مَبْدَلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ﴾ [الأنعام: ٣٤]، وأني لأعداء رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أن يدلوا بكلام الله؟ وليس نفي انقطاع الذرية هو المقصود فحسب، وإنما هو ضد ذلك؛ وهو تحقق كثرة الآل في الدنيا إلى أبد الدهر؛ لأن رب العالمين قال: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ٤]، مع تحقق معرفة العالمين لهم.

إن رفع ذكر الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ليس فقط بأن يوجد من يحمل مبادئه، فهذا ضروري ولكن كذلك برفع مَنْ يحمل اسمه فوق اسمه الشخصي، واسم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يحمله كل واحد من آل البيت فوق اسمه الشخصي، حتى وإن لم يكن ذاك الولد على صلاح.. فمنتهى آل البيت جميعاً إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وفي هذا الانتساب الفعلي بالسلالة والانتها إلى المنتهى، وهو رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في كل منتسب؛ هو رفعٌ لذكره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بحكم الله الشرعي وقدره الواقع النافذ في الخلق والأمر، وهو ما لا يمكن رده ولا كتبه، كما أنها شهادة لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؛ أنه الحق، وأن رسالته حق، وأنه الأعلى، وأنه لا مجال لإنكاره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مطلقاً، فوجود الابن دليل وجود أبيه.. فكيف بذرية رفيعة مترامية الأطراف، كل واحد فيهم دليل وجودي على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.. وشهادة بأن أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هي الأعلى، وأنه مهما دار الزمان، فإنها الأمة الأبقى التي ستبقى هي صاحبة الكلمة الأخيرة على الدنيا كلها، ولهذا فإن الخطورة أن مَنْ تولَّى الإعراض عن نسب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، أو عادى ذريته، أو انتقص من قدرهم، أو حاربهم، أو أخفى ذكرهم أن يصيبه ما أصاب الأبتَر الأول من البتر والانقراض.. حتى لو كان

مسلمًا، ولو كان مدعيًا لحب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ذلك أن حقيقة الشانئ الأبتري الأول ذاك إنما هو طعن في وجود ذرية تبقى لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وليس هو طعن في الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وحياته وبقائه..

وهذا هو المحال بعينه، بل ضد هذا هو الحق المبين، فما كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هو الأبتري، بل كان شانئه هو الأبتري، وكان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هو الأكرم، والأبقى، وهو الأعلى، وهو الأكثر، وكان لزوم وعد الله هذا في الذرية هو الدليل الأشهر والأنشر والأنور.

إن مفهوم المخالفة هنا هو أكبر مما ذكرنا في قوله تعالى: ﴿إِنَّكَ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾، فليس المعنى الصحيح: أنك لست أنت الأبتري، فحسب، لا ليس هذا وحده، فهذا معنى ظاهر قريب مقطوع به... لا يحتاج إلى تدبر، ولكن المعنى الآخر هو: بما أن ﴿شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾، فإن محبك هو الأبقى، وهو الأعلى وهو الأكثر، وهو الأكبر، ولست أنت يا سيد الخلق، عليك الصلاة والسلام وحدك وآلك في هذا البقاء والكثرة والعلو، فحسب، وإنما معك في بقائك وعلوك محبُّك ومتولِّيك؛ وهم جميع أمتك.. وهكذا تبقى هذه قاعدة مباركة خالدة تالدة تسري على كل محب لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وآله إلى يوم يقوم الناس لرب العالمين؛ لأن المحب والمتولي هو من يقابل الشانئ والعدو، إذا فكيف برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ نفسه، وآله الأطهار عَلَيْهِمُ السَّلَامُ؟! ذلك هو ما يسميه أهل الأصول [من باب أولى]، ولن يُنْقَضَ هذا الإخبار الإلهي في أيِّ فترة من فترات الزمان إلى أن تَقْبِضَ الريح الطيبة أرواح المؤمنين من تحت آبائهم.. وهذه كرامة لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وتعزية من رب العالمين، وتعويضًا منه لرسوله وحبيبه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ على دعوى الشانئين عليه..

وأما مَنْ عامل ذرية رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ على أنهم أبناء رسول الله



صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حَقًّا وَتَحْقِيقًا، كما هو الشأن في الصلاة على «آله» مع الصلاة عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؛ يبحث عنهم في زمن الضياع والتهيه هذا، ويجمعهم، ويحوظهم، وينصرهم، ويعزُّرهم، ويعزُّهم، ويتكفل بهم، متدللًا لهم، طالبًا رضا الله بهم، وراجيًا رضا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لقرابتهم منه.. هكذا كل واحدٍ في الأمة حسب استطاعته... فهذا هو العبد الباقي بقاء آل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.. وهو العبد العالي لإعلائه آل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وهو العبد المحفوظ بحفظه وصية الله ووصية رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: ٢٣].

والله عَزَّجَلَّ يعطي كل من جعل نفسه حاملاً لأمر الله أو عهد الله أو أمانة الله أو راية الله أو آية الله عطاءً يتناسب مع ما قدَّم إلا أن العبد لا يمكن أن يتصور عطاء الله ولا كمه ولا نوعه ولا مصدره ومن أين يأتيه كقوله: ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا ۖ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

ليس بعد تعهد الله عَزَّجَلَّ بحفظه القرآن تعهد، وليس بعد تحدي القرآن تحدد، فقال سبحانه: ﴿إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ﴾ [الحجر: ٩]، وقال سبحانه: ﴿قُلْ لَئِنِ اجْتَمَعَتِ الْإِنْسُ وَالْجِنُّ عَلَىٰ أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَتْ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا﴾ [الإسراء: ٨٨]، ومع هذا، فإن الله حفظ القرآن أعظم حفظ بالحفظ الذين حفظوه في صدورهم وحفظوه النشء.. فتبين لنا أن هؤلاء هم مناط تحدي الله بحفظ القرآن.. وبقدر ما في هذه المهمة من عظمة بقدر ما يجعل الله لهؤلاء الحفظ من عظمة عنده سبحانه وفي الدنيا والآخرة.. وهكذا فإن عهد الله عَزَّجَلَّ برفع ذكره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وذكر آل بيته إنما يعني عهد المؤمنين بهذا، فعهد الله؛ هو عهد المؤمنين، فهم حراس دين الله والمرابطين طوال حياتهم لتنفيذ أمر الله...

ونحن إذا نظرنا في سلالات الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، فإننا لن نجد اليوم من يُعْرِف من ذراريهم أحدًا إلا دعاوى هنا أو هناك، أو عوائل قليلة نادرة والنادر لا حكم له، وهو بعد ذلك يحتاج إلى تحقق وتمحيص، وهذا ما يصعب جدًا عندهم، وعندها سنعرف أن هذه خصوصية لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وهذه ليست بغريبة على هذه الأمة؛ فهي الأمة الخالدة والخاتمة للأمم جميعًا، وكتاب الله عَزَّوَجَلَّ هو الخالد والخاتم، ورسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هو الخالد والخاتم، وستته كذلك هي الخالدة والخاتمة، وهكذا الرسالة نفسها، وكذا الكعبة.

وسبحان الله العظيم: فكما لم يتعهد الله عَزَّوَجَلَّ بحفظ ما أنزل على الأنبياء من كتب وألواح وكلام، فإنه سبحانه لم يتعهد بحفظ ذرياتهم إلى الأبد.. وكما تعهد الله عَزَّوَجَلَّ بحفظ ما أنزل على رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؛ وهو القرآن العظيم، وكذا حفظ سنة رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فقد ناسب هذا حفظ الكتاب وحفظ آل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ولقد جمع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حفظ الاثنين في حديث واحد؛ القرآن والعترة، وجاءت تسميتهما بالثقلين في نفس الحديث، وجاءت الوصية بهما؛ بناءً على ذلك في الحديث ذاته، إذًا فما جزاء من أعطى [الثقلين] حقهما؟!!

ولقد اعتاد الناس في الشرق والغرب، في الشمال والجنوب أنه إذا ما سقط رئيسهم وكانوا يكرهونه لِظُلْمِهِ مَثَلًا، فإنهم يحاولون الانتقام من أهله وأقربائه ووزرائه وما إلى ذلك، ولذلك فإن أهل ذاك الرئيس وأقرباءه لا يجدون ملجأً إلا التنكر والتخفي والهروب بعيدًا، وعلى الضد من ذلك، إذا ما كان الناس يحبون رئيسهم وقائدهم حبًا عظيمًا، فإن حبهم العظيم في قلوبهم يبقى محفوظًا له في أولاده وأهله وأقربائه؛ كما يبقى حفظًا، وإكرامًا، وإحاطة، ونصرة، وتعزيرًا، وتوقيرًا... لكن مما اعتاده الناس في كثير من البلاد هو من يأتي يبعد القيادة السابقة كاملة إلا ما ندر، وأول من يبعد من ينتسب لمن قبله.. ومع الأيام



ينسى مَنْ سبق كأن لم يكن.. وهذا يعني أنه لا الحكم ولا الآل، ولا الآل مع الحكم يخلد الناس في القلوب أو يخلدهم في الآخرين.

ولذا فإن آية حب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الفعلية بعد موته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؛ إنما هي في حب أقربائه وآله، بل لقد جعل الله عَزَّجَلَّ حب أقربائه مرتبطاً بالإيمان في القلب أساساً، وليس مرتبطاً بالأعمال الظاهرة وحدها. كما في حديث العباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «حَتَّى يُحِبَّكُمْ لِلَّهِ، وَلِقَرَابَتِي» -، فقد جعل الله عَزَّجَلَّ مودتهم ميدان سباق؛ إذ لو كانت عملاً لتحَدَّدت بالافتداء واستوى فيها المقتدون، ولكنها سباق في أخص خصائص المحبة وأدقها وخلاصتها، وهي: ﴿الْمَوَدَّةُ فِي الْقُرْبَىٰ﴾.

ومن الخلود الحسي المشهود لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الخلود لذريته، وختم الخلافة كلها بالخلافة في ذريته ويا له من ختام لم تسمع بمثله الأنام؛ ويا له من خلود وخبر جعل الأمة كلها تنتظره وخصوصاً إذا اشتدَّ عليها الحال، فلقد بشر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بخروج المهدي في هذه الأمة، والبشارة بخروج المهدي، إنما هي بشارة بخلود آل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أُبَشِّرُكُمْ بِالْمَهْدِيِّ»، وسيأتي معنا بيان ذلك بإذن الله.

ولا عجب أن يقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في آخر حديث التبشير بالمهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «لَا خَيْرَ فِي الْحَيَاةِ بَعْدَهُ» وإن كانت فترة عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، بعده مع أن عهد عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وفترته إنما هي امتداد لعهد المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ فالمهدي هو من يُوطئ لعيسى هذا العالم، وهو من يزيل الظلم كله ويملؤها قسطاً وعدلاً، فالعالم سلام وأمان؛ ولذا، فعيسى يكسر السيف ويلغي الجزية، ويكسر الصليب ويقتل الخنزير، فلا قتال ولا أديان إلا دين الإسلام؛ كما صح في حديث أبي هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «فَيَدُقُّ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلُ الْخِنْزِيرَ، وَيَضَعُ الْجَزِيَّةَ، وَيَدْعُو النَّاسَ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَيَهْلِكُ اللَّهُ فِي زَمَانِهِ الْمِلَلَ كُلَّهَا إِلَّا

الإِسْلَامَ، وَيُهْلِكُ اللهُ فِي زَمَانِهِ الْمَسِيحَ الدَّجَالَ»<sup>(١)</sup>.

ولهذا؛ فإن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قد قطع لأمته بأن ذريته باقية في هذه الدنيا لا تقبل الفناء بالأمراض ولا غيرها، كما فويت ذراري كثيرة، ولا يأكلها الوباء، وإن فشا وعمّ وطمّ، ولا تتحلل وتذوب في غيرها، كما هي العادة في المصاهرات والهجرات، وما إلى ذلك، والمقصود؛ أنها محفوظة مضمونة مأمونة من الانقراض والفناء، وحفظها ليس لأنها آية على آيات في كتاب الله فحسب، وليس لمجرد الحفظ والبقاء ردًّا على ذاك الهالك القائل عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «إنه أبت... فحسب، بل بقاؤها إنما هو ادّخار من الله عَزَّجَلَّ لعلو هذه الأمة وللناس كافة بعد أن يعمّ الظلم وتحوّل الظلمات، ويظهر الفساد في البر والبحر والفضاء، وتُمزق أمة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، تمزيقًا حتى لا يبقى سبب يربط الناس بعودة أمة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فكل الأسباب تُفضي إلى نتيجة واحدة وهي الأفول، فتأتي كلمة الله التي لو تغيّر كل شيء ما تغيرت، وبينها النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بيانًا في القطع لا نظير في صورته لا يمكن تصورها ولا وصفها؛ فعن ابن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا يَوْمٌ لَطَوَّلَ اللهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ، حَتَّى يَبْعَثَ فِيهِ رَجُلًا مِنِّي» - أَوْ «مِنْ أَهْلِ بَيْتِي» - «يُؤَاطِيُ اسْمُهُ اسْمِي، وَاسْمُ أَبِيهِ اسْمَ أَبِي» زاد في حديث فِطْرٍ: «يَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا، كَمَا مِلْتُمْ ظُلْمًا وَجَوْرًا»<sup>(٢)</sup>.. فهل يتصور أحد أن الله يمكن أن يؤخر يوم القيامة لحظة واحدة، فضلًا أن يؤخره يومًا؟ والجواب:

(١) رواه أحمد (٩٢٧٠)، وأبو داود (٤٣٢٤)، وابن حبان في صحيحه (٤٩٩٧)، والحاكم (٤٢٠٦)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، وَوَافَقَهُ الذَّهَبِيُّ، وَقَالَ الْأَرْنَؤُوطُ: حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

(٢) أخرجه أبو داود (٤٢٨٢)، وقال شعيب الأرنؤوط: صحيح لغيره، وقال الألباني:



قطعاً لا. فماذا إذاً إذا بقيت الأمة على حال السفول وبقي يوم واحد على يوم القيامة لا غير؟! هنا يقول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مبيناً هذه الحتمية العظمى.

إذا فبقاء آل البيت حتى يوم القيامة حتمية لا راداً لها.. وحتمية بقاء آل البيت لرفعة شأن الأمة وعلو الإسلام ونشره انتشاراً لا نظير له مطلقاً حتمية نصية، ولا تبديل لكلمات الله.

وهكذا تبقى ذرية المهدي عَلَيْهِ السَّلَام، وذلك من بقاء ضمان الله لذرية رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وخلودها، كما أن فيها منارة ملموسة شامخة على الهداية والهدى والمهدي الذي هو [خليفة الله] عَلَيْهِ السَّلَام.

واستحلال البيت من قبل أهله بالاقتيال بينهم، ثم هلكتهم على يد المهدي، حتى تأتي الحبشة في آخر الدنيا، فيعتدون على البيت ويهدمونه ويستخرجون أساساته... وأنداك تكون الساعة أقرب ما تكون؛ فعن أبي هريرة رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يُحْرَبُ الْكَعْبَةُ ذُو السُّوَيْقَتَيْنِ مِنَ الْحَبَشَةِ»<sup>(١)</sup>.

وَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «اتْرُكُوا الْحَبَشَةَ مَا تَرَكُوكُمْ، فَإِنَّهُ لَا يَسْتَخْرِجُ كَنْزَ الْكَعْبَةِ إِلَّا ذُو السُّوَيْقَتَيْنِ مِنَ الْحَبَشَةِ»<sup>(٢)</sup>.

وَعَنْ سَعِيدِ بْنِ سَمْعَانَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يُخْبِرُ أَبَا قَتَادَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يُبَايِعُ لِرَجُلٍ مَا بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ، وَلَنْ يَسْتَحِلَّ الْبَيْتَ إِلَّا أَهْلُهُ، فَإِذَا اسْتَحَلُّوهُ، فَلَا تَسْأَلُ عَنْ هَلَكَةِ الْعَرَبِ، ثُمَّ تَأْتِي الْحَبَشَةُ، فَيُخْرَبُونَهُ خَرَابًا لَا يَعْمُرُ بَعْدَهُ أَبَدًا، وَهُمْ الَّذِينَ يَسْتَخْرِجُونَ كَنْزَهُ»<sup>(٣)</sup>.

وأذكر من هذا الحديث ورواياته أمرين عظيمين؛ الأول: أن الرسول

(١) رواه البخاري (١٥٩١)، ومسلم (٢٩٠٩).

(٢) رواه أبو داود (٤٣٠٩)، وحسنه الألباني.

(٣) رواه أحمد (٧٩١٠)، وقال الأرنبوط: إسناده صحيح.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذكر البيعة للمهدي من قبل الأمة ولم يذكر عيسى ابن مريم، بينما ذكر آخر الأمر وهو تخريب الكعبة؛ وذلك لأن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ تبع لخلافة الله التي ابتدأت بالبيعة للمهدي عند البيت.

والأمر الثاني: هو هدم الكعبة، وما كان إلا بعد ذهاب خلافة الله، كما حفظ الكعبة؛ لأنه هو السبب الرئيس والمباشر لبعث المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ، فذاهبها ذهاب خلافة الله أولاً.. ولا قيمة للأرض بغير دين الله وخلافة الله بدليل ذهاب بيت الله الأعظم، وهذا يعني ذهاب آل بيت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبيل ذلك، فلقد قبضت أرواحهم بالريح الطيبة مع مَنْ ختم بهم في هذه الأمة.. أحسن ختام في جيل النصر الشامل الكامل... وما هوَ لاء إلا حثالة الخلق من أحباش وغيرهم في جيل البهيمية والوحشية.

وقد روى سَعِيدُ بْنُ سَمْعَانَ قَالَ: سَمِعْتُ أَبَا هُرَيْرَةَ يُخْبِرُ أَبَا قَتَادَةَ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يُبَايِعُ لِرَجُلٍ مَا بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ، وَلَنْ يَسْتَحِلَّ الْبَيْتَ إِلَّا أَهْلُهُ، فَإِذَا اسْتَحَلُّوهُ فَلَا تَسْأَلُ عَنْ هَلَكَةِ الْعَرَبِ، ثُمَّ تَأْتِي الْحَبَشَةُ، فَيَخْرُبُونَهُ خَرَابًا لَا يَعْمُرُ بَعْدَهُ أَبَدًا، وَهُمْ الَّذِينَ يَسْتَخْرِجُونَ كَنْزَهُ»<sup>(١)</sup>.

ففي هذا الحديث قد جمع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عقوداً من السنين في عقد جامع بما آتاه الله من جوامع الكلم؛ فمن أول البيعة للمهدي؟

### لكم خامساً: رَبُّطُكُمْ بِالْإِيمَانِ وَرَبُّطُ الْإِيمَانِ بِكُمْ:

﴿إِلَّا أَمُودَةً فِي الْقُرْآنِ﴾: لقد أخذ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هذا الأمر الوارد في الوصية بالحزم وأبانه في مواقف خاصة، وأخرى عامة حتى آخر حياته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وحسّمه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لدرجة أنه ربطه بالإيمان وجوداً

(١) رواه أحمد (٧٩١٠)، وقال الأرنبوط: إسناده صحيح.

وعدمًا؛ فعن العباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ قُرَيْشًا إِذَا لَقِيَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا لَقَوْهُمْ بِبِشْرِ حَسَنِ، وَإِذَا لَقُونَا لَقُونَا بِوُجُوهِ لَا نَعْرِفُهَا، قَالَ: فَغَضِبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ غَضَبًا شَدِيدًا، وَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يَدْخُلُ قَلْبَ رَجُلٍ الْإِيمَانَ حَتَّى يُحِبَّكُمْ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ»<sup>(١)</sup>، وعنه أنه دخل على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: إِنَّا لَنَخْرُجُ فَنَرَى قُرَيْشًا تَحَدَّثُ، فَإِذَا رَأَوْنَا سَكَتُوا، فَغَضِبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَدَرَّ عِرْقٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «وَاللَّهِ، لَا يَدْخُلُ قَلْبَ امْرِئٍ إِيمَانٌ حَتَّى يُحِبَّكُمْ لِلَّهِ، وَلِقَرَابَتِي»<sup>(٢)</sup>، وأما قول العباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «إِنَّا لَنَخْرُجُ فَنَرَى قُرَيْشًا تَحَدَّثُ، فَإِذَا رَأَوْنَا سَكَتُوا»، فهذه هي طبيعة مرحلة التشريع، والتربية فيها دائمة ومستمرة إلى لحظة وفاة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وفي ذلك المجتمع منافقون، كما قال الله سبحانه: ﴿وَمِنَ أَهْلِ الْمَدِينَةِ مَرَدُوا عَلَى الْإِنْفَاقِ لَا تَعْلَمُهُمْ﴾ [التوبة: ١٠١]، ثم إنه لا يُظَنُّ بأصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إِلَّا خَيْرٌ. وما فعله النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إنما هو من وصية الله عزَّ وجلَّ له، وهو القدوة صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ومن ثمَّ وجب على كل إمام للمسلمين وكل واحدٍ من المسلمين؛ أن يتحمل نصيبه من وصية الله ووصية رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ويعطيها حقها كاملاً في «آل» رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ما استطاع إلى ذلك سبيلاً؛ ولذا فإن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ ما كانوا يساؤون أحداً بآل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ولا ألهم هم، ولا يساؤون قراباتهم بقرابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حتى بعد موته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، بل كان الأمر بعد موته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أكثر وأكبر؛ وهذا أمرٌ عظيم والله، وقد قال أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِعَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لِقَرَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَحَبُّ

(١) أخرجه الترمذي (٣٧٥٨)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٨١٧٦) باختلاف يسير، وأخرجه ابن ماجه (١٤٠) بنحوه، وأحمد (١٧٧٢)، واللفظ له، وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

(٢) أخرجه أحمد (١٧٧٧)، وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

إِلَيَّ أَنْ أَصِلَ مِنْ قَرَابَتِي»<sup>(١)</sup>، وعن ابن عمر عن أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «ارْقُبُوا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ»<sup>(٢)</sup>.

فلقد ربط الله عَزَّجَلَّ ﴿الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ بِالْإِيمَانِ الْقَلْبِيِّ وَمَوْجِبَاتِهِ: وَغَضَبِ لِأَجْلِهَا غَضَبًا شَدِيدًا وَبَرَزَ بَيْنَ عَيْنَيْهِ عِرْقٌ وَظَهَرَ مُتَفَخِّحًا مُتَبَرِّجًا مِنْ شِدَّةِ الْأَمْرِ؛ لِئَلَّا يَسْتَهِينُ بِهِ أَحَدٌ بَعْدَ هَذَا الْمَوْقِفِ وَإِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ؛ وَلِيَجْتَمَعَ بِهَذَا كُلِّ أَرْكَانِ الْغَضَبِ الْحَقِّ، وَلِتُظْهِرَ آثَارَ التَّأَثُّرِ؛ وَلِيُرَوِّيَهَا النَّاسَ بَعْدَ هَذَا؛ صَوْتًا وَصُورَةً... وَلِتَحْضَرَ أَمَامَ عَيْنِي كُلِّ مَتَهَاوِنٍ بِحَقِّ آلِ بَيْتِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ صُورَةَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَوَجْهَهُ الشَّرِيفَ بِتَغْيِيرِهِ الْعَنِيفِ... وَكَيْفَ ظَهَرَ الْغَضَبُ عَلَى مَلَامِحِهِ؟ وَكَيْفَ بَرَزَ ذَلِكَ الْعِرْقُ بَيْنَ عَيْنَيْهِ وَكَأَنَّهُ يَرِيدُ أَنْ يَنْفَجِرَ؟

وَسُبْحَانَ اللَّهِ! فَإِنَّهُ «وَدَّرَ عِرْقٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ»، وَكَأَنَّهُ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَرَى مِنْ سِيْفَعَلِ هَذَا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، فَإِنْ لَمْ يَكُنْ يَرَاهُ، فَأَنْتَ أَيُّهَا الْمَقْصِرُ فِي حَقِّ آلِ الْبَيْتِ يَنْبَغِي أَنْ تَجْعَلَهُمْ بَيْنَ عَيْنَيْكَ دَائِمًا وَأَبَدًا، وَكَأَنَّكَ تَرَى وَجْهَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَمَنْ فُورِكَ فَتَرْتَدِّعُ.

«وَدَّرَ عِرْقٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ»: هَكَذَا تَغْيِيرَ ذَلِكَ الْوَجْهِ الصَّبُوحِ.. هَكَذَا تَحَوَّلَ التَّفَاؤُلُ... هَكَذَا كَادَ الْأَمْرُ يَتَحَوَّلُ إِلَى لَيْلٍ، وَكَادَ الْأَمَلُ أَنْ يَتَزَحْزَحَ، فَلتتذكروا ولتتصوروا ولتستحضرُوا يَا أُمَّةَ مُحَمَّدٍ هَذَا الْمَوْقِفَ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ عَلَيْكُمْ، إِنْ تَغْيِرْتُمْ يَوْمًا عَلَى آلِ بَيْتِهِ...

«وَدَّرَ عِرْقٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ»: هَكَذَا يَتَقَدَّمُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِنَفْسِهِ دَفَاعًا عَنْ آلِ بَيْتِهِ أَمَامَ أَدَى أَيِّ إِنْسَانٍ، بَلْ وَأَمَامَ أَيِّ مُسْلِمٍ مِنَ الْمُسْلِمِينَ يَتَقَدَّمُ لَهُمْ بِإِسَاءَةٍ أَوْ نَحْوِهَا، وَإِنْ لَمْ تَكُنْ مُبَاشِرَةً عَلَيْهِمْ، فَإِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هُوَ

(١) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٤٢٤٠)، (٤٢٤١).

(٢) أَخْرَجَهُ الْبُخَارِيُّ (٣٧١٣).

مَنْ يَبَاشِرِ الدِّفَاعَ عَنْهُمْ، وَإِذَا غَضِبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَقَدْ غَضِبَ رَبُّ الْعَالَمِينَ.

«وَدَّرَ عِرْقٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ»: لم يتحقق النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هنا كعادته، ولا طلب من اتهموا بهذا ليعرفهم؛ لأن المقصود هنا ليس مقصودًا شخصيًا ولا حكمًا قضائيًا، بل المقصود إنما هي مسألة إيمانية ووصية ربانية ثابتة في القرآن، ورسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مكلف بتبليغها، بل بتحقيقها في أمته، فالمسألة أكبر بكثير من كونها مسألة أفراد مع أفراد، وأكبر من الحاجة إلى تحقق وتبع، فليكن الأمر ما يكون، لكن الرسالة ينبغي أن تبلغ لمن لم يحضر لئلا يقعوا في هذه الهوة القاضية وهم لا يشعرون، أما الصحابة في عصره، فرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ موجود، وهو رأس الأولين والآخرين وشرفهم جميعًا.. أما المخوف عليهم، فهم مَنْ بعد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وخصوصًا في أيام تضييع الأمانات، كما أخبر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا ضُيِّعَتِ الْأَمَانَةُ فَانْتَظِرِ السَّاعَةَ»<sup>(١)</sup> والآل من أعظم الأمانات وأثقلها... وقد مرَّ معنا حديث [الثقلين]، فالخوف في حقيقته على الأمة بأكملها، والخوف ليس على أن تظلموا هؤلاء الآل بينكم، إنما الخوف أن يكون الله قد نزع الإيمان من قلوبكم، ولهذا نفى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ دخول الإيمان لمن لا يحبكم، ووالله إنها لمسألة في غاية الخطورة ومنتهاها.

«وَدَّرَ عِرْقٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ»: فليدَّر العرق بين عيني مَنْ تَحَمَّلَ الْأَمَانَةَ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ فِي آلِ بَيْتِهِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.. وَإِلَّا فَلَا أَمَانَةَ.

«وَدَّرَ عِرْقٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ»: هذا العرق مقام وخصوصية؛ ولهذا لم يظهر إلا لأصحاب الخصوصية هؤلاء، فمقامهم هنا بين العينين، وتفديهم العينان والروح، وهكذا ينبغي أن يكون مقامهم عند الأمة، فهذا هو موضع اختصاصهم وإلا فلا.

(١) رواه البخاري (٦٤٩٦).

«وَدَرَّ عَرَقٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ»: ولا يزال هذا العرق يدرُّ بين عيني بعض آل البيت ظاهراً لا خفاء فيه.. وليس هو بلازم.. إلا أنه دليل على تلك الأصالة، وأيُّ أصالة مثلها؟ قال ابن منظور: «وَعَرَقُ كُلِّ شَيْءٍ: أَصْلُهُ، وَالْجَمْعُ أَعْرَاقٌ وَعُرُوقٌ، وَرَجُلٌ مُعْرَقٌ فِي الْحَسَبِ وَالْكَرَمِ؛ وَمِنْهُ قَوْلُ قُتَيْبَةَ بِنْتِ النَّضْرِ بْنِ الْحَارِثِ:

أَمْحَمَّدٌ وَلَاأَنْتَ ضَنْءٌ نَجِيبَةٌ فِي قَوْمِهَا، وَالْفَحْلُ فَحْلٌ مُعْرَقٌ

أَيُّ: عَرِيقُ النَّسَبِ أَصِيلٌ»<sup>(١)</sup>.

«وَدَرَّ عَرَقٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ»: درَّ عرق ليدرُّ كل الناس بأن هذا هو الأصل صاحب هذا العرق هو الأصل لكل ما تفرَّع مما قرب أو بعد من هذه الشجرة؛ إذ الأصل هو عرقها.

وحين درَّ عرق بين عينيه، فإن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قد أكد ذلك تأكيداً عظيماً وأقسم قسمًا صريحاً... والمودة ليست هي قضية آية كأن يحب آل بيت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كحب أيِّ عائلة مسلمة أخرى.. بل هي خصوصية عن أيِّ عائلة مسلمة من المسلمين كافة.

لذا فإنَّ رَبَطَ الصلاة والسلام على آل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مع الصلاة والسلام على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ نفسه في جملة مباركة واحدة تشير إلى عظمة الاستثناء في قوله عَزَّجَلَّ: ﴿إِلَّا الْمَوَدَّةَ﴾؛ وأنه لا يمكن تصور عظمته؛ ولهذا جاء الحسم القاطع والإيضاح الجامع المانع في قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لعمه العباس بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَاللَّهِ، لَا يَدْخُلُ قَلْبَ امْرِئٍ إِيْمَانٌ حَتَّى يُحِبَّكُمْ لِيهِ، وَلِقَرَابَتِي».

فإنه إذا أدلى كل آلٍ إلى مَنْ انتسبوا له وتناسلوا عنه، كما هو الشأن في



العشائر والقبائل العربية والمسلمة من قبيلة فلان وعشيرة فلان وآل فلان...  
فإن آل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قد أدلوا من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بنسبهم؛  
فمَنْ يضع نفسه وأباه وجدّه وآله الكرام رحمهم الله أجمعين في مقابل رسول الله  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟!

ولهذا فإن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال في حديث العباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «حَتَّى يُحِبِّكُمْ  
لِلَّهِ، وَلِقَرَابَتِي».

### لكم سادساً: المودة:

﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: ٢٣]: إنها نازلة في رسول الله  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وقرابته.. وأن هذه الخصوصية تبقى فيهم إلى يوم القيامة، وأن  
حفظ خصوصية القربى إنما هي إيمان؛ لارتباط الأمر بركن الإيمان الثاني، وهو  
الشهادة لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وأن هذا من الوفاء، وهي أمة الوفاء، وأن من  
الوفاء الذي فُطِرَ عليه الناس عامة والعرب خاصة، وأن الرفعة في المقام لا تخص  
الفرد الفذّ وحده، بل لا بد وأن تشمل عائلته، وأن أول خير الرجل وبركته إنما  
تكون لأهله وآله وقرابته... وهذا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وهو يشرف الثقلين،  
فكيف لا يشرف آله وقرابته، وهو يبارك العالمين؟ فكيف لا تخص بركته ذريته  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أكثر؟ وأن هذا عهد الله وعهد رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في هذه الأمة.

﴿إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾، وأن هذا هو الموافق للطبع البشري السليم، فإن  
إحسان الآباء على الآباء يبقى محفوظاً عند الأبناء، فكيف بإحسان رسول الله  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الذي إحسانه على الأبناء كما كان على الآباء؟!

ثم إنه الموافق لقاعدة الجزاء من جنس العمل، فالمودة بالمودة، فالله سبحانه  
قد أمر المؤمنين بالمودة في القربى، أي: مودة قربي النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ولقد  
عَلِمْنَا أن المودة هي أشد الحب، وأعظمه، وأخصه، وأخلصه، وهذا هو الذي

يليق بأمة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ نحو قربي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ذلك أن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قد أعطى هذه الأمة من الحب حبًّا لا يحبه بشرٌ بشراً أبداً أبداً.. والأحاديث في هذا كثيرة، ويكفي أن نشيجه وبكائه في دعائه.. في دنياه وآخرته: «اللَّهُمَّ! أُمَّتِي أُمَّتِي»<sup>(١)</sup>، وهكذا الأمر حتى على الصراط... بينما دعاء الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ يوم ذلك: «اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ»<sup>(٢)</sup>؛ ولهذا كان أمر الله لأمة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هو تحديداً ﴿الْمُودَّةُ﴾ لأقربائه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إلى يوم القيامة؛ ذلك لأن مودته لأمته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لن تنقطع بموته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ولأن مودته لها لم تخص الطائعين من أمته، بل هي كشفاعته، وهي كما قال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «شَفَاعَتِي لِأَهْلِ الْكِبَائِرِ مِنْ أُمَّتِي»<sup>(٣)</sup>، فكانت المودة بالمودة؛ فكانت ﴿إِلَّا الْمُودَّةُ﴾ هي ما يناسب مودة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ولا شيء دونها يليق بما قدّم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فكيف بما أخفى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ولم يظهره؛ لكن رب العالمين عَلِمَهُ سبحانه.. وأعلمنا بأنها أعظم من كل تصور لهذه الأمة؛ لذا جاء الواجب علينا، وهو ﴿الْمُودَّةُ فِي الْقُرْبَى﴾، وهذا الأمر معهود في البشر، ويشهده الناس في الشرق والغرب، وفي الشمال والجنوب.

﴿إِلَّا الْمُودَّةُ فِي الْقُرْبَى﴾ لا ينبغي أن يُمَيِّعَ، وتعمم ﴿الْمُودَّةُ فِي الْقُرْبَى﴾ لتصبح بعد كل هذا المودة في قرباكم أنتم! فأين قربي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟!!

ثم إذا كانت ثمة قربي، وكانت كل الأمة قربي.. أوليس ثم ممن في القربي أقرب، ويكون آخرون أقرب منهم، وأقرب، ويكون من عدواً أول مرة في القربي

(١) أخرجه مسلم (٢٠٢).

(٢) رواه البخاري (٨٠٦)، ومسلم (١٨٢).

(٣) أخرجه أبو داود (٤٧٣٩)، والترمذي (٢٤٣٥)، وأحمد (١٣٢٢٢)، وصححه الألباني



أصبحوا أبعد وأبعد، وهكذا.. إذا فَمَنْ هم أقرب القربى، وأَسُّ القربى؟! إنهم آله ومَنْ عَلَّمهم الله عَزَّجَلَّ بالألف واللام العهدية، فقال سبحانه: ﴿الْقُرْبَىٰ﴾، فكانوا المعدودين المحددين ومَنْ تناسل منهم، لأنهم المعرفون بالألف واللام العهدية، وهكذا فهم من يصدق عليهم آل البيت وأهل البيت والعترة.

وإن الصلاة على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ليست ترانيم وطقوس تردد في موضعها ويخرج المررد لها من تبعتها وما افترض الله فيها، وإنما هي ﴿الْمَوَدَّةُ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ والمودة هي أخص الحب وأخلصه، وأرقه وأعظمه وأبلغه وأحسنه وأحنه... وهذا هو ما يليق برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وبمن أدلى منه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

﴿إِلَّا الْمَوَدَّةُ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ نواة الأمة هي أسرة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الأولى: لو نظرنا إلى هذه الأمة على أنها بنيان أو أنها جسم إنسان أو نحو ذلك.. أليس لكل شيء أساسه الذي بني عليه مثل الهيكل العظمي، وما كساه الله به بعد ذلك، ومثل الخلية ونواتها؛ فما نواة هذه الأمة من العوائل والأسر؟ أليس آل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هم النواة؟ أليس رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هو نواة الحق في هذه الأمة كلها..؟!

ولهذا كانت الحكمة البالغة في ذكر الله عَزَّجَلَّ وصيته وآيته في كل أسرة إيجاد المودة، فقال سبحانه: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الروم: ٢١]، بينما قال في وصيته سبحانه بآل بيت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: ٢٣]، فالأمة كأسرة واحدة، ولكنها كبيرة والأسر الأخرى من حولها تدور كأنها الأفلاك ورسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وأسرته وآله هم القلب، وهم الروح لأجزاء الأسرة الكبيرة.. فأبى الله إلا أن تكون هذه الكوكبة وأطرافها القريبة والبعيدة نواة واحدة... فما أجل وأجمل حركة أجزاء النواة خلقة وعظمة وجمالاً وفطرة في كل الأشياء التي خلقها الله..

فلكل شيء أساسه وأُسه؛ هنا تأتي الأسرة في بيان الإسلام، فكان أول لبناته هو بيت خديجة بنت خويلد رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، والتي كانت أول من دخل الإسلام بالإجماع كما سيأتي ذلك... وكانت من هذه الأسرة الذرية المباركة، وبغير آل البيت والوصية بآل البيت، فمن حق أي واحد أن يسأل: يا أمة محمد أين نواتكم؟ أين هم في واقعكم؟ وأتى لمخلوق أن يستطيع استبدال نواة خلقها الله؟ فكيف بالنواة التي اجتمع فيها الخلق والأمر؟! أي [خلق الله] الذي خلق محمدًا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وقدّر أن تكون هذه السلالة منه، [وأمره] في القرآن بمودتهم؟ وفضل الله العظيم أن أبقى نواة الأمة حية متواصلة متناصلة متكاثرة، فمتى ما أراد الله عزَّجَلَّ إحياء أمة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فما هي إلا أن يسقي هذه النواة، فإذا بها قائمة على سُوقها وإذا بالجميع مخصب مثمر حولها: ﴿مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ تَرَبَّهْمُ رُكْعًا سَجَدًا يَتَّبِعُونَ فَضْلًا مِنْ اللَّهِ وَرِضْوَانًا سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْعَهُ فَتَأَرَّى فَتَأَرَّى فَاسْتَوَى عَلَى سَوْفِهِ يَعْجِبُ الزَّرَّاعَ لِيغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ وَعَدَّ اللَّهُ الَّذِينَ ءَامَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الفتح: ٢٩]، إذا ما ذهب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وطال العهد وذهب الإيمان والأمان فمن وريثه، وبمن أوصى.. والجواب: عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «يَقْتَتِلُ عِنْدَ كَنْزِكُمْ ثَلَاثَةٌ، كُلُّهُمْ ابْنُ خَلِيفَةٍ، ثُمَّ لَا يَصِيرُ إِلَى وَاحِدٍ مِنْهُمْ، ثُمَّ تَطَّلُعُ الرَّايَاتُ السُّودُ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ، فَيَقْتُلُونَكُمْ قَتْلًا لَمْ يَقْتُلْهُ قَوْمٌ» - ثُمَّ ذَكَرَ شَيْئًا لَا أَحْفَظُهُ فَقَالَ - «فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَبَايَعُوهُ وَلَوْ حَبْوًا عَلَى الثَّلَجِ، فَإِنَّهُ خَلِيفَةُ اللَّهِ الْمَهْدِيُّ»<sup>(١)</sup>.

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٠٨٤)، وقال ابن كثير في النهاية ص (٢٦): تفرد به ابن ماجه، وهذا إسناد قوي صحيح، وقال البوصيري في زوائده (١٤٤٢): هذا إسناد صحيح رجاله ثقات، ورواه الحاكم في المستدرک (٨٦٧٧)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين.

والمودة طريق قد فتحه الله عَزَّوَجَلَّ لأمة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عن طريق واحدٍ وهم آله، فلم يجعل للمودة صورة ولا صيغة محددة ولا شكلاً محدداً، ولا طريقة محددة، بل أطلقها... والناس أعرف بطرق المودة الصادقة وكيف يعبرون هم عنها.. وكلُّ بحسبه، لكن الله جعل الناس عند المودة لآل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في سباق... فأكثر ما تتمثل عند وجود الآل أنفسهم، وعند لقائهم حتى لو كانوا أغنياء، فضلاً عن أن يكونوا فقراء، وعند الصلاة والسلام على رسول الله وآله معه في كل وقت، وعلى الأخص في الصلاة.

يقول الإمام البقاعي رَحِمَهُ اللهُ عند بيان قول الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: ٢٣] قال: «وعبر في المنقطع بأداة الاستثناء إغراقاً في النفي بالإعلام بأنه لا يستثني أجراً أصلاً إلا هذه المودة إن قدر أحد أنها تكون أجراً، ويجوز أن تكون «إلا» بمعنى «غير» فيكون من باب:

وَلَا عَيْبَ فِيهِمْ غَيْرَ أَنْ سُيُوفَهُمْ بِهِنَّ فَلَوْلَ مِنْ قِرَاعِ الْكِتَابِ

فمن كان بينه وبين أحد من المسلمين قرابة، فهو مسؤول أن يراقب الله في قرابته تلك، فيصل صاحبها بكل ما تصل قدرته إليه من جميع ما أمره الله به من ثواب أو عقاب، فكيف بقرابة النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ<sup>(١)</sup>.

فأيُّ مسلم هذا الذي لا يشعر في داخله اشتياقاً لا يوصف لشكر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟ وهل سُكْرُ الإحسان إلا خُلِقَ فطري فُطِرَ عليه الإنسان لمن أحسن إليه؟ فكيف بإحسان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الذي يعيش معك إحسانه الليل والنهار والدنيا والآخرة؟ ولهذا جاء فتح هذا الطريق العظيم لإشباع بعض جوعة النفس بأخلص شيء وأحلاه وأعلاه؛ وهو المودة بقرابه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

(١) نظم الدرر في تناسب الآيات والسور (١٧/ ٢٩٧-٢٩٨).

قال الله عَزَّجَلَّ: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: ٢٣].

إن المتحدث هنا هو رب العالمين سبحانه.. وهو سبحانه مَنْ أمر رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أن يقول هذا القول عن الله سبحانه ﴿قُلْ﴾ كما يقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بنفسه وعن نفسه، وإن القول طلبًا لنفسه ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ إذا فالأمر يتعلق به هو صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؛ لأن الأجر كما هو معتاد يستحقه مَنْ أحسن، وهذا هو المتعارف عليه، وهو صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ المحسن الأعظم من الخلق للخلق، وهذه كلمة جميع الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وهذه الكلمة: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا﴾ تساوي ﴿لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَالًا﴾ [هود: ٢٩]؛ ولهذا؛ فلقد نفى الله عَزَّجَلَّ عن رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ سؤاله إياهم أجرًا أو مالا، وأما مطلوبه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فهم أهله وقرباته في هذه الأمة من بعده؛ وليس المطلوب هنا هو أقرباء بعضكم بعضًا، فذلك شيء آخر، وهو ثابت وكثير في نصوص كثيرة، إنما هنا الخصوصية لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وأقربائه وعلاقتكم بهم، ولو كان المطلوب أقرباء الناس كافة بعضهم مع بعض لما حققت الآيات هدفها، فإن الهدف إنما هو تقديم شيء لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، تطيب به خواطر المؤمنين، حيث يقابل إحسان رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ولا يماثله - لأن مماثلة إحسانه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ محال على بشرٍ بلوغه - ... وهذا مثل قول الله عَزَّجَلَّ للمؤمنين في عهده صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إِذَا نَزَجْنَاهُ الرَّسُولَ فَقَدِمُوا بَيْنَ يَدَيْ جُنُودِكُمْ صَدَقَةً ذَلِك خَيْرٌ لَكُمْ وَأَطْهَرُ فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المجادلة: ١٢]، فالصدقة المطلوبة وإن كانت صغيرة، مع أنها من المستحيل أن تماثل فضل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عليهم، لكن إذا مات رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فمن يوصل صور وفاء المحبين إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟ من يحمل تعبيرات شكر المؤمنين إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟ مَنْ يبلغ ومن الذي يأخذ نيابة عنه ما يُهدى إليه، وما يُتْحَفُ به، ونحو ذلك؟ أم أنه باب أغلق إلى الأبد مع أن

إحسانه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ باقٍ إلى الأبد، وَمَنْ أولى الناس بالميت إلا أهله؟! وَمَنْ الذي يتذوق من خلاله المعطي لذة محبته لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ واشتياقه إليه؟ وَمَنْ يقارب الإحساس العظيم في مشاعر المسلم العميقة نحو رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إلا بالإحسان إلى أهله من بعده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وذلك بعد موته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟! وَمَنْ الذي إذا أعطيناه فقبلَ منا شعرنا براحة عظيمة؛ لأن أباهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هو المتفضل علينا، ولأن خبرها سوف يصل إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟ أليس هو ولده وفلذة كبده، لأنه من فلذة كبده فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ؟!!

**وَمَنْ هم الحبل النسبي الخلقى الحقيقي الوحيد الواصل من بين جميع**

**المسلمين في الأمة وبين رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟**

**الجواب:** قطعاً إنه آل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؛ ولهذا فإن التعبير بالأجر في قوله سبحانه: ﴿أَجْرًا﴾ إنما المراد به إشعار المؤمنين بأنهم قدموا شكراً فعلياً إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وأنه قد وصل إليه، لأن مراد النفوس الوفية المؤمنة هو العطاء في مقابل الإحسان، ولكن مَنْ يستطيع أن يكافئ إحسان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟! فالذي يعطي مودة وتودداً يعطي أجود الجود المستطاع، والذي يعطي مودة لا يريد جزاء أكبر من ودهم، فلا غاية بعد الود، والذي يعطي مودة يكون أكبر عقاب له أن تردَّ عطيته، وهذا يعني رفض مودته.. فمعطاء هذا لا يخالطه أيُّ مَنْ ولا ذرة أذى، بل ولا إحساس بعيدٍ بفضل، بل الفضل إذا فتح له باب المودة.. ليفرح ويواصل التودد.

ولما أن عَلِمَتْ تلك النفوس المؤمنة أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لن يقبل ما لا ولا أجره مقابل دعوة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى في حياته، وأنه قد مات الآن، فلم يكن للشكر المناسب من طريق إلا أن تقدم المودة لآل رسول الله، فهم أهله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وهم السابقون لهذا بسبق أبيهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ. والوصية بهم من

رب العالمين، ومن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ موجودة في كل بيت مسلم من المسلمين وكان أعظم الناس عملاً وفهماً للوصية بآل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ هم أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

**وهذا العطاء لآل البيت محدد للغاية والصفة؛ وهو أنه مودة وليست صدقة، ولا هي صلاة فحسب.**

كيف وربنا قال: ﴿الْمُودَّةُ﴾ والمودة موضوع كبير، ولكنه منه ما كان يقبله رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؛ فهي الهدية، و﴿الْمُودَّةُ﴾ هي سر الهدية، وهي سببها، وهي أعلى غاياتها؛ ألم يقل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «تَهَادُوا تَحَابُّوا»<sup>(١)</sup>؟ ومن طلب بصلته ومحبته المودة من آل البيت، فله ذلك، وأعظم من ذلك، له المودة من الله، وله المودة من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

إن قربي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الذين عرفهم الله عَزَّجَلَّ هنا بالألف واللام الذين هم علم كل قربي، والذين هم حين تنقطع القربى يوم تقوم الساعة، فإن قرباه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لن تنقطع، كما سيمر معنا ذلك في حديث عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وأما ما ورد عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فيها، فإنه يقتضي تخصيص قرابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لا إطلاق القربى بشكل عام، فعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في قوله عَزَّجَلَّ: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمُودَةَ فِي الْقُرْبَى﴾ قال: «كان لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قرابة في جميع قريش، فلما كذبوه وأبوا أن يبايعوه قال: يا قوم إذا أبيتم أن تبايعوني، احفظوا قرابتي فيكم لا يكن غيركم من العرب أولى بحفظي ونصرتي منكم»<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه البخاري في «الأدب المفرد» (٥٩٤)، وأبو يعلى (٦١٤٨)، والبيهقي

(١٢٢٩٧)، وحسن إسناده ابن حجر في «التلخيص الحبير» (١٠٤٧/٣)، وحسن

الحديث الألباني في «صحيح الأدب المفرد» (٥٩٤).

(٢) الصحيح المسبور من التفسير بالمأثور، أ. د. حكمت بن بشير بن ياسين (٢٨٩/٤).

وهذا هو الأمر الطبيعي، وهو طريق الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ في دعوتهم، وهذا هو منهج الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بمناداتهم على قومهم عند دعوتهم: يا قوم.. ومثل هذا النداء إنما هو تحفيز للاستجابة وإثارة للغيرة؛ ليدركوا الحق ويتبعوه قبل أن يفوز به غيرهم، مثل نداء العرب والعروبة، فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منكم، فلم يسبقكم غيركم، ومن هذا القبيل تخصيص النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالنداء والإنذار بقوله: «وَيْلٌ لِلْعَرَبِ مِنْ شَرِّ قَدِ اقْتَرَبَ»<sup>(١)</sup>.

وهنا نقول: أليست العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب؟!

فما ذكره ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إنما هو صورة واحدة للإفادة من القربى وطلب مراعاتها وإعطائها حقها، ويبقى كلام الله عَزَّجَلَّ أوسع وأكبر من سبب النزول بما لا يحصى ﴿وَاللَّهُ وَسِعَ عِلْمُهُ﴾ [البقرة: ٢٤٧].

ثم أين هو التضاد بين هذا وهذا؟!

وهل يأمر الله عَزَّجَلَّ المشركين بحفظ القرابة بينهم وبين رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، حتى وإن لم يسلموا، ثم يضيّعها المسلمون بعدما دخلوا في دين الله؟!

**والسؤال قبل ذلك هو:** هل المؤمنون بالله وبرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مطلوب منهم صلة القربى، فحسب، أم مودة قربي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بناءً على هذه الآية؟! وكيف يمكن أن يحفظ حق رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في أقربائه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟! والخلاصة: أن ما من أحدٍ من المسلمين إلا وكان يتمنى شكر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من خلال قرابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، كما هي الصلاة على محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فإن معها: وآل محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

(١) رواه البخاري (٣٣٤٦)، ومسلم (٢٨٨٠).

وابن عباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا الذي روى سبب نزول هذه الآية قد أقرَّ زيدًا على عمله واستنتجه في تفسير القرابة والآل.

وعن الشَّعْبِيِّ قَالَ: «صَلَّى زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ عَلَى جِنَازَةٍ ثُمَّ قُرِّبَتْ لَهُ بَغْلَةٌ لِيَرْكَبَهَا، فَجَاءَ ابْنُ عَبَّاسٍ، فَأَخَذَ بَرِكَابِهِ، فَقَالَ لَهُ زَيْدٌ: خَلِّ عَنْهُ يَا بَنَ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «هَكَذَا يُفْعَلُ بِالْعُلَمَاءِ وَالْكَبْرَاءِ»، وَزَادَ بَعْضُهُمْ فِي هَذَا الْحَدِيثِ: إِنَّ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ كَأَفَّا ابْنَ عَبَّاسٍ عَلَى أَخْذِهِ بَرِكَابِهِ أَنْ قَبَّلَ يَدَهُ، وَقَالَ: هَكَذَا أَمْرُنَا أَنْ نَفْعَلَ بِأَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ»<sup>(١)</sup>.

أليس هذا هو الحق والعدل في كل موصلٍ فرط في وصيته؟ فكيف بوصية الله عَزَّجَلَّ الواضحة المنصوصة في كتابه، ووصية رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إلى آخر لحظات حياته؟ أفيفر الله المفرط وقد منحه فرصة حتى آخر عمر الدنيا؟ أفيمنحه فرصة وقد أضاع على آل البيت خاصة الدين والدنيا، وأضاع [الثقلين]: القرآن والآل؟! لا والله، إذا ماذا يجب على الأمة إذا التقى [الثقلان] على إقامة كتاب الله على يد المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهو أعظم وأعلى وصور آل البيت في ختام عمر الأمة العظيمة الكبيرة إلا أن تؤدَّى الوصية على أعلى ما تستطيع وتعتبر بمصيرٍ مَنْ فرط ممن كان من قبل.

### ثانياً: الصحابة أعلم منا فلنرجع إليهم:

الذي ينبغي أن نرجع إليه ونتحاشى الحيمة عنه، هو المصطلح، كما جاء المراد به في شرع الله أولاً، فهو الحد القاطع والحكم الفاصل، ومن ذلك أن الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ لم يكونوا يطلقون آل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إلا على آل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؛ وأهله وعترته، وأرحامه، وذرياته، وما كان الأمر

(١) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (١/ ٥١٤) رقم (٨٣٢)، الأعلام للزركلي (٣/ ٥٧).

يختلط عليهم أبدأ، وهذا ما ورد عن كل أحد تحدّث بهذا. وكانوا يتعبّدون الله بهذا التفريق بين آلهم هم، وبين آل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، والتفريق إنما هو بتقديم آل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ على آلهم هم.

فقد قال أبو بكر الصديق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ لعلي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لِقَرَابَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ أَصِلَ مِنْ قَرَابَتِي»<sup>(١)</sup>.

وميز عمر بن الخطاب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ الحسن والحسين عَلَيْهِمَا السَّلَامُ في العطاء على ابنه عبد الله رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ فأعطى كل واحد منهما عشرة آلاف، فقال عبد الله بن عمر: لِمَ فَضَّلْتَ عَلِيَّ هَذَيْنِ الْغُلَامِينَ وَأَنْتَ تَعْرِفُ سَبْقِي فِي الْإِسْلَامِ وَهَجْرَتِي؟ فقال له عمر: ويحك يا عبد الله، اتنني بجدّ مثل جدّهما، وأب مثل أبيهما، وأم مثل أمهما، وجدة مثل جدتهما<sup>(٢)</sup>.

وقد قال عمر بن الخطاب للعباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا يوم فتح مكة: مَهْلًا يَا عَبَّاسُ، لِإِسْلَامِكَ يَوْمَ أَسْلَمْتَ، كَانَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ إِسْلَامِ الْخَطَّابِ، وَمَا لِي إِلَّا أَنِّي قَدْ عَرَفْتُ أَنَّ إِسْلَامَكَ كَانَ أَحَبَّ إِلَيَّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مِنْ إِسْلَامِ الْخَطَّابِ<sup>(٣)</sup>.

وقد مرّ معنا قريباً حديث الشَّعْبِيِّ قَالَ: «صَلَّى زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ عَلَيَّ جِنَازَةً ثُمَّ قُرِبَتْ لَهُ بَعْلَةٌ لَيْرِ كَبَهَا، فَجَاءَ ابْنُ عَبَّاسٍ، فَأَخَذَ بِرِكَابِهِ، فَقَالَ لَهُ زَيْدٌ: خَلِّ عَنْهُ يَا بَنَ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: هَكَذَا يُفْعَلُ بِالْعُلَمَاءِ وَالْكَبْرَاءِ،

(١) رواه مسلم (١٧٥٩).

(٢) انظر «سيرة آل البيت» لحمزة النشري، وعبد الحفيظ فرغلي، وعبد الحميد مصطفى، (٤٣/٢) ط المكتبة القيمة.

(٣) شرح معاني الآثار للطحاوي (٣/٣١٩) رقم (٥٤٥٠)، وقال الطحاوي: هَذَا حَدِيثٌ مُتَّصِلٌ الْإِسْنَادِ صَحِيحٌ مَا فِيهِ مَعْنَى.

وَرَادَ بَعْضُهُمْ فِي هَذَا الْحَدِيثِ: أَنَّ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ كَافَأَ ابْنَ عَبَّاسٍ عَلَى أَخْذِهِ بِرِكَابِهِ أَنْ قَبَلَ يَدَهُ، وَقَالَ: هَكَذَا أَمَرْنَا أَنْ نَفْعَلَ بِأَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ»<sup>(١)</sup>.

وَعَنْ أَبِي الْمُهَزَّمِ قَالَ: «كُنَّا مَعَ جِنَازَةِ امْرَأَةٍ، وَمَعَنَا أَبُو هُرَيْرَةَ، فَجِيءَ بِجِنَازَةِ رَجُلٍ، فَجَعَلَهُ بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْمَرْأَةِ، فَصَلَّى عَلَيْهِمَا، فَلَمَّا أَقْبَلْنَا أَعْيَا الْحُسَيْنُ، فَقَعَدَ فِي الطَّرِيقِ، فَجَعَلَ أَبُو هُرَيْرَةَ يَنْفُضُ التُّرَابَ عَنْ قَدَمَيْهِ بِطَرْفِ ثَوْبِهِ، فَقَالَ الْحُسَيْنُ: يَا أَبَا هُرَيْرَةَ! وَأَنْتَ تَفْعَلُ هَذَا؟! قَالَ أَبُو هُرَيْرَةَ: دَعْنِي، فَوَاللَّهِ لَوْ يَعْلَمُ النَّاسُ مِنْكَ مَا أَعْلَمُ لَحَمَلُوكَ عَلَى رِقَابِهِمْ»<sup>(٢)</sup>، أي: أنه ومع هذا الذي فعله، فهو يعتذر عن تقصيره في حق الحسين عليه السلام، فرضي الله عن أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

وَقَالَ الدَّهَبِيُّ رَحِمَهُ اللَّهُ: «كَانَ الْعَبَّاسُ إِذَا مَرَّ بِعُمَرَ أَوْ بِعُثْمَانَ، وَهَمَّا رَاكِبَانِ، نَزَلَ حَتَّى يُجَاوِزَهُمَا إِجْلَالًا لِعَمِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ»<sup>(٣)</sup>.

### أليست هذه فاصلة في التفريق ما بين القرابة والنبوة؟

وَعَنْ مُدْرِكِ بْنِ عُمَارَةَ قَالَ: «رَأَيْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ أَخِذًا بِرِكَابِ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ، فَقِيلَ لَهُ: أَتَأْخُذُ بِرِكَابِهِمَا وَأَنْتَ أَسْنُ مِنْهُمَا؟! فَقَالَ: إِنَّ هَذَيْنِ ابْنَا رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، أَوْ لَيْسَ مِنْ سَعَادَتِي أَنْ أَخْذُ بِرِكَابِهِمَا؟!»<sup>(٤)</sup>.

ولهذا ميّز رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ سلمان الفارسي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن جميع الصحابة في الخندق الذين كانت لهم القبائل والعشائر؛ فقال: «سَلْمَانُ مِنَّا أَهْلُ

(١) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (١/ ٥١٤) رقم (٨٣٢)، الأعلام للزركلي (٣/ ٥٧).

(٢) تاريخ دمشق لابن عساكر (١٤/ ١٨٠).

(٣) سير أعلام النبلاء (٢/ ٩٣).

(٤) تاريخ دمشق (١٤/ ١٧٩).



الْبَيْتِ»<sup>(١)</sup>، ولو نسبته إلى أيّ [آل] لكان يمكن أن يُنازع، أما هذا المقام، فلا مطمح أبداً لأحدٍ به.

ثم لو كان الآل يشمل جميع المؤمنين ويشمل أنصار الرجل وجنوده لقال الصحابة: يا رسول الله كلنا من آلك، لكنه تحقيق الفارق الذي يجب أن يستحضره كل أحدٍ يحاول أن يجعل آل البيت كأبيّ آل، أو يُمَيِّع مصطلح [الآل]، فيجعل الأصل فيه الأنصار، وهذا إنما هو من الإنصاف الذي أمر الله، ومن أداء الحق لأهله والذي اختصاصهم الله به من دون الناس، وأنه لا يجوز لكائنٍ مَنْ كان أن يخلط نسبه بنسب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إن لم يكن هو من نسب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ. نعم! أنا لا أتحدّث عن المصاهرة، فهذا أمر مشروع ذلك أن الناس خلق الله، والزواج قضاء الله وقدره، وأنه إن استحق أحد الاستثناء بإدخاله هذا المقام، فمَنْ يمنحه إنما هو رأس آل البيت، وهو الذي لا ينطق عن الهوى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ولهذا قال: «سَلْمَانُ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ»، وهذا باب قد أُغلق بموت سيد ولد آدم رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ.

(١) رواه الحاكم (٦٥٣٩)، والطبراني في الكبير (٢١٢/٦) رقم (٦٠٤٠)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (١٣٠/٦) رقم (١٠١٣٧): رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ، وَفِيهِ كَثِيرٌ بَنُ عَبْدِ اللَّهِ الْمُزْنِيِّ، وَقَدْ ضَعَّفَهُ الْجُمُهُورُ، وَحَسَّنَ التِّرْمِذِيُّ حَدِيثَهُ، وَبَيَّعَهُ رِجَالُهُ ثِقَاتٌ. وقد صحَّ موقوفاً على عليٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، ومثل هذا لا يقال بالرأي؛ قال الذهبي في السير (١/٥٤١): يعلي بن عبيد: حدثنا الأعمش، عن عمرو بن مرة، عن أبي البخري قال: قيل لعلي: أخبرنا عن أصحاب محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، قال: عن أيهم تسألون؟ قالوا: سلمان؟ قال: أدرك العلم الأول، والعلم الآخر، بحر لا يُدْرِكُ قَعْرَهُ، وهو منا أهل البيت. قال الشيخ شعيب الأرنؤوط في حاشية (السير): رجاله ثقات، وأخرجه الفسوي في (المعرفة والتاريخ) (٢/٥٤٠) مطولاً... ورجاله ثقات، والطبراني (٦٠٤١)، وأبو نعيم في (الحلية) (١/١٨٧)، وانظر المطالب العالية (٧). اهـ. ومع هذا، فإن شهرته وتلقي الصحابة والعلماء والأمة له بالقبول والاستشهاد كافٍ في قبوله.

فواعجبًا لتقديم أصحاب رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ على أنفسهم وأهليهم وكبار الناس والسبق في حياته صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وبعد موته رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

وفي «الطبقات الكبرى» لابن سعد عَنْ سَعْدِ بْنِ أَبِي وَقَاصٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: مَا رَأَيْتُ أَحَدًا أَحْضَرَ فَهَمًّا، وَلَا أَلْبَّ لُبًّا، وَلَا أَكْثَرَ عِلْمًا، وَلَا أَوْسَعَ حِلْمًا مِنْ ابْنِ عَبَّاسٍ! وَلَقَدْ رَأَيْتُ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ يَدْعُوهُ لِلْمُعْضَلَاتِ، ثُمَّ يَقُولُ: عِنْدَكَ قَدْ جَاءَتْكَ مُعْضَلَةٌ، ثُمَّ لَا تُجَاوِزُ قَوْلَهُ، وَإِنْ حَوْلَهُ لِأَهْلِ بَدْرٍ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ (١).

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ: كَانَ إِذَا فُحِطُوا اسْتَسْقَى بِالْعَبَّاسِ ابْنَ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَتَسْقِينَا، وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا، فَاسْقِنَا، قَالَ: فَيَسْقُونَ» (٢).

وفي «طبقات ابن سعد» عَنْ فَاطِمَةَ بِنْتِ عَلِيٍّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ؛ أَنَّهَا ذَكَرَتْ عُمَرَ ابْنَ عَبْدِ الْعَزِيزِ، فَأَكْثَرَتِ التَّرْحِمَ عَلَيْهِ، وَقَالَتْ: دَخَلْتُ عَلَيْهِ وَهُوَ أَمِيرُ الْمَدِينَةِ يَوْمَئِذٍ، فَأَخْرَجَ عَنِّي كُلَّ خَصِيٍّ وَحَرَسِيٍّ حَتَّى لَمْ يَبْقَ فِي الْبَيْتِ أَحَدٌ غَيْرِي وَغَيْرُهُ، ثُمَّ قَالَ: يَا بِنْتَةَ عَلِيٍّ وَاللَّهِ مَا عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ أَهْلٌ يَبْتَ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْكُمْ وَلَا أَنْتُمْ أَحَبُّ إِلَيَّ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي (٣).

دخل زين العابدين بن الحسين بن علي عَلَيْهِمُ السَّلَامُ على عمر بن عبد العزيز، فنزل له عن كرسيه وجلس بجواره، وتواضع له، وبالغ في الاستماع إليه، حتى خرج زين العابدين، فقال له بعض من حضر: لِمَ فعلت هذا يا أمير المؤمنين وأنت الخليفة؟ فقال عمر: هذا الذي يودُّ كل أحدٍ أنه مكانه، وهو لا يود أن يكون مثل سواه.

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد (٢/ ٢٨١-٢٨٢).

(٢) رواه البخاري (٣٧١٠).

(٣) الطبقات الكبرى لابن سعد (٥/ ٢٥٧).



ونقطة أخيرة لبيان الفارق ما بين القرابة وبين الذرية وأبناء العم وهم أقرب القرابة.. وكلهم الأهل والآل. والقرابة: هي أن العم يأتي بأبناء عم وأبناء العم يأتيون بأبناء أبناء عم، وهكذا تتسع الدائرة، وإن تقارب الأصل، أما الولد، فيبقى هو الولد، وإن تباعد عن الأصل؛ ولهذا قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عن المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إِنَّهُ مِنِّي»، كما قال عن فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ «إِنَّهَا مِنِّي»، وقال عنه: «مَنْ ذَرِيَّتِي وَمَنْ عَتْرَتِي».

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا لَيْلَةٌ، لَمَلَكَ فِيهَا رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ»<sup>(١)</sup>.

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «لَا تُقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَمْلِكَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي، أَجَلِي أَقْنَى، يَمْلَأُ الْأَرْضَ عَدْلًا، كَمَا مِلَّتْ قَبْلَهُ ظُلْمًا، يَكُونُ سَبْعَ سِنِينَ»<sup>(٢)</sup>.

وَعَنْ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «الْمَهْدِيُّ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ، يُصْلِحُهُ اللَّهُ فِي لَيْلَةٍ»<sup>(٣)</sup>.

وَعَنْ أُمِّ سَلَمَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «الْمَهْدِيُّ مِنْ عَتْرَتِي، مِنْ وَلَدِ فَاطِمَةَ»<sup>(٤)</sup>.

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «مِنَّا الَّذِي يُصَلِّي عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ خَلْفَهُ»<sup>(٥)</sup>.

(١) أخرجه ابن حبان في صحيحه (٥٩٥٣)، وصححه الألباني في صحيح موارد الظمان (١٥٧٢).

(٢) رواه أحمد في مسنده (١١١٣٠)، وقال التوحيدي: إسناده صحيح على شرط مسلم، وقال الأرناؤوط: حديث صحيح دون قوله: «يكون سبع سنين».

(٣) رواه أحمد (٦٤٥)، وابن ماجه (٤٠٨٥)، وحسنه الألباني.

(٤) رواه أبو داود (٤٢٨٤)، وصححه الألباني.

(٥) رواه أبو نعيم في أخبار المهدي، وقال الألباني في الصحيحة (٢٢٩٣): صحيح.

## لكم سابقاً: السلام عليكم وعلى ألكم حتى آخركم:

والتشهد يشهد:

وهكذا جاء اختصاصهم من دون الناس بالسلام عليهم من الله «عَلَيْهِمُ السَّلَامُ»: مَنْ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ تَسْتَطِيعُ أَنْ تَقُولَ عَنْهُمْ: «عَلَيْهِمُ السَّلَامُ»؟ إِنَّهُمْ آلُ بَيْتِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ... مَنْ فِي هَذِهِ الْأُمَّةِ يُخَصُّ بِعَدْرِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنْ تَقُولَ: «عَلَيْهِمُ السَّلَامُ»؟

عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْمِنْبَرِ وَحَسَنٌ مَعَهُ، وَهُوَ يُقْبَلُ عَلَى النَّاسِ مَرَّةً وَعَلَيْهِ مَرَّةً، وَيَقُولُ: «إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِتْنَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ»<sup>(١)</sup>.

وَعَنْ حُسَيْنِ بْنِ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ عَلِيًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ قَالَ: «كَانَتْ لِي شَارِفٌ مِنْ نَصِيبِي مِنَ الْمَغْنَمِ، وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَعْطَانِي شَارِفًا مِنَ الْخُمْسِ، فَلَمَّا أَرَدْتُ أَنْ أَبْتَنِي بِفَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَاعَدْتُ رَجُلًا صَوَاغًا مِنْ بَنِي قَيْنِقَاعَ أَنْ يَرْتَحِلَ مَعِي، فَنَاتِي بِإِذْخِرٍ أَرَدْتُ أَنْ أَيْعَهُ مِنْ الصَّوَاغِينَ، وَأَسْتَعِينَ بِهِ فِي وَلِيمَةِ عُرْسِي»<sup>(٢)</sup>.

فما أجملها، والله من رواية! وما أجمله والله من أدب! وما أجملها من مقامات ومعرفة بها: فهنا الولد وهو الحسين عليه السلام يقول: إن علياً عليه السلام قال: «كَانَتْ لِي شَارِفٌ مِنْ نَصِيبِي مِنَ الْمَغْنَمِ، وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَعْطَانِي شَارِفًا مِنَ الْخُمْسِ، فَلَمَّا أَرَدْتُ أَنْ أَبْتَنِي بِفَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ بِنْتُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولو أنني كنت مكان التابعي راوي الحديث عن الحسين لقلت: عن الحسين عليه السلام، ولكن فاته ذلك رَحِمَهُ اللَّهُ عَلَى أَمَانَتِهِ فِي الرِّوَايَةِ وَعَفَا اللَّهُ عَنْهُ لَمَّا فَاتَهُ.

(١) رواه أحمد (٢٠٣٩٢)، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح.

(٢) رواه البخاري (٢٠٨٩).

وَعَنْ عَائِشَةَ أُمِّ الْمُؤْمِنِينَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «إِنَّا كُنَّا أَزْوَاجَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عِنْدَهُ جَمِيعًا لَمْ تُغَادِرْ مِنَّا وَاحِدَةً، فَأَقْبَلَتْ فَاطِمَةُ عَلَيْهَا السَّلَامُ تَمْشِي، لَا وَاللَّهِ مَا تَخْفَى مَشِيَّتَهَا مِنْ مَشِيَةِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ»<sup>(١)</sup>، وقد مرَّ معنا هذا الحديث قبل قليل.

وَعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «أَتَيْتُ عُبَيْدُ اللَّهِ بْنَ زِيَادٍ بِرَأْسِ الْحُسَيْنِ عَلَيْهِ السَّلَامُ، فَجَعَلَ فِي طُسْتٍ، فَجَعَلَ يَنْكُتُ، وَقَالَ فِي حُسْنِهِ شَيْئًا، فَقَالَ أَنَسٌ: كَانَ أَشْبَهُهُمْ بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَ مَخْضُوبًا بِالْوَسْمَةِ»<sup>(٢)</sup>.

عَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْمِنْبَرِ، وَالْحَسَنُ ابْنُ عَلِيٍّ إِلَيَّ جَنِبِهِ، وَهُوَ يُقْبَلُ عَلَى النَّاسِ مَرَّةً وَعَلَيْهِ أُخْرَى، وَيَقُولُ: «إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصَلِّحَ بِهِ بَيْنَ فِتْنَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ»<sup>(٣)</sup>.

وَعَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحَدِّثُنَا يَوْمًا وَالْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ فِي حِجْرِهِ، فَيُقْبَلُ عَلَى أَصْحَابِهِ، فَيُحَدِّثُهُمْ، ثُمَّ يُقْبَلُ عَلَى الْحَسَنِ، فَيُقْبَلُهُ، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ ابْنِي هَذَا لَسَيِّدٌ، إِنْ يَعِشَ يُصَلِّحَ بَيْنَ طَائِفَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ»<sup>(٤)</sup>.

وَعَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي بِالنَّاسِ، وَكَانَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا يَتْبُ عَلَى ظَهْرِهِ إِذَا سَجَدَ، فَفَعَلَ ذَلِكَ غَيْرَ مَرَّةٍ، فَقَالُوا لَهُ: وَاللَّهِ إِنَّكَ لَتَفْعَلُ بِهَذَا شَيْئًا مَا رَأَيْنَاكَ تَفْعَلُهُ بِأَحَدٍ. قَالَ الْمُبَارَكُ: فَذَكَرَ شَيْئًا، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَسَيُصَلِّحُ اللَّهُ بِهِ بَيْنَ فِتْنَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ»<sup>(٥)</sup>، فَقَالَ الْحَسَنُ: فَوَاللَّهِ وَاللَّهِ، بَعْدَ أَنْ وَلِيَّ لَمْ يَهْرَقْ فِي خِلَافَتِهِ مِلْءٌ مِحْجَمَةٍ مِنْ دَمٍ.

(١) رواه البخاري (٦٢٨٥)، ومسلم (٢٤٥٠).

(٢) رواه البخاري (٣٧٤٨).

(٣) رواه البخاري (٢٧٠٤).

(٤) رواه أحمد (٢٠٤٧٣)، وقال الأرنؤوط: حديث صحيح.

(٥) رواه أحمد (٢٠٤٨)، وقال الأرنؤوط: حديث صحيح.

ما سمعت أن «عَلَيْهِ السَّلَامُ» أطلقها أحد من الصحابة على أبي بكر ولا عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، وهما أفضل خلق الله من الناس بعد الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ ولا أطلقوها على أحد من الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ.

بل لم يطلقوها على العباس، وهو عم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وعم علي بن أبي طالب.. والعباس لا شك من القريبى، لكن ما السبب في عدم إطلاق الصحابة «عَلَيْهِ السَّلَامُ» عليه إذا ذكر؛ إلا أن هذه خصوصية مرتبطة بفاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ، وهي التي تميز السلالة وحدها ليس إلا والأصل هو الوصول إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؛ ولهذا جاء في الحديث عن إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ وهو ابن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؛ لأنه ابن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مباشرة، وإن كان من مارية القبطية ويشاء الله تعالى أن يقبضه إليه، فلا يبقى طريق إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إلا فاطمة، وأيُّ طريق أكرم منها عَلَيْهَا السَّلَامُ؛ فَعَنْ عَدِيِّ بْنِ ثَابِتٍ أَنَّهُ سَمِعَ الْبَرَاءَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: لَمَّا تُوِّفِيَ إِبْرَاهِيمُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ لَهُ مُرْضِعًا فِي الْجَنَّةِ» (١).

ومما لا شك فيه أن الأصل أن كل واحد من آل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من فلذة كبده الشريفة يستحق أن تقول فيه: «عَلَيْهِ السَّلَامُ»، بشرط أن تعلم خاتمته، ولما لم يكن ذلك ممكناً إلا بموته على الإسلام، أو بإخبار الغيب، فإن المسلم يتوقف في هذا من بعد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ولكن لا يتوقف في كمال الأدب معهم، والتكريم والتبجيل... ومن هذا الباب فيبقى المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ بعد الصحابة من آل البيت هو المقطوع له بالحق في قولنا «عَلَيْهِ السَّلَامُ» فهو مشروع في حقه؛ لكثرة ما ورد فيه عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من تزكية وبشائر... بحيث لا يدانيه لهذا الأمر في الآخرين أحدٌ.

وقد مرَّ معنا بعض الأحاديث في المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ، كما سيأتي شيء آخر، وهي أحاديث متواترة بغير شك.

## لكم ثامنًا: الوصية لجميعكم:

وهنا سؤال يتبادر: هل وُدُّ آل البيت مشروط بصلاحهم أو بصالحيتهم؟ وهذا أمرٌ عظيم يخطئ فيه كثير من الناس أتباعًا لبعض العلماء رَجَّهَهُ اللهُ؛ ذلك هو تقييد حق قرابة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ باتباعهم السنة، أو كونهم صالحين، أو قدوات، أو كونهم غير مبتدعين، ونحو ذلك!

وهذا هو الخطأ الفاضح.. فإن الحساب على الصلاح وضده لله سبحانه وحده.. ونحن لا نكافي آل البيت.. إنما نحن نريد شكر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فيهم، ونقدّم له فيهم المودة منذ ذلك الحين وإلى يوم القيامة، والله عزَّ وجلَّ حين أمر بالمودة في القربى لم يشترط، ولم يُقيّد... فمَن يكون له الحق أن يشترط، أو يُقيّد بعد الله ورسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟! فالقرابة برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هي علّة المودة، وليس شيئًا آخر أبدًا، وليست قريش من القرابة إذا ذُكرت القرابة، ولهذا لما جاء العباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال: إِنَّا لَنَخْرُجُ فَنَرَى قُرَيْشًا تَحَدَّثُ، فَإِذَا رَأَوْنَا سَكَتُوا، فَغَضِبَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَدَرَّ عِرْقٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «وَاللَّهِ، لَا يَدْخُلُ قَلْبُ امْرِئٍ إِيْمَانٌ حَتَّى يُحِبَّكُمْ لِلَّهِ، وَلِقَرَابَتِي»<sup>(١)</sup>.

ففي هذا الحديث أعظم شهادة على أنه لا ربط بين حق القرابة من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وبين مدى الاستمساك بالدين والسنة، وما إلى ذلك، ولو كانوا كذلك لاستنوا مع أيِّ أحدٍ آخر، وعلى هذا الوهم، فلا ميزة لقرابة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، بل ولا النسبة إليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ! وهذا ما يبطله رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وذلك بشهادة حال راوي الحديث الشاكي، فهذا هو العباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ من آخر الناس إسلامًا عن غيره، ومع هذا ما قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هنا: لا تؤذوني في أصحابي، ولا قال: لا يحلُّ فعل هذا، كما يقوله في مثل هذه

(١) أخرجه أحمد (١٧٧٧)، وقال أحمد شاكر: إسناد صحيح.

المواقف مع عامة المؤمنين، وإنما قال: «وَاللَّهِ، لَا يَدْخُلُ قَلْبَ امْرِئٍ إِيْمَانٌ حَتَّى يُحِبَّكُمْ لِلَّهِ، وَلِقَرَابَتِي».

فإذا كان أعظم مراد المؤمن وأكبره هو محبة الله له، فالله يدلّه على طريق من طرق محبته؛ والله سبحانه يقول له: إذا أحببتهم أحبك، إذا وصلتهم أحبك، إذا أحبوك أحبك، إذا دافعت عنهم أحبك، إذا تفقدتهم أحبك، إذا دعوت الناس لمحبتهم أحبك، فكم من باب للمحبة فتح الله سبحانه هنا؟ وكم قَرَّبَ لنا ربنا هذه الغاية، كيف جعلها تتحقق من خلال علاقة بشر موجود بيننا؟

إن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قد بَيَّنَّ في هذا الحديث أن حب آل البيت ليس رغبة عند المؤمن أو عدم رغبة، أو أنه عرضة للطوارئ، وإنما هو إيمان أو لا إيمان! وأي حساسية أكبر من هذه وأعظم خطورة من هذه العلاقة؟ النوع من الصلة ومن هذا المستوى من العلاقة ومن هذا الاشتراط! وهذه خصوصية غير موجودة لأي آل على الأرض إلا لأكرم آلٍ؛ وهم آل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

إذاً فلا مجال إلا أن يوطن المسلم نفسه لهذا، ولا يُدخِلُ الأهواء والأمزجة في هذا، بل لا يدخل الاشتراطات العامة في هذا الأمر المخصوص، ولا يأتي بالقيود الأخرى ويُقيّد بها العلاقة بآل بيت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مثل الصلاح والفساد.. فماذا بعد قسم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «وَاللَّهِ، لَا يَدْخُلُ قَلْبَ امْرِئٍ إِيْمَانٌ حَتَّى يُحِبَّكُمْ لِلَّهِ، وَلِقَرَابَتِي»، فلم يتطرق النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لعمل صالح ولا لخلق ولا نحو ذلك.

تأتي الفضيلة العظيمة على أمة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وهي أن حب آل البيت إيمان، وأن بُغْضهم مانع لدخول الإيمان القلب... فلا يسع الإنسان إلا أن يحبهم لله، وكون محبتهم لله، فإن ذلك علامة على أن الله عَزَّوَجَلَّ يحبهم، بل ويحب مَنْ يحبهم. نعم! ربما ظهر منهم ما ظهر من الفساد، حالهم في هذا حال

سائر الناس، فكل بني آدم خطاء، وخير الخطائين التوابون إلا أن المشاهد أن من ظهر منه من آل البيت ذلك، فإنها فترة ويعود أحسن ما كان - بإذن الله - ... وقد شاهد من راقب أحوال أهل البيت هذا كثيرًا حيث إن من زلَّ منهم، فإنه وإن طالت زلَّته، فهو على موعد مع الرجوع إلى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، وأنا ممن راقب أحوالهم؛ والحمد لله رب العالمين.

ومع هذا فلا ينبغي للأمة أن تقف مكتوفة الأيدي نحو من فسق من آل البيت بشكل مخصوص وجميع آل البيت بشكل عام... مع مراعاة وصية الله ووصية رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.. وإقالة عثراتهم والرفق بمن عصى منهم غاية الرفق، والحلم غاية الحلم، والدعاء لهم والاستغاثة بالله تَبَارَكَ وَتَعَالَى ليعودوا إلى مقامهم الذي رفعهم الله إليه أصلًا، ليكونوا للمتقين إمامًا...

فأني فضل أعظم من أن يدلنا الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى على باب محبته تَبَارَكَ وَتَعَالَى هو سبحانه، فيقول: حب هؤلاء لي، وحب هؤلاء حب لي، وحب هؤلاء عبادة عندي؟ وشاهد هذا قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

«حَتَّى يُحِبَّكُمْ لِلَّهِ»، هكذا يجعل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عدم محبة آله لله تعالى ولرسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ لأنهم آله حجابًا دون دخول الإيمان القلب، وهذا يعني أنه لا يكتفي هنا بعلاقة عادية مثل أي إنسان لا تعرفه أو ليست لك علاقة به؛ فأنت لا تحبه ولا تبغضه، بل هو مع هؤلاء خاصة، لا تقبل عند الله هكذا علاقة ولا يقبل الإيمان دخول هذا القلب ليس؛ لأن فيه بغض آل البيت، بل لأنه ليس فيه حب آل بيت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.. والفارق كبير بين الاثنين، فالمؤمن بمجرد أن يعرف أن هذه المجموعة مثلًا من آل البيت فهو يحبهم من فوره ليس لأعمالهم وأحوالهم، وإنما لأن شرط محبتها متحقق فيها، وهو أنهم قرابة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فالمعادلة محسومة وفورية؛ لأن الأمر فيه رسول الله

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَحَسِمَ وَتَمَّ وانتهى.. كما قال المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «لِلَّهِ، وَلِقَرَابَتِي»، فَكِفَّةٌ فِيهَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هِيَ الرَّاجِحَةُ دُونَ شُكِّ، وَقَوْمٌ فِيهِمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لَا يَشْقَى فِيهِمْ جَلِيسٌ، وَأَلُّ هَذَا حَالِهِمْ لَا يَتَحَقَّقُ أَوْ يَتَشَاوَرُ مِنْ إِكْرَامِهِمْ أَوْ عَدَمِ إِكْرَامِهِمْ وَلَا إِكْرَامِ أَحَدِهِمْ أَوْ عَدَمِ إِكْرَامِهِ، وَلَا بِقَوْلِ شِفَاعَتِهِ أَوْ عَدَمِ قَبُولِهَا... بِنَاءً عَلَى مُوَازِينِ فِي مَقَامَاتِ النَّاسِ.. فَلَا وَصِيَّةَ بِآلٍ مُطْلَقًا كَالْوَصِيَّةِ بِآلِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

أَمَّا مَنْ ادَّعَى أَنَّهُ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وَهُوَ لَيْسَ كَذَلِكَ، وَقَدْ ارْتَدَّ وَكَانَ حَرْبًا عَلَى الْإِسْلَامِ وَالْمُسْلِمِينَ وَعَلَى قَوْمِهِ وَأَهْلِهِ وَبَلَدِهِ، فَهَذَا مَنْ يُضَاعَفُ لَهُ الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ - نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ ذَلِكَ. وَنَعُوذُ لِمَوْضُوعِنَا لئَلَّا يَفْسُدَهُ هَؤُلَاءِ الْمَفْسُدُونَ، وَيَفْسُدُوا الْجَوَّ الْإِيمَانِيَّ عِنْدَ الْحَدِيثِ عَنْ قُرْبَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَأَلِّ بَيْتِهِ الْأَطْهَارِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، فنقول:

**والسؤال هو: ما الرابط بين محبة آل بيت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وبين الإيمان؟!**

**والجواب الأول:** أن هذا بيت النبوة ومن يحب بيت النبوة في الناس، فقد قَدَّمَ الشهادة والمحبة لصاحب البيت نفسه؟!

وهل صاحب البيت إلا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟

ثم أليس الله رب العالمين يحب ما يحب رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ويبغض ما يبغض رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟! أليست هذه معادلة مضطربة عند الله مع كل أحدٍ يحبه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أو يبغضه؟ وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «وإِنَّ فَاطِمَةَ بَضْعَةٌ مِنِّي، وَإِنِّي أَكْرَهُ أَنْ يَسُوءَهَا»<sup>(١)</sup>، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي، فَمَنْ أَعْضَبَهَا أَعْضَبَنِي»<sup>(٢)</sup>.

(١) أخرجه البخاري (٣٧٢٩).

(٢) أخرجه البخاري (٣٧١٤).



**والجواب الثاني:** هو أن الله عَزَّجَلَّ اصطفى في كل أمة من يشاء من الأفراد، فقد اصطفى الله عَزَّجَلَّ من آل والأسر في كل قوم من الأقوام.. هذا هو الظاهر من قول الله عَزَّجَلَّ: ﴿إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ آدَمَ وَنُوحًا وَآلَ إِبْرَاهِيمَ وَآلَ عِمْرَانَ عَلَى الْعَالَمِينَ﴾ [آل عمران: ٣٣]، فإذا كان الفرد هو اللبنة في ابتداء الإنسانية، فقد أصبحت الأسرة هي اللبنة بعد ما كبرت المجتمعات، فإذا لم يصطفِ الله آل بيت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في الأمة المصطفاة أمة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فأَيُّ بيت يصطفيه؟! وهل يمكن أن يصطفى بيتًا فوق بيت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟! ولهذا جاء في الحديث: «إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَىٰ مِنْ وَلَدِ إِبْرَاهِيمَ إِسْمَاعِيلَ، وَاصْطَفَىٰ مِنْ وَلَدِ إِسْمَاعِيلَ بَنِي كِنَانَةَ، وَاصْطَفَىٰ مِنْ بَنِي كِنَانَةَ قُرَيْشًا، وَاصْطَفَىٰ مِنْ قُرَيْشِ بَنِي هَاشِمٍ، وَاصْطَفَانِي مِنْ بَنِي هَاشِمٍ»<sup>(١)</sup>، فهل من المعقول أن يتوقف الاصطفاء عند رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟! بل والله؛ من هنا يتبدى الاصطفاء الأعظم والأعلى.. إنه من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

ومن هنا كان ضرورة الاصطفاء لآل محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في أمة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ولذا كانت عظمة الصلاة على محمد وعلى آل محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.. بالقول: [اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد]، فهي صيغة ضمت الآل إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.. فكانت هذه الفضيلة العظيمة التي يهبها الله عَزَّجَلَّ لهذه الأمة؛ فمن شاء فليستكثر ومن شاء فليستقل.





## الباب الثاني

### بِمَ حَفِظَكُمْ اللَّهُ عَزَّجَلَّ يَا آلَ بَيْتِ النَّبِوَةِ حَفِظًا إِلَى الْأَبَدِ؟



**حفظكم الله أولاً بكلماته:** فكل آية أنزلها الله في آل البيت إنما هي [كلمة الله] فيكم وفي بقائكم وفي بركتكم الباقية إلى يوم القيامة:

فمنها قول الله عَزَّجَلَّ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣].

ومنها قول الله عَزَّجَلَّ: ﴿أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ ﴿١﴾ وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ ﴿٢﴾ الَّذِينَ أَنْقَضَ ظَهْرَكَ ﴿٣﴾ وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ ﴿٤﴾ فَإِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٥﴾ إِنَّ مَعَ الْعُسْرِ يُسْرًا ﴿٦﴾ فَإِذَا فُرُغْتَ فَأَنْصَبْ ﴿٧﴾ وَإِلَىٰ رَبِّكَ فَارْغَبْ﴾ [الشرح: ١-٨].

ومنها قول الله عَزَّجَلَّ: ﴿إِنَّا أَعْطَيْنَاكَ الْكَوْثَرَ ﴿١﴾ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَأَخَرْنَا ﴿٢﴾ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ١-٣].

ومنها قول الله عَزَّجَلَّ: ﴿رَحِمْتُ اللَّهُ وَبَرَكَتُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَّجِيدٌ﴾ [هود: ٧٣].

ومنها قول الله عَزَّجَلَّ: ﴿يٰٓنِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ ۚ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [الأحزاب: ٣٢].

ومنها قوله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ: ﴿النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ ۖ وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَّعْرُوفًا ۚ كَانَ ذَٰلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ [الأحزاب: ٦].

ومنها قوله عَزَّجَلَّ: ﴿يَتَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا نَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَظِيرِ بْنِ إِنَّهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَعْسِبِينَ لِحَدِيثِ إِنَّ ذَلِكَ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِ مِنْكُمْ وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مَنْ الْحَقِّ وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَرْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكَ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٥٣].

هذه بعض كلمات الله، والله عَزَّجَلَّ يقول: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَةَ اللَّهِ﴾ [الفتح: ١٥].

ويقول سبحانه: ﴿وَمَنْ أَصْدَقُ مِنَ اللَّهِ قِيلًا﴾ [النساء: ١٢٢].

وهذا هو ما ورد ذكره وتفصيله في الكتاب كثيرا، وتبقى آيات الله في آل بيت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ آيات على أن هذا البيت باقٍ، وأن الواجب الذي أنيط بالأمة نحو آل البيت باقٍ، وأن بقاءهم حبل حيٍّ واصل بينهم وبين رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، كما في الآية: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ [الشورى: ٢٣].

وأن بقاءهم عينٌ تفيض على الأمة باليقين بأن القرآن حق ورسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حق، وما أخبر الله به كله حق.

ويشاء الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى أن تذهب جلُّ آثار الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وما بقي منها لا يستطيع الناس ملامسته.. فهو وراء الحُجُب والزجاج والأقفال المحكمة.. هذا ولا يصح نسبة أكثرها إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ليجعل الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى تفرّد حبل الوصال إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وصالاً حياً قائماً دائماً مباركاً ببركة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ... وباباً مفتوحاً بين الناس وبين رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.. فمن أراد شكر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ... وأيُّ مسلم لا يريد

ذلك.. فالله هو سبحانه مَنْ يدلنا على هذا الباب، فيقول سبحانه: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾.

وسبحان الله، فإن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وعندهم آثار رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عامرة إلا أن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ لم يعترضوا على آثاره صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ويتبركوا بها، كما كانوا يتبركون بها في حياته، ومنهم من ادخرها لآخرته، ومنهم مَنْ جعلت معه في قبره... أما آل البيت، فهم الحياة الباقية منه هو صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بين الناس للناس.. وهم باب الود المفتوح إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.. والباب المفتوح إلى السماء وإجابة الله تعالى للمؤمنين.

وليس أحد فرقاً بين الأمور إذا اختلفت مثل الفاروق عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، بل هو مَنْ قال فيه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ كَانَ بَعْدِي نَبِيٌّ لَكَانَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ»<sup>(١)</sup>.. فماذا صنع عمر حين اشتد الأمر على الأمة حتى حارت الألباب وكادت المجاعة تعصف بالخلافة والأمة؛ فَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ إِذَا قُحِطُوا اسْتَسْقَى بِالْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؛ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا، فَتَسْقِينَا، وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا، فَاسْقِنَا، قَالَ: فَيُسْقَوْنَ»<sup>(٢)</sup>.

### حفظكم بالحفظ الثاني: بأسماء لها حدودها وحماها:

عَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ «أَنَّ عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ كَانَ إِذَا قُحِطُوا اسْتَسْقَى بِالْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ؛ فَقَالَ: اللَّهُمَّ إِنَّا كُنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِنَبِيِّنَا، فَتَسْقِينَا، وَإِنَّا نَتَوَسَّلُ إِلَيْكَ بِعَمِّ نَبِيِّنَا، فَاسْقِنَا، قَالَ: فَيُسْقَوْنَ»<sup>(٣)</sup>.

(١) رواه الحاكم في المستدرک (٤٥٤٣)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، وَالتِّرْمِذِيُّ (٣٦٨٦)، وَأَحْمَدُ (١٧٤٠٥)، وَحَسَنُ الْأَلْبَانِيُّ.

(٢) رواه البخاري.

(٣) رواه البخاري.

فقد دفع الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى عن آل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كل عدوان من أي نوع من خلال أسمائهم الجامعة المانعة التي أطلقها عليهم كعائلة، ومن خلال مصطلحات عامة ومعلومة عند الناس ولها حرمتها، وقول أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «كَانَ إِذَا قُحِطُوا اسْتَسْقَى بِالْعَبَّاسِ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ»، فهو عمُّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهو كبير آل البيت.. وقول أنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «كَانَ إِذَا قُحِطُوا» يدل على الديمومة، لم يستسق مرة واحدة، فالعبارة واضحة وأنس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يعني ما يقول.

إن كل مصطلح لآل البيت، فقد ربطت برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فأصبح لها فوق حرمتها المعتادة قدسيته وحماتها.. «أَلَا وَإِنَّ لِكُلِّ مَلِكٍ حِمَى، أَلَا وَإِنَّ حِمَى اللَّهِ مَحَارِمُهُ»<sup>(١)</sup>، وإن كانت الأمة كلها حِمَى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلا أن آل بيته هم حِمَى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ المخصوص في الأمة، وأي حِمَى أعظم عند الله من حِمَى رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومدار هذا المصطلح أو ذاك إنما هو رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مثل أن العباس عم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أو ابن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وهذه الأسماء ارتبطت بأعظم ما يقدرسه المسلمون، وهو رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهم [الآل] آل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وهم أهل البيت: أي بيت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وهم العترة: أي عترة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بدليل قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «وَعِزَّتِي أَهْلَ بَيْتِي»<sup>(٢)</sup>، وهم ﴿الْقُرْبَى﴾ كما قال الله عَزَّجَلَّ: أي قربي لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، أليس لهذا الربط حرمة وقدسية لا تنبغي لبيت سواه ولا تحقير لأحدٍ من المسلمين وآله - معاذ الله؟ لكن من ذا الذي تطيب نفسه أن يجعل نفسه وآله في مقابل رسول الله وآله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟! لقد عجبت كيف حصَّن الله عَزَّجَلَّ آل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حتى لكانه

(١) رواه مسلم (١٥٩٩).

(٢) رواه أحمد (١١١٠٤)، والترمذي (٣٧٨٦)، والطبراني في الكبير (٣٦٣)، وقال الأرنؤوط:

حديث صحيح بشواهده.

حصن حصين عال منيع لا يمكن اختراقه، وجعل الاسم يذب عن نفسه ومسامه، ويدفع غير أهله من الدخول في أهله.

فلقد سماهم الله عَزَّجَلَّ [أهل البيت]، و[آل البيت] وبهذا أخذ البيت حق الحرمة المقررة لكل بيت، ولكل [القربى]، فلها رباطها المخصوص لها وحدها دون غيرها.. إنه وبمجرد أن يقال: [بيت] أي بيت من البيوت تظهر هنا الخصوصية، والأمان، والآداب الملازمة وما إلى ذلك، فإن لكل بيت حرمة، ويمنع دخوله من غير أهله إلا بإذن وسلام واستئناس، قال سبحانه: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بُيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا وَسَلِّمُوا عَلَىٰ أَهْلِهَا ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [النور: ٢٧].

وفي الحديث أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا يَحِلُّ لِأَمْرِيٍّ مُسْلِمٍ أَنْ يَنْظُرَ إِلَى جَوْفِ بَيْتٍ حَتَّى يَسْتَأْذِنَ، فَإِنْ فَعَلَ، فَقَدْ دَخَلَ، وَلَا يُؤْمُّ قَوْمًا، فَيُخْصُّ نَفْسَهُ بِدَعْوَةٍ دُونَهُمْ حَتَّى يَنْصَرِفَ، وَلَا يُصَلِّيَ وَهُوَ حَاقِنٌ حَتَّى يَتَخَفَّفَ»<sup>(١)</sup>.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «مَنْ اطَّلَعَ فِي بَيْتِ قَوْمٍ بِغَيْرِ إِذْنِهِمْ، فَقَدْ حَلَّ لَهُمْ أَنْ يَفْقُؤُوا عَيْنَهُ»<sup>(٢)</sup>.

فهل بيوت رسول الله أقل حرمة من بيوت الآخرين من المؤمنين قال سبحانه: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَظِيرِ بْنِ إِنَّهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلَا مُسْتَعْسِنِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَٰلِكُمْ كَانَ يُؤْذَى النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِيهِ مِنْكُمْ وَأَلَّهُ لَا يَسْتَحْيِيهِ مِنْ الْحَقِّ وَإِذَا

(١) رواه أبو داود (٩٠)، والترمذي (٣٥٧) وقال: حسن، وأحمد (٥ / ٢٨٠)، والبخاري في الأدب المفرد برقم (١٠٩٨) واللفظ له، وفيه قال أبو عبد الله البخاري: أصح ما يروى في هذا الباب هذا الحديث، وذكره في الترغيب والترهيب، وعزاه أيضًا لابن ماجه (٣ / ٤٣٧)، وقال محقق جامع الأصول: حديث حسن بشواهد (٥ / ٥٩٧).

(٢) رواه البخاري - الفتح ١٢ (٦٨٨٨)، مسلم (٢١٥٨)، واللفظ له.

سَأَلْتُمُوهُنَّ مَتَاعًا فَسَأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ وَلَا أَنْ تَنْكِحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَعْدِهِ أَبَدًا إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمًا ﴿[الأحزاب: ٥٣].

وكما أن في دخول مَنْ ليس من أهل البيت فعلياً أمراً حراماً، والداخل مستحق للعقوبة.. فإن من أدخل نفسه البيت على أنه من أهل البيت، وليس هو من أهل البيت أعظم خطيئة وافتراء.. فكيف بيت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وهم أعظم البيوتات حرمة؟! كيف بمن أدخل الآخرين من المؤمنين من أهل البيوتات الأخرى بفتواه في بيت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وزعم أن هذا حقهم؟ وبناءً على هذا فلننظر نظرة سريعة فيما سَمَى الله عَزَّجَلَّ به آل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؛ ولقد اختار لهم الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَا يَحُوطُهُمْ ويحرسهم ويحفظهم ويحفظ نسبهم مُحَصَّنًا إياهم بحصن حصين حين سَمَاهُمْ سبحانه: ﴿الْقُرْبَى﴾، وذلك في قوله سبحانه: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى﴾ [الشورى: ٢٣]، فالقربى؛ إنما هم قربي الرحم... والرحم الأقرب، والأقرب لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هي فاطمة، ثم هما الحسن والحسين، وهما الوحيدان من فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ ثم تأتي البقية تباعاً، كما سنأتي لذلك عند التفصيل بإذن الله.

وهذا مصطلح ﴿الْقُرْبَى﴾ من رب العالمين ينبّه إلى خطورة فعل كل مَنْ جاء من غير هذا الطريق، وأراد أن يدخل في قربي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أو ينتسب لهم ولو تشرُّفاً أو تقرباً أو تحبباً! فإنه تجاوز حدّاً حدّه الله، فلقد صح في الحديث: «وَمَنْ ادَّعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ، أَوْ انْتَمَى إِلَى غَيْرِ مَوَالِيهِ، فَعَلَيْهِ لَعْنَةُ اللَّهِ، وَالْمَلَائِكَةِ، وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ، لَا يَقْبَلُ اللَّهُ مِنْهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ صَرْفًا وَلَا عَدْلًا»<sup>(١)</sup>، وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «مَنْ ادَّعَى إِلَى غَيْرِ أَبِيهِ وَهُوَ يَعْلَمُ أَنَّهُ غَيْرُ أَبِيهِ، فَالْجَنَّةُ



عَلَيْهِ حَرَامٌ»<sup>(١)</sup>، وقال النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا تَرْعَبُوا عَنْ آبَائِكُمْ فَمَنْ رَغِبَ عَنْ أَبِيهِ؛ فَهُوَ كُفْرٌ»<sup>(٢)</sup>، وقال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «لَيْسَ مِنْ رَجُلٍ ادَّعَى لِغَيْرِ أَبِيهِ وَهُوَ يَعْلَمُهُ إِلَّا كَفَرَ، وَمَنْ ادَّعَى قَوْمًا لَيْسَ لَهُ فِيهِمْ، فَلْيَتَّبِعُوا مَقْعَدَهُ مِنَ النَّارِ»<sup>(٣)</sup>.

وما كان أصحاب رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يفعلون هذا، وهم يعرفون جيداً شرف الانتساب لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وقد كانوا رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ يغبطون كل واحد من آل البيت على أمرٍ اصطفاهم الله له أعظم الغبطة وأشرفها؛ ولهذا أتوا البيوت من أبوابها... وسلكوا للبيوت سبلها.. ولهذا قال عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ حين خطب أم كلثوم ابنة علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: إِنِّي سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «كُلُّ نَسَبٍ وَسَبَبٍ يَنْقَطِعُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ، إِلَّا مَا كَانَ مِنْ سَبَبِي وَنَسَبِي». فَأَخْبِتُ أَنْ يَكُونَ بَيْنِي وَبَيْنَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ نَسَبٌ وَسَبَبٌ»<sup>(٤)</sup>، ومع كل هذا، فما أصبح الفاروق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ من آل البيت أبداً، وهذا ما كان يقوله علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن نفسه للناس: «لَا تُزَوِّجُوا الْحَسَنَ، فَإِنَّهُ مُطْلَقٌ»<sup>(٥)</sup>، وكان الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ مكثراً من زواج النساء فكان الناس يقولون: والله لنزوّجنّه؛ رغبة في القرابة من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

وهذا ما سيأتي معنا المزيد من أدلته الباهرة بإذن الله، وكما وسّع بعض العلماء - عفا الله عنهم - مفهوم [القربى]، حتى أخرجوها من أن يكون مقصودها هو بيت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تحديداً، مستشهدين بقول الله عَزَّ وَجَلَّ: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾ [غافر: ٤٦]؟! فنحن نقول: إن مقامكم بين الصحابة رضي الله عنهم فرقان للأمة فيكم.

(١) رواه البخاري (٦٧٦٦).

(٢) رواه البخاري (٦٧٦٨).

(٣) رواه البخاري (٣٥٠٨)، ومسلم (٦١) باختلاف يسير.

(٤) أخرجه الحاكم (٤٧٣٣)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ.

(٥) سير أعلام النبلاء (٣/٢٥٣).

**ونحن نقول أولاً: مَنْ هم الآل في أصل وضع الكلمة؟** مَنْ هم الأهل في أصل الكلمة؟ أهم جنود الرجل، وزملاؤه، وأعوانه، ووزراؤه، أم هم نسله، وذرياته، وأقرباؤه؟! والسؤال الأدق والأخص هنا هو: مَنْ هم آل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تحديداً؟

**والجواب:** واضح، ومعروف؛ فالأصل في الآل والعترة هو المعنى المعروف الجامع لكلمة [الأهل]. إلا أن العجب حقاً ممن استدل باستخدام كلمة الآل لغة وترك معناها المنصوص في القرآن والسنة وعند الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، ومن ذلك استدلالهم بقوله عَزَّجَلَّ: ﴿وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ﴾! وبناءً على هذا صرفوا معنى [آل البيت] عن آل بيت الرسول وأهله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وخصوصيتها بهم إلى تعميمها على الأصحاب والأحباب والأنصار والجنود وما إلى ذلك.

**والجواب:** هل كان لفرعون ذرية حتى ينصرف [الآل] إلى غير أنصاره وحزبه...؟! فإذا لم يكن لفرعون ذرية بدليل قول زوجته: ﴿وَقَالَتِ امْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرْتُ عَيْنٍ لِي وَلَكِّ لَا نَقْتُلُوهُ عَسَىٰ أَن يَنْفَعَنَّا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا﴾ [القصص: ٩]، إذاً، فلا احتمال أن يدخل فيها غير هؤلاء الموالين له على باطله، ولا علاقة للنسل والذرياري؛ لأنه لا وجود للذريات عند فرعون، حيث أقيم هؤلاء مقام الذرية المعلومة، ولو كان الآل بالنسبة لفرعون غير المناصرين له لدخل فيها امرأته، وامراته ليست من الذين يُحشرون معه.

ولا من الذين يدخلون معه العذاب، وهكذا لا يدخل فيهم مؤمن آل فرعون، والذي قال ربنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ عَنْهُ: ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَانَهُ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَنْ يَقُولَ رَبِّيَ اللَّهُ وَقَدْ جَاءَكُمْ بِالْبَيِّنَاتِ مِنْ رَبِّكُمْ وَإِنْ يَكُ كَذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُ وَإِنْ يَكُ صَادِقًا يُصِيبْكُمْ بَعْضُ الَّذِي يَعِدُكُمْ إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ﴾ [غافر: ٢٨]، وهذا المؤمن قطعاً يُحمل على أصل



الكلمة وظاهر النسبة، وهو أنه من ﴿آلِ فِرْعَوْنَ﴾، أي: من أهله ورحمته، أي من الأصل، لا ممن يلحق به من ذريته، فلا ينبغي التشغيب على خصوصية آل البيت بالتعميم والإبعاد لحقوقهم وخصائصهم عنهم.

فما هو الأصل الشرعي الذي لا ينبغي الحيدة عنه إلا بصارفٍ يصرف عنه... إنهم [آل البيت] بالمفهوم الأصلي لكلمة [آل] والخصوصية الأصلية لكلمة [البيت].

وهكذا مصطلح [الآل]، فإنه معروف في اللغة، والأصل حمله على ما حمله عليه نص الآيات والأحاديث الواردة في آل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، والحذر كل الحذر من أن نُحَكِّمَ اللغة على قول الله وقول رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بأي نوع من أنواع التحكم... فال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هم آل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ولذا جاءت الصلاة على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وآله، فإنها تذبُّ عن الآل أعظم الذبِّ، فحين أُدخِلَ الصحابة في الصلاة على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في الصلاة عليه في خارج الصلاة واعتاد الناس على ذلك وأصبح الناس يقولون: اللهم صلِّ على محمد وعلى آل وصحبه وسلِّم، حتى ظن بعض الناس أن الصلاة والسلام على الصحابة واردة بنصِّ، جاءت الصلاة والسلام على آل منفردة دون الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ في تشهُد الصلاة فأصبحت اللهم صلِّ على محمد وعلى آل محمد، فهي الأصل، ولا مانع من إدخال الصحابة خارج الصلاة لورود نصوص عامة أخرى.

ومع هذا، فما من أحدٍ أدخل الصلاة على الصحابة في تشهُد الصلاة، ولم تُجعل ضمن الصلوات الإبراهيمية أبداً، ثم إن إضافة الصحابة على الآل خارج الصلاة ليشهد شهادة واضحة أن الآل شيء والصحابة شيء آخر، فلقد فرقت [واو] المغايرة بينهما، وأبانت الواو الآل عن الأصحاب أوضح إبانة.

نعم؛ الله سبحانه وتعالى سمَّى أصحاب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وجعل من الصحابة آله، وهذا لا شك فيه، لكن منع سبحانه كما ذكر من دخول الصحابة أو غيرهم في آله أو أهله أو بيته بدليل آيات كريمة وأحاديث كثيرة منها حديث العباس، والحديث الموقوف الصحيح عن عليٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «سلمان منا آل البيت»، والوصية للصحابة ومن بعدهم بالآل.

والصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ يعرفون هذا الحد أعظم المعرفة، كما ذكرت ذلك من قبل، وعلى هذا تدلُّ أشعارهم وتصرفاتهم.

ولا أدري هل من حق من لم يكن من الصحابة أن يُدخَلَ نفسه في مصطلح [الصحابة] أو يدخل غيره فيهم؟

وهل من حق من لم يشارك في غزوة بدر أن يُسمَّى من [البدرين]؟

وهل من حق من لم يبايع تحت الشجرة أن يسمى من [أصحاب الشجرة]؟  
إلا عثمان بن عفان بنص الحديث وهو قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بِيَدِهِ الْيُمْنَى: «هَذِهِ يَدُ عُثْمَانَ» فَضْرَبَ بِهَا عَلَى يَدِهِ، فَقَالَ: «هَذِهِ لِعُثْمَانَ»<sup>(١)</sup>.

وهكذا [القربى، والآل، والأهل، والعتره] بالنسبة لآل بيت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فهي أسماء سماهم الله ورسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بها، ومُخصَّصة عند الإطلاق عليهم وخدمهم ولا يدخل فيها إلا من أدخله النص نفسه أو رجل أدخله رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ولا تخصيص أبداً إلا لسلمان الفارسي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، كما مرَّ ذلك معنا.

ومن الأسماء التي لحرمتها وقع في كل المجتمعات والملل فضلاً عن المجتمع المسلم مصطلح ﴿أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ قال الله عَزَّوَجَلَّ: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ﴾



وَرَسُولُهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿

[الأحزاب: ٣٣]، فلا يزال أهل البيت في رعاية الله وحفظه، فسبحان من سماهم ﴿أَهْلَ الْبَيْتِ﴾، وجعل لهم من اسمهم النصيب، وسبحان من سمى أزواج النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بهذا، فنسب البيوت لهن ونسبهن للبيوت، فقال سبحانه: ﴿وَأَذْكُرَنَّ مَا يَشْكُرُنَّ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٤]، وفي هذا الاسم حيث نسبة أهل البيت إلى البيت أنه وإن شطَّ منهم من شط، فإنه لا بد أن يعود إلى البيت؛ ولذا، فإنه لا يزال في عوائل [أهل البيت] اجتماع وتخلُّق حول بعضهم البعض، ولا يزال المقدم بينهم أهل العلم والتقوى والنقاء وإن لم يكن أكبرهم سنًا، فإنهم مجتمعون وإن تفرقت عوائلهم وكثرت أسرهم ذلك أن عاداتهم الاجتماع كبيت واحد.. فسبحان من سماهم ﴿أَهْلَ الْبَيْتِ﴾ من أول مرة... وهو عالم الغيب والشهادة، فلقد بقي مصطلح البيت حقيقة في حياة آل بيت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وإن اتسعت أفرعهم وزادت أسرهم وكثرت أعدادهم، فهم يعلمون - في الأساس - أن مرجعهم جميعًا إلى بيت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؛ وأن صاحب البيت صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هو أعظم من يعنيه شأنهم واجتماعهم وحفظهم وصلاتهم.

ولقد أصبح سنةً عند بيوتات لآل البيت وأن يجتمع مجموع الأسر منهم - في أي بلدٍ أو حي من الأحياء نزلوا - في ديوان واحد يجلس فيه كبارهم، وأحيانًا يكون المجلس لشبابهم، حتى لكانهم بيت واحد، وهم وإن وقع بينهم من تحاسد ونحوه أحيانًا إلا أن هذا نتيجة الزمان السيئ والنفوس التي أصابها من طبائع أهل الأزمنة الأخيرة ما أصابها، فأهل البيت جزء يتأثر بالزمان وأهله، ومع هذا، فهم أقل تأثرًا من غيرهم بكثير، كما أن حسد آل البيت في العادة ليس على المال، ولكن على المكانة والأصالة، وهذا عادة ما يكون عند الجهلة منهم.

### حفظكم بالحفظ الثالث: بخلق الحياء:

فإن الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ لِعَظِيمِ حَبِهِ لِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَلَا لَبَيْتِ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فإنه سبحانه حَفِظَهُم بِحَفِظِهِ، فلا يزالون على العهد، وإن اشتدت عليهم الأيام وكثرت البلاءات.

لقد قال الله عَزَّجَلَّ: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٤] إن شهادة رب العالمين أوضح ما تكون، فكم في هذه الآية من تأكيد لعظمة مقام النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في مقام الأخلاق، بل هو المتمكن من مقام الأخلاق كلها، لأن الله جعله عليها.. فكيف لا تكون هذه الأخلاق إرثًا في ذريته، وإنما كانت مَزِيَّةً لشخصه وشخصيته، فكيف وقد قال الله عَزَّجَلَّ: ﴿وَإِنَّكَ لَتَفِرُّهُ وَخِصُوصِيَّتِهِ وَتَوَارِثِ الْخُلُقِ فَطْرِي وَأَمْرٍ مَعْرُوفٍ عِنْدَ الْأُمَّمِ وَكَمَا قَالَ الْقَائِلُ (١):

بِأَبِيهِ أَفْتَدَىٰ عَدِيٌّ فِي الْكُرْمِ وَمَنْ يُشَابِهُ أَبَهُ فَمَا ظَلَمَ

إذَا فكيف لا تكون إرثًا في ذريته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وصبغة فيهم وعليهم، وليس هذا فحسب، فإن هذا الإرث ضرورة خلقية وجينية بالإضافة إلى الضرورة الشرعية، بل والضمانات الربانية.. فإن كثرة الذرية لا تعني الرفع بغير تميز في الأخلاق وصلاح العمل، ولهذا كان الاثنان مجتمعين في قوله تعالى: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ٤] كثرة الذرية وحسن أخلاقهم المميّزة وعلى الأخص خلق الحياء.. وما أدراك ما الحياء؟! الحياء الذي لا نظير له في بيوتات الأرض أبدًا، بل ولا في التاريخ كله، فأبي آل مثل آل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، لأنه النسل الذي

(١) يُنسب لرؤية بن العجاج، من أبيات يقال: إنه مدح فيها عدي بن حاتم الطائي ولا أظن أن رؤية رأي عدي بن حاتم، حيث توفي عدي سنة ٦٨ هـ. وتوفي رؤية سنة ١٤٥ هـ. وبين وفاة حاتم، ووفاة رؤية سبعة وسبعون عامًا، ولعله عدي آخر من سلالة حاتم أو أنه ضربه مثلا للورثة المحمودة.

أخذ الحياء من مصدره ومنبعه من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؛ ومنه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ انبثق الحياء، فكان آل بيته وعترته ونسله المبارك، هكذا إلى يوم القيامة.. ولقد اختص النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بنصيب عظيم من خلق الحياء.

فعن أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَشَدَّ حَيَاءً مِنَ الْعَذْرَاءِ فِي خَدْرِهَا» (١) (٢).

وعن عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا بَلَغَهُ عَنِ الرَّجُلِ شَيْءٌ لَمْ يَقُلْ لِمَ قُلْتَ كَذَا وَكَذَا؟ وَلَكِنَّهُ يَعْصُمُ فَيَقُولُ: مَا بَالُ أَقْوَامٍ...» (٣).

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُضْطَجِعًا فِي بَيْتِي كَاشِفًا عَنِ فَخْذَيْهِ أَوْ سَاقِيهِ، فَاسْتَأْذَنَ أَبُو بَكْرٍ، فَأَذِنَ لَهُ، وَهُوَ عَلَى تِلْكَ الْحَالِ، فَتَحَدَّثَتْ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُمَرُ، فَأَذِنَ لَهُ، وَهُوَ كَذَلِكَ، فَتَحَدَّثَتْ، ثُمَّ اسْتَأْذَنَ عُثْمَانُ فَجَلَسَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَسَوَى ثِيَابَهُ - قَالَ مُحَمَّدٌ: وَلَا أَقُولُ ذَلِكَ فِي يَوْمٍ وَاحِدٍ - فَدَخَلَ فَتَحَدَّثَتْ، فَلَمَّا خَرَجَ قَالَتْ عَائِشَةُ: دَخَلَ أَبُو بَكْرٍ، فَلَمْ تَهْتَشْ (٤) لَهُ، وَلَمْ تُبَالِهِ (٥)، ثُمَّ دَخَلَ عُمَرُ، فَلَمْ تَهْتَشْ لَهُ وَلَمْ تُبَالِهِ، ثُمَّ دَخَلَ عُثْمَانُ، فَجَلَسَتْ وَسَوَّيْتُ ثِيَابَكَ! فَقَالَ: «أَلَا أَسْتَحِي مِنْ رَجُلٍ تَسْتَحِي مِنْهُ الْمَلَائِكَةُ» (٦).

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: «أَنَّ امْرَأَةً مِنَ الْأَنْصَارِ قَالَتْ لِلنَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: كَيْفَ أَغْتَسِلُ مِنَ الْمَحِيضِ؟ قَالَ: «خُذِي فِرْصَةً مُمْسَكَةً (٧) فَتَوَضَّئِي ثَلَاثًا» ثُمَّ إِنَّ النَّبِيَّ

(١) خدرها: سترها الذي تستتر به.

(٢) رواه البخاري - الفتح ١٠ (٦١١٩) واللفظ له، ومسلم (٢٣٢٠).

(٣) أورده ابن أبي الدنيا في مكارم الأخلاق (٧٠)، وكل رواه ثقات.

(٤) تهتش له: تقابله بطلاقة وجه.

(٥) لم تباليه: لم تكثر به ولم تحتفل لدخوله.

(٦) رواه مسلم (٢٤٠١).

(٧) فرصة ممسكة: قطعة من قطن أو صوف بها طيب.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ اسْتَحْيَا، فَأَعْرَضَ بِوَجْهِهِ، أَوْ قَالَ: «تَوَضَّيْ بِهَا»، فَأَخَذَتْهَا فَجَدَبَتْهَا، فَأَخْبَرْتُهَا بِمَا يُرِيدُ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ»<sup>(١)</sup>.

وَعَنْ أَنَسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «بُنِيَ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِزَيْنَبَ ابْنَةِ جَحْشٍ بِخُبْرٍ وَلَحْمٍ، فَأُرْسِلَتْ عَلَى الطَّعَامِ دَاعِيًا، فَيَجِيءُ قَوْمٌ فَيَأْكُلُونَ وَيَخْرُجُونَ، ثُمَّ يَجِيءُ قَوْمٌ فَيَأْكُلُونَ وَيَخْرُجُونَ، فَدَعَوْتُ حَتَّى مَا أَجِدُ أَحَدًا أَدْعُو، فَقُلْتُ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ مَا أَجِدُ أَحَدًا أَدْعُوهُ، قَالَ: «ارْفَعُوا طَعَامَكُمْ»، وَبَقِيَ ثَلَاثَةٌ رَهْطٍ يَتَحَدَّثُونَ فِي الْبَيْتِ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَانْطَلَقَ إِلَى حُجْرَةِ عَائِشَةَ، فَقَالَ: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ وَرَحْمَةُ اللَّهِ»، فَقَالَتْ: وَعَلَيْكَ السَّلَامُ وَرَحْمَةُ اللَّهِ، كَيْفَ وَجَدْتَ أَهْلَكَ، بَارَكَ اللَّهُ لَكَ؛ فَتَقَرَّرَى<sup>(٢)</sup> حُجْرَةَ نِسَائِهِ كُلِّهِنَّ، يَقُولُ لَهُنَّ كَمَا يَقُولُ لِعَائِشَةَ، وَيَقْلَنَ لَهُ كَمَا قَالَتْ عَائِشَةُ، ثُمَّ رَجَعَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَإِذَا ثَلَاثَةٌ مِنْ رَهْطٍ فِي الْبَيْتِ يَتَحَدَّثُونَ، وَكَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ شَدِيدَ الْحَيَاءِ، فَخَرَجَ مُنْطَلِقًا نَحْوَ حُجْرَةِ عَائِشَةَ، فَمَا أَدْرِي: أَخْبَرْتُهُ أَوْ أَخْبِرَ أَنَّ الْقَوْمَ خَرَجُوا، فَرَجَعَ، حَتَّى إِذَا وَضَعَ رِجْلَهُ فِي أُسْكُفَةٍ<sup>(٣)</sup> الْبَابِ دَاخِلَةً وَأُخْرَى خَارِجَةً، أَرَخَى السُّتْرَ بَيْنِي وَبَيْنَهُ، وَأَنْزَلَتْ آيَةُ الْحِجَابِ»<sup>(٤)</sup>.

لذا لقد بقي الحياء في آل البيت مزية كسائر المسلمين ديناً وزادت عندهم طبعاً وجيناً، وهكذا يجعلهم الله جميعاً حتى من يعصي الله سبحانه منهم فإنه لا يلبث إلا ويهرع مستغفراً تائباً، وإن وقع، وإن عاود المرة الأخرى... فإنه في نهاية الأمر لا بد أن يغلبه حياؤه الذي فطره الله عليه، فسبحان من فطرهم على ما فطر عليه أباهم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وسبحان من فطرهم على ما يحب،

(١) رواه البخاري - الفتح ١ (٣١٥) واللفظ له، ومسلم (٣٣٢).

(٢) تقرَّى: تتبع الحجرات واحدة واحدة.

(٣) أسكفة الباب: عتبه.

(٤) رواه البخاري - الفتح ٨ (٤٧٩٣) واللفظ له، ومسلم (١٤٢٨).



وسبحان من فطرهم ليحفظهم وليعيدهم إليه دائماً وأبداً، ويعيدهم إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وكأنه يعود إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ولكأنهم أول المقصودين بقوله عَزَّجَلَّ: ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا﴾ [النساء: 6٤]، وإن لم يكن هم هؤلاء المذكورين في الآية، فإنهم أولهم؛ لأنهم جاؤوك؛ إذ هم أقرب الناس منك نسباً. وسكناً، فهم أهل هذا البيت، وهم الأقرب؛ لأنهم القربى.

فكان حياءً عظيمًا موروثًا من أبيهم سيدنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب بن هاشم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الذي كان أشدَّ حياءً مِنَ الْعَدْرَاءِ فِي خِدْرِهَا<sup>(١)</sup>، حياءً موروثًا لهم من خلق دينهم الذي هو موطنهم وهو بحرهم الذي ولدوا فيه، ذلك أن خُلِقَ هذا الدين الحياء، والنبى صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال: «إِنَّ لِكُلِّ دِينٍ خُلُقًا، وَخُلِقَ الْإِسْلَامُ الْحَيَاءُ»<sup>(٢)</sup>.

لا غرابة أن يكون الحياء من موروث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فهو الأصل وهو الكل، ولكنك تعجب أن الحياء طَبَع، وأنه في جميع أمهات المؤمنين كما قالت أصغرهن وأعلمهن وأفضلهن بعلمها على نساء العالمين عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا حيث قالت: فَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ الْأَسْوَدِ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَ: قُلْتُ لَهَا: يَا أُمَّ الْمُؤْمِنِينَ! أَلَا تُخْبِرِينِي؟ كَيْفَ كَانَ أَمْرُكِ، قَالَتْ: تَزَوَّجَنِي رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَعَلَيَّ حَوْفٌ<sup>(٣)</sup>، وَأَنَا أَخْوَضُ الْمَطَرِ بِمَكَّةَ، وَمَا عِنْدِي لَحْمٌ وَلَا جِسْمٌ فِيمَا يَرْغَبُ فِيهِ الرَّجُلُ، وَأَنَا بِنْتُ سِتِّ سِنِينَ، فَلَمَّا بَلَغَنِي

(١) أخرجه البخاري (٣٥٦٢).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٤١٨١)، والطبراني في الأوسط (١٧٥٨)، وحسنه الألباني والأرنؤوط.

(٣) الحَوْفُ: شَيْءٌ يُصْنَعُ الْأَعْرَابُ عَلَى الصَّبِيَّانِ مِنْ سُورٍ يُلْبَسُهُ الْأَعْرَابُ أَبْنَاءَهُمْ، وقال

الطبري: ثوب لا كمين له تلبسه الصبية، وقيل: سيور تشدها الصبيان عليهم.

أَنَّهُ تَرَوْنِي، أَلْقَى اللَّهُ عَلَيَّ الْحَيَاءَ، ثُمَّ إِنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هَاجَرَ وَأَنَا مَعَهُ، فَحَمَلْتُ إِلَيْهِ، وَأَنَا بِنْتُ تِسْعِ سِنِينَ»<sup>(١)</sup>.

### حفظكم بالحفظ الرابع: ببرهان ربكم في صدوركم:

ومن رعاية الله عَزَّوَجَلَّ لهم، هو أنه يحفظهم بأن يريهم على الدوام ما يردعهم مما يصح تسميته ببرهان ربهم؛ إذ قال الله عَزَّوَجَلَّ في قصة يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهٖ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَا أَنَّ رَجَا بُرْهَانَ رَبِّهٖءَ كَذَلِكَ لِنَصَّرَفَ عَنْهُ السُّوءَ وَالْفَحْشَاءَ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُخْلَصِينَ﴾ [يوسف: ٢٤] وأيُّ برهان أعظم من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الذي قال الله سبحانه فيه: ﴿يَتَأْتِيهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَكُم بُرْهَانٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ نُورًا مُّبِينًا﴾ [النساء: ١٧٤]. فإذا كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ برهاناً للناس كافة، فكيف لا يكون أعظم وأقرب برهان لأهل بيته؟! ومن لم يعرف إحساس آل البيت بهذا البرهان في قلوبهم.. فلا يحق له أن يجادل في ذلك ولا أن يماري بما لم يدرك ولم يعرف ولم يعلم.. أنه أمر ذاتي في فطرتهم، وبمجرد أن يعلم أحدهم بأن أباه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وأنه من آله وأقربائه.. نعم إنهم ليسوا بمعصومين، والشيطان لا يتركهم.. ولكن الله يعيدهم سريعاً بهذا البرهان العظيم.

ثم إنه لا يزال في أهل البيت مذكّرون من داخلهم، والأعلم فيهم ينصح حتى من هو أكبر، ولا يزال فيهم كبراء في الوعظ والتقى والنقاء ودعاة إلى الله سبحانه، ولا يزال الأكبر فيهم يذكّر الأصغر والأب يذكر الولد، فبقي هذا البرهان في هذه الذراريّ المباركة منارة ومنبراً ومذكّراً ومحدّراً ومنيراً، وما أحسن ما قال القائل: [أنه إن لم يردعه دينه ونسكه، فليردعه أصله

(١) «كشف الأستار عن زوائد البزار» (٣/ ٢٣٩)، والطبراني في المعجم الكبير (١٥٣)،

وقال نور الدين الهيثمي: في الصّحيح بَعْضُهُ.



ونسله<sup>(١)</sup>، وأن هذا البرهان لطالما قال للرجل من آل البيت: إن اشتعلت في نفسك نار الشهوات وأوشكت أن تقع في الحرام فانظر ليدك ورجلك وانظر لوجهك... واربأ بنفسك أن تدنس جسد رسول الله بالحرام، فإن جسد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عندك أمانة، وأنه إياك أن تظن أن هذه مجرد مواعظ تخويفية، فاحذر أشد الحذر من هذا التهاون في هذه الأمانة، فقد قال الله عَزَّوَجَلَّ لأقرب الأجساد المباركة لجسد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ﴿يُنْسَاءُ إِلَيْهِ مَنْ يَأْتِي مِنْكَ بِفَحِشَةٍ مُبِينَةٍ يُضَعَّفُ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٠].

هكذا هي الحصانة التي فرضها الله عليكم رجالاً ونساءً إلى يوم القيامة يا آل بيت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، بل لستم أنتم من يقف موقف المتفرج على الفتنة، أو المتفرج عند الفتنة، وماذا يصنع بدينه، أو يقف موقف ردة الفعل الساكتة إن رأى الحرام يُعرض عليه أو رأى الجمال يطل من شرفة الغواية، أو كلمة الخضوع، أو مشية الشيطان... أنتم فوق ذلك وفوق، أنتم من لا يُقعدُ نفسه مقعداً بمستوى مقعد الشيطان نعوذ بالله منه ومن نوابه... إنك ممثل أبيك رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؛ ولذا فأنت الضحية العظيمة السمينة عند الشيطان، فاستعد بالله دائماً، وتذكر رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وقم من فورك لله تعالى ولأجل رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.. قم من مقعد دعوة الرذيلة هذا.. واصعد عالياً حيث اصطفاك الله.. وتذكر قول جدك صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «فَأَنَا مِنْ خِيَارِ إِلَى خِيَارٍ»<sup>(٢)</sup>.

(١) وأصل ذلك قول يوسف عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَلَا تَصْرِفْ عَنِّي كَيْدَهُنَّ أَصْبُ إِلَيْهِنَّ وَأَكُنْ مِنَ الْجَاهِلِينَ﴾ [يوسف: ٣٣]، وقوله: ﴿إِنِّي تَرَكْتُ مِلَّةَ قَوْمٍ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ كَافِرُونَ﴾<sup>(٣٧)</sup> وَأَتَّبَعْتُ مِلَّةَ آبَائِي إِبْرَاهِيمَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ مَا كَانُوا لَنَا أَنْ نُشْرِكَ بِاللَّهِ مِنْ شَيْءٍ ذَلِكَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ عَلَيْنَا وَعَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [يوسف: ٣٧، ٣٨].

(٢) أخرجه الحاكم في المستدرک (٦٩٥٣)، والطبراني في الكبير (١٣٦٥٠)، وقال الهيثمي في مبلغ الأرب ص (١): حديث سنده لا بأس به.

## حفظكم بالحفظ الخامس: بحفظ نسائكم حيث جعل القنوت فيهن خلقًا:

فوالله هذا الذي رأيناه بأعيننا بأمهاتنا، وهو ما رأيناه فيمن تناسل منهن من بناتنا، وبناتهن، وأخواتنا، وبنات أعمامنا، وعماتنا، وقربياتهن؛ ولذا فإن نساء آل البيت يحفظن جيدًا قول الله في أمهاتهن: ﴿يُنْسَاءُ الَّتِي لَسْتَنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاءِ إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [الأحزاب: ٣٢]. نعم هذا إرث ترضعه الأم لابنتها أبد الدهر، وعلى هذا تكون أسرهن وتتكون، وعلى هذا تُرَبِّي بناتهن ويكبرن، وكذا الأبناء.. فلا تزال تجد التواضع فيهن، ولكن في مقابل ذلك الغفلة الفطرية عن الريبة، وتجد ابنة آل البيت المصونة الأبيّة العلية، والعفة الإيمانية النقيّة، ومنعة الطهارة النبوية، فلا يليق بأهل البيت إلا القنوت لله رب العالمين.. وإن التربية على القنوت والتزامه هي إرثٌ خلقي فيهن خاصة، وهكذا هنّ ينشئن فتياتهن وفتياتهن.. إنها الرزانة والاتزان، إنه الوقار والتواضع، إنه الخشوع والخشية، وهذا هو ما يريد الله منا جميعًا.. وهذا هو ميراث رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فإن الواحد من آل البيت عَلَيْهِمُ السَّلَامُ يعيش متواضعًا أكثر من أيّ متواضع من أقرانهم، وعزيز أكثر من أيّ عزيز فيهم.. فهو السهل الممتنع الذي بهذا القنوت لله رب العالمين يضاعف له الأجر ضعفًا وهو لا يعلم، وهكذا هي المؤمنة ﴿وَمَنْ يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِ وَتَعْمَلْ صَدِيقًا نُّؤْتِيهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣١]، والله عَزَّجَلَّ يقول: ﴿عَسَى رَبُّهُ إِنْ طَلَّقَكُنَّ أَنْ يُبَدِّلَهُ أَزْوَاجًا خَيْرًا مِنكُنَّ مُسْلِمَاتٍ مُّؤْمِنَاتٍ قَنَاطٍ تَنَبَّاتٍ عِدَاتٍ سَيِّحَاتٍ تَيَّبَاتٍ وَأَبْكَارًا﴾ [التحريم: ٥]، فلما لم يبدلهن تبين أنهن كذلك وخيرًا من ذلك.

وهل أمهات المؤمنين إلا أمهات آل البيت قبل المؤمنين... إذ هل فاطمة إلا من خديجة.. وهل خديجة إلا جدة الحسن والحسين رضي الله عنهم أجمعين وعليهم السلام، فهي جدة آل البيت أجمعين، وهي أول من دخل في الإسلام.

ولقد اعتاد عامة المسلمين أن يسموا المرأة من آل بيت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ [عُلُويَّة] وهذه نسبة، كما اصطلحوا على تسمية الرجل من آل البيت [سيد] اشتقاقاً من حديث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في الحسن: «إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللهُ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ»<sup>(١)</sup>، وقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عن الحسن والحسين: «سَيِّدَا شَبَابِ أَهْلِ الْجَنَّةِ»<sup>(٢)</sup>.

وعلى هذا المنهج سارت قوافل بيوتات آل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عبر الأجيال.... ذلك أن أمهات المؤمنين غرسٌ غرسه الله في بيوتات رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.. وهل آل البيت إلا غرس أمهات المؤمنين، وهل آل البيت إلا من فاطمة الزهراء التي هي غرس من خديجة، وهل الجميع إلا غرس رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟!

وهكذا كما تبقى الفسائل المتتابعة تحمل جينات الأم الأولى بخصائصها ومزاياها تبقى هذه الذرية متوارثة سلوك من قال الله عنهن: ﴿مُسْلِمَاتٍ مُؤْمِنَاتٍ قَنَاطٍ تَبَيَّنَتْ عِدَاتٍ سَخَّحَتْ ثِيَابَهُنَّ وَأَكْبَرْنَ﴾ [التحريم: ٥]، هذا ليست أدبيات مجردة لكنها الحقيقة التي يعيشها آل البيت وتعيشها أسرهم وينشأ عليها صغارهم.. وهذا والله هو ما وجدناه صغاراً وكباراً، والسر الأعظم من كل ذلك أن بيت النبوة وآله من البيوتات المتعاقبة تبقى في رعاية الله، حمايةً لبيت النبوة الأول، ولذرائر النبوة، وهل تصلح التربية إلا بصلاح الأمهات كما قال القائل<sup>(٣)</sup>:

الأمُّ مدرّسةٌ إذا أعددتها أعددت شعباً طيب الأعراق

(١) رواه البخاري (٢٧٠٤).

(٢) أخرجه الترمذي (٣٧٦٨)، وأحمد (١١٦٣٦)، والنسائي في الكبرى (٨١١٣)، وصححه الأرئووط.

(٣) من قصيدة الأم مدرسة لشاعر النيل حافظ إبراهيم.

وسر بقاء هذا المسلك كذلك هو دعاء المؤمنين كافة في صلواتهم، وأول داع وأعظمه على الإطلاق؛ هو رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الذي صَلَّى على آله وسلم، كما صَلَّى على نفسه في الصلاة وسلم، فهو مَنْ عَلَّمَنَا الصلاة والسلام في التشهد، فاللهم صلِّ وسلم على نبينا محمد وآله.

فما التربية المنفطرة من علويات هن رمز للعلو والرفعة والحياء والوفاء والكرم والشجاعة والتقوى والتنسك.

تأمل كيف عاشت أمهات المؤمنين بعد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وفرض الحجاب.

### حفظكم بالحفظ السادس: حساسية الحراس لمقام رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ:

فالحارس يحرس، ومن حرس الله ولرسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حرسه الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى، ومن رابط الله أجرى الله له أجر المرابط إلى يوم القيامة، ولما حرس الزبير رَضِيَ اللهُ عَنْهُ كانت البشرية بأنه حوارِيُّ الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؛ فلقد صح في الحديث: «عَيْنَانِ لَا تَمْسُهُمَا النَّارُ: عَيْنٌ بَكَتْ مِنْ حَشِيَّةِ اللَّهِ، وَعَيْنٌ بَاتَتْ تَحْرُسُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ»<sup>(١)</sup>، فكما حرست عيناه ليلاً، فقد حرسهما الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى من أخطر خطر من جهنم، فالبيت هم من أشد الناس حراسة لصاحب البيت صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؛ لأنهم أشد الناس خوفاً من أن يؤتى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من قبلهم، وأحدهم أشد ما يكون حساسية أن يعير الدين بتقصيره بحق رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ومن أن يمَسَّ رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أي مساس من قبل الواحد منهم أو من أبنائهم أو بناتهن، كما أنهم أعظم مَنْ يكونون خوفاً من غيرة الله على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فقد جعل الله هذا الخوف حافظاً ومحفوظاً عند الصغير منهم والكبير... والله قادر على أن يذَبَّ عن رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ

(١) أخرجه الترمذي (١٦٣٩)، وقال: حديث حسن غريب، وصححه الألباني.



ويدافع عنه، وقادر أن يبرئه! فكأن كل واحدٍ من آل البيت على ثغر حراسة، أو في فسطاط رباط على كل شيء فيه، بل وعلى جلده الذي يحويه، فهو حذر أشد الحذر أن يلامس جلده جلدًا حرامًا.. ذلك أن جلده من جلد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حقيقة، أو يدخل بطنه مألًا حرامًا؛ لأن بطنه من بطن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهكذا يده ورجله وسائر بدنه، فهو حذرٌ أشد الحذر من يوم البراءة وموقف البراءة ولحظة البراءة.. التي يُسَلَّخ فيها جلد السوء سلخًا قبل أن يبلغ أذاه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، خوفًا من أن ينزع الله رداءه عنه ويلبسه رداء الزور، ويُحرم الاقتراب من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فيكون كأن لم يكن. وهذه الخصوصية من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ليست فرضية ولا تدخل في العموميات، ولا لإثبات ما ليس عليه في واقع العلاقات إثبات.. بل هي الخصوصية المتوارثة من سيد آل البيت بعد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو والد السبطين علي بن أبي طالب عَلَيْهِ السَّلَام، حيث قَالَ: «كَانَتْ لِي مَنَزَلَةٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَمْ تَكُنْ لِأَحَدٍ مِنَ الْخَلَائِقِ، فَكُنْتُ آتِيهِ كُلَّ سَحَرٍ، فَأَقُولُ: السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ، فَإِنْ تَنَحَّحَ انْصَرَفْتُ إِلَى أَهْلِي، وَإِلَّا دَخَلْتُ عَلَيْهِ»<sup>(١)</sup>، ولقد شرحت هذه الأحاديث في كتاب أسميته [فستبصرون] بأسلوب مسجوع لأمر مشروع... وهو كما ستراه هنا في شرح هذا الحديث، وقلت هنا:

قوله: عن علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: سبحان الله: فهذا علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وعليه السلام... هو من يروي هذا الحديث عن مقامه المخصوص العلي عند سيد الأنام عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ. وفي هذا الحديث شاهدٌ للمنزلة العلية لعلي عَلَيْهِ السَّلَام... وشاهدها الثاني هو أن وقتها أبرك أوقات الزمان.

في وقت لا تطرق الأبواب ولا تفتح إلا لطوارق الظلام... إلا لمضطر أو

(١) رواه النسائي (١١٣٨)، وقال في جامع الأصول (٦/٥٨٧): حديث حسن.

لأقرب المقربين للإنسان... فكيف وعلي عَلَيْهِ السَّلَامُ يقول في هذا الخبر... إن هذا وقت مواعده الثابت «فَكُنْتُ آتِيَهُ كُلَّ سَحْرٍ».

وكيف وعلي يقول وهو القاضي والعلامة وحلال الدقائق... «كَانَتْ لِي مَنَزِلَةٌ مِنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لَمْ تَكُنْ لِأَحَدٍ مِنَ الْخَلَائِقِ»، فهل مثل تعبير أمير المؤمنين تعبير جامع مانع لائق؟!

ومع هذا فانظر إلى أدب عليّ في استئذانه.. وقوله: «السَّلَامُ عَلَيْكَ يَا نَبِيَّ اللَّهِ»، وما قال عند استئذانه: السلام عليك يا أخي أو يابن العم ولا قال أيّ توقير يقوله العوام... وهذا دليل أن هذا المقام - مقام النبوة - لا يبلغه عليّ فضلاً عن بقية آل البيت الكرام.

ومع هذه الخصوصية لأبي الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهو ابن العم وزوج البنت، وهذا الوقت له من الزمان... إلا أنه لا بد من الاستئذان...

وأنه لا عذر لمن يصلي أن يهمل مَنْ عَلَى الباب... ففي التنحج كفاية، وهو أبلغ جواب.

علي عَلَيْهِ السَّلَامُ أَحْصَى الخاصة من آل البيت الكرام، فكان له أخص وأعلى أوقات الزمان، ومع هذا فقد كان هذا، الوقت له لبعده عن مزاحمة أيّ إنسان، كما أن دخول أهل البيت بعضهم على بعض ليلاً وإن تكرر، فلا شبهة ولا كلفة ولا نكران.

هذا علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ هو أخص الناس به في صغره، وهو أول الصغار إيماناً، فلم يراجع أحداً في قرار هدايته، وعاش النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في بيتهم مع علي براعم وفتياناً، فكان التفاهم والتوادُّ تاريخاً، وكان الوفاء كباراً وشباناً، وما كان من الإحسان مثل أن يهبه فلذة كبده في الكبر، ومثل أن يخص علياً بالسَّحَرِ.



ألا والله ما ألطف مواعيد السحر! وما أعظم خشوع صلاة السحر ودعاء السحر وذكر الله في السحر! بل ما أجمل لقاء السحر، وحديث السحر، بل ما أجمل صمت السحر.

قول عليٍّ عَلَيْهِ السَّلَامُ: «فَإِنْ تَنَحَّحَ أَنْصَرَفْتُ إِلَى أَهْلِي، وَإِلَّا دَخَلْتُ عَلَيْهِ»: سبحان الله! ما أعظم فطانة أمير المؤمنين! وما أعظم مهمة التنبه لإشارات سيد المرسلين عليه أفضل الصلاة والتسليم! وممن أخذها عليٌّ والجدري واحد مع سيد المرسلين... وممن أخذ القرآن والسنة والهدى إلا من معلمه ومعلم العالمين... فعامل عليٌّ عَلَيْهِ السَّلَامُ النحنحة معاملته الاعتذار للمستأذنين، وربطها بقوله سبحانه: ﴿وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ ارجِعُوا فَأرجِعُوا هُوَ أَزكى لَكُمْ﴾ [النور: ٢٨].

ولعل البعض شاهد من بعض أبناء آل البيت غير ما أكتب هنا إلا أن هذا لا يطعن في الأصل والمفترض.. وسر هذا هو تعبير الناس والأمة، وهل أبناء آل البيت إلا جزء من الأمة المتغيرة.. ولقد عشنا نحن فترة من الزمان رأينا فيها كيف كان الناس من كبار السن يحدثوننا عن آبائنا وأجدادنا ويروون عنهم من القصص العجيبة في محاسن الأخلاق ومكارمها، رغم أننا قد عايشنا الكثير من ذلك من آبائنا وأعمامنا... إلا أنهم كانوا يحتقرون ما هم عليه إذا ذكروا آباءهم... فالشاهد أن هذا طبع راسخ وسنن متبعة وما هذا التغيير عند البعض إلا غبار تطيره نفحة الحق ويحوّله الصيب النافع، بل يحوله الطل إلى خير عظيم - ياذن الله - فهم لبقية آل جنة ربوة ﴿كَمَثَلِ جَنَّةٍ بِرَبْوَةٍ أَصَابَهَا وَابِلٌ فَكَانَتْ أَكْطَلًا ضِعْفَيْنِ فَإِنْ لَمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌ﴾ [البقرة: ٢٦٥].

وإن هذا الذي تجري عليه التربية الأصيلة في بيوتات آل البيت، إنما هو تعاهد حقيقي تنشأ عليه ذرياتهم إنشاء، فالواحد منا قد نشأ، وهو لا يذكر أول مرة ولا يدري كم مرة عُرِّفَ بأنه من آل بيت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وعُرِّفَ

بعظمة هذا النسب، وبحقوقه، وأن عليه ألا يتطلع إلى أي نسبٍ آخر مهما كان، وما من أحدٍ منا يُخطئ إلا قال له أبوه وأمه أو أخوه الكبير لائمًا: تفعل هذا وجدك رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ! هذا فوق أننا كنا في مجتمع يقدر هذا النسب أعظم التقدير.. ولا أزال أذكر أنهم كانوا ينادون الواحد منا ونحن صغار بقولهم: [مولانا]، بل يعظمون شأن أمهاتنا ونسائنا أكبر إعظام وإجلال. وما أقول هذا الذي أقوله إلا كشاهد على أن هذا المنهج سرى في آل البيت من آل البيت الأول ولا ينبغي أن ينقطع، بل لن ينقطع أبدًا...

حتى إن أخي المفضل أبا أحمد محمد - حفظه الله ورعاه - يقول: حرصت أن أقبل قدم أمي حبًا وبرًا في الوقت الذي كنت أدلك رجلك وأبادلها الحديث.. فلما أحست بقبلتي نفرت أشد نفرة وسحبت رجلك - وهي: الهادئة الوقورة - وقالت لي: يا بني كيف تقبل رجلي وجدك رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟! هذا وقد كانت أمي أمية رَحِمَهَا اللهُ.

### حفظكم بالحفظ السابع: بإقامة الأمة مقامكم من مقام رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ:

لما جاء العباس رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال: إِنَّا لَنَخْرُجُ، فَنَرَى قُرَيْشًا تَحَدَّثُ، فَإِذَا رَأَوْنَا سَكَتُوا، فَعَضِبَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَدَرَّ عِرْقٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «وَاللَّهِ، لَا يَدْخُلُ قَلْبَ امْرِئٍ إِيْمَانٌ حَتَّى يُحِبَّكُمْ لِلَّهِ، وَلِقَرَابَتِي»<sup>(١)</sup>.

«حَتَّى يُحِبَّكُمْ لِلَّهِ»: هكذا يرقى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بحب آل البيت عن الحب المُتكلف أو الحب الطَّبْعِي إلى حب العبادة.. فمن يحب آل البيت، فيحبهم الله..

وهذه العبادة فتح من الله مهم في باب العبادات وأقرب القربان.

«وَلِقَرَابَتِي» هكذا يوثق النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هذه العبادة ويربيها، كما هو شأنه



العظيم في بيان ما يأمر الله به، فإن قوله: «وَلِقَرَابَتِي» لا ينفي كونها عبادة، بل يزيد بها توثيقاً وأي عبادة أعظم من أن يجتمع فيها الله ورسوله، ثم إنها عبادة باقية وغير مقيدة بحياة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، بل النسبة لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتبين أنها له ولاجله وإن كان غائباً فلتؤدَّ على أعلى ما يكون الحب، وهنا يدخل فيها أعمال المحبين وصلاتهم وتواصلهم ونحو ذلك من طرق وأحوال وأعمال.. فلتؤدَّ نحوهم لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.. وإنكم حين تقدمون ما تقدمون لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كأنكم ترونه من خلال هؤلاء القرابة.. ودونك هذا الباعث وهذا الإحسان.

فما من أحدٍ من أمة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إلا وهو يعرف أن مقامكم الأعلى هذا إنما هو من المقام الأعلى في ذرية آدم، وهو مقام رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.. وإلا فمن أين لكم مقام سواه؟ ثم ما معنى آل البيت إذا أطلقت؟ وما معنى القربي والعترة وأهل البيت؟ وهذا من الإجماع الذي توارثته الأمة عامة وعلماء.

فالامر ليس مرتبطاً بحياة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بين الناس أبداً، فيبقى المقام من المقام.

رَوَى إِسْمَاعِيلُ بْنُ أَبِي خَالِدٍ عَنِ الشَّعْبِيِّ قَالَ: لَمَّا مَرَّصَتْ فَاطِمَةُ، أَتَى أَبُو بَكْرٍ، فَاسْتَأْذَنَ، فَقَالَ عَلِيُّ: يَا فَاطِمَةُ! هَذَا أَبُو بَكْرٍ يَسْتَأْذِنُ عَلَيْكَ، فَقَالَتْ: أَتَحِبُّ أَنْ أَدْنَ لَهُ؟ قَالَ: نَعَمْ - قُلْتُ: عَمَلَتِ السُّنَّةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا، فَلَمْ تَأْذَنْ فِي بَيْتِ زَوْجِهَا إِلَّا بِأَمْرِهِ-، قَالَ: فَأَذِنْتُ لَهُ، فَدَخَلَ عَلَيْهَا يَتَرَضَّاهَا، وَقَالَ: وَاللَّهِ مَا تَرَكْتُ الدَّارَ وَالْمَالَ وَالْأَهْلَ وَالْعَشِيرَةَ إِلَّا ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَرْضَاتِكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ. قَالَ: ثُمَّ تَرَضَّاهَا حَتَّى رَضِيَتْ (١).

(١) سير أعلام النبلاء (٢/ ١٢١)، وقال محققه: أخرجه ابن سعد في الطبقات (٨/ ٢٧)، وإسناده صحيح، لكنه مرسل، وذكره الحافظ في الفتح (٦/ ١٣٩)، ونسبه إلى البيهقي وقال: وهو وإن كان مرسلًا، فإسناده إلى الشعبي صحيح.

حقًا: يعجب المرء من تعظيم أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ بعد وفاة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ومجيئه بنفسه معتذرًا لفاطمة عَائِهَا السَّلَامُ وهو الخليفة، وعجبت لدرجة تعظيم الصديق حيث خص آل البيت باستهلال... فقدم الله ورسوله، ثم قال: ومرضاتكم، وهذا يعني أن قيمة آل البيت ومقامهم محفوظ في عهد رسول الله وبعد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.

ثم انظر إلى حلف الصديق بالله، وانظر: على أي شيء حلف: «وَاللَّهِ مَا تَرَكْتُ الدَّارَ وَالْمَالَ وَالْأَهْلَ وَالْعَشِيرَةَ إِلَّا ابْتِغَاءَ مَرْضَاةِ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، وَمَرْضَاتِكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ».

وليس هذا فحسب، بل قال: «ثُمَّ تَرَضَّاهَا حَتَّى رَضِيَتْ»، فأى مسلم بعد هذا لا يغير منهجه في مراجعة مقام آل البيت في معتقده أولاً وفي خلفه معهم ثانياً.. وهكذا الأمر، رضي الله عن الخليفة الأول وأرضاه.

ولا يعلقنَّ أحد الأمر بالأسماء ويحجرها عليها؛ فالجامع بيننا وبين الصديق وفاطمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا هو أن الأمر بعد وفاة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ثم إن ما بين آل البيت اليوم وبين أي واحد من المسلمين هو كما بين الصديق وفاطمة، فكيف وهو خليفة المسلمين!؟

ليس بأحدٍ أولى من أحدٍ في دين الله... لكن كل المؤمنين ينظرون بنظر خفي خفيف حبيبٍ لطيف فيه الإجلال والتوقير والإكبار والغبطة لمن علموا أنه ابن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.. حتى لو كان من أهل الشراب.. أو كان ممن تعاملوا بالربا أحياناً من آل البيت، أو كان ممن فعل كبائر - عفا الله عنا جميعاً -.. فإنهم لا يستطيعون نزع هذه الصبغة من نظراتهم ولا من أفكارهم أبداً.. ويأبى الله سبحانه إلا أن يجعل نظرات الآخرين تلاحق ابن آل البيت وتلاحقه وهو يحاول أن يتغافل ويتغافل، لكن ما في داخله أشد إيلامًا وملامًا وأشد؛ رسائل



تَبَعْتُهَا نظرات الناس وعبراتهم قبل عباراتهم تقول له: أنت لست مثلنا، وليس كل أسرنا وآبائنا مجتمعين مثل أبيك... ولا أحد يحب الله أباه مثل حب الله أباك.. يا هذا أبوك سيدنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.. وأبونا فلان وعلان.. أو ما كفاك!..

فإما أن يتوب وهذا والله هو الرجاء من ربنا، وهذا ما عهدناه، والحمد لله رب العالمين، وإما براءة رسول الله من هذا وأمثاله، نعوذ بالله، ونعيذ آل بيت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ونعيذ أمة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من ذلك.

ولهذا؛ فإنك في أكثر الأحيان تجد أن مَنْ يَأْبَى إِلَّا معصية رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وأصر على ذلك واستكبر، وهو يزعم أنه من آل البيت، فإن الناس يبرئون رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وآله منه ومن أمثاله، ويرثون النسب الطاهر من هذا وأمثاله، وكثيرًا ما يضربون له مثلًا بأبي لهب وبغيره من الملعونين، حتى وإن تزيًا بزى آل البيت ولبس العمامة السوداء أو الخضراء، وإن فعل ما فعل... وهكذا جعل الله لآل البيت الأظفار حرزًا مخصوصًا في قلوب المؤمنين، ويبقى مقام آل البيت في قلوب مَنْ مَنْ الله عليهم محفوظًا، وتبقى غيرتهم عليها وحدها حرزًا وحصنًا، ولا يخفى موقف الفرزدق حيث وقف لمن غار من زين العابدين رَحْمَةُ اللهِ فَقَالَ: مَنْ هَذَا؟! مستهجنًا، مستحقرًا شأنه؛ إذ اجتمع الناس حوله وهو يطوف بالبيت، بينما تركوه هو، وهو الخليفة هشام بن عبد الملك، فأجاب الفرزدق رَحْمَةُ اللهِ بِمَا قَالَ:

هَذَا الَّذِي تَعْرِفُ الْبَطْحَاءُ وَطَاتَهُ      وَالْبَيْتُ يَعْرِفُهُ وَالْحِلُّ وَالْحَرَمُ  
هَذَا ابْنُ خَيْرِ عِبَادِ اللهِ كُلِّهِمْ      هَذَا التَّقِيُّ النَّقِيُّ الطَّاهِرُ الْعَلَمُ  
هَذَا ابْنُ فَاطِمَةَ إِنْ كُنْتَ جَاهِلُهُ      بِجَدِّهِ أَنْبِيَاءُ اللهِ قَدْ خْتَمُوا

وَلَيْسَ قَوْلُكَ مَنْ هَذَا بِضَائِرِهِ الْعُرْبُ تَعْرِفُ مَنْ أَنْكَرْتَ وَالْعَجَمُ  
 كَلْنَا يَدِيهِ غِيَاثٌ عَمَّ نَفْعُهُمَا يُسْتَوْكِفَانِ وَلَا يَعْرُوهُمَا عَدَمٌ  
 سَهْلُ الْخَلِيقَةِ لَا تُخْشَى بَوَادِرُهُ يَزِينُهُ ائْتَانِ حُسْنِ الْخَلْقِ وَالشَّيْمِ  
 حَمَّالٌ أَثْقَالِ أَقْوَامٍ إِذَا افْتَدَحُوا حُلُو الشَّمَائِلِ تَحَلُّو عِنْدَهُ نَعَمٌ  
 مَا قَالَ لَا قَطُّ إِلَّا فِي تَشَهُدِهِ لَوْلَا التَّشَهُدُ كَانَتْ لَاءُهُ نَعَمٌ  
 عَمَّ الْبَرِّيَّةَ بِالْإِحْسَانِ فَاَنْقَشَعَتْ عَنْهَا الْغِيَاهُ وَالْإِمْلَاقُ وَالْعَدَمُ  
 إِذَا رَأَتْهُ قُرَيْشٌ قَالَ قَائِلُهَا إِلَى مَكَارِمِ هَذَا يَنْتَهِي الْكَرَمُ  
 يُغْضِي حَيَاءً وَيُغْضِي مِنْ مَهَابَتِهِ فَمَا يُكَلِّمُ إِلَّا حِينَ يَبْتَسِمُ  
 بِكَفِّهِ خَيْرَانُ رِيحُهُ عَبِيقٌ مِنْ كَفِّ أَرْوَغٍ فِي عِرْنِينِهِ شَمَمٌ  
 يَكَادُ يُمَسِّكُهُ عِرْفَانُ رَاحَتِهِ رُكْنُ الْحَطِيمِ إِذَا مَا جَاءَ يَسْتَلِمُ  
 اللَّهُ شَرَفَهُ قَدَمًا وَعَظْمَهُ جَرَى بِذَاكَ لَهُ فِي لَوْحِهِ الْقَلَمُ

ولقد مثل الفرزدق قلب كل مؤمن، وجعل نفسه ولسانه، ويده، وصدرة  
 حصناً دون رجل من آل بيت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وأيُّ رجل؟ إنه زين  
 العابدين بن الحسين بن علي وفاطمة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.

نعم! ليس أحدٌ أولى من أحدٍ بدين الله وبدعوة الله لكنه طبع فطري غالب  
 في الإنسان أن الطفل الصغير هو أول الأطفال إسراعاً إلى أبيه من بين الأطفال  
 المجتمعين جميعاً في مكان ما كمدرسة أو نحوها.

وهكذا هم آل بيت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وذرياته معه في البرزخ وفي الدار  
 الآخرة.. فمات رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الذي ينتظر لحوق فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ به أن  
 يأخذها ويترك ولدها في الخارج، وهو في الحقيقة ينتظر أهله جميعاً، كما أشار



لهذا بقوله: «وَأِنَّكَ أَوَّلُ أَهْلِ بَيْتِي لِحَاقًا بِي»<sup>(١)</sup>، أي: جميع أهلي لحاقٌ بي لكنك أنت الأولى.

وإذا ما جرى على أناس ما قال الله سبحانه - وهو حق: ﴿يَوْمَ يَفِرُّ الْمَرْءُ مِنْ أَخِيهِ﴾<sup>(٢٤)</sup> وَأُمِّهِ وَأَبِيهِ<sup>(٢٥)</sup> وَصَحْبِهِ وَبَنِيهِ<sup>(٢٦)</sup> [عبس: ٣٤-٣٦] أن يجري ذلك على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مع آله وهو الشفيع الأكبر في الخلق للخلق.

وإذا كان الله سبحانه يقول في مقامات المؤمنين في الجنة: ﴿وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُمْ بِإِحْسَانٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَا أَلَتْنَاهُمْ مِنْ عَمَلِهِمْ مِنْ شَيْءٍ كُلُّ امْرِئٍ بِمَا كَسَبَ رَهِيْنٌ﴾ [الطور: ٢١]، فحاشاه سبحانه أن يقطع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الجنة عن ذريته لعظيم درجته ويتركه بغيرهم، فالرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أبٌ وأيُّ أبٍ مثله... وما عهدنا الصحابة - رضوان الله عليهم - يتركون أبناءهم يركبون على ظهره، لكن ولداه الحسن والحسين يركبان على ظهره ويركب بهما المنبر.. نعم ذلك لحكم عظيمة بيننا بعضها في هذا الكتاب.. لكن أساس ذلك أنه أب، فكيف وهو أب لأكبر وخير ذرية وآل... آل شرع الله عليهم الصلاة والسلام؟!!

وهكذا هم آل البيت مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ زمن الغربة، وفي أرض الغربة، وفي حال الاغتراب.. فإنه حقيق بالرجل من آل البيت أن يكون أول الذاكرين في مجالس الغفلة، وأول المنادين في زمان الفرار إلى الفيئة إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وأول الثابتين ومثبت الخائفين في زمان التولي عن الزحف، فهو لا يتوقف ولا يسعه أن يتوقف عند حد التعب السلبي ولا الثبات الشخصي، وإنما هو إحياء دين الله وبعث هدي رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، سواء كان رجلاً من آل البيت أو امرأة من نساء آل البيت الطاهرات الشريفات، قال الله تعالى: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَىٰ وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ

(١) رواه البخاري (٣٦٢٣).

الرِّزْقَ وَالزَّكَاةَ وَأَطَعَنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا ﴿٣٣﴾ وَأَذْكُرَنَّ مَا يَتْلَى فِي بُيُوتِكُنَّ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ وَالْحِكْمَةِ إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ﴿٣٤﴾ [الأحزاب: ٣٣، ٣٤]، ومن الحكم الباقية القطعية في آل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بقاء الخير في السلالة المباركة إلى آخر رجل منهم وآخر امرأة منهم، وهم على يقين وإن لم يصرِّحوا، ويتواصون بأداب ذلك فهو عهد الله، وإن لم يعلنوه، لكنهم على العهد سائرون، ومتعاهدون ومتواصون، وقد كان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يتطلع إلى الآخرين منهم؛ إذ هو ينظر للفتية من آل بيته في عهده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

إذا فمهما رأيت من بعض آل البيت منغمسين مع الناس وتراعى لكم أنهم مبتعدون عن مظاهر الاستمساك المعتادة في الملتزمين - حفظ الله الجميع - إلا أنهم يعلمون بغير شك ولا ذرة ارتياب أنهم سائرون نحو إنقاذ الناس جميعاً.. وإنقاذ أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أولاً، وهم لا يشكون في مسيرهم هذا أبداً مهما كانت الفتنة أو اشتدت العواصف بالأمة، أو تحولت إلى إعصار أو سموه طوفاناً، فإنهم لا يشكون في أن سفينتهم سالمة، وأنهم في أمان لأن الله يرعاها ﴿وَقَالَ ارْكَبُوا فِيهَا بِسْمِ اللَّهِ جَمْرَتَهَا وَمُرسِنَهَا إِنَّ رَبِّي لَغَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [هود: ٤١]، وإن درجة اليقين في هذا المسير وسلامته من درجة اليقين بنبوة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ورسالته، ولقد صحَّ عن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أثر لا يمكن أن يُقال من قبيل الرأي وهو حبر الأمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ فَعَنْ أَبِي مَعْبِدٍ قَالَ: قُلْتُ لَهُ: سَمِعْتُ ابْنَ عَبَّاسٍ، يَذْكُرُ فِي الْمَهْدِيِّ شَيْئًا؟ قَالَ: نَعَمْ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «وَاللَّهِ لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا يَوْمٌ لَحَتَمَ اللَّهُ بِنَا هَذَا الْأَمْرَ كَمَا فَتَحَهُ، وَقَالَ: بِنَا فَتَحَ هَذَا الْأَمْرَ وَبِنَا يُحْتَمُّ»<sup>(١)</sup>، «إِنِّي لَأَرْجُو أَلَّا تَذْهَبَ الْأَيَّامُ وَاللَّيَالِي، حَتَّى يَبْعَثَ اللَّهُ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ غُلَامًا شَابًّا حَدَثًا

(١) السنن الوارد في الفتن لأبي عمرو الداني (٥٥٨)، وقال محققه الدكتور رضاء الله محمد إدريس المباركفوري: هو موقوف، ورجال إسناده ثقات.



لَمْ تَلْبَسْهُ الْفِتْنُ وَلَمْ يَلْبَسْهَا يُقِيمُ أَمْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ كَمَا، فَتَحَ اللَّهُ هَذَا الْأَمْرَ بِنَا فَأَرْجُو أَنْ يَخْتِمَهُ اللَّهُ بِنَا». قَالَ أَبُو مَعْبِدٍ: فَقُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ: أَعْجَزْتَ عَنْهُ شَيْوْحُكُمْ تَرْجُوهُ لِشَبَابِكُمْ؟ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّجَلَّ يَقُولُ مَا يَشَاءُ»<sup>(١)</sup>، وهذا لا يعني بيان عمر المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ، بل يعني أنه ورغم فتن زمانه في شبابه وما بعد شبابه، فإنها لم تمسه والله حفظه وسلَّمه ورعاه وهداه منذ أن كان صغيراً وشاباً مع أنه متلبس بالحياة تماماً غير معتزل، ولهذا فإن الله عَزَّجَلَّ يصلحه للخلافة والإمامة وقيادة العالم في ليلة، وليس المقصود كما ذهب إليه البعض من أنه كان فاسداً.. عياداً بالله؛ ولهذا فإن هذه العبارة تدل على عظمة حفظ الله ورعاية الله له، كما تدل على الفترة الزمنية التي يعيشها المهدي وتربى فيها، ومن ثمَّ كان للربط ما بين آل البيت ودخول الإيمان القلب حكمة عظيمة منتظرة بحيث لو لم يدخر الله عَزَّجَلَّ آل بيت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إلا لها لكفى الأمة وكفاها.. وما ذكره ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا إنما هو تلك البشرية التي ما بشر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بشرى في هذه الدار بأحاديث وأخبار مثلها ولا بكثرتها؛ فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «لَا تَذْهَبُ الْأَيَّامُ وَاللَّيَالِي حَتَّى يَمْلِكَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يَواطِئُ اسْمُهُ اسْمِي، وَاسْمُ أَبِيهِ اسْمُ أَبِي، فَيَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا كَمَا مِلَأْتُ جَوْرًا وَظُلْمًا»<sup>(٢)</sup>.

وَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ قَالَ: خَشِينَا أَنْ يَكُونَ بَعْدَ بَيْتِنَا حَدَثٌ، فَسَأَلْنَا رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ: «يَخْرُجُ الْمَهْدِيُّ فِي أُمَّتِي خَمْسًا أَوْ سَبْعًا أَوْ تِسْعًا» - زَيْدُ الشَّاكِّ - قَالَ: قُلْنَا: أَيُّ شَيْءٍ؟ قَالَ: «سِنِينَ»، ثُمَّ قَالَ: «يُرْسَلُ السَّمَاءُ عَلَيْهِمْ

(١) السنن الوارد في الفتن لأبي عمرو الداني (٥٥٩)، وقال محققه: وفي إسناد المؤلف إبراهيم بن بشار له أوهام، وله طريق آخر، وتقدم قبله، وباجتماع الطريقتين يصح الأثر موقوفاً.

(٢) أخرجه الحاكم (٨٣٦٤)، وقال الذهبي في تلخيصه: صحيح.

مُدْرَارًا، وَلَا تَدْخِرُ الْأَرْضُ مِنْ نَبَاتِهَا شَيْئًا، وَيَكُونُ الْمَالُ كُدُوسًا<sup>(١)</sup>»، قَالَ: «يَجِيءُ الرَّجُلُ إِلَيْهِ فَيَقُولُ: يَا مَهْدِيُّ أَعْطِنِي أَعْطِنِي، قَالَ: فَيَحْثِي لَهُ فِي نَوْبِهِ مَا اسْتَطَاعَ أَنْ يَحْمِلَ»<sup>(٢)</sup>.

وهذا الحديث يفسر عظمة تخوف الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ في الحديث السابق الذي رواه أبو سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ وخشيتهم التي عبر عنها يقول: «خَشِينَا أَنْ يَكُونَ بَعْدَ نَبِينَا حَدَثٌ»، أي: حدث عظيم، وربما ظن الكثيرون أن ذلك الحدث هو قتل عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ثم ظنوا أنه قتل عثمان والفتن الشداد، ثم ظنوا أنه اقتتال معاوية وعلي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ثم ظنوا أنها فتنة الإقبال على الدنيا في الخلافة الأموية، ثم ظنوا أنها فتنة التتار، ثم ظنوا أنها فتنة سقوط الأندلس، كما قال القائل<sup>(٣)</sup>:

لمثل هذا يذوب القلب من كمدٍ إن كان في القلب إسلامٌ وإيمانٌ  
وكل هذه فتن عظام وخصوصًا بمقارنتها بما قبلها وهي الفترة التي تسبق المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ مباشرة حتى وإن امتدت قبل ذلك بمائة عام بالتمام والكمال. إذا فالحدث الذي تخوف منه الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ حدث على الأمة بأكملها.. وهو حدث أكبر من كل حدث في التاريخ كله.. وتحديد هذا الحدث لا يمكن أن يحدده إلا من وقف متأملًا الأحاديث؛ إذ هو في آخر الأمة.. ليستطيع أن يجمع الأحداث العامة كلها ثم يستطيع أن يحدد بما آتاه الله؛ من بصيرة واستنباط وإنصاف، وأحسب أننا الآن على مشارف الحقبة الجديدة للأمة... وهنا نقول: إن قتل من يقول: [الله الله] إنما هو من يذكر الناس بالله.. كما هو المعروف عند

(١) كدوس: أي: مجموع كثير.

(٢) أخرجه أحمد (١١١٦٣) واللفظ له، وأخرجه الترمذي (٢٢٣٢) مختصرًا، وقال: هذا

حديث حسن، وقد روي من غير وجه عن أبي سعيد، وحسنه الألباني.

(٣) قصيدة لأبي البقاء صالح بن شريف الرندي يرثي الأندلس.

الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وأتباعهم ومثل هذا قول الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ: اتقوا الله.. اخشوا الله.. توبوا إلى الله... ليس قول هذا الاسم الكريم: الله هو المقصود: بل المذكر الناصح هنا يشير إلى أن الناس قد تحللوا من شرع الله ومن كتاب الله ومن هدي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَعَلَى آلِهِ وَسَلَّمَ في حياتهم العامة... وهجروا القرآن.. بل اتخذوه مهجورًا...

نعم! لأنها الصيحة الغريبة المُذكرة لهم بعودة الأمة إلى كتاب الله كاملاً الذي هجرته منذ مائة عام تقريباً، فهذا ما لا يطاق، وهو يقتضي القتل رسمياً.

ولقد صح في الحديث عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَتَنْقُضَنَّ عُرَى الْإِسْلَامِ عُرْوَةَ عُرْوَةَ، فَكَلَّمَا انْتَقَضَتْ عُرْوَةٌ، تَشَبَّثَ النَّاسُ بِالتِّي تَلِيهَا، وَأَوْلَهُنَّ نَقْضَ الْحُكْمِ، وَآخِرُهُنَّ الصَّلَاةُ»<sup>(١)</sup>.

وَعَنْ أَبِي ذَرٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كُنْتُ أَمْشِي مَعَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «لَعَيْرُ الدَّجَالِ أَخَوْفُنِي عَلَى أُمَّتِي» قَالَهَا ثَلَاثًا. قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، مَا هَذَا الَّذِي غَيْرُ الدَّجَالِ أَخَوْفُكَ عَلَى أُمَّتِكَ؟ قَالَ: «أُمَّةٌ مُضِلِّينَ»<sup>(٢)</sup>.

وحديث علي عَلَيْهِ السَّلَامُ هذا يبين بجلاء بأن آل البيت حين يتولون الأمور متمثلين في المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ، فليس ذلك من إعدادهم أو تدبيرهم أو تخطيطهم في الخفاء أو تعاملهم مع قوى عظمى... بل هو من عند الله وحده، وهو مفاجئ لكل الناس، ومفاجئ للمهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ نفسه من حيث تَوَقُّيْتِهِ.. فما هي إلا ليلة تكون كالسيف فاصلة ما بين عصرين: عصر ظلام وظلم مطبق، وعصر رحمة وعدل مطلق.. فهذا الذي سيكون إنما هو من علم الغيب.. ولا دخل للبشر فيه، ولا طاقة لأحد به.

(١) رواه أحمد (٢٢١٦٠)، وابن حبان في صحيحه (٤٨٦٦)، والطبراني في المعجم الكبير

(٧٤٨٦)، وقال الأرنبوط: إسناده جيد.

(٢) رواه أحمد (٢١٢٩٦)، وقال الأرنبوط: صحيح لغيره.

### حفظكم بالحفظ الثامن: أبعادكم سبحانه عن دائرة الصراع:

ويشاء الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى أَلَّا يتولى خلافة الأمة الإسلامية من أبناء النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بعد الحسن بن علي عَلَيْهِ السَّلَامُ إلى هذا اليوم أحد، وكان في هذه أحسن حفظ لهم من مُعْتَرِك تحصد فيه الأسر حصداً، وتهلك فيه الأسر هلاكاً.. فحفظ الله أبناء رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وذرياته من تلك الصراعات... وحفظهم من موتات مثل هذه.. بل هم على الضد من ذلك.

لقد أكرم الله الأمة بصرف آل البيت عن الصراع على الحكم، فجعلها أكبر من دخول حلبة الصراع على الدنيا، ونزَّهها عن هذا.

ورحم الله الأمة أن يكون لها موقف مقابل لنبينا حين تقف مقابل آل بيته، فيهلكها الله عَزَّجَلَّ.

وكم نسمع من بعض المثقفين من آل البيت مقولة: إن آل البيت أولى بحكم الأمة من سواهم؟! ولو علم هؤلاء باختيار الله عَزَّجَلَّ لهم لما اختاروا لأنفسهم ما قالوه ولما تمنوه، وهم يعلمون أنه اختيار الله ليس لهم وإنما لرسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ... فليرضوا بما رضىه الله لهم.

ثم كم سيكون فضل الآل اللاحقين؟ فهل يبلغ فضل الحسن والحسين عَلَيْهِمَا السَّلَامُ... ومع هذا فقد رأينا ما استقرت الأمة في عهودهم والفتن أوقدت من قبلهم لكنهم ما استطاعوا أن يطفئوها، وما أطفأها إلا الحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ وذلك بالتنازل لمعاوية رَضِيَ اللهُ عَنْهُ بالخلافة، فاستقر أمر الأمة بهذا.. وقد امتدح النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هذا التنازل من الحسن ورفع على المنبر وامتدحه وقبَّله، وسمى تنازله عن الحكم إصلاحاً، وحلاه وجلاه وسوَّده وأعلاه وقال: «إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللهُ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ»<sup>(١)</sup>.



وقد مرَّ معنا الحديث، فعَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحَدِّثُنَا يَوْمًا وَالْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ فِي حِجْرِهِ، فَيَقْبَلُ عَلَيَّ أَصْحَابِهِ، فَيُحَدِّثُهُمْ، ثُمَّ يَقْبَلُ عَلَيَّ الْحَسَنُ فَيَقْبَلُهُ، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ ابْنِي هَذَا لَسَيِّدٌ، إِنْ يَعِشَ يُصْلِحُ بَيْنَ طَائِفَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ»<sup>(١)</sup>.

ونحن لو فرضنا أن ذرية الحسن أو الحسين قد حكموا بعد أبيهما عَلَيْهِمَا السَّلَامُ لدخلوا في المذموم بدرجاته المختلفة، وأقصد به الحكم الوراثي أو الحكم العضوض أو الحكم الجبري... ولعل إعراض النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عن ذكر حكم الآل إخبار بذلك، كما ينبغي أن يقابله من آله الإعراض عن طلب الحكم أو الخلافة؛ إذ لصلحت للأمة في عصورها المختلفة، ولأشار إليها ولو إشارة.. ولعل الله جعل لهم في الحسن والحسين عَلَيْهِمَا السَّلَامُ عبرة ودرسًا نافعا للأجيال من طرفي الحكم من طريق طلبه وطريق التنازل عنه، ولهذا لم يذكر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد الحسن والحسين شيئاً عن حكم آل البيت إلا المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ، وذكر أن حكمه على منهاج النبوة، فلو حكموا قبل المهدي لكان حكمهم على غير منهاج النبوة؛ فعَنْ فُرَاتٍ، عَنْ أَبِي مَعْبِدٍ قَالَ: قُلْتُ لَهُ: سَمِعْتَ ابْنَ عَبَّاسٍ يَذْكُرُ فِي الْمَهْدِيِّ شَيْئًا؟ قَالَ: نَعَمْ! سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «وَاللَّهِ لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا يَوْمٌ لَحَتَمَ اللَّهُ بِنَا هَذَا الْأَمْرَ، كَمَا فَتَحَهُ، وَقَالَ: بِنَا فَتِاحَ هَذَا الْأَمْرِ، وَبِنَا يُخْتَمُ»<sup>(٢)</sup>، «إِنِّي لَا رَجُوَ إِلَّا تَذَهَبَ الْأَيَّامُ وَاللَّيَالِي حَتَّى يَبْعَثَ اللَّهُ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ غُلَامًا شَابًّا حَدَّثًا لَمْ تَلْبَسْهُ الْفِتْنُ وَلَمْ يَلْبَسْهَا يُقِيمُ أَمْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ، كَمَا فَتَحَ اللَّهُ هَذَا الْأَمْرَ بِنَا، فَأَرْجُو أَنْ يُخْتِمَهُ اللَّهُ بِنَا». قَالَ أَبُو مَعْبِدٍ: فَقُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ: أَعْجَزْتَ

(١) رواه أحمد (٢٠٤٧٣)، وقال الأرئووط: حديث صحيح.

(٢) السنن الوارد في الفتن لأبي عمرو الداني (٥٥٨)، وقال محققه الدكتور رضاء الله محمد

إدريس المباركفوري: هو موقوف ورجال إسناده ثقات.

عَنْهُ شَيْوُخُكُمْ تَرْجُوهُ لِشَبَابِكُمْ؟ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّجَلَّ يَقُولُ مَا يَشَاءُ»<sup>(١)</sup>.

ولما كان حكم المهدي على منهاج النبوة لم يكن فيه مطالبة بالثأر للحسين ولا مطالبة بحكم الحسن، فلا هذا ولا هذا، وهل يطالب المؤمن ثأراً من أمته؟ أو كان ابن آل البيت مطالباً بحكم أبيه من أمته... ولهذا ما فضحهم الله، كما أريد لهم بهذا.. فلا يحسبن من يقول: إن آل البيت أولى بالحكم بعد الصحابة، فهذا ما لم يرده الله ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لهم، وحفظهم الله عن التلطح به وبأوزاره... ويكفيهم ويغنيهم ويزيدهم بعث المهدي [خليفة الله] الأوحى في تاريخ الأرض كلها.. ومسك ختام الأيام ومسك الخلافة على الأرض وفي آخرها وختام الدنيا.

ولهذا؛ فإن المتتبع لحركة الحكم في العالم الإسلامي لا يجد أن لآل البيت ذكراً بين الخلفاء بعد عليّ والحسن والحسين عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وأما غير الخلفاء من الحكام، فإن من النادر أن يكون أحد من آل البيت على بلد.. طوال تاريخ المسلمين.. هذا رغم أنه طوال التاريخ الإسلامي وآل البيت هم أعظم وأكبر وأكثر الأسر الإسلامية انتشاراً بين الناس، وأكثر ما تكون محبة المسلمين لآل بيت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، لكن ذلك الحب والتأييد لم يُعْرِ آل البيت بالنزاع على تولي الأمور والدخول في فتن وسفك دماء ونزاع على السلطة وما إلى ذلك.. فاستمر زهد آل البيت في هذا المقام، ولأنهم اختاروا ما اختار الله لهم جعل الله العاقبة في الدنيا لهم، فقال سبحانه: ﴿تِلْكَ الْأَمْثَلُ لِمَنْ جَعَلَهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُنْقِذِينَ﴾ [القصص: ٨٣]، وجاءت العاقبة لآل البيت عاقبة للأمة، وللأمة كلها، وهكذا جاءت العاقبة بمستوى ختام أعظم

(١) السنن الوارد في الفتن لأبي عمرو الداني (٥٥٩)، وقال محققه: وفي إسناد المؤلف إبراهيم بن بشار، له أوهام، وله طريق آخر، وتقدم قبله، وباجتماع الطريقتين يصح الأثر موقوفاً.

أمة، وما تستحقه، وختام الصراع الكبير والطويل ما بين الشيطان وجنده وبين الحق وجنده... وبمستوى دعوات النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ العظيمة وإلحاحه بها على الله في ليالٍ طويلة لهذه الأمة حين أراه الله عَزَّجَلَّ ما سيحصل لهذه الأمة في أسوأ حالاتها وأسفل سفولها، وليس بعد هذا السفول من سفول، فاستجاب الله دعواته وأعطاه وأعطاها حتى رضي، وقد قال الله عَزَّجَلَّ لرسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى﴾ [الضحى: ٥]، ومن ثمَّ جاء الإخبار بالمهدي، كبشري على لسان المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فقال مخاطبًا أمته ومخاطبًا أصحابه الذين يحملون همَّ الرسالة والأمة كلها: «أُبَشِّرُكُمْ بِالْمَهْدِيِّ يُبْعَثُ فِي أُمَّتِي عَلَى اخْتِلَافٍ مِنَ النَّاسِ وَزَلَزَلٍ، فَيَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا، كَمَا مُلِئَتْ جَوْرًا وَظُلْمًا، يَرْضَى عَنْهُ سَاكِنُ السَّمَاءِ وَسَاكِنُ الْأَرْضِ، يُقْسِمُ الْمَالَ صَحَاحًا»، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: مَا صَحَاحًا؟ قَالَ: «بِالسَّوَابَةِ بَيْنَ النَّاسِ»<sup>(١)</sup> أم تحسب أن هذا مقام عادي؟!

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، قَالَ: فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ: تَعَالَ صَلِّ لَنَا، فَيَقُولُ: لَا، إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أُمَرَاءُ، تَكْرِمَةَ اللَّهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ»<sup>(٢)</sup>، هكذا يجمع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هذا الموقف ودلالاته بقوله: «تَكْرِمَةَ اللَّهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ»، فالتكرمة ليست للمهدي وحده بل للأمة كلها؛ أولها وآخرها.

«تَكْرِمَةَ اللَّهِ»: ودونك عظمة لهذه التكرمة؛ إذ نسبت لله عَزَّجَلَّ، وسوف تأتي لصور تكرمة الله لهذه الأمة.

(١) رواه أبو نعيم في أخبار المهدي، وقال الألباني في الصحيحة (٢٢٩٣): صحيح.

(٢) رواه مسلم (١٥٦).

ثم لنسأل كل واحدٍ من المسلمين: هل تتمنى أن يكون ذلك العز لدين محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ على يد ولدك أم على يد ولد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟! وما من مسلم يقدم نفسه على رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولقد قال عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: «مَهْلًا يَا عَبَّاسُ! لِإِسْلَامِكَ يَوْمَ أَسَلَمْتُ، كَانَ أَحَبَّ إِلَيَّ مِنْ إِسْلَامِ الْخَطَّابِ، وَمَا لِي إِلَّا أَنِّي قَدْ عَرَفْتُ أَنَّ إِسْلَامَكَ كَانَ أَحَبَّ إِلَيَّ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مِنْ إِسْلَامِ الْخَطَّابِ»<sup>(١)</sup>.



(١) شرح معاني الآثار للطحاوي (٣/٣١٩) رقم (٥٤٥٠)، وقال الطحاوي: هَذَا حَدِيثٌ مُتَّصِلٌ الْإِسْنَادِ صَحِيحٌ مَا فِيهِ مَعْنَى.

## الباب الثالث

### تفاصيل في داخل آل البيت الكرام

#### هل من فارق ما بين آل البيت وأهل البيت والقربى والعترة؟

ليس لأجل التفريق للتشقيق ولا للمفاخرة والمكابرة - عيادًا بالله من ذلك - فإن أغلب الناس يتناولون هذه المصطلحات ولا يجدون فارقًا بينها، ولا يجدون مَنْ أظهر هل من فارق بينها أم انها متحدة من كل جهة؟! وهذا الفهم نعمة من نعم الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى فهذه المصطلحات هي شيء واحد من جهاتها كلها فكلهم الآل، وكلهم الأهل، وكلهم القربى، وكلهم العترة، اللهم إلا من ناحية واحدة.. ولولا أن هذا أمرٌ شرعي ضروري لما أظهرته.. وهو يزيد الأمر قوة ووحدة.. كما يزيده بيانًا، ثم إن الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ عاملوا آل البيت على هذا الأساس، بل إن آل البيت أنفسهم تعاملوا مع بعضهم على هذا الأساس، كما سيأتي معنا بإذن الله. فمن هذه الجهة يصبح ضرورة، فإن الفرز في داخل القربى يكون أحيانًا فرقًا وهو خير؛ لأنه العدل، ولما ينبنى عليها من حقوق خاصة فيما يتعلق بهم كلهم رغم أن الحقوق المشتركة بينهم جميعًا معروفة وقائمة، ولما له في حفظ الأنساب من أهمية شرعية، وضد هذا يكون خلط الأنساب وهذا محرّم.

أما من الناحية اللغوية، فإن أهل اللغة لا يكادون يفرقون بينها أبدًا، وعلى هذا الأساس سار أكثر مَنْ بحثها من العلماء والمشايخ وخصوصًا في هذا الوقت.

ولا أريد أن أضيع المسألة في المباحث اللغوية وغيرها؛ ولهذا سأظهر ما

بينها من فوارق من خلال كلام الله وكلام رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مع تأكدي أن هذا يُعصد وحدة آل البيت وقوتهم، وهم أولى من يصل قراباتهم؛ ولهذا سوف نبتدئ بمصطلح: القربى، فالقربى تشمل الجميع ما بُعد وما قُرب، فالجميع من القربى، وهذه تنطبق على جميع أسماء آل البيت، فكل اسم منها إذا ذكر وحده شمل الجميع؛ شمل القربى وأهل البيت وآل البيت.. ولكن إذا ذكروا مجتمعين اقتضى الفصل بينها، وذكرهم مجتمعين لا يكاد يوجد فيما ورد عن الله عَزَّجَلَّ وعن رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وفي هذا إشارة إلى أن الله سُبحانه وتعالى يريد لهذه القرابة أن تكون على قلب رجل واحد.. متقاربة متحابه.. وأن يحذروا المُفرقين، وأن الأمة كلها مطالبة أن تحرص على هذه الخاصية وخصوصاً في هذا البيت.. لوجود الوصية به، كقربى وكآل بيت، وكأهل بيت وكعترة، وهذه المسميات مقتضية للوحدة والتقارب والتحاب، فكثرة الروابط والأحزمة تدل على قوة الارتباط والالتحام، ولا تدل على التفكك والضعف.

ونحن حين نبتدئ بـ [القربى]، فلأنها الأشمل والأوسع والأجمع، وذلك إذا اجتمعت المصطلحات الثلاثة، ودليل اسم القربى مأخوذ من قول الله عَزَّجَلَّ: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ [الشورى: ٢٣]، وتفسير ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا لها، وذكر سبب نزولها؛ فعن ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا في قوله عَزَّجَلَّ: ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ قال: «كان لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قرابة في جميع قريش، فلما كذبوه وأبوا أن يبايعوه قال: يا قوم إذا أبيتم أن تبايعوني احفظوا قرابتي فيكم، لا يكون غيركم من العرب أولى بحفظي ونصرتي منكم»<sup>(١)</sup>، وهذه حقيقة لا ريبه فيها، فرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من قريش، وهو يشترك معهم جميعاً في قرابات وإن بعدت، ومن هذا الباب جاءت الوصية العامة بأن الخلافة في قريش...

أما من ناحية أن جميع قريش من آل البيت فهذا ما لا يقوله ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا عن نفسه، بل ولا تحتمله النصوص الأخرى وقد بيَّنا ذلك قريبا، فعن العباس بن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ قُرَيْشًا إِذَا لَقِيَتْ بَعْضَهُمْ بَعْضًا لَقَوْهُمْ بِبِشْرٍ حَسَنٍ، وَإِذَا لَقُونَا لَقُونَا بِوُجُوهِ لَا نَعْرِفُهَا. قَالَ: فَغَضِبَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ غَضَبًا شَدِيدًا، وَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَا يَدْخُلُ قَلْبَ رَجُلٍ الْإِيمَانَ حَتَّى يُحِبَّكُمْ لِلَّهِ وَلِرَسُولِهِ»<sup>(١)</sup>، وعنه أنه دخل على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: إِنَّا لَنَخْرُجُ فَنَرَى قُرَيْشًا تَحَدَّثُ، فَإِذَا رَأَوْنَا سَكَتُوا، فَغَضِبَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَدَرَّ عِرْقٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ، ثُمَّ قَالَ: «وَاللَّهِ، لَا يَدْخُلُ قَلْبَ امْرِئٍ إِيْمَانٌ حَتَّى يُحِبَّكُمْ لِلَّهِ، وَلِقَرَابَتِي»<sup>(٢)</sup>، ففي هذا الحديث تصريح واضح بالتمييز بين قرابة قريش وقرابة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وأنه إذا ذكر الفرق بين المصطلحات لم يكن مصطلح قريش. وقريش مصطلح عامٌ مثل العرب والعربي، فهو مصطلح أكبر وهكذا، أما مصطلح آل البيت، فهو أخص من جميع هذه المصطلحات.

وهذا التفرقة يعرفه الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ أحسن المعرفة وأضبظها، وقد قال أبو بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ لِعَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَقَرَابَةُ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَحَبُّ إِلَيَّ أَنْ أَصِلَ مِنْ قَرَابَتِي»<sup>(٣)</sup>، وعن ابن عمر عن أبي بكر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «ارْقُبُوا مُحَمَّدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي أَهْلِ بَيْتِهِ»<sup>(٤)</sup>، كما أن هذا الحديث وأمثاله ليدل دلالة واضحة على أن أعمام النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من [القربى] وأن

(١) أخرجه الترمذي (٣٧٥٨)، والنسائي في «السنن الكبرى» (٨١٧٦) باختلاف يسير، وأخرجه ابن ماجه (١٤٠) بنحوه، وأحمد (١٧٧٢) واللفظ له، وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

(٢) أخرجه أحمد (١٧٧٧)، وقال أحمد شاكر: إسناده صحيح.

(٣) أخرجه البخاري (٤٢٤٠، ٤٢٤١).

(٤) أخرجه البخاري (٣٧١٣).

هذا المصطلح عند انفراده يشمل أهل البيت وآل البيت والعترة؛ فعن الشَّعْبِيِّ قَالَ: «صَلَّى زَيْدُ بْنُ ثَابِتٍ عَلَى جِنَازَةِ ثَمَّ قُرَّبَتْ لَهُ بَعْلَةٌ لَيْرَ كَبْهَا، فَجَاءَ ابْنُ عَبَّاسٍ فَأَخَذَ بَرِكَابِهِ، فَقَالَ لَهُ زَيْدٌ: خَلَّ عَنْهُ يَا بَنَ عَمِّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ ابْنُ عَبَّاسٍ: «هَكَذَا يُفْعَلُ بِالْعُلَمَاءِ وَالْكَبْرَاءِ»، وَزَادَ بَعْضُهُمْ فِي هَذَا الْحَدِيثِ: إِنَّ زَيْدَ بْنَ ثَابِتٍ كَافَأَ ابْنَ عَبَّاسٍ عَلَى أَخْذِهِ بَرِكَابِهِ أَنْ قَبَّلَ يَدَهُ، وَقَالَ: هَكَذَا أُمِرْنَا أَنْ نَفْعَلَ بِأَهْلِ بَيْتِ نَبِيِّنَا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ»<sup>(١)</sup>.

أهل البيت: فالأزواج قطعاً من أهل البيت، فهم الأهل، وقد قال الله سبحانه مخاطباً نساء النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أساساً، فقال في آية الحجاب: ﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلَا تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣]، وهكذا سمَّت الملائكة سارة زوج الخليل إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿رَحِمْتُ اللَّهَ وَبَرَكْنُهُ عَلَيْكُمْ أَهْلَ الْبَيْتِ إِنَّهُ حَمِيدٌ مَجِيدٌ﴾ [هود: ٧٣].

وأهل البيت: هم كذلك آل هاشم وآل المطلب، كما هو قول الإمام الشافعي والإمام أحمد بخلاف قول الإمام أبي حنيفة والإمام مالك، فإنهما لا يَدْخُلَانِ فِي آل البيت عند هذين الإمامين، لكن النصوص في هذا واضحة.

ومن الأدلة على هذا ما جاء عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ قَالَ: مَشَيْتُ أَنَا وَعُثْمَانُ بْنُ عَفَّانَ إِلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَقُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَعْطَيْتَ بَنِي الْمُطَّلِبِ وَتَرَكْتَنَا، وَنَحْنُ وَهُمْ مِنْكَ بِمَنْزِلَةٍ وَاحِدَةٍ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا بَنُو الْمُطَّلِبِ وَبَنُو هَاشِمٍ شَيْءٌ وَاحِدٌ»<sup>(٢)</sup>.

(١) جامع بيان العلم وفضله لابن عبد البر (١/ ٥١٤) رقم (٨٣٢)، الأعلام للزركلي (٣/ ٥٧).

(٢) رواه البخاري (٣١٤٠).



وبنو هاشم هم: [آل عليّ، وآل عباس، وآل جعفر، وآل عقيل، وآل الحارث ابن عبد المطلب]، وقد صح في الحديث.. وفيه: «أَلَا يَا أَيُّهَا النَّاسُ، إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ يُوشِكُ أَنْ يَأْتِيَنِي رَسُولُ رَبِّي عَزَّجَلَّ، فَأُجِيبُ، وَإِنِّي تَارِكٌ فِيكُمْ نَفْلَيْنِ، أَوْلَهُمَا كِتَابُ اللَّهِ عَزَّجَلَّ فِيهِ الْهُدَى وَالنُّورُ، فَخُذُوا بِكِتَابِ اللَّهِ تَعَالَى، وَاسْتَمْسِكُوا بِهِ»، فَحَثَّ عَلَى كِتَابِ اللَّهِ، وَرَغَّبَ فِيهِ. قَالَ: «وَأَهْلُ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي، أُذَكِّرُكُمْ اللَّهُ فِي أَهْلِ بَيْتِي». فَقَالَ لَهُ حُصَيْنٌ: وَمَنْ أَهْلُ بَيْتِهِ يَا زَيْدُ؟ أَلَيْسَ نِسَاؤُهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ؟ قَالَ: إِنَّ نِسَاءَهُ مِنْ أَهْلِ بَيْتِهِ، وَلَكِنَّ أَهْلَ بَيْتِهِ مَنْ حُرِّمَ الصَّدَقَةَ بَعْدَهُ. قَالَ: وَمَنْ هُمْ؟ قَالَ: هُمْ آلُ عَلِيٍّ، وَآلُ عَقِيلٍ، وَآلُ جَعْفَرٍ، وَآلُ عَبَّاسٍ. قَالَ: أَكُلُّ هَؤُلَاءِ حُرِّمَ الصَّدَقَةَ؟ قَالَ: نَعَمْ<sup>(١)</sup>.

وموالي آل البيت لا تحل لهم الصدقة كذلك؛ لأنهم في هذا الأمر منهم؛ فلقد صح في الحديث عن مِهْرَانَ مولى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّا آلُ مُحَمَّدٍ لَا تَحِلُّ لَنَا الصَّدَقَةُ، وَمَوْلَى الْقَوْمِ مِنْهُمْ»<sup>(٢)</sup>.

وكيف تحل الصدقة لمولى آل البيت، وهو جزء لا يتجزأ من البيت نفسه؛ طعامًا ومنامًا واهتمامًا، ليلاً، ونهارًا وسفرًا وحضرًا... كيف وقد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عن الهرة التي تُرَبَّى في البيت؛ أنها جزء منهم مثل أطفالهم؛ ففي الحديث: «إِنَّهَا لَيْسَتْ بِنَجَسٍ، إِنَّهَا مِنَ الطَّوَّافِينَ عَلَيْكُمْ وَالطَّوَّافَاتِ»<sup>(٣)</sup>، ومثل هذا الحديث: «ابْنُ أُخْتِ الْقَوْمِ مِنْهُمْ»<sup>(٤)</sup>.

آل البيت: وشمولية [آل البيت] ثابتة للقربى ولأهل البيت وللعتره بشكل عام، ومتى ما ذُكرت منفردة، شملت البقية قطعًا، ولكن عندما تذكر للتفصيل

(١) رواه أحمد (١٩٢٦٥)، وقال الأرئؤوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٢) رواه أحمد (١٥٧٠٨)، وقال الأرئؤوط: صحيح بشواهده.

(٣) رواه أبو داود (٧٥)، وقال الألباني: حسن صحيح.

(٤) رواه البخاري (٣٥٢٨).

والفرز والتحقق، فإن آل البيت هم ولد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ وولديها الحسن والحسين عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، وعلي عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولا يمكن أن تكون الحسبة إلا بعلي عَلَيْهِ السَّلَامُ، ليس لأنه أبوهما فحسب، وإنما لأنه كذلك زوج فاطمة تخصيصًا وتحديدًا، ولهذا فإن أولاد علي عَلَيْهِ السَّلَامُ من غير فاطمة ليسوا من آل البيت بالمعنى الخاص بآل البيت.

ولقد وثق الله حقيقة انتساب الحسن والحسين وذريتهما إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أعظم توثيق وأعظم من توثيق نسبهما إلى علي عَلَيْهِ السَّلَامُ نفسه... كما مرَّ معنا ذلك، فلو أن الحسن والحسين ينسبان إلى علي عَلَيْهِ السَّلَامُ لأصبح نسبهما وذريتهما تنتهي إلى النار؛ لأن أبا طالب في النار، وهو علي بن أبي طالب، فأبى الله عَزَّجَلَّ إكرامًا لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ولذريته ذلك، فجعل النسب إليه وأصبحت النسبة إلى سيد أهل الجنة على الإطلاق، وفي هذا كرامة لآل البيت ليس مثلها كرامة.. ولا حتى لو انتهت نسبتها إلى علي عَلَيْهِ السَّلَامُ.

وهكذا جاءت نسبة الحسن والحسين على لسان رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في أغلب الأحاديث إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؛ كقوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللَّهَ أَنْ يُصَلِّحَ بِهِ بَيْنَ فِتْنَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ»<sup>(١)</sup>.

وإن كان ثم حديث بنسبتهما إلى علي عَلَيْهِ السَّلَامُ فهذا الإثبات ما لا يمكن أن يكون إلا كذلك، فهما ولداه حقيقة.. لكن الحقيقة الشرعية العظمى غلبت، كما أنها لا تنفي أبوة علي عَلَيْهِ السَّلَامُ لهما.. ومعاذ الله من هذا الفهم الذي لم يقل به أحدٌ مطلقًا.

وهذا تفرد لا أعرفه لأحدٍ من الأنبياء والمرسلين عَلَيْهِمُ السَّلَامُ مع ذرياتهم، فلم يُعهد أن تنسب الذرية إلى الأم وأهلها وإن كانوا من الشهرة والكرامة.. ومن

أكرم من أبي الحسين؟! لكن إدلاء أبي الحسين جاء إلى أبي طالب وإدلاء فاطمة إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ... فأبي الكفَّتين ترجح؟! حتى لو كان مع أبي الحسين الثقلان مجتمعان.

وهذا بغير شك هو أحب لعلي عَلَيْهِ السَّلَامُ لمحبة الوالد لولده أعظم من محبته نفسه، ولأنه الأمر الذي علي عَلَيْهِ السَّلَامُ في والده الذي مات على كفره، فكان عوض أبي الحسن بولديه عَلَيْهِمَا السَّلَامُ، حيث كان التعويض ليس بمشاركتهما له في النسبة إلى أبيه أبي طالب، بل النسبة لهما بالنسبة لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وأيُّ تعويض مثل هذا التعويض، ثم إنه النسب الأحب إلى كل الذرية بغير شك، ولا يوجد من ينازع في هذا أبداً، وهو النسب الأعلى في ذرية آدم كلها.

### إحكام الله ربط الآل الطاهر بأصله الأعظم إحصاءً فوق المعتاد:

إنه موضوع يستحق التخصيص والتحقيق والتنقيح والتدقيق لخصوصيته وعظمته.

**أولاً: لمن نسبة البيت:** فهل إذا قيل آل البيت قصد به بيت سيدنا علي عَلَيْهِ السَّلَامُ على أنه زوج فاطمة عَلَيْهِمَا السَّلَامُ ووالد الحسن والحسين عَلَيْهِمَا السَّلَامُ أم قصد به بيت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وكان من ضمن آل البيت عليُّ نفسه عَلَيْهِ السَّلَامُ؟!!

هل من مرة ربط الله عَزَّوَجَلَّ بيت النبوة بعليِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهل من مرة ربط النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بيوته بعليِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، هل نَسَبَ علي عليه السَّلَامُ مرة بيت النبوة إلى نفسه - وحاشاه - عَلَيْهِ السَّلَامُ؟

**والجواب:** لا شك ولا تردد ولا اختلاف أبداً عند أيِّ مسلم من المسلمين أن نسبة آل البيت إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فلن يكون رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تابِعاً لغيره في بيته وآله وعترته، وكما قال الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «مَا كَانَ لِابْنِ أَبِي

فُحَافَةٌ أَنْ يَتَقَدَّمَ أَمَامَ رَسُولِ اللَّهِ<sup>(١)</sup>، كما هو صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بين العالمين.. وهذا أمر طبيعي ولازم شرعي.. فإن من المستحيل أن يكونوا جميعًا وفيهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ولا يكون هو المتقدم عليهم جميعًا وعلى الأمة جميعًا.. ولو كان على مختلف عصورها، فإنها تنسب إليه فيقال: أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.. ولا يقال في عهد عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أمة عمر ولا في عهد علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أمة علي، بل أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.. وهكذا الشأن مع الناس، وهكذا هو في الدار الآخرة، فهو القائل: «أَنَا سَيِّدٌ وَلِدِ آدَمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَلَا فَخْرَ، وَبِيَدِي لِيَوَاءَ الْحَمْدِ وَلَا فَخْرَ، وَمَا مِنْ نَبِيٍّ يَوْمَئِذٍ آدَمَ فَمَنْ سِوَاهُ، إِلَّا تَحْتَ لِيَوَائِي، وَأَنَا أَوَّلُ مَنْ تَنْشَقُّ عَنْهُ الْأَرْضُ وَلَا فَخْرَ»<sup>(٢)</sup>، فكيف والبيت جزء في أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

ويبقى كل واحد من أبناء آل البيت بأفرعه المعروفة ينتسب إلى أبيه، مثل أبناء العباس، وأبناء جعفر، وأبناء نوفل، وأبناء علي، ومع هذا، فهم جميعًا من آل بيت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وإن لم يكونوا من ذرية الحسن والحسين.. وإن كان من آبائهم مَنْ هو أكبر من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ سنًا وإن كانوا له أعمامًا أو أبناء عمٍّ.. ذلك أن الذي اجتذب الجميع إلى الانتساب إليه وإلى قرباه هو قوة جذب لا يمكن مقاومتها لا في قوانين الأنساب، أو السلالات، أو العلاقات، أو الحياة؛ إنه سيد الأنبياء والمرسلين عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ؛ كما قال سبحانه: ﴿الَّتِي أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ وَأَزْوَاجُهُنَّ أُمَّهَاتُهُمْ وَأُولُو الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ إِلَّا أَنْ تَفْعَلُوا إِلَىٰ أَوْلِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا كَانَ ذَلِكَ فِي الْكِتَابِ مَسْطُورًا﴾ [الأحزاب: ٦].

نعم! الحسن والحسين ابنا علي عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، لكن أبي الله عَزَّجَلَّ أن يكون

(١) رواه أحمد (٢٢٨٠٧)، وقال الأرنؤوط: إسناده صحيح.

(٢) رواه الترمذي (٣١٤٨)، وصححه الألباني.





آل البيت إلى علي، وإن كان المدار على الحسن والحسين، وفوقهما فاطمة عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وفوق الجميع الذي يجتمع عليه الآل، من سبق ومن لحق، ومن في المركز، ومن حوله هو رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وكيف لا يكون كذلك وعند هذا المحور والمركز تدور البشرية؟ كما قال سبحانه: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنْتَ عَلَيْهَا إِلَّا لِنَعْلَمَ مَنْ يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّنْ يَنْقَلِبُ عَلَى عَقْبَيْهِ وَإِنْ كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللَّهُ وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرُؤُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [البقرة: ١٤٣]. إذا وعند هذا المنتهى حيث رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تكون انطلاقة بث الذرية؛ رجالاً كثيراً ونساءً ومن فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ يكون تسلسلها ومن الحسن والحسين يكون بثها، كما يكون انتشارها وكذلك تسلسلها، كما أن الله يأبى لهذه الذرية أن ينتهي نسبها إلى النار، حيث إنها لو نسبت لعلي عَلَيْهِ السَّلَامُ لكان بعده أبو طالب، وأبو طالب في النار، كما أخبر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ<sup>(١)</sup> فجعل الله مآل هذه الذرية المطهَّرة إلى سيد الخلق أجمعين صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وليس في هذا - معاذ الله - نقصٌ في حق علي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، لكن من ذا الذي ينازع رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أمراً يريد الله ويريده هو صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ سيد الثقلين وأمهما سيدة نساء أهل الجنة، فأبى حطوة تقارب هذه الحطوة في الذراري على الإطلاق؟!!

وكل هذا ما كان إلا بانتساب الذراري إلى السبطين الحسن والحسين عَلَيْهِمَا السَّلَامُ إلى أمهما فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ التي تُدلي إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حتى لو قيل: الحسن والحسين ابنا علي عليهم السلام أجمعين، فإنهما حبل آل البيت المتين... وهل البيت هنا إلا بيتٌ صاحبه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

وهذا لا يعني أبداً أن آل البيت محصورون في ذرية الحسن والحسين اللهم

(١) الحديث رواه مسلم (٢١٢) عَنْ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَهْوَنُ أَهْلِ النَّارِ عَذَابًا أَبُو طَالِبٍ، وَهُوَ مُتَّعِلٌ بِنَعْلَيْنِ يَغْلِي مِنْهُمَا دِمَاعُهُ».

إلا من حيث التسلسل النسبي المعروف، أما من ناحية التعريف الشرعي، فقد ضمَّ إليهم النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من أخذوا الحكم الشرعي، وهم مَنْ تحرم عليهم الصدقة، كما سيأتي معنا.

إذا فنحن نتحدث هنا في السلالة من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تحديداً، وهم الأصل، وهم أصحاب البيت، فنسبة البيت الصريحة إلى صاحبه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وفاطمة تحديداً؛ ولهذا قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «الْمَهْدِيُّ مِنْ عِزَّتِي، مِنْ وَدِدِ فَاطِمَةَ»<sup>(١)</sup>، وما قال: من ولد [علي] رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.

**ثانياً: الإحكام الخُلُقِيّ:** إن الإحكام الخُلُقِيّ الذي جعله الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى فِي تحقيق نسبة السلالة إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ جعله بطريقة لا يمكن أن يتخيلها بشر، أو تكون في غير هذه القرابة والآل والأهل، فهذه الأسرة المباركة كلها من فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ، وفاطمة من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وليست هذه السلالة بهذا الاعتبار لأجل نسبتها إلى علي عَلَيْهِ السَّلَامُ، وإنما هم من فاطمة بنت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وذكر سرُّ هذا الاعتبار ضروري، كما أنه معروف، فإن الشبه بغير شك ما بين الأب وابنته أعظم من الشبه ما بين الزوج وزوجته، لأن القرب ما بين الأب وابنته بغير شك أعظم... وهذا هو ما جاء نصّاً، فكيف وشبه فاطمة برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ جاء معنى ومبنى وجاء حبّاً وقرباً؛ فقالت أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا: مَا رَأَيْتُ أَحَدًا كَانَ أَشْبَهَ سَمْتًا وَهَدِيًّا وَدَلًّا بِرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مِنْ فَاطِمَةَ - كَرَّمَ اللَّهُ وَجْهَهَا - كَانَتْ «إِذَا دَخَلَتْ عَلَيْهِ قَامَ إِلَيْهَا فَأَخَذَ بِيَدِهَا، وَقَبَّلَهَا، وَأَجْلَسَهَا فِي مَجْلِسِهِ، وَكَانَ إِذَا دَخَلَ عَلَيْهَا قَامَتْ إِلَيْهِ، فَأَخَذَتْ بِيَدِهِ، فَقَبَّلَتْهُ، وَأَجْلَسَتْهُ فِي مَجْلِسِهَا»<sup>(٢)</sup>.

(١) رواه أبو داود (٤٢٨٤)، وصححه الألباني.

(٢) رواه أبو داود (٥٢١٧)، وصححه الألباني.

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قَالَتْ: «أَقْبَلْتُ فَاطِمَةَ تَمْشِي كَأَنَّ مَشِيَّتَهَا مَشْيُ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «مَرَحَبًا بِابْنَتِي»، ثُمَّ أَجْلَسَهَا عَنْ يَمِينِهِ أَوْ عَنْ شِمَالِهِ، ثُمَّ أَسْرَرِ إِلَيْهَا حَدِيثًا، فَبَكَتْ، فَقُلْتُ لَهَا: «لِمَ تَبْكِينَ؟»، ثُمَّ أَسْرَرِ إِلَيْهَا حَدِيثًا، فَضَحِكَتْ، فَقُلْتُ: مَا رَأَيْتُ كَالْيَوْمِ فَرَحًا أَقْرَبَ مِنْ حُزْنٍ، فَسَأَلْتُهَا عَمَّا قَالَ، فَقَالَتْ: مَا كُنْتُ لِأَفْشِي سِرَّ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ حَتَّى قُبِضَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَسَأَلْتُهَا، فَقَالَتْ: أَسْرَرِ إِلَيَّ: «إِنَّ جَبْرِيلَ كَانَ يُعَارِضُنِي الْقُرْآنَ كُلَّ سَنَةٍ مَرَّةً، وَإِنَّهُ عَارِضُنِي الْعَامَ مَرَّتَيْنِ، وَلَا أُرَاهُ إِلَّا حَضَرَ أَجْلِي وَإِنَّكَ أَوَّلُ أَهْلِ بَيْتِي لِحَاقًا بِي»، فَبَكَتُ، فَقَالَ: «أَمَا تَرْضِينَ أَنْ تَكُونِي سَيِّدَةَ نِسَاءِ أَهْلِ الْجَنَّةِ أَوْ نِسَاءِ الْمُؤْمِنِينَ»، فَضَحِكْتُ لِذَلِكَ»<sup>(١)</sup>.

**ثم إنه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يقول عن باطن الأمر وسره:** «فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي، فَمَنْ أَغْضَبَهَا أَغْضَبَنِي»<sup>(٢)</sup>، وقال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي يُؤْذِنِي مَا آذَاهَا، وَيُنْصِبُنِي مَا أَنْصَبَهَا»<sup>(٣)</sup>.

فتفرَّد هؤلاء الآل أعظم تفرُّد بين كل آلٍ وأهل وعترة وقربى.. وسيمر معنا مزيد إيضاح لهذا الأمر - بإذن الله تعالى - في المبحث القادم عند بيان معنى مصطلح [آل البيت]، ثم إن عليًّا عَلَيْهِ السَّلَامُ ليس له ذلك الشبه برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ولا ينطبق عليه «بَضْعَةٌ مِنِّي»، بل هو كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لِعَلِيِّ: «أَمَا تَرْضَى أَنْ تَكُونَ مِنِّي بِمَنْزِلَةِ هَارُونَ مِنْ مُوسَى؟»<sup>(٤)</sup>.

**ثالثًا: ماذا لو كانت النسبة لعلي عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ لو كانت النسبة لعلي عَلَيْهِ السَّلَامُ لنازعت بقية الذراري ذرية علي منازعة قوية، ولها حججها.. كيف وعندهم من الأدلة**

(١) رواه البخاري (٣٦٢٣).

(٢) رواه البخاري (٣٧١٤)، ومسلم (٢٤٤٩).

(٣) رواه الترمذي (٣٨٦٩)، وقال: هذا حديث حسن صحيح.

(٤) رواه البخاري (٣٧٠٦).

الكثير على فضل أبيهم ومصدرهم؟ فمثال ذلك آل أبي بكر الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وآل عمر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وعلي - عليه السلام ورضي الله عنه - لا ينازع أحد أبداً أباً بكر وعمر فضلهما وإمامتهما وخلافتهما.... لكن الله سبحانه وهو عالم الغيب والشهادة قطع كل طريق وكل منازعة حين نسب هذا البيت إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.. فهو الشرف الأعلى، وهو الحماية التي ليس بعدها في الثقلين حماية، حماية آل البيت بقيت وتبقى إلى يوم يقوم الناس لرب العالمين، لأنها من حماية الله ودفاعه سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَنْ رَسُولِهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الكامل؛ وأقول: الكامل، لأن دفاع الله عَزَّجَلَّ عن رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في حياته لم يمنع دفاع الصحابة عنه وذبحهم عنه وأخذ الأسباب لهذا؛ أما دفاعه عنه وحمايته له بعد موته، فهو أعظم، وما يتبقى منه، فذلك من باب إثابة المؤمنين، واختبار الآخرين، ورفع مقامات، وإهلاك قامات، و﴿ لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ مِنَ الطَّيِّبِ وَيَجْعَلَ الْخَبِيثَ بَعْضُهُ عَلَى بَعْضٍ فَيَرْكُمُهُ جَمِيعًا فَيَجْعَلُهُ فِي جَهَنَّمَ أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ ﴾ [الأنفال: 37]، فحفظ النسب الباقي من حفظ الله لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ولئن قال الله عَزَّجَلَّ لِمَنْ سَبَقَهُ: ﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴾ (٧٨) سَلَّمَ عَلَى نُوحٍ فِي الْعَالَمِينَ ﴿ [الصافات: ٧٨، ٧٩]، وقال: ﴿ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴾ (١٠٨) سَلَّمَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ ﴿ [الصافات: ١٠٨، ١٠٩] فالله سبحانه أعطى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ذلك، وترك له ذرية عظيمة رفيعة كريمة في الآخرين؛ إذ لم يبق من يُعرف من ذريات الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أحد تقريباً.

**رابعا؛ أعود لأؤكد:** أن النسبة لعلي عَلَيْهِ السَّلَامُ شرف عظيم لا يعلم بعظمته إلا

الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى ورسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إلا أن النسبة حين تقابل النسبة لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فلا ولا الثقلين مجتمعين..

ومع هذا، فإن عدم النسبة لعلي، هي تزكية لعلي في هذا المقام ذلك إذا كان هذا علي وهذا فضله، وإذا كان هو بهذا القرب والخصوصية من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؛

نسبًا وتربية ومعيشة في بيت واحد، وأبناء وتقاربًا ودخولًا وخروجًا.. وبهذا تصبح الرسالة واضحة؛ فإنه إذا كان علي بهذا القرب من الآل، وكان بهذا المقام بين الصحب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ، فهو الوحيد من الآل الذي اجتمع فيه النهران كرامة الآل وكرامة الصحب، ومع أنه لم يُنسب له الآل، بل لم يُنسب له أبناؤه، فكيف بغير علي؟! ألا ما أعظم مقام الآل؛ إذ ربطوا مباشرة برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتركوا ما تعارف عليه أهل الأنساب من نسبة الولد إلى أبيه، فإن هنا حمى الله، وهل أعظم من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟!!

**خامسًا: الأم الكبرى هي خديجة بنت خويلد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا؛** من حكمة الله تعالى أن أم فاطمة هي خديجة بنت خويلد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا... مع أنه لا يوجد نص واحد بنسبة الحسن والحسين إلى خديجة، إنما هي أم فاطمة وفاطمة ابنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ... فإذا لم يتواصل ذكر نسب الآل إلى الأب، وهو علي عَلَيْهِ السَّلَامُ، فأنَّى له أن يتواصل إلى الجدة وهي خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا، وهي بالنسبة لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ زوجة؟

إلا أن المَزِيَّة في خديجة أم المؤمنين... غير موجودة في أيِّ أمٍّ للمؤمنين أخرى كأمِّ لآل البيت حقيقة... فهي السابقة للإسلام في نساء العالمين.

وخديجة لها بيت؛ إذ لم يكن لأمهات المؤمنين الأخريات زواج من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولا بيت ولا شيء مطلقًا، وفاطمة عَلَيْهِ السَّلَامُ لم تدخل في صراع الضَّرَّات، فلقد توفيت عنها أمها، وهي صغيرة، فهي ابنة أبيها، وكفاها ذلك رعاية من الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى ومن رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفاطمة عَلَيْهِ السَّلَامُ بقيت هي البذرة الوحيدة التي كتب الله لها البقاء والنماء والثمار والعلو والإشهار والذرية الأبرار بين ما لا يُعَدُّ ولا يُحصى من البذر الذي بُدِر، في أراضٍ طيبة كريمة متنوعة... ألا ما أغلاها من بذرة! بل ما أعظم رعاية الله لها!

وما أعظم شبهها ببذرة هاجر عَلَيْهَا السَّلَامُ إذ لم تلد إلا إسماعيل فكان منه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكانت حماية الله سبحانه لإسماعيل عَلَيْهِ السَّلَامُ فوق قدرة كل ذي قوة وقدرة، فَمَنْ يحول بين السكين والعنق الطري في ذاك الخلاء وذاك الفضاء ولا مطالب ولا مدافع ❁ وَنَدَيْتُهُ أَنْ يَتَابِرْهِيمُ ﴿١٠٤﴾ قَدْ صَدَقْتَ الرَّؤْيَا إِنَّا كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١٠٥﴾ إِنَّكَ هَذَا لَهُوَ الْبَلْتُؤُا الْمُبِينُ ﴿١٠٦﴾ وَقَدَيْتُهُ بِذَبْحٍ عَظِيمٍ ﴿١٠٧﴾ وَتَرَكْنَا عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ ﴿١٠٨﴾ سَلَّمَ عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ ﴿١٠٩﴾ كَذَلِكَ نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ ﴿١١٠﴾ إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ ﴿١١١﴾ وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ نَبِيًّا مِنَ الصَّالِحِينَ ﴿١١٢﴾ وَبَرَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ وَمِن ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ وَظَالِمٌ لِّنَفْسِهِ مُبِينٌ ❁ [الصافات: ١٠٤-١١٣].

**سادساً: كان منتهى آل البيت إلى خديجة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا... ويأبى الله أن يترك أم**

آل البيت عَلَيْهَا السَّلَامُ بغير بيت، فلقد جعل جزاءها يناسب عطاءها لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ويناسب مقامها، فكانت بشارتها العليا بأعلى إسناد بالسلام عليها بيت في الجنة؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «أَتَى جَبْرِيلُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَذِهِ خَدِيجَةٌ قَدْ أَتَتْ، مَعَهَا إِنَاءٌ فِيهِ إِدَامٌ أَوْ طَعَامٌ أَوْ شَرَابٌ، فَإِذَا هِيَ أَتَتْكَ، فَأَقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلَامَ مِنْ رَبِّهَا وَمَنِّي، وَبَشِّرْهَا بِبَيْتٍ فِي الْجَنَّةِ مِنْ قَصَبٍ لَا صَخَبَ فِيهِ وَلَا نَصَبَ»<sup>(١)</sup>.

لأن الجزاء من جنس العمل، فناسب أن يكون جزاء أم بيت النبوة بيتاً في الجنة.. وناسب أن يكون تربية الأبناء وتحمل ضجيجهم وصخبهم هو أن لا ضجيج ولا صخب في بيت الجنة، ولما أن ماتت خديجة عن أولادها كانوا صغاراً ومات من مات قبلها صغيراً بغير شك، فعلى كل حال، فالصخب ملازم لمن ذهب ولمن بقي، فهذا بيت لأم البيت يُقدم أول الإسلام، لأول الراحلين المؤمنين والمؤمنات؛ لتكون هناك لكل الراحلين من أبنائها الذين يأتون من



بعدها.. وهذا لا يعني أن ليس لآل البيوت بيوت في الجنة، ولكن الأمر على قياسات الدنيا وأعرافها، فسعادة أم البيت الكبرى أن تجتمع ذريتها عندها هنا في بيتها ولو يومًا في الأسبوع ولو يوم الجمعة، أو متى ما أرادوا، فاليوم موجود والسعادة بحضوركم؛ ولهذا جاء في الحديث قال الإمام الذهبي: قال الشيخ قال عز الدين أبو الحسن ابن الأثير: «خديجة أول خلق الله أسلم بإجماع المسلمين، لم يتقدمها رجل ولا امرأة»<sup>(١)</sup>.

إذًا فهذا يجلي حقيقة أن اللبنة الأولى للإسلام كله إنما هي لبنة آل البيت لأنها الأسرة الأولى، وحجر الأساس في صرح الإسلام، ولو أن الصديق رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ - فرضًا - سبق خديجة إلى الإسلام لاختلف الأمر، فبدخول خديجة أصبحت اللبنة الأولى وتم وضعها في موضعها الأول للمجتمع المسلم، بل للأمة المسلمة إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها، إنها لبنة آل البيت، وهذا يدخل في قول ابن عباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: فَعَنْ أَبِي مَعْبِدٍ قَالَ: قُلْتُ لَهُ: سَمِعْتَ ابْنَ عَبَّاسٍ، يَذْكُرُ فِي الْمَهْدِيِّ شَيْئًا؟ قَالَ: نَعَمْ سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «وَاللَّهِ لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا يَوْمٌ لَخْتَمَ اللَّهُ بِنَا هَذَا الْأَمْرَ، كَمَا فَتَحَهُ»، وَقَالَ: «بِنَا فَتَحَ هَذَا الْأَمْرَ وَبِنَا يُخْتَمُ»<sup>(٢)</sup>، «إِنِّي لَأَرْجُو أَلَّا تَذْهَبَ الْأَيَّامُ وَاللَّيَالِي، حَتَّى يَبْعَثَ اللَّهُ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ غُلَامًا شَابًّا حَدَثًا، لَمْ تَلْبَسْهُ الْفِتْنُ، وَلَمْ يَلْبَسْهَا، يُقِيمُ أَمْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ، كَمَا فَتَحَ اللَّهُ هَذَا الْأَمْرَ بِنَا، فَأَرْجُو أَنْ يَخْتِمَهُ اللَّهُ بِنَا». قَالَ أَبُو مَعْبِدٍ: فَقُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ: أَعَجَزْتَ عَنْهُ شَيْئًا تَرَجُّوهُ لِشَبَابِكُمْ؟ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ يَقُولُ مَا يَشَاءُ»<sup>(٣)</sup>.

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي (١/١٠٢).

(٢) السنن الوارد في الفتن لأبي عمرو الداني (٥٥٨)، وقال محققه الدكتور رضاء الله محمد إدريس المباركفوري: هو موقوف، ورجال إسناده ثقات.

(٣) السنن الوارد في الفتن لأبي عمرو الداني (٥٥٩)، وقال محققه: وفي إسناده المؤلف إبراهيم ابن بشار، له أوهام، وله طريق آخر، وتقدم قبله، وباجتماع الطرفين يصح الأثر موقوفًا.

وكان ذاك البيت يكبر والزوجات يزددن، ولكن تبقى صاحبة البيت الأولى خديجة؛ لأن بيوتات النبوة كلها لم تورث ولدًا إلا البيت الأول لذا روت أم المؤمنين عائشة رَضِيَ اللهُ عَنْهَا كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذَا ذَكَرَ خَدِيجَةَ، أَتَنَى عَلَيْهَا، فَأَحْسَنَ الثَّنَاءِ، قَالَتْ: فَعِرْتُ يَوْمًا، فَقُلْتُ: مَا أَكْثَرَ مَا تَذْكُرُهَا حَمْرَاءَ الشَّدَقِ، قَدْ أَبَدَلَكِ اللهُ عَزَّجَلَّ بِهَا خَيْرًا مِنْهَا، قَالَ: «مَا أَبَدَلَنِي اللهُ عَزَّجَلَّ خَيْرًا مِنْهَا، قَدْ آمَنْتُ بِي؛ إِذْ كَفَرَ بِي النَّاسُ، وَصَدَّقْتَنِي؛ إِذْ كَذَّبَنِي النَّاسُ، وَوَأَسْتَنِي بِمَالِهَا؛ إِذْ حَرَمَنِي النَّاسُ، وَرَزَقَنِي اللهُ عَزَّجَلَّ وَلَدَهَا؛ إِذْ حَرَمَنِي أَوْلَادَ النِّسَاءِ»<sup>(١)</sup>.

وَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: «كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ - إِذَا ذَكَرَ خَدِيجَةَ لَمْ يَسْأَمْ مِنْ ثَنَاءِ عَلَيْهَا وَاسْتِغْفَارِ لَهَا، فَذَكَرَهَا ذَاتَ يَوْمٍ، فَحَمَلْتَنِي الْغَيْرَةَ فَقُلْتُ لَقَدْ عَوَّضَكَ اللهُ مِنْ كَبِيرَةِ السِّنِّ، قَالَتْ: فَرَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ غَضِبَ غَضَبًا شَدِيدًا، فَسَقَطَتْ فِي يَدِي، فَقُلْتُ: اَللَّهُمَّ إِنَّكَ إِنِ أَذْهَبْتَ بِغَضَبِ رَسُولِكَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ لَمْ أَعُدْ لِذِكْرِهَا بِسُوءٍ مَا بَقِيَتْ، قَالَتْ: فَلَمَّا رَأَى رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ مَا لَقِيتُ قَالَ: «كَيْفَ قُلْتِ؟! وَاللهِ لَقَدْ آمَنْتُ بِي؛ إِذْ كَفَرَ النَّاسُ، وَأَوْتِنِي إِذْ رَفَضَنِي النَّاسُ، وَصَدَّقْتَنِي؛ إِذْ كَذَّبَنِي النَّاسُ، وَرَزَقْتَنِي مِنَ الْوَلَدِ حَيْثُ حُرِّمْتُمُوهُ»، قَالَتْ: فَعَدَا وَرَاحَ عَلَيَّ بِهَا شَهْرًا»<sup>(٢)</sup>.

ويجب أن نعلم أن معنى قوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هو الدليل على مقصود البيت، وأن خديجة حقًا هي الأم الكبرى لآل البيت، فليس المقصود بقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «وَرَزَقَنِي اللهُ عَزَّجَلَّ وَلَدَهَا» يعني: الذكور، بل الولد هو الابن والابنة، الذكر والأنثى على حدٍّ سواء، لذا كان الولد المقصود هو جميع أولادها ذكورًا وإناثًا.. وكان الولد الباقي الذي كانت منه الذرية إنما هي فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ.

(١) رواه أحمد (٢٤٨٦٤)، وقال الأرنبوط: حديث صحيح.

(٢) سير أعلام النبلاء (١/١٩٥)، وقال الأرنبوط: إسناده حسن.



### سابعاً : وهكذا حماهم الله حين أفرد الذرية من فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ :

فَمَنْ يَحْمِي الْبِنْتَ مِثْلَ أَبِيهَا؟ وَمَنْ تَمَّ، فَحِمَايَةُ الذَّرِيَّةِ مِنْ حِمَايَةِ فَاطِمَةَ عِنْدَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ... وَحِمَايَةُ هَؤُلَاءِ الْكِرَامِ جَمِيعًا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي ضِمَانِ اللَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ، هَكَذَا عَلَّمَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كَيْفَ نَبْنِي الْبِنَاءَ الْمُنْطَقِيَّ؛ فَقَالَ: «مَنْ أَطَاعَنِي فَقَدْ أَطَاعَ اللَّهَ، وَمَنْ عَصَانِي فَقَدْ عَصَى اللَّهَ، وَمَنْ يُطِيعِ الْأَمِيرَ فَقَدْ أَطَاعَنِي وَمَنْ يَعْصِرِ الْأَمِيرَ فَقَدْ عَصَانِي، وَإِنَّمَا الْإِمَامُ جُنَّةٌ يُقَاتَلُ مِنْ وَرَائِهِ وَيُتَّقَى بِهِ، فَإِنْ أَمَرَ بِتَقْوَى اللَّهِ وَعَدَلَ، فَإِنَّ لَهُ بِذَلِكَ أَجْرًا، وَإِنْ قَالَ بِغَيْرِهِ، فَإِنَّ عَلَيْهِ مِنْهُ»<sup>(١)</sup>، وَقَالَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَاطِمَةُ بَضْعَةٌ مِنِّي، فَمَنْ أَغْضَبَهَا أَغْضَبَنِي»<sup>(٢)</sup>.

ونحن حين نقول هذا لا نقوله؛ إلا لأن النسبة من بعد ذلك، إنما تنتهي لرَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، ولأن الأنساب الأخرى لقربى النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ليست محفوظة، كما حفظ الله النسبة لمن جاء من فاطمة حصراً، ولأن في حفظ النسب من فاطمة والحسن والحسين تحقق وعد الله عَزَّجَلَّ: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ٤] أكثر، ثم إنها هي الأصل في انتساب السلالات الأخرى، وهذا ما لا يمكن أن يقوم مقامه فرع من الأنساب آخر، ولو كان أولئك الأبناء من العم أو ابن العم أو الأخ أو نحو ذلك، وخصوصاً وأن الله عَزَّجَلَّ حصر الخطاب وخصه بقوله: ﴿لَكَ ذِكْرَكَ﴾.

وَمَنْ لَمْ يَقْدِرْ هَذَا الْأَمْرَ قَدْرَهُ، فَلْيَتَصَوَّرْ: مَاذَا لَوْ لَمْ يَأْتِ مِنْ فَاطِمَةَ الْحَسَنِ وَالْحُسَيْنِ وَغَيْرِهِمَا أَبَدًا؟!

**ثامناً:** «إِنَّ ابْنِي هَذَا»: وَلِنَعِدِ النَّظْرَ الْآنَ ثَانِيَةً فِي حَدِيثِ إِجْلَاسِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مَلْتَقِطِينَ بَعْضَ إِشَارَاتِهِ الْعَظِيمَةِ الَّتِي تَتَعَلَّقُ بِمَوْضُوعِنَا هَذَا؛

(١) رواه البخاري (٢٩٥٧).

(٢) أخرجه البخاري (٣٧١٤).

فمن المعلوم أن الرسول صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كان لطيفاً رفيقاً بالأطفال، حتى إنه كان يحملهم في صلاته، ولكنه في هذا الحديث فعل شيئاً أكثر من كل ذلك فلتتدبر؛ فَعَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْمَنْبَرِ، وَالْحَسَنُ ابْنُ عَلِيٍّ إِلَى جَنْبِهِ، وَهُوَ يُقْبَلُ عَلَى النَّاسِ مَرَّةً وَعَلَيْهِ أُخْرَى، وَيَقُولُ: «إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللهُ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِتْنَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ»<sup>(١)</sup>.

وَعَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُحَدِّثُنَا يَوْمًا وَالْحَسَنُ ابْنُ عَلِيٍّ فِي حِجْرِهِ، فَيُقْبَلُ عَلَى أَصْحَابِهِ، فَيُحَدِّثُهُمْ، ثُمَّ يُقْبَلُ عَلَى الْحَسَنِ، فَيَقْبَلُهُ، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ ابْنِي هَذَا لَسَيِّدٌ، إِنْ يَعِشَ يُصْلِحَ بَيْنَ طَائِفَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ»<sup>(٢)</sup>.

وَعَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يُصَلِّي بِالنَّاسِ، وَكَانَ الْحَسَنُ ابْنُ عَلِيٍّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا يَثْبُ عَلَى ظَهْرِهِ إِذَا سَجَدَ، فَفَعَلَ ذَلِكَ غَيْرَ مَرَّةٍ، فَقَالُوا لَهُ: وَاللهِ إِنَّكَ لَتَفْعَلُ بِهِذَا شَيْئًا مَا رَأَيْنَاكَ تَفْعَلُهُ بِأَحَدٍ. قَالَ الْمُبَارَكُ: فَذَكَرَ شَيْئًا، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَسَيُصْلِحُ اللهُ بِهِ بَيْنَ فِتْنَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ»<sup>(٣)</sup>. فَقَالَ الْحَسَنُ: فَوَاللهِ وَاللهِ، بَعْدَ أَنْ وَلِيَّ لَمْ يَهْرَقْ فِي خِلَافَتِهِ مِلْءٌ مِحْجَمَةٍ مِنْ دَمٍ.

الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ أدركوا أمراً عظيماً وحكمة بالغة مقصودة هنا؛ فقالوا: إنك لتفعل شيئاً ما رأيناك تفعله بأحد، فَعَنْ أَبِي بَكْرَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: رَأَيْتُ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْمَنْبَرِ، وَالْحَسَنُ ابْنُ عَلِيٍّ إِلَى جَنْبِهِ، وَهُوَ يُقْبَلُ عَلَى النَّاسِ مَرَّةً وَعَلَيْهِ أُخْرَى، وَيَقُولُ: «إِنَّ ابْنِي هَذَا سَيِّدٌ، وَلَعَلَّ اللهُ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِتْنَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ»<sup>(٤)</sup>. هكذا فلتتعلم أن ما من شيء من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إلا ويجب أن نتدبره، موقنين بأنه يستحق التدبر؛ فالروايات الثلاث اتفقت على

(١) رواه البخاري (٢٧٠٤).

(٢) رواه أحمد (٢٠٤٧٣)، وقال الأرنبوط: حديث صحيح.

(٣) رواه أحمد (٢٠٤٨)، وقال الأرنبوط: حديث صحيح.

(٤) رواه البخاري (٢٧٠٤).



تعريف الحسن «إِنَّ ابْنِي هَذَا» لم يقل النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: إن ابن علي هذا، وقد كان قادرًا أن يقول ذلك... لكنه عرّف المعرف عندهم، وقطع به قطعاً ليبلغ الشاهد الغائب، وليبلغ أهل ذاك العصر أصحاب العصور كلّها، دون أن ينفي رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أبوة علي عَلَيْهِ السَّلَامُ للحسن عَلَيْهِ السَّلَامُ، إلا أنه أثبت المطلوب، فقال: «إِنَّ ابْنِي هَذَا»، هذا هو أصل النسب لي من الرجال، وهذا هو أول الولدين الاثنين الحسن والحسين، وهذا الذي لا يمكن لأحد أن ينازعه أو يزاحمه بأنه الأول وأخيه الثاني.

وكان النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ والحسن بجواره وهو في حجره، فيقبل على أصحابه، فيحدثهم، ويقبل على الحسن، فيقبله، نعم! قد ذكر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أنه سيصلح بين فتنتين عظيمتين من المسلمين إلا أن حكمة النظر والتدبر ثم التقبيل لا تقتصر على هذا كما أن حكمة قوله: «إِنَّ ابْنِي هَذَا» لا تقتصر على هذا.. فهذا وأخوه هما أبوا الذرية العظيمة التي يحفظ الله عزّ وجلّ ذريتي ويرفع بها ذكري، ويحفظ بتناسلها ديني، ويجعل العاقبة لهذا الدين على العالمين حين يبعث منا ولدي المهدي، في أيام يكاد الدين أن ينتهي، والعدل يختفي، والشيطان يتشي، والدجال ينتظر الإشارة ليظهر، فينتقض غزل الشيطان لعنة الله عليه حين يبعث الله عزّ وجلّ المهدي، فكان ما سنبينه هنا بإذن الله في الختام مختصرًا في الباب الرابع باب الكلمات الثلاث.

فقوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ ابْنِي هَذَا» عن الحسن باسم [هذا]، له دلالاته العظيمة في تحديد النسب إليه هو، فهو أقرب قريب من الرجال إليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وكذا أخوه الحسين عَلَيْهِ السَّلَامُ.. فمن حيث النسب إلى رسول الله هما ابنا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وهنا فهما أقرب إلى رسول الله من أبيهما علي عَلَيْهِ السَّلَامُ نسبا، وفارق القرب هو كما بيّنه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هنا؛ فهو كما بين الابن وبين ابن العم والعم وسواهما من آل البيت.

ثم إن قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ ابْنِي هَذَا» هو تأكيد على القرب، وتحقيق للبنوة وتقصد لها بقوله: «هَذَا».

وقوله: «سَيِّدٌ» «لَسَيِّدٌ»: فهو السيد، ومن يأتي من هذا سيد إلى أن يرث الله الأرض ومن عليها... فلقد ختم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بختمه «سيد» وأكده بقوله: «لَسَيِّدٌ» فمن يستطيع أن ينزع ختمه عن سيادته، وما قوله: «وَلَعَلَّ اللَّهُ أَنْ يُصْلِحَ بِهِ بَيْنَ فِئَتَيْنِ عَظِيمَتَيْنِ مِنَ الْمُسْلِمِينَ» إلا شهادة على سيادته الثابتة التي ورثها من سيد الأولين والآخرين صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

### تاسعاً: غلبة [جينات<sup>(١)</sup>] سيد الخلق صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ:

وهو أنه لا يمكن أن يكون الولد إلا أخذاً من والديه، نعم! يكون لأحدهما أشبه من الآخر، أما جيناته، فتكون مشتركة، وتكون الغلبة في الشبه لأحد الوالدين أكثر، وهذا أمر معتاد؛ وذلك لأن الزوجة من أناس آخرين، حتى لو كانت ابنة عم أو ابنة عمة أو ابنة خال الزوج أو ابنة خاله أو خالته، وهذا بعض حكمة الله؛ أن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ما جاءه ولد من زوجاته إنما جاء ولداه من ابنته فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ، من علي عَلَيْهِ السَّلَامُ فكان شبه الحسن والحسين عَلَيْهِمَا السَّلَامُ إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عجيباً، وفاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ التي ما كان أحدٌ أشبه برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ منها.

عَنْ عُقْبَةَ بْنِ الْحَارِثِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «صَلَّى أَبُو بَكْرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ الْعَصْرَ، ثُمَّ خَرَجَ يَمْشِي، فَرَأَى الْحَسَنَ يَلْعَبُ مَعَ الصَّبِيَّانِ، فَحَمَلَهُ عَلَى عَاتِقِهِ وَقَالَ: بِأَبِي شَيْبَةَ بِالنَّبِيِّ لَا شَيْبَةَ بَعَلِيَّ، وَعَلِيٌّ يَضْحَكُ»<sup>(٢)</sup>.

(١) جينات [جمع]: مفرد جينة: (حي) جزئيات مادّية دقيقة توجد في صبغيات الخلية، وإليها تُعزى الصّفات المميّزة للكائن الحيّ، وبها تفسّر قوانين مندل الوراثة؛ استطاع العلماء التحكم في بعض الجينات الوراثة لدى الحيوانات. معجم اللغة العربية المعاصرة (١/٤٢٨).

(٢) رواه البخاري (٣٥٤٢).

وعن علي قال: الحسن أشبه رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما بين الصدر إلى الرأس، والحسين أشبه النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ما كان أسفل من ذلك<sup>(١)</sup>.

وليس بعد هذه الدقة في بيان الشبه من دقة، ومَنْ أَعْلَمَ مِنْ عَلِيٍّ وَهُوَ أَبُوهُمَا عَلَيْهِمَا السَّلَامُ؟ فسبحان الله؛ فلماذا الاثنان اجتماعاً في شخص واحد هو رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فهل بعد هذا الشبه من شبه؟ ولماذا قسمة العدل كانت قدرهما وحدهما.. ولكل واحدٍ منهما عَلَيْهِمَا السَّلَامُ نصفها، كما هي قسمة الله في الإرث للولدين الذكرين يتيماً الأبوين النصف لكل واحدٍ منهما.

### عاشراً: لا ذرية إلا فاطمة عليها السلام:

ولهذا صح في البيت قول النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عن فاطمة: «بَضْعَةٌ مِنِّي» وهو ما رواه الْمُسَوِّرُ بْنُ مَخْرَمَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ؛ أَنَّهُ سَمِعَ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عَلَى الْمَنْبَرِ، وَهُوَ يَقُولُ: «إِنَّ بَنِي هِشَامِ بْنِ الْمُغِيرَةَ اسْتَأْذَنُونِي أَنْ يُنْكَحُوا ابْنَتَهُمْ عَلِيَّ بْنَ أَبِي طَالِبٍ، فَلَا آذَنُ لَهُمْ، ثُمَّ لَا آذَنُ لَهُمْ، ثُمَّ لَا آذَنُ لَهُمْ، إِلَّا أَنْ يُحِبَّ ابْنُ أَبِي طَالِبٍ أَنْ يُطَلِّقَ ابْنَتِي وَيُنْكَحَ ابْنَتَهُمْ، فَإِنَّمَا ابْنَتِي بَضْعَةٌ مِنِّي، يَرِيئِي مَا رَابَهَا، وَيُؤْذِنِي مَا آذَاهَا»<sup>(٢)</sup>.

وسبحان الله! إن هذا هو منتهى الوضوح في بيان جد آل البيت ظاهراً بيئناً لا يختلط به سواه، فلقد نسب النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ علياً رَضِيَ اللهُ عَنْهُ إلى أبيه؛ وليكون هذا هو نسب آله لكل مَنْ جاءه من زوجاته من غير فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ، فليسوا هم ذرية من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فهم أبناء علي بن أبي طالب رَضِيَ اللهُ عَنْهُ، لأنهم لم يكونوا من فلذة كبد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ. نعم؛ يبقى للأقربين من بني هاشم عامة قرابة ولا شك في ذلك؛ فَعَنْ سَعِيدِ بْنِ جَبْرِ قَالَ: أَخْبَرَنِي ابْنُ عَبَّاسٍ

(١) الطبقات الكبرى لابن سعد (٦/٣٥٨).

(٢) رواه البخاري - الفتح ٩ (٥٢٣٠)، ومسلم (٢٤٤٩) واللفظ له.

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّ رَجُلًا وَقَعَ فِي أَبِي كَانَ لَهُ فِي الْجَاهِلِيَّةِ، فَلَطَمَهُ الْعَبَّاسُ، فَجَاءَ قَوْمُهُ، فَقَالُوا: لِيَطْمَنَّهُ كَمَا لَطَمَهُ، فَلَبَسُوا السَّلَاحَ، فَبَلَغَ ذَلِكَ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَصَعِدَ الْمُنْبِرَ فَقَالَ: «أَيُّهَا النَّاسُ! أَيُّ أَهْلِ الْأَرْضِ تَعْلَمُونَ أَكْرَمَ عَلَى اللَّهِ عَزَّوَجَلَّ؟» فَقَالُوا: أَنْتَ، فَقَالَ: «إِنَّ الْعَبَّاسَ مِنِّي وَأَنَا مِنْهُ، لَا تُسَبُّوا مَوْتَانَا، فَتُؤْذُوا أَحْيَاءَنَا»، فَجَاءَ الْقَوْمُ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ غَضَبِكَ، اسْتَغْفِرْ لَنَا<sup>(١)</sup>، ومع هذا فإن العباس رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ احتاج هنا إلى تخصيص، وإلا فإن الآل والبيت مرتبط برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كما أجاب هؤلاء الصحابة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَجَاءَ الْقَوْمُ، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، نَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ غَضَبِكَ، اسْتَغْفِرْ لَنَا.

وهنا أعود لأؤكد على أن علياً لولا زواجه من فاطمة لما انطبق عليه مصطلح آل البيت بالفهم المخصوص لآل البيت، فإن الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قد فرق بين علي عليه السلام وبين فاطمة ونسب علياً إلى أبيه وسماه ابن أبي طالب.. لو أنه اختار الزواج من غيرها لانقطع هذا الحبل الجامع مع آل البيت.

وأمر آخر في ثبات قوة الشبه وقوة الارتباط بين آل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وبين النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أثبت النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في هذا الحديث الكبير الكريم؛ أن فاطمة بضعة منه، فهو أكبر في حمل الجينات للذراري من مجرد الزواج، وأنها قطعة منه، وهذا ما يسمى بتطابق البصمات الوراثية، وهذا ما لا يكون في غيرها من الذراري؛ لأن الأزواج غير الزوجات، ولأن الزوجات لسن من الأزواج، أما فاطمة، فهي من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ظاهراً وباطناً خلقاً وخلقاً، فكان الحسن والحسين وذرياتهما كذلك.

ويبقى من أدلة التخصيص لذرية النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وآل بيته لفاطمة وذريتها وخروج حتى زوجاته، كما في حديث الكساء، وهكذا يخرج الأعمام وأبناؤهم.

فَعَنْ صَفِيَّةَ بِنْتِ شَيْبَةَ قَالَتْ: قَالَتْ عَائِشَةُ: «خَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عِدَاةً وَعَلَيْهِ مِرْطٌ مُرَحَلٌ<sup>(١)</sup> مِنْ شَعْرٍ أَسْوَدَ، فَجَاءَ الْحَسَنُ بْنُ عَلِيٍّ، فَأَدْخَلَهُ، ثُمَّ جَاءَ الْحُسَيْنُ، فَدَخَلَ مَعَهُ، ثُمَّ جَاءَتْ فَاطِمَةُ، فَأَدْخَلَهَا، ثُمَّ جَاءَ عَلِيُّ، فَأَدْخَلَهُ، ثُمَّ قَالَ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ [الأحزاب: ٣٣]»<sup>(٢)</sup>.

وَعَنْ عُمَرَ بْنِ أَبِي سَلَمَةَ رَيْبِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ هَذِهِ الْآيَةُ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾ فِي بَيْتِ أُمِّ سَلَمَةَ، فَدَعَا فَاطِمَةَ وَحَسَنًا وَحُسَيْنًا، فَجَلَّلَهُمْ بِكِسَاءٍ وَعَلِيٍّ خَلْفَ ظَهْرِهِ فَجَلَّلَهُ بِكِسَاءٍ، ثُمَّ قَالَ: «اللَّهُمَّ هَؤُلَاءِ أَهْلُ بَيْتِي، فَأَذْهِبْ عَنْهُمْ الرِّجْسَ وَطَهِّرْهُمْ تَطْهِيرًا». قَالَتْ أُمُّ سَلَمَةَ: وَأَنَا مَعَهُمْ يَا نَبِيَّ اللَّهِ، قَالَ: «أَنْتِ عَلَى مَكَانِكِ، وَأَنْتِ عَلَى خَيْرٍ»<sup>(٣)</sup>.

فأم سلمة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا قطعاً من الأهل وأمهات المؤمنين، وكل هذا بنص القرآن، لكن هنا الحديث عن الذرية وحصراً من فاطمة، وما دخل علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ إلا لأنه زوج فاطمة ابنة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وإلا لكان الأولي أن يدخل أعمامه، ومثله أبناء أعمامه الآخرين.

عن مدرك بن عمار قال: «رأيت ابن عباس أخذاً بركاب الحسن والحسين، فقيل له: أتأخذ بركابهما وأنت أسنُّ منهما؟! فقال: إن هذين ابنا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أو ليس من سعادتني أن أخذ بركابهما؟!»<sup>(٤)</sup>.

وقد بيَّنا بحمد الله الكثير من الأدلة على اختصاص ذريته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بهذا والحمد لله رب العالمين.

(١) مرط مرحل: أي فيه صور الرِّحَال.

(٢) رواه مسلم (٢٤٢٤).

(٣) رواه الترمذي (٣٢٠٥)، وقال: هذا حديث غريب من هذا الوجه، وصححه الألباني.

(٤) تاريخ دمشق (١٤/١٧٩).





## الباب الرابع

### الثمرة العظمى لآل في الختام

### الكلمات الثلاث الأخيرة لكم على العالمين



#### المقدمة:

وإنما نختم باختصار شديد بثلاث كلمات ونُبينها مما ذكره رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عنها: أما الأولى فهو اسمه المهدي، وأما الثانية: فاسمه [خليفة الله]، وأما الثالثة: فهي [تكرمة الله هذه الأمة]، ولن أذهب هنا وهناك من علامات الساعة وما ورد في تفاصيلها ومواقيتها وكيفيات حدوثها، فلعل في تحديد الكلمات بثلاث فوائد: أولاها: لضبط الأمر عن الإسهاب، وثانيها: إن هذا البيان المختصر سوف يفك مغاليق عدة في تلك الأحداث القادمة وأسرارها، والثالثة: وهو الأكثر أهمية، وهو عظمة مقام آل البيت ودورهم الأعظم في آخر هذه الأمة بيان كلمات ثلاث فقط، وهل المهدي إلا ابن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. إِنَّ مَنْ يَتَحَدَّثُ عَنِ آلِ الْبَيْتِ ثُمَّ هُوَ لَا يَذْكُرُ أَكْثَرَ مَنْ ذَكَرَهُ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ مِنْ رَجَالَاتِ آلِ الْبَيْتِ بَعْدَ الصَّحَابَةِ مِنْ آلِ الْبَيْتِ، فَلِكأنه يَفْرُقُ مَا بَيْنَ الْأُمِّ وَوَلِيدِهَا، أَوْ كأنه حَرَقَ الشَّجَرَةَ مِنْ أَصْلِهَا بَعْدَمَا أَثْمَرَتْ وَدَنَا ثَمَرِهَا، وَإِنِّي وَاللَّهِ لَأَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ قَدْ كَتَبَ لِلأُمَّةِ الْعَاقِبَةِ وَكَتَبَ الْعَاقِبَةَ تَحْتَ لُؤَاءِ آلِ بَيْتِ نَبِيِّهَا صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.. وَكَتَبَهُ لِلْمَهْدِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ.. وَرَبَطَ الْآخِرَةَ بِالأُولَى.. فَكَمَا كَانَتِ الْأُمَّةُ وَهِيَ الْأَصْلُ وَالتَّاسِيسُ، فَلَا بَدَّ أَنْ تَكُونَ الْآخِرَةَ لآلِ الْبَيْتِ، كَمَا فِي حَدِيثِ ابْنِ عَبَّاسٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا؛ فَعَنْ أَبِي مَعْبِدٍ قَالَ: قُلْتُ لَهُ: سَمِعْتَ ابْنَ عَبَّاسٍ

يَذْكُرُ فِي الْمَهْدِيِّ شَيْئًا؟ قَالَ: نَعَمْ! سَمِعْتُهُ يَقُولُ: «وَاللَّهِ لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا يَوْمٌ لَحَتَمَ اللَّهُ بِنَا هَذَا الْأَمْرَ، كَمَا فَتَحَهُ، وَقَالَ: بِنَا فَتِحَ هَذَا الْأَمْرُ وَبِنَا يُخْتَمُ»<sup>(١)</sup>، «إِنِّي لَأَرْجُو أَلَّا تَذْهَبَ الْأَيَّامُ وَاللَّيَالِي، حَتَّى يَبْعَثَ اللَّهُ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ غُلَامًا شَابًا حَدِيثًا لَمْ تَلْبَسْهُ الْفِتْنُ، وَلَمْ يَلْبَسْهَا، يُقِيمُ أَمْرَ هَذِهِ الْأُمَّةِ، كَمَا فَتَحَ اللَّهُ هَذَا الْأَمْرَ بِنَا، فَأَرْجُو أَنْ يَخْتِمَهُ اللَّهُ بِنَا». قَالَ أَبُو مَعْبِدٍ: فَقُلْتُ لِابْنِ عَبَّاسٍ: أَعَجَزْتَ عَنْهُ شَيْوُخُكُمْ تَرْجُوهُ لِشَبَابِكُمْ؟ قَالَ: «إِنَّ اللَّهَ عَزَّجَلَّ يَقُولُ مَا يَشَاءُ»<sup>(٢)</sup>.

وهذه الكلمات الثلاث ثابتة عن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهي مجموعة في حديثين؛ أما الحديث الأول، فمنه كلمتان، وهو ما رواه ثوبان رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «يُقْتَلُ عِنْدَ كَنْزِكُمْ ثَلَاثَةٌ، كُلُّهُمْ ابْنُ خَلِيفَةٍ، ثُمَّ لَا يَصِيرُ إِلَى وَاحِدٍ مِنْهُمْ، ثُمَّ تَطْعُ الرَّاياتُ السُّودَ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ، فَيُقْتَلُونَكُمْ قَتْلًا لَمْ يُقْتَلْهُ قَوْمٌ» - ثُمَّ ذَكَرَ شَيْئًا لَا أَحْفَظُهُ - فَقَالَ: «فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ، فَبَايِعُوهُ، وَلَوْ حَبْوًا عَلَى الثَّلَجِ، فَإِنَّهُ خَلِيفَةُ اللَّهِ الْمَهْدِيُّ»<sup>(٣)</sup>، أما الحديث الثاني فهو عن جَابِرِ ابْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لَا تَرَأَى طَائِفَةً مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى الْحَقِّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، قَالَ: فَيَنْزِلُ عَيْسَى ابْنُ مَرْيَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ: تَعَالَى صَلِّ لَنَا، فَيَقُولُ: لَا، إِنْ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أُمَّرَاءَ، تَكْرِمَةَ اللَّهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ»<sup>(٤)</sup>.

(١) السنن الوارد في الفتن لأبي عمرو الداني (٥٥٨)، وقال محققه الدكتور رضاء الله محمد إدريس المباركفوري: هو موقوف، ورجال إسناده ثقات.

(٢) السنن الوارد في الفتن لأبي عمرو الداني (٥٥٩)، وقال محققه: وفي إسناده المؤلف إبراهيم ابن بشار له أوهام، وله طريق آخر، وتقدم قبله، وباجتماع الطريقين يصح الأثر موقوفًا.

(٣) أخرجه ابن ماجه (٤٠٨٤)، وقال ابن كثير في النهاية ص (٢٦): تفرد به ابن ماجه، وهذا إسناده قوي صحيح، وقال البوصيري في زوائده (١٤٤٢): هذا إسناده صحيح، رجاله ثقات، ورواه الحاكم (٨٤٣٢)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرَطِ الشَّيْخَيْنِ، ووافقه الذهبي.

(٤) رواه مسلم (١٥٦).

## الكلمة الأولى: المهدي عليه السلام



**أولاً: لماذا كان المهدي عليه السلام؟**

**والجواب: أولاً: لأنه بشر به التبشير صلى الله عليه وآله وسلم<sup>(١)</sup>:**

لقد شرع النبي صلى الله عليه وآله وسلم التبشير بالمهدي منذ أيامه صلى الله عليه وآله وسلم... فقال صلى الله عليه وآله وسلم: «أبشركم بالمهدي» فليستبشر العباد به، فإنها السنة، وليتواصل التبشير به، فإن ذلك كذلك سنة، ويزدد الناس هذه الأيام تبشيراً، به فذلك أولى وألزم ما يكون اليوم حفاظاً على الإيمان والأمل وإبعاداً لليأس والقنوط في زمن الفتن والضياع، والله يقول: ﴿إِنَّهُ لَا يَأْتِسُّ مِنْ رَوْحِ اللَّهِ إِلَّا الْقَوْمُ الْكَافِرُونَ﴾ [يوسف: ٨٧]، كيف والمؤمنون يشهدون بأن العلامة الفاصلة ما بين العلامات الصغرى والكبرى إنما هو المهدي؟ بل هو العلامة الرابطة، وأن العلامات الصغرى تكاد تكون قد انتهت، وليشتد التبشير به الآن، فإن ما بشر به النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد أظلنا زمانه وحضر أوانه.

وهنا ينبغي أن نتوقف لنعرف ماذا عن المهدي متقيدين بما ورد، وإن أعظم ما نستنبط منه هنا، إنما هي أحاديث النبي صلى الله عليه وآله وسلم، وأولها تسمية النبي صلى الله عليه وآله وسلم له بـ [المهدي] هذا الاسم المجمع عليه، وبما أن البحث مخصص لآل البيت، فلا يمكن أن نتجاوز المهدي عليه السلام، فإنه الدررة المجمع

(١) أرجو التنبه هنا: أن كل نقطة من النقاط الكثيرة في الكلمات الثلاث عليها دليلها ولها تعليلاً.. فلا تشغلنك نقطة عن أخرى.. أو تقرأ عنوانها دون أن تكمل شرحها، فلربما فاتك معرفة الدليل وفاتك التعليل.. فيفوت سر جديد في كل نقطة، وهذه الملاحظة لهذا الباب كاملاً.. والحمد لله رب العالمين.

عليها من آل البيت بعد عليٍّ والحسن والحسين عَلَيْهِمُ السَّلَامُ... وإن تاريخ الأمة العتيد ومستقبلها الجديد السعيد، وموعودها المنتظر وختامها الأنعم المنتظر هو ما وردت فيه أحاديث بلغت حدَّ التواتر، والتي أخذت حَقَّها من الرواية والتحقيق... لكنها لم تأخذ حظها من الاستنباط والتنزيل على الواقع من غير تعسُّف ولا تكلف.

ومن حقنا هو أن نتداول بشارة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بيننا... بل (إننا) لا أدري (فلعلهُ) لزامًا علينا اليوم أن ننشر هذه البشري ما استطعنا إلى ذلك سبيلًا.. وإلا لِمَ بَشَّرَها رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هل نكتمها؟! ألم يبشر بها الأولين حتى ظن البعض أنه عمر بن عبد العزيز كما ورد في الحديث؟ فكيف ونحن نرى العلامات الواضحات البيئات وأنا أظننا زمانه... ولربما يدرك هذا الكتاب قبل أنتهي من مراجعته هذه وهي تحمل المراجعة رقم (١٢)، والله أعلم، ثم هل للأمة اليوم من حاجة لحفظ مثل حاجتها للتثبيت، وقد قال الله عَزَّوَجَلَّ لرسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَكَلَّا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الرُّسُلِ مَا نُثَبِّتُ بِهِ فُؤَادَكَ وَجَاءَكَ فِي هَذِهِ الْحَقُّ وَمَوْعِظَةٌ وَذِكْرَى لِلْمُؤْمِنِينَ﴾ [هود: ١٢٠]، ثم ما هو السبيل الذي يمكن للأمة أن تتخذه ولم تتخذه؟ ألم يسقط في أيدي الجميع، حتى هذه الصولة العزوم، فإنها سوف تؤتي ثمارها بإذن الله قطعًا ببعث المهدي الذي هو [أمر الله]، وهذا هو الموعد، وإنهم أعلم الناس بهذا، وهو ما صح في الحديث عَنْ أَبِي أَمَامَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي عَلَى الدِّينِ ظَاهِرِينَ، لَعَدُوَّهُمْ قَاهِرِينَ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ إِلَّا مَا أَصَابَهُمْ مِنْ لَأَوَاءَ، حَتَّى يَأْتِيَهُمْ أَمْرُ اللهِ وَهُمْ كَذَلِكَ»، قالوا: يَا رَسُولَ اللهِ، وَأَيْنَ هُمْ؟ قَالَ: «بَيْتِ الْمَقْدِسِ، وَأَكْنَافِ بَيْتِ الْمَقْدِسِ»<sup>(١)</sup>.

(١) رواه أحمد (٢٢٣٢٠)، وقال الأرنبوط: حديث صحيح لغيره دون قوله: «قالوا: يا

رسول الله، وأين هم... إلخ».



وأمر آخر عظيم؛ وهو أن كل مؤمن يسمع ما يسمع عن المهدي وقربه سوف يشهد الله عزَّجَلَّ فيما بينه وبين نفسه أو مع خاصته؛ أن يبايع له، فإنه وإن مات، فالأعمال بالنيات، ولأن بيعة المهدي بيعة الله، وكما ذكر عن نَوْفٍ، قَالَ: «رَأَيْتُ الْمَهْدِيَّ فِيهَا مَكْتُوبٌ: الْبَيْعَةُ لِلَّهِ»<sup>(١)</sup>، ولقد ثبت أن زيد بن نفييل كان يبحث عن نبي قد أظل زمانه وأوصاه راهب الشام أن يرجع بين قومه إلى مكة، فرجع، لكنه قتله قطاع الطرق، وكان قد أوصى ولده سعيداً وهو أحد المبشرين بالجنة إلى النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وسأله عن أبيه، وقد مات قبل الإسلام، ولم يشهد الشهادتين، ومات ولم ير رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ولم يعرفه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.. وليس عنده ثمة شيء إلا بيعته له وشهادته له بالرسالة قبل الرسالة، فقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كما في الحديث عَنْ نَفِيلِ بْنِ هِشَامِ بْنِ سَعِيدِ بْنِ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو بْنِ نَفِيلٍ، عَنْ أَبِيهِ، عَنْ جَدِّهِ، قَالَ: كَانَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بِمَكَّةَ هُوَ وَزَيْدُ بْنُ حَارِثَةَ، فَمَرَّ بِهِمَا زَيْدُ ابْنُ عَمْرِو بْنِ نَفِيلٍ، فَدَعَاهُ إِلَى سَفَرَةٍ لَهُمَا، فَقَالَ: يَا بْنَ أَخِي، إِنِّي لَا أَكُلُ مِمَّا ذُبِحَ عَلَى النَّصْبِ. قَالَ: فَمَا رُئِيَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعْدَ ذَلِكَ أَكَلَ شَيْئًا مِمَّا ذُبِحَ عَلَى النَّصْبِ. قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّ أَبِي كَانَ كَمَا قَدْ رَأَيْتَ وَبَلَغَكَ، وَكَلَّوْا أَدْرَكَكَ لَأَمِّنَ بِكَ وَاتَّبَعَكَ، فَاسْتَغْفِرْ لَهُ. قَالَ: «نَعَمْ! فَاسْتَغْفِرْ لَهُ، فَإِنَّهُ يُبْعَثُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أُمَّةً وَحْدَهُ»<sup>(٢)</sup>.

وَعَنْ عَامِرِ بْنِ رَبِيعَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: فَلَمَّا أَسْلَمْتُ، أَخْبَرْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَوْلَ زَيْدِ بْنِ عَمْرِو، وَأَقْرَأْتُهُ مِنْهُ السَّلَامَ، فَرَدَّ عَلَيْهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَتَرَحَّمَ عَلَيْهِ، وَقَالَ: «قَدْ رَأَيْتُهُ فِي الْجَنَّةِ يَسْحَبُ ذُبُولًا»<sup>(٣)</sup>.

ومثل قصة زيد بن عمرو بن نفييل، بل أعجب منها قصة تبع اليماني، فإنها

(١) السنن الواردة في الفتن للداني (٥٨٣).

(٢) رواه أحمد (١٦٤٨)، وصححه أحمد شاكر.

(٣) تخريج سير أعلام النبلاء (١/١٣١)، وضعفه الأرنؤوط.

أكثر عجبًا، وأبعد في التاريخ قديمًا، وقصته مشهورة في التاريخ، وورد فيها عدة أحاديث منها ما هو موقوف، ومنها ما هو مرفوع وحسن، ومن ذلك الحديث الذي رواه سهل بن سعد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لَا تَسُبُّوا تَبِعًا، فَإِنَّهُ قَدْ كَانَ أَسْلَمَ»<sup>(١)</sup>.

وهو القائل:

شَهِدْتُ عَلَى أَحْمَدٍ أَنَّهُ رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ بَارِي النَّسَمِ  
فَلَوْ مَدَّ عُمَرِي إِلَى عُمَرِهِ لَكُنْتُ وَزِيرًا لَهُ وَابْنَ عَمِّ  
وَجَاهَدْتُ بِالسَّيْفِ أَعْدَاءَهُ وَفَرَّجْتُ عَنْ صَدْرِهِ كُلَّ غَمٍّ  
وَأَلْزَمْتُ طَاعَتَهُ كُلَّ مَنْ عَلَى الْأَرْضِ مِنْ عَرَبٍ أَوْ عَجَمٍ<sup>(٢)</sup>  
وكانت عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا تقول: لَا تَسُبُّوا تَبِعًا، فَإِنَّهُ كَانَ رَجُلًا صَالِحًا<sup>(٣)</sup>.

وعن عبد الله بن سلام قال: لَمْ يَمُتْ تَبِعٌ حَتَّى صَدَّقَ بِالنَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لِمَا كَانَ يَهُودٌ يَثْرِبُ يُخْبِرُونَهُ، وَأَنَّ تَبِعًا مَاتَ مُسْلِمًا<sup>(٤)</sup>.

وهو - والله أعلم - أبو كرب الذي كسا البيت بعد ما أراد غزوه، وبعد ما غزا المدينة وأراد خرابها، ثم انصرف عنها لما أخبر أنها مهاجر نبي اسمه أحمد. وَقَالَ شِعْرًا أَوْدَعَهُ عِنْدَ أَهْلِهَا، فَكَانُوا يَتَوَارَثُونَهُ كَابِرًا عَنْ كَابِرٍ إِلَى أَنْ

(١) رواه أحمد (٢٢٨٨٠)، والطبراني في الكبير (٦٠١٣)، والأوسط (١٤١٩)، وقال الأرنؤوط: حسن لغيره.

(٢) البداية والنهاية (٣/١٢٩-١٣٠).

(٣) تفسير الطبري (٢١/٥٠)، وذكره ابن كثير (٧/٢٤٤)، وعزاه السيوطي في الدر المنثور (٣١/٦) إلى المصنف وعبد بن حميد.

(٤) طبقات ابن سعد (١/١٥٨) وما بعدها، سيرة ابن إسحاق ص (٢٩-٣٣) تحقيق محمد حميد الله، تفسير البغوي (٤/١١٧-١١٩)، وعزاه السيوطي إلى أبي نعيم في الدلائل.

هَاجَرَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَدَّوهُ إِلَيْهِ. وَيُقَالُ: كَانَ الْكِتَابُ وَالشَّعْرُ عِنْدَ أَبِي أَيُّوبَ الْأَنْصَارِيِّ خَالِدِ بْنِ زَيْدٍ<sup>(١)</sup>.

وَرَوَى ابْنُ إِسْحَاقَ وَغَيْرُهُ؛ أَنَّهُ كَانَ فِي الْكِتَابِ الَّذِي كَتَبَهُ: (أَمَّا بَعْدُ: فَإِنِّي آمَنْتُ بِكَ وَبِكِتَابِكَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ، وَأَنَا عَلَى دِينِكَ وَسُنَّتِكَ، وَأَمَنْتُ بِرَبِّكَ وَرَبِّ كُلِّ شَيْءٍ، وَأَمَنْتُ بِكُلِّ مَا جَاءَ مِنْ رَبِّكَ مِنْ شَرَائِعِ الْإِسْلَامِ، فَإِنِ أَدْرَكْتُكَ فِيهَا وَنِعْمَتٌ، وَإِنِ لَمْ أَدْرِكْكَ فَاشْفَعْ لِي وَلَا تَنْسِنِي يَوْمَ الْقِيَامَةِ، فَإِنِّي مِنْ أُمَّتِكَ الْأَوَّلِينَ وَبَايَعْتُكَ قَبْلَ مَجِيئِكَ، وَأَنَا عَلَى مِلَّتِكَ وَمِلَّةِ أَبِيكَ إِبْرَاهِيمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ). ثُمَّ خَتَمَ الْكِتَابَ وَنَقَشَ عَلَيْهِ: ﴿لِلَّهِ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمَنْ بَعْدُ﴾ [الروم: ٤]. وَكَتَبَ عَلَى عُنْوَانِهِ: (إِلَى مُحَمَّدِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ نَبِيِّ اللَّهِ وَرَسُولِهِ، خَاتَمِ النَّبِيِّينَ وَرَسُولِ رَبِّ الْعَالَمِينَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ. مِنْ تَبَعِ الْأَوَّلِ)<sup>(٢)</sup>.

وَكَانَ مِنَ الْيَوْمِ الَّذِي مَاتَ فِيهِ تَبِعَ إِلَى الْيَوْمِ الَّذِي بُعِثَ فِيهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَلْفُ سَنَةٍ لَا يَزِيدُ وَلَا يَنْقُصُ<sup>(٣)</sup>.

**والخلاصة:** تبع اليماني رحمه الله آمن برسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قبل نحو ألف عام، وبايعه على كل ما جاء به، فقبل إيمانه وبيعته وأعظم له الأجر، وفي هذا عزاء للمؤمنين الذين يشرون الدنيا وأنهم حضروا عهد المهدي وبايعوه عند الكعبة، بل بايعوه أول ما يعلنها ... وهذا فتح عظيم لجميع المؤمنين، وعلى الأخص لنا نحن الأحياء الآن، فاللهم اشهد، اللهم تقبل.

### ثانياً: ولأنه بالمهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ تتحقق الهداية للأمة كافة؛

فإن له من اسمه [المهدي] القسط الأتم الأكمل على مستوى البشر، وإن الله

(١) البداية والنهاية (٣/ ١٢٩ - ١٣٠).

(٢) تفسير القرطبي (١٦/ ١٤٦).

(٣) المصدر السابق نفسه.

إذا سمى اسمًا كان حقيقة المسمى ذلك كاملاً لصاحبه... كيف وهذا هو الوحيد الذي حمل هذا الاسم كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «أبشركم بالمهدي»<sup>(١)</sup>.

وهداية الأمة ضرورة لهداية العالم بعد ذلك.. وإصلاح الأمة قاعدة إصلاح العالم من ورائه، وإصلاح الأمة سيكون بوقت قياسي أشبه بسرعة النور الذي يعم الوجود إذا أسفر الفجر جدًّا وابتدأت الشمس بالشروق وعلا ضحاها.. وما هذا إلا من الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى وَحْدَهُ لا شريك له، وأول مَنْ يملك العرب جميعًا تحت حكمه هو المهدي، وإن كان الأعاجم من أهل المشرق سيقون العرب، وعلى كل، فإن كل هؤلاء سوف يتوبون إلى الله جميعًا ببعث المهدي وسيتوب الله عليهم جميعًا.. وما بعثه الله إلا رحمة، وقد صح في الحديث عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَذْهَبُ الدُّنْيَا حَتَّى يَمْلِكَ الْعَرَبَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي»<sup>(٢)</sup>، فليست قصة المهدي هي إدخال الناس من الأديان الأخرى والمبادئ والمذاهب الباطلة إلى الإسلام فحسب، إنما الهداية الأولى هي إعادة الناس إلى دين الفطرة والحنيفية السمحة.. بلا ترقيع ولا حيل ولا تتبع للمخارج والرخص.. إنما هو ما جاء به رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

### ثالثًا: ولأنه المهدي يبعثه الله في الفترة الأكبر دجلًا والأبعد عن الهداية..

كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أَبشركم بالمهدي، يُبعثُ في أمتي على اختلافٍ من الناسٍ وزلازلٍ، فيملاً الأرض قسطًا وعدلاً، كما ملئت جورًا وظلمًا، يرضى عنه ساكنُ السماءِ وساكنُ الأرضِ، يقسمُ المالَ صحاحًا»، فقال له رَجُلٌ: مَا

(١) سيأتي في الصفحة القادمة بإذن الله.

(٢) رواه الترمذي (٢٢٣٠) واللفظ له، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وأحمد (٤٠٩٨)،

وصححه الألباني.

صَحَاحًا؟ قَالَ: «بِالسَّوِيَّةِ بَيْنَ النَّاسِ»<sup>(١)</sup>، وكل هذه تُحْمَلُ فِي الْأَسَاسِ عَلَى مَا يَصَابُ بِهِ الْإِيمَانُ وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْأُمَّةُ وَلَيْسَ الْمَقْصُودُ هُوَ زَلْزَالُ الْأَرْضِ، فَحَسَبَ كَمَا قَالَ اللَّهُ سُبحَانَهُ وَتَعَالَى: ﴿يَأْتِيهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا أَذْكُرُوا نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَاءَتْكُمْ جُنُودٌ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرًا ۝٩ إِذْ جَاءَكُمْ مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظَّنُونَا ۝١٠ هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ وَزُلْزِلُوا زَلْزَالًا شَدِيدًا ۝﴾ [الأحزاب: ٩-١١]، ولم يذكر أحد أن المدينة أصابها في وقعة الخندق زلزال شديد أو خفيف، رغم أنه سوف يسبق بعث المهدي كثرة زلازل وخسوف ونحو ذلك ولقد مرَّ معنا حديث علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَسَأَلَهُ رَجُلٌ عَنِ الْمَهْدِيِّ، فَقَالَ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هَيْهَاتَ، ثُمَّ عَقَدَ بِيَدِهِ سَبْعًا، فَقَالَ: «ذَلِكَ يَخْرُجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ إِذَا قَالَ الرَّجُلُ: اللَّهُ اللَّهُ قُتِلَ»<sup>(٢)</sup>، وهذا يعني قتل مَنْ يأمر بالمعروف ويذكر الناس بالله.. كما سيأتي معنا بيان ذلك في الحديث.. إذا فماذا يعني ذهاب الفتن والزلازل والخسوف والمسوخ بمجيء المهدي إلا أن أسبابها قد ذهبت والهداية على مستوى الأمم قد تحققت.

فضلال هذه الفترة ضلال دجل وتدجيل، وما كان الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِيَسْمِيَهُ الْمَهْدِي لَوْلَا أَنْ حَاجَةَ الْعَالَمِ إِلَى الْهُدَايَةِ هِيَ الْحَاجَةُ، وَلَوْلَا أَنَّهُ عَالَمٌ قَدْ ضَلَّ الطَّرِيقَ، وَلَوْلَا أَنَّ الْأُمَّةَ الْمَحْمُودِيَّةَ تَبَعَتِ الْمَغْضُوبَ عَلَيْهِمُ وَالضَّالُّونَ.. فَكَادَ يَصِيبُهُمْ مِنْ غَضَبِ اللَّهِ وَعِقَابِهِ مَا اسْتَحَقَّهُ الْمَغْضُوبُ عَلَيْهِمُ وَالضَّالِّينَ.. وَلَكِنْ هُنَا تَأْتِيهِمْ رَحْمَةُ اللَّهِ بِبَعثِ الْمَهْدِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِيهِمْ، فَتَكُونُ الْهُدَايَةُ الشَّامِلَةَ الْجَامِعَةَ لِأُمَّةِ الْإِسْلَامِ... إِنْ خَاصِيَّةُ هَذِهِ الْفِتْرَةِ إِنَّمَا هُوَ الدَّجَلُ فِي الدِّينِ وَفِي

(١) رواه أبو نعيم في أخبار المهدي، وقال الألباني في الصحيحة (٢٢٩٣): صحيح.

(٢) أخرجه الحاكم (١٦٥٩)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ، وَوَافَقَهُ الذَّهَبِيُّ.

الحياة، وهو لباس الحق بالباطل، حتى يشتهه على الإنسان الحلال بالحرام، والحق بالباطل، والباطل بالحق، والنفاق بالإيمان والإيمان بالنفاق، والإلحاد بالتوحيد، والتوحيد بالإلحاد.. وحدّث ولا حرج.. فلا شيء يحتاجه الناس في هذه الظلمات التي يصبح فيها المؤمن كافرًا أو يصبح مؤمنًا ويمسي كافرًا تتلاعب بهم الأهواء مثل الريشة في مهب الريح.. مثل حاجتهم الهداية إلى الصراط المستقيم.. وهذا ما لأجله بعث الله عزَّ وجلَّ المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ، كيف؟ وهذه وهي فترة خروج الدجال وإذا ما ظهر تبين أنه لا دجل يُذكر بجوار دجله، ومن ثم كان بعث المهدي هنا ضرورة لا مثيل لها.

**رابعاً: ولأنه المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ فإن هداية الخلق من الكفر إلى الإيمان متحققة**

**على أوسع مستوى:**

وهذا هو ما ثبت عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من أحاديث واضحة.. واسمه يدل على غايته، ويدل على تحققها على تفردٍ لم يحدث على مستوى الأرض كلها وعلى مستوى الأمم جميعاً.. بل النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ذكر الهدى على مستوى البيوت وليس البلاد فحسب، ففي الحديث: «لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ اللَّهُ بَيْتَ مَدْرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ، بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بَدَلٍ دَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللَّهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَذُلًّا يُذِلُّ اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ»<sup>(١)</sup>، لكن الاستثناء هنا بقوله: «وَذُلًّا يُذِلُّ اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ»، إنما هو فيمن لم يهتد، وهؤلاء يتبعون النظام العام الذي يقيمه المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ في الأرض كلها، وما هو إلا منهج القرآن العظيم، ورسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لا يخالفه أبداً، فلو أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كان في وقته لما حكم إلا بهذا.. وهذا الطريق به تصلح الأرض ويعم العدل، فمن أراد العز، فهو في الهداية.. ومن أبى إلا العناد فهو وشأنه الشخصي إلا أنه لن

(١) رواه أحمد (١٦٩٥٧)، وقال الأرئوط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

يُتْرَك، فيعيد الظلم ويستعبد البشر، إنما هو حكم الله بعزِّ عزيزٍ أو بذلِّ ذليل، وحكم الله لا يكون إلا رحمة بخلق الله. فحكم الله عمَّ الأرض كلها، دون استثناء، لأن المهدي [خليفة الله]، وهذا حكم، وأما الهداية، فتكاد تطبق على الأرض كلها وهذا لأنه المهدي، وهذا ما جاء تفصيله في حديث المُقَدَّادِ بْنِ الْأَسْوَدِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لَا يَبْقَى عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ بَيْتٌ مَدْرٍ وَلَا وَبَرٍ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ كَلِمَةَ الْإِسْلَامِ، بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ ذُلِّ ذَلِيلٍ، إِمَّا يُعِزُّهُمْ اللَّهُ، فَيَجْعَلُهُمْ مِنْ أَهْلِهَا، أَوْ يُذِلُّهُمْ، فَيَدِينُونَ لَهَا»<sup>(١)</sup>، وهؤلاء المعاندون سيرون بأعينهم عز الإسلام وخيره، ويرون عدله ورحمته وهدايته، فلا يبقى منهم أحد إلا دخل الإسلام حتى لا يكاد يوجد منهم بعد ذلك أحد في الأرض إلا من غلبت عليه شقوته.

### خامساً: ولأنه المهدي، فإنه يُعِزُّ عصر السرعة بسرعة تغيير الواقع عن ملاحظته:

وجريان الأحداث بالسرعة التي لا يبلغها أيُّ تصور في عالم السرعة الحديث هذا وذاك لسبب واحد هو أنه [المهدي]؛ فهو المهدي الذي تكفل الله بهدايته في كل شيء دون استثناء مطلقاً.. وهنا الهداية في بلوغ الغايات بأقصر وقت وأسرع طريق وأقل تكاليف، فالإعداد سريع والنصر سريع، والهداية سريعة لدرجة كأنه غير معنيٍّ إلا بالنتائج، وهو يتناول الغايات مباشرة.. ورغم أنه يأخذ بالأسباب أحسن الأخذ، لكن أخذة المهدي إلى أسرارها وغاياتها وراياتها؛ لذا كان تساقط الممالك بين يديه بالجملة.. ونصر الله والفتح بالجملة... ودخول الشعوب في دين الله أفواجاً بوقت لا يبلغ سبع سنين.. نعم كل هذا العالم وهذه الأرض بكل من عليها.

فالله يهديه في طُرُق القلوب، كما يهديه في طُرُق المواجِهَة والحروب، والله يهديه ويهدي له كل شيء، ويهديه سبحانه إلى التدرُّج الذي هو الحق، فتأمل

(١) رواه أحمد (٢٣٨١٤)، وقال الأرنبوط: إسناده صحيح.

البداية: فعَنْ أَبِي الطُّفَيْلِ عَنْ مُحَمَّدِ بْنِ الْحَنِيئَةِ قَالَ: كُنَّا عِنْدَ عَلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، فَسَأَلَهُ رَجُلٌ عَنِ الْمَهْدِيِّ، فَقَالَ عَلِيُّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: هِيَ هَاتِ، ثُمَّ عَقَدَ بِيَدِهِ سَبْعًا، فَقَالَ: «ذَلِكَ يَخْرُجُ فِي آخِرِ الزَّمَانِ إِذَا قَالَ الرَّجُلُ: اللَّهُ اللَّهُ قُتِلَ، فَيَجْمَعُ اللَّهُ تَعَالَى لَهُ قَوْمًا قُرْعًا كَقُرْعِ السَّحَابِ، يُؤَلِّفُ اللَّهُ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَا يَسْتَوْحِشُونَ إِلَى أَحَدٍ، وَلَا يَفْرَحُونَ بِأَحَدٍ، يَدْخُلُ فِيهِمْ عَلَى عِدَّةِ أَصْحَابِ بَدْرٍ، لَمْ يَسْبِقْهُمْ الْأَوَّلُونَ وَلَا يُدْرِكُهُمُ الْآخِرُونَ، وَعَلَى عِدَّةِ أَصْحَابِ طَالُوتَ الَّذِينَ جَاوَزُوا مَعَهُ النَّهْرَ»<sup>(١)</sup>.

وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «يَخْرُجُ مِنْ خُرَّاسَانَ رَايَاتٌ سُودٌ، لَا يَرُدُّهَا شَيْءٌ حَتَّى تُنْصَبَ بِبَيْلِيَاءَ»<sup>(٢)</sup>.

هكذا يسوق الله له أصحابه الأول، كما يسوق سبحانه وتعالى قزع السحاب.. وهم من هذه الأمة، وليسوا بملائكة.

وفي الحديث عَنْ نَافِعِ بْنِ عْتَبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: «كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةٍ قَالَ: فَأَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَوْمٌ مِنْ قِبَلِ الْمَغْرِبِ عَلَيْهِمْ ثِيَابُ الصُّوفِ، فَوَافَقُوهُ عِنْدَ أَكْمَةِ، فَإِنَّهُمْ لَقِيَامٌ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَاعِدٌ، قَالَ: فَقَالَتْ لِي نَفْسِي: انْتَبِهْ فَقُمْ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ لَا يَغْتَالُونَ. قَالَ: ثُمَّ قُلْتُ: لَعَلَّهُ نَجِيٌّ مَعَهُمْ، فَأَتَيْتُهُمْ فَقُمْتُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ قَالَ: فَحَفِظْتُ مِنْهُ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ أَعِدُّنَّ فِي يَدِي، قَالَ: «تَغْزُونَ جَزِيرَةَ الْعَرَبِ، فَيَفْتَحُهَا اللَّهُ، ثُمَّ فَارِسَ، فَيَفْتَحُهَا اللَّهُ، ثُمَّ تَغْزُونَ الرُّومَ، فَيَفْتَحُهَا اللَّهُ، ثُمَّ تَغْزُونَ الدَّجَالَ، فَيَفْتَحُهَا اللَّهُ»، قَالَ: فَقَالَ نَافِعٌ: يَا جَابِرُ، لَا نَرَى الدَّجَالَ يَخْرُجُ حَتَّى تُفْتَحَ الرُّومُ»<sup>(٣)</sup>.

(١) أخرجه الحاكم (٨٦٥٩)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخْرَجْ، وَوَفَّقَهُ الذَّهَبِيُّ.

(٢) رواه أحمد (٨٧٧٥)، والترمذي (٢٢٦٩)، وقال: هذا حديث غريب، والطبراني في الأوسط (٣٥٣٦)، والبيهقي في دلائل النبوة (٥١٦/٦)، وقال الأرئوط: إسناده ضعيف جداً.

(٣) رواه مسلم (٢٩٠٠).

إذا فهذا الحديث واضح في تسارع الأحداث، وليس هو للغزوات التي حصلت في عهد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بدليل أن جزيرة العرب كانت مفتوحة.. فكيف يغزونها؟! وهي أحداث متتابعة متسارعة، حتى إن المهدي لا يحتاج أن يذهب إلى فارس ويفتحها، بل فتحها من داخلها من أهلها، ولا تُكَلِّفُ تضحيات كثيرة، فبمجرد ظهوره يحدث طوفان هناك لم يشهد له العالم قوةً ولا حجمًا، فلا يقف أمامه شيء، فتتحول كلها إلى المهدي وجندها إلى جند المهدي، وجيشها إلى جيش المهدي، ويكونون أشد ما ما يكونون نصرة وأسرعها، وأكثر تماسكًا لما فرطوا في حق آل البيت من قبل، وعلى الأخص بالافتراء والابتزاز والاستباحات.

وإذا كان هذا هو وضع فارس؛ وهي القوة العظمى في هذه البقعة.. فإن غيرها أسرع منها وبلا تكاليف لا دماء تُذكر؛ لأنه إنما جاء رحمة... ولم يثبت أن المهدي يقتلع كل أحد من حكمه، بل هو نظام الخلافة، فمن شاء بقي واتبع النظام، وإلا ترك وعفا الله عما سلف، فهي خلافة الله الأولى والأخيرة، وهذا هو خليفة الله.

ومع هذا، فإنه لأمر عظيم يبهر العالم، بحيث لا يكاد أحد يصدق ما يحدث، ذلك أنه ما من أحد يمكن أن يضمن شيئًا، فمن مفاجأة اليوم حتى تكون مفاجأة الغد مثلها أو أكبر منها... وكل حدث يحمل رسالة من عند الله أن هذا الأمر أمر الله، وأن هذا هو [خليفة الله]، وأنه رحمة الله، والله لا بد أن يرحم عباده كافة إلا حثالة يابون ذلك؛ ولهذا فرغم أن الأمور بأسبابها المعدة أو نتائجها المنطقية إلا أنها لا يمكن فصلها عن تجلّي الله ومعية الله وأسماء الله الحسنی وآثارها على كل شيء لكل أمور المهدي... أليس هو [خليفة الله]؟!!

فأني لجيش يأتي من المشرق دون غطاءٍ جويٍّ، ولا آليات عسكرية عاتية،

ولا عدة كما ينبغي، ولا هي أعداد تكافئ أعداد العدو، ثم هم يواجهونهم والنتيجة كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَيَقْتُلُونَكُمْ قَتْلًا لَمْ يُقْتَلْهُ قَوْمٌ»<sup>(١)</sup>، وقد روى مسلم أيضًا عن أم المؤمنين حفصة بنت عمر بن الخطاب؛ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «سَيَعُودُ بِهَذَا الْبَيْتِ - يَعْنِي: الْكَعْبَةَ - قَوْمٌ لَيْسَتْ لَهُمْ مَنَعَةٌ وَلَا عَدَدٌ وَلَا عُدَّةٌ، يُبْعَثُ إِلَيْهِمْ جَيْشٌ حَتَّى إِذَا كَانُوا بَيْدَاءَ مِنَ الْأَرْضِ خُسِفَ بِهِمْ»<sup>(٢)</sup>، فأى بلاء حسن عظيم فعلوه في المعركة في صحراء جزيرة العرب، وهم أنفسهم ينطلقون مباشرة إلى الأرض المقدسة.. فأى بأس أشد وبأس هؤلاء القادمون من المشرق؟ ولئن قال: رأس العدو الحيوانات البشرية المتوحشة! فإن هؤلاء القادمون شيء آخر، فلا توقف عندهم أبدًا حتى ينصبوا راياتهم في إيلياء، وهي القدس<sup>(٣)</sup>، وما من رسالة سوف تصل إلى العالم كله وأبلغ وأعظم وأصدق من رسائلهم العظيمة صوتًا وصورة حية لا تمثيل ولا رعب أفلام، بل هو الحق الذي من رآه، فإنه لا يكاد ينام.

وما رأيت هنا حديثًا يكاد يكون صريحًا في توقيت ظهور المهدي وبيانه من هذا الحديث الصحيح العظيم؛ فعن عبادة بن الصّامِتِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، مَا مُدَّةُ أُمَّتِكَ مِنَ الرَّخَاءِ؟ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ شَيْئًا، حَتَّى سَأَلَهُ ثَلَاثَ مَرَارٍ كُلُّ ذَلِكَ لَا يُجِيبُهُ، ثُمَّ انْصَرَفَ الرَّجُلُ، ثُمَّ إِنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَيْنَ السَّائِلُ؟» فَردُّوه عَلَيْهِ، فَقَالَ: «لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ شَيْءٍ مَا سَأَلْتَنِي عَنْهُ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِي، مُدَّةُ أُمَّتِي مِنَ الرَّخَاءِ مِئَةٌ سَنَةٍ» قَالَهَا مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا،

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٠٨٤)، وقال ابن كثير في النهاية ص (٢٦): تفرد به ابن ماجه، وهذا إسناد قوي صحيح، وقال البوصيري في زوائده (١٤٤٢): هذا إسناد صحيح رجاله ثقات، ورواه الحاكم في المستدرک (٨٦٧٧)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين.

(٢) رواه مسلم (٢٨٨٣).

(٣) تقدم معنا الحديث قريبًا.

فَقَالَ الرَّجُلُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَهَلْ لِدَلِكِ مِنْ أَمَارَةٍ أَوْ عَلَامَةٍ أَوْ آيَةٍ؟ فَقَالَ: «نَعَمْ، الْخَسْفُ وَالرَّجْفُ وَإِرْسَالُ الشَّيَاطِينِ الْمُجَلِبَةِ عَلَى النَّاسِ»<sup>(١)</sup>.

سبحان الله! كيف أكد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مرتين أو ثلاثاً على تحديد المدة، فالمدة مقصودة.. وتحديد المدة مقصود.. هذا أمر، والأمر الثاني: فإن الرجل سأل عن الأمانة، فكانت هي الأمانة التي تسبق ظهور المهدي.. فهنا قال: «نَعَمْ، الْخَسْفُ وَالرَّجْفُ وَإِرْسَالُ الشَّيَاطِينِ الْمُجَلِبَةِ عَلَى النَّاسِ».. وعن بعث المهدي قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «أُبَشِّرُكُمْ بِالْمَهْدِيِّ، يُبْعَثُ فِي أُمَّتِي عَلَى اخْتِلَافٍ مِنَ النَّاسِ وَزَلْزَلٍ»، وسؤال الرجل عن مرحلة ستمر بها الأمة، وهي مرحلة الرخاء.. أي مرحلة الارتخاء بالنسبة لما كان عليها الحال، وذلك من ذهاب الجهد والجهاد، والتفرغ للدنيا، وانتشار أخلاق الرخاوة والتشبه بالمغضوب عليهم والضالين، وكان ذروة الارتخاء بأمرين: **الأول**: ذهاب القرآن كمنهج لحياة المسلمين، **والثاني**: ذهاب الحزام الواحد للأمة فانتشرت دولا هنا وهناك.. وقد تم على هذا الارتخاء الذي نحن ما زلنا فيه منذ مائة عام تقريبا؛ أي منذ ٢٩ / ١ / ١٩٢٤ م يوم اختيار ما يُسمى بمجلس الأمة التركي لكمال الدين أتاتورك.

**سادسا؛ لأنه المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ تتحقق على يديه إعادة توحيد العرب بصورة كاملة شاملة جامعة مانعة،** وذلك بالبيعة الأولى والثانية والثالثة: كيف لا وهو المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ؟ وهو الإمام المسلم العربي القرشي الهاشمي جده سيد الأولين والآخرين وسيد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أن يهدي العالمين إذا لم يهتد على يديه العرب بإذن الله.. وهداية العرب إنما تعني توبتهم مما هم فيه من معاصي؛ إذا فأول خطوات الهداية للعالمين، إنما تبدأ بتوبة العرب قبل غيرهم وهذا ما ثبت عن النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؛ فَعَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ

(١) رواه أحمد (٢٢٧٧٠)، والحاكم في المستدرک (٨٥٣٧)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَذْهَبُ الدُّنْيَا حَتَّى يَمْلِكَ الْعَرَبَ رَجُلٌ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي»<sup>(١)</sup>.

فهو «يَمْلِكُ الْعَرَبَ» لكنه ليس بملك يمين، إنما كما هو ثابت [خليفة الله]؛ إذا فقله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يقتضي أن معنى يملك العرب ليس يحكم العرب، فحسب ولو أراد هذا لقال يحكم العرب، إنما المراد أمرٌ أكبر من هذا بكثير - والله أعلم: **الأول**: يملك العرب بمعنى، أنهم يطيعونه طاعة عظيمة، ويسلمون له تسليمًا كاملاً تسليم من لا يملك من أمره شيئاً أو تسليم المملوك لسيده. **والثاني**: وهو متمم لهذا وهو أن معنى «يَمْلِكُ الْعَرَبَ» إنما تعني يملك قلوب العرب، فهم يفدونهم بأرواحهم، فهو مصدر اعتزازهم وفخرهم وإلهامهم، وهو معيد حياتهم الجديدة لأعظم سعادة بإذن الله الذي هداه وتولاه بعد أن ذاقوا عقوداً طويلة من المهانة والذلة والضياع، فكان التعبير الأجمع والأمنع والأعظم هو أنه «يَمْلِكُ الْعَرَبَ» ملك محبة وقلوب، فهو ما يناسب المرحلة التي ظهر فيها؛ وهي الحكم الجبري القهري، كما ورد في الحديث، عَنِ النَّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا فُجُودًا فِي الْمَسْجِدِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَ بَشِيرٌ رَجُلًا يَكْفُ حَدِيثَهُ، فَجَاءَ أَبُو ثَعْلَبَةَ الْخُسَيْنِيُّ، فَقَالَ: يَا بَشِيرُ بْنُ سَعْدٍ، أَتَحْفَظُ حَدِيثَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْأُمْرَاءِ؟ فَقَالَ حُدَيْفَةُ: أَنَا أَحْفَظُ خُطْبَتَهُ، فَجَلَسَ أَبُو ثَعْلَبَةَ، فَقَالَ حُدَيْفَةُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَكُونُ النَّبُوءُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَى مِنْهَاجِ النَّبُوءِ، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا عَاضًا، فَيَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا جَبْرِيَّةً، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَى مِنْهَاجِ

(١) رواه الترمذي (٢٢٣٠) واللفظ له، وقال: هذا حديث حسن صحيح، وأحمد (٤٠٩٨)،

نُبُوَّةٍ»، ثُمَّ سَكَتَ<sup>(١)</sup>، فتكون ردة فعلهم عظيمة، كما تكون توبتهم عظيمة بالتالي في بيعتهم عظيمة، وإحساسهم بالمسؤولية عظيم وخصوصاً وأنهم قد سبقوا من المسلمين الآخرين إلى بيعة المهدي ونصرته في الصولات الأولى، حتى الخسف بالجيش الشامي.

### سابعاً: لأنه المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ أموره كلها تتحقق بسرعة فائقة:

تدل النصوص الواردة بمجموعها كما سترها: على أنه بمجرد إصلاح المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ في تلك الليلة تكون الليلة فارقاً ما بين زمان وبين زمان؛ كالبرزخ الذي قال الله فيه: ﴿مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ يَلْتَقِيَانِ (١٩) بَيْنَهُمَا بَرْزَخٌ لَا يَبْغِيَانِ (٢٠) فَبِأَيِّ آءِ الْآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ﴾ [الرحمن: ١٩-٢١]. وهو مهدي في كل اختلاف، لا يتوقف عند أي طريق وإن كثرت الطرق، ذلك أنه مهدي ممن هداه الله، وقد جعل الله له من اسمه كامل النصيب.

ولأنه المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ فإنه ينتشر خبره في الأرض سريعاً في لمح البصر، فهو من تكفل الله بتعريف الناس؛ لأنه آية من آيات الله قبل قيام الساعة، فكيف وهو أنفع الآيات لخلق الله؛ وذلك لقوله سبحانه: ﴿وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سِيرِكُمْ ءِإَيْتِهِ فَعَرَفُونَهَا وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ [النمل: ٩٣].

فتأمل: ما هو أثر آية الدابة على هداية الخلق ونفعهم، وكذا آية الدخان أو طلوع الشمس من مغربها.. نعم! لكل آية حكمته.. لكن أول تلك الآيات وأعظمها نفعاً ورحمة وهداية، إنما هي بعث المهدي، فلا تسأل كيف سيعرف الله الخلق جميعاً به بسرعة لا يتصورها أحد؟ ﴿وَمَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ مِنَ اللَّهِ﴾ [التوبة: ١١١]... وهل يجوز أن يجهل أحد [خليفة الله] في الأرض كلها وهو إنما جاء للأرض كلها، وهو من يأتي لها حين يأتي على أنه خليفة الله وهو من

(١) رواه أحمد (١٨٤٠٦)، وقال الأرنبوط: إسناده حسن.

يُخَلِّصُهَا كُلِّهَا مِنْ كُلِّ ذَرَّةٍ ظَلَمَ؟! إِذَا فَاللَّهُ سُبْحَانَهُ هُوَ مَنْ تَوَلَّى إِصْلَاحَهُ فِي لَيْلَةٍ، وَاللَّهُ عَزَّوَجَلَّ لَمْ يَجْعَلْ أَمْرَهُ مُتَدَرِّجًا وَمُتَمَرِّجًا، وَهُوَ مِنْ جِنْسِ عَصْرِهِ، فَهُوَ عَصْرُ السَّرْعَةِ إِلَّا أَنَّهُ يُعْجِزُ عَصْرَهُ فِيمَا بَرَعُوا بِهِ وَهُوَ الْعِلْمُ، وَلِذَا يُسَمَّى بِعَصْرِ الثَّوْرَةِ الْعِلْمِيَّةِ، وَهَلْ مِنْ شَيْءٍ أَسْرَعَ مِنَ الْخَبْرِ صَوْتًا وَصُورَةً وَحَرَكَةً، وَهَذَا سَيَعْلَمُ النَّاسُ أَنَّ اللَّهَ سُبْحَانَهُ هُوَ مَنْ عَلَّمَ النَّاسَ هَذِهِ الْوَسَائِلَ الْعَجِيبَةَ فِي الْإِتِّصَالِ، حَتَّى إِذَا مَا تَمَكَّنَ مِنْهَا أَظْهَرَ اللَّهُ الْمَهْدِيَّ مِنْ خِلَالِهَا، فَكَانَتْ هِدَايَتَهُمْ هِيَ الْغَايَةُ، فَسُبْحَانَ مَنْ قَالَ: ﴿وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيْءٍ مِّنْ عِلْمِهِ إِلَّا بِمَا شَاءَ﴾ [البقرة: ٢٥٥] بِمَا شَاءَ فِي الْكَيْفِ وَالْوَقْتِ وَالْمَكَانِ، وَهَلْ مَنْ أَصْلَحَهُ اللَّهُ فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ لِلْخِلَافَةِ يَنْتَظِرُ شَيْئًا إِلَّا أَنْ يَبَاشِرَ مَهَامَهُ مِنْ كُرْسِيِّ سُلْطَانِهِ الَّذِي بَوَّأَهُ اللَّهُ إِيَّاهُ، وَمِنْ مَقَامِهِ الَّذِي رَفَعَهُ اللَّهُ إِلَيْهِ وَاسْمَهُ الَّذِي حَلَّاهُ اللَّهُ بِهِ وَهُوَ [المهدي]؟ وَمَنْ يَسْتَطِيعُ أَنْ يَحُولَ أَوْ يَوْقِفَ أَوْ يَعْطِلَ [خليفة الله] المَهْدِيَّ وَغَايَتَهُ؟

وَهَكَذَا، فَإِنَّهُ لَمَّا كَانَتْ مَهْمَةُ الْأَنْبِيَاءِ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وَهُمْ سَادَةُ الْخَلْقِ وَأَعْظَمُهُمْ هِيَ الْبَلَاغُ مَكْنَهُمُ اللَّهُ مِنَ الْبَلَاغِ وَأَمْرُهُمْ بِمُبَاشَرَةِ الْبَلَاغِ وَالتَّبَشِيرِ وَالْإِنذَارِ مِنْ وَقْتِ بَلَاغِهِمْ عَلَى وَقْتِ الْفُورِ، وَهَذَا هُوَ الْوَاجِبُ؛ كَمَا قَالَ اللَّهُ سُبْحَانَهُ: ﴿مَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلْغُ﴾ [المائدة: ٩٩]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِنْ مَا نُرِيَنَّكَ بَعْضَ الَّذِي نَعْدُهُمْ أَوْ تُتَوَفَّيَنَّكَ فَإِنَّمَا عَلَيْكَ الْبَلْغُ وَعَلَيْنَا الْحِسَابُ﴾ [الرعد: ٤٠]، وَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿يَأْتِيهَا الْمَدْرَةُ ۝ قُرْآنًا نَّذِيرًا﴾ [المدثر: ٢٠١].

فَمِنَ اللَّحْظَةِ الَّتِي أَبْلَغَهُ اللَّهُ بِهَا أَنَّهُ الْمَهْدِيَّ، فَعَلِيهِ أَنْ يَبْلُغَهَا النَّاسَ، كَمَا أَمَرَ، فَهَذِهِ سُنَّةُ اللَّهِ، مَعَ أَكْرَمِ خَلْقِهِ عَلَيْهِ، وَهُمْ الْأَنْبِيَاءُ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، فَكَمَا أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَمَبْلُغٌ مِنَ اللَّحْظَةِ الَّتِي أَبْلَغَهُ اللَّهُ بِهَا؛ وَلِذَا فَإِنَّ الْبَلَاغَ يَخْضَعُ لَوْسَائِلِ كُلِّ عَصْرٍ، وَهُوَ عَلَى الْفُورِ، فَيَجِبُ عَلَيْهِمْ حَسَبُ مَا عِنْدَهُمْ مِنْ وَسَائِلِ فَكَانَ الْبَدَايَةَ بِالْأَقْرَبِينَ، ثُمَّ أَمَاكِنَ تَجْمَعُهُمْ، وَفِي أَسْوَاقِهِمْ وَنَوَادِيهِمْ... أَمَا الْآنَ فَكُلِّ

ذلك في لحظة ولجميع الدنيا ولو لم يكن المهدي من تلك اللحظة كذلك لكان هذا الاسم والعياذ بالله اسمًا لا حقيقة له، وادعاءً لا تصديق له... وما الذي يؤخر المهدي؟ ومن الذي يملك تأخيره والله هو سبحانه هو من بعثه في ليلة كما في الحديث: «الْمَهْدِيُّ مِنَّا أَهْلَ الْبَيْتِ، يُصَلِّحُهُ اللَّهُ فِي لَيْلَةٍ»<sup>(١)</sup>؟ نعم! ليس هو نبي ولا رسول، بل هو ابن وتابع لسيد الأولين والآخريين إلا أنه مبعوث لإقامة ما جاء به سيد المرسلين صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ على مستوى الأرض كلها في الوقت الفريد الذي تمتلئ الأرض فيه بالناس، ولكنها تمتلئ ظلماً وجوراً؛ إذاً فهو مبعوث لهذا العصر بكل ما أنزل الله في العصر الأول؛ ولذا بين النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أن خلافته على [منهاج النبوة]؛ ولهذا حكمه وطريقه وغايته هو تحقيق ما أراد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تحقيقه على مستوى الأرض كلها بما جاء به رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فإن الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى هو من يرعاه ويتولاه، فالله سبحانه هو من قال سبحانه على لسان رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عن المهدي: «إنه [خليفة الله]» فهو خليفة الله من أول لحظة كما أنه المهدي من أول اللحظة، ثم إنه لا ينشئ أمة، فالأمة موجودة، ولا ينقص إلا الخليفة، والمنهج موجود ومحفوظ ولا يبقى إلا إقامته، وهو كلام الله عَزَّ وَجَلَّ وهدى رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، والكعبة قائمة والحمد لله، ولا يبقى إلا توجه الأمة نحوهم وهذا ما لا يملكه إلا الله والله متكفل به من أول لحظة من انطلاق المهدي في مهمته، فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يقول: «إِنَّ قُلُوبَ بَنِي آدَمَ كُلَّهَا بَيْنَ إِضْبَعَيْنِ مِنْ أَصَابِعِ الرَّحْمَنِ، كَقَلْبٍ وَاحِدٍ يُصَرِّفُهُ حَيْثُ يَشَاءُ» ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «اللَّهُمَّ مُصَرِّفَ الْقُلُوبِ، صَرِّفْ قُلُوبَنَا عَلَى طَاعَتِكَ»<sup>(٢)</sup>، ويقول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في هذا الشأن قولاً فريداً؛ وهو: «يَرْضَى عَنْهُ سَاكِنُ السَّمَاءِ وَسَاكِنُ الْأَرْضِ»، فبما أن الله بعثه، كما نص في الحديث، فإن

(١) رواه أحمد (٦٤٥)، وابن ماجه (٤٠٨٥)، وحسنه الألباني.

(٢) رواه مسلم (٢٦٥٤).

المهدي يعلن للناس ذلك؛ لأنه مكلف بذلك لا يوارى ولا يدارى؛ مثلما وقف النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ على جبل أبي قبيس... فَعَنْ جَعْفَرِ بْنِ عَبْدِ اللهِ بْنِ أَبِي الْحَكَمِ قَالَ: لَمَّا نَزَلَتْ عَلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ﴿وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ﴾ [الشعراء: ٢١٤]، اشْتَدَّ ذَلِكَ عَلَيْهِ وَضَاقَ بِهِ ذُرْعًا، فَمَكَثَ شَهْرًا أَوْ نَحْوَهُ جَالِسًا فِي بَيْتِهِ، حَتَّى ظَنَّ عَمَاتَهُ أَنَّهُ شَاكٍ، فَدَخَلَ عَلَيْهِ عَائِدَاتٍ، فَقَالَ: «مَا اشْتَكَيْتُ شَيْئًا، وَلَكِنَّ اللَّهَ أَمَرَنِي أَنْ أَنْذِرَ عَشِيرَتِي الْأَقْرَبِينَ، فَأَرَدْتُ جَمْعَ بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ لِأَدْعُوهُمْ إِلَى اللَّهِ». قُلْنَا: فَادْعُوهُمْ، وَلَا تَجْعَلْ عَبْدَ الْعُزَّى فِيهِمْ - يَعْنِيَنَّ أَبَا لَهَبٍ - فَإِنَّهُ غَيْرُ مُجِيبِكَ إِلَى مَا تَدْعُوهُ إِلَيْهِ، وَخَرَجْنَا مِنْ عِنْدِهِ، وَهَنَّ يَقْلُنَ: إِنَّمَا نَحْنُ نِسَاءٌ. فَلَمَّا أَصْبَحَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بَعَثَ إِلَى بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، فَحَضَرُوا وَمَعَهُمْ عِدَّةٌ مِنْ بَنِي عَبْدِ مَنَافٍ، وَجَمِيعُهُمْ خَمْسَةٌ وَأَرْبَعُونَ رَجُلًا. وَسَارَعَ إِلَيْهِ أَبُو لَهَبٍ، وَهُوَ يَظُنُّ أَنَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَنْزِعَ عَمَّا يَكْرَهُونَ إِلَى مَا يُحِبُّونَ، فَلَمَّا اجْتَمَعُوا، قَالَ أَبُو لَهَبٍ: «هُوَ لِأَنَّ عُمُومَتَكَ وَبَنُو عَمِكَ، فَتَكَلَّمْ لِمَا تُرِيدُ، وَدَعْ الصَّلَاةَ، وَاعْلَمْ أَنَّهُ لَيْسَتْ لِقَوْمِكَ بِالْعَرَبِ قَاطِبَةً طَاقَةً، وَأَنَّ أَحَقَّ مَنْ أَخَذَكَ فَحَبَسَكَ أُسْرَتَكَ وَبَنُو أَبِيكَ إِنْ أَقَمْتَ عَلَى أَمْرِكَ، فَهُوَ أَيْسَرُ عَلَيْهِمْ مِنْ أَنْ يَثْبُكَ بِطُونُ قُرَيْشٍ وَتَمُدَّهَا الْعَرَبُ فَمَا رَأَيْتَ يَابْنَ أَخِي أَحَدًا قَطُّ جَاءَ بَنِي أَبِيهِ بِشَرٍّ مِمَّا جِئْتَهُمْ بِهِ». وَأَسَكَتَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَلَمْ يَتَكَلَّمْ فِي ذَلِكَ الْمَجْلِسِ، وَمَكَثَ أَيَّامًا، وَكَبُرَ عَلَيْهِ كَلَامُ أَبِي لَهَبٍ، فَنَزَلَ جَبْرِيْلُ، فَأَمَرَهُ بِإِمْضَاءِ مَا أَمَرَهُ اللَّهُ بِهِ، وَشَجَّعَهُ عَلَيْهِ، فَجَمَعَهُمْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ثَانِيَةً، فَقَالَ: «الْحَمْدُ لِلَّهِ، أَحْمَدُهُ، وَأَسْتَعِينُهُ وَأُؤَمِّنُ بِهِ وَأَتَوَكَّلُ عَلَيْهِ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ»، ثُمَّ قَالَ: «إِنَّ الرَّائِدَ لَا يَكْذِبُ أَهْلُهُ، وَاللَّهُ لَوْ كَذَبَتْ النَّاسَ جَمِيعًا، مَا كَذَبْتُمْ، وَلَوْ غَرَزْتُ النَّاسَ، مَا غَرَزْتُكُمْ، وَاللَّهُ الَّذِي لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ، إِنِّي لَرَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ خَاصَّةً وَإِلَى النَّاسِ كَافَّةً، وَاللَّهُ! لَتَمُوتَنَّ كَمَا تَنَامُونَ، وَلَتُبْعَثَنَّ كَمَا تَسْتَيْقِظُونَ، وَلَتَحَاسِبَنَّ بِمَا تَعْمَلُونَ، وَلَتَجْزُونَ بِالْإِحْسَانِ إِحْسَانًا، وَبِالسُّوءِ سُوءًا، وَإِنَّهَا لِلْجَنَّةِ أَبَدًا، وَالنَّارِ أَبَدًا، وَأَنْتُمْ لِأَوَّلِ

مَنْ أُنْذِرُ»، فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ: «مَا أَحَبَّ إِلَيْنَا مُعَاوَنَتَكَ وَمُرَافَدَتَكَ، وَأَقْبَلَنَا<sup>(١)</sup> لِنَصِيحَتِكَ، وَأَشَدَّ تَصَدِيقَنَا لِحَدِيثِكَ، وَهَوْلَاءِ بَنُو أَبِيكَ مُجْتَمِعُونَ، وَإِنَّمَا أَنَا أَحَدُهُمْ، غَيْرَ أَنِّي وَاللَّهِ أَسْرَعُهُمْ إِلَى مَا تُحِبُّ، فَاْمْضِ لِمَا أَمَرْتَ بِهِ، فَوَاللَّهِ، لَا أَرَا أْحُوطُكَ وَأَمْنَعُكَ، غَيْرَ أَنِّي لَا أَجِدُ نَفْسِي تَطَوُّعًا لِي فِرَاقَ دِينِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ حَتَّى أَمُوتَ عَلَى مَا مَاتَ عَلَيْهِ»، وَتَكَلَّمَ الْقَوْمُ كَلَامًا لَيْنًا، غَيْرَ أَبِي لَهَبٍ فَإِنَّهُ قَالَ: «يَا بَنِي عَبْدِ الْمُطَّلِبِ، هَذِهِ وَاللَّهِ السَّوْءَةُ، خُذُوا عَلَى يَدَيْهِ قَبْلَ أَنْ يَأْخُذَ عَلَى يَدِهِ غَيْرُكُمْ، فَإِنْ أَسْلَمْتُوهُ حِينِيذٍ، ذُلِلْتُمْ، وَإِنْ مَنَعْتُمُوهُ قَتِلْتُمْ»، فَقَالَ أَبُو طَالِبٍ: «وَاللَّهِ، لِنَمْنَعُهُ مَا بَقِينَا»<sup>(٢)</sup>.

والله ما بعثه إلا هو متكفل تمامًا بحفظه، كما أنه سبحانه يجعل له القبول من فوره في القلوب جميعًا، فيشع نوره وأمره، ويهب لنصرته الخلق سريعًا بطريقة لا تسمح لأحد أن يتخذ قرارًا بإيقافهم أو السيطرة عليهم.

ثم إنه [خليفة الله]. وهل يستطيع أحد أن يقتل [خليفة الله] قبل أن يحقق المهدي غايته كاملة كما أراد الله، وكما أمر رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟ ولأنَّ أحدًا لم يستطع أن يبلغ قتل خالد بن الوليد رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ؛ لأنه سيف الله، وسيف الله لا يثلم ولا يكسر... فشأن خليفة الله كذلك.

وهكذا كونه [المهدي]، فإن أساس هذا تبليغ الإسلام، بل الهداية إلى الإسلام، كما مرَّ معنا، فلا بد أن يَبْلُغَ الإسلام ما بلغ الليل والنهار، وقتل المهدي أو اغتياله أو هزيمته معناه إطفاء [نور الله]، ومعناه تغيير [كلمة الله] التي أخبر بها وأخبر بها رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُطْفِئُوا نُورَ اللَّهِ بِأَفْوَاهِهِمْ وَيَأْبَى اللَّهُ إِلَّا أَنْ يُتَمَّ نُورُهُ، وَلَوْ كَرِهَ الْكَافِرُونَ﴾ [التوبة: ٣٢]، ﴿يُرِيدُونَ أَنْ يُبَدِّلُوا كَلِمَ اللَّهِ﴾ [الفتح: ١٥].

(١) بصيغة أفعل التفضيل.

(٢) أخرجه البلاذري في أنساب الأشراف (١١٨/١) رقم (٢٣٥).

## ثامنًا: لأنه المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ: يحوّل الأمة إلى هادية بهديه بإذن الله.. ويحوّل المغتربين من المسلمين إلى هداة مهدين بإذن الله...

أو ليس هو القدوة الحاضرة أمام العالمين؟ أليس المسمون المفتونون هم الصفوف الأولى في عمق العدو، وهم أول صفوف المواجهة؟ أليس الواجب علينا إمدادهم بالعدة؟ وهل عدتهم إلا الهداية؟ ألا يرى المسلمون كيف أن النصارى الذين بينهم وكذا الهندوس ونحوهم يدخلون في الإسلام أفواجًا؟ ألا يكون أعظم ميدان للسباق إلى الله هو هداية خلق الله؟

فالدعوة في هذه المرحلة لن تكون مقتصرة على علماء الشريعة، أو طلاب العلم، أو الخطباء، أو الجماعات الإسلامية ونحوها، بل هي الأمة الداعية إلى الله بأكملها صغارها وكبارها.. وكل أحد قد حفظ واستوعب من آيات الله الهداية من حجج المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ ما يسر الله له.. وكل واحد عرف طريق الدعوة فسلكه وأبدع في طرقة وفتح أبوابه - بإذن الله - فالهداية والدعوة إليها أمر في غاية الجد والاجتهاد... وإني لأحسب أن الله قد أدخر المغتربين لأعظم أيامهم، حيث سيكونون منارة نور في أي البلاد يكونون ويقومون بدور الفاتحين.. حيث سيكونون أعظم المقصودين في الإعلام العالمي، وهل للإعلام العالمي من حديث إلا المهدي وما سيصنعه في هذا العالم وقتها؟

والجميع يتغذى من المهدي - ما يهتدي به ويهتدي به الخلق بفضل الله إلى الله كل يوم بالليل والنهار - نفسه أعمالًا هادية وقرارات كريمة، وكلمات نُورانية وحُجَجًا بالغة عليّة.

## تاسعًا: لأنه المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ يبلغ الله هداة في كل لحظة العالم:

حتى هذه اللحظة لم يستوعب الناس من غايات فتح الله عزَّجَلَّ للناس من وسائل التواصل الاجتماعي وعلى الأخص ما يتعلق بالهواتف المحمولة

ونحوها.. لكنهم إذا ما رأوا ما ستكون هذه الوسائل، حيث تصبح أنهار هداية تندفق على الأمم، وكل هاتف ونحوه جدول هداية، يشتبك مع الجداول الأخرى يسقي الهاتف قلب صاحبه، ومنه إلى قلوب آخرين، وهكذا وهكذا، حيث لا يمكن مراقبتها ولا الحد من تدفقها، وخصوصًا، وأن المهدي قد قضى على أرض الواقع على الإضلال، وقطع رأس الإفساد الإعلامي الذي هو أخطر مصانع مكر أهل النار، وأهل النار يقولون: ﴿بَلْ مَكْرُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِاللَّهِ وَنَجْعَلَ لَهُ أَنْدَادًا وَأَسْرُوا النَّدَامَةَ لَمَّا رَأَوُا الْعَذَابَ وَجَعَلْنَا الْأَعْلَلَ فِي آعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ يُحْزَنُونَ إِلَّا مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [سبأ: ٣٣]، ويقول سبحانه عنهم: ﴿وَمَا أَضَلَّنَا إِلَّا الْأَلْمُجِرُونَ﴾ [الشعراء: ٩٩]، فإذا انتهى ذلك لم يبق بين الناس وبين الحق من حائل أو مشوِّش، فيسلك الناس سبيل الحق.

ولقد عَوَّدَ الهاتف المحمول صاحبه متابعة كل خبر جديد صباح كل يوم ومساء كل يوم وكل ساعة.. وبهذا عظموا كل شيء وتَهَيَّؤُوا لكل شيء.. فهل من خبر سيصل إلى كل هاتف أكبر من أخبار المهدي وجديده؟ وذلك على مستوى العالم، أي: على مستوى كل هاتف وإيميل ومواقع تواصل ونحوها بكل لغاتها.

### عاشراً: لأنه المهدي فالجميع يحبه:

وما دام الجميع يحبه، فالجميع يفتح له قلبه؛ لقوله وفعله وقراراته، هذا فوق أنه يصدقه وشاهد هذا هو قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، كما في الحديث: «أُبَشِّرُكُمْ بِالْمَهْدِيِّ يُبْعَثُ فِي أُمَّتِي عَلَى اخْتِلَافٍ مِنَ النَّاسِ وَزَلَازِلٍ، فَيَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا، كَمَا مِلْتُ جَوْرًا وَظُلْمًا، يَرْضَى عَنْهُ سَاكِنُ السَّمَاءِ وَسَاكِنُ الْأَرْضِ، يَتَّقِي الْمَالَ صَحَاحًا»، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: مَا صَحَاحًا؟ قَالَ: «بِالسُّوِيَّةِ بَيْنَ النَّاسِ»، قَالَ: «وَيَمْلَأُ اللَّهُ قُلُوبَ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ غِنَى، وَيَسْعَهُمْ عَدْلُهُ، حَتَّى يَأْمُرَ

مُنَادِيًا فَيُنَادِي، فَيَقُولُ: مَنْ لَهُ فِي مَالٍ حَاجَةٌ؟». وقد مرَّ معنا الحديث والحمد لله رب العالمين.

ثم إن مطلعَه هو مطلع الخير كله على الأمة وعلى الناس؛ فالناس به متفائلون دائمًا ولكل حدث وكل قادم ومستقبل، ويعلمون أنه لن يأتي منه إلا الخير وكل يوم تزداد بشارته ويظهر الله للناس من فضله عليه وكراماته ما يراه الناس في شؤون حياتهم العامة والخاصة، كما يستبشرون بالغيث من بعد ما قنطوا... فهم بكل ما يأتي من المهدي فهو بشري رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الذي قال أول الحديث: «أُبَشِّرُكُمْ بِالْمَهْدِيِّ».

**حادي عشر: ولأنه المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ فإنه يزيل الاختلافات في الأمة بين الناس**

**كافة:**

ويحقق العدل المطلق في الأرض كلها، كما قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في بشرائه: «أُبَشِّرُكُمْ بِالْمَهْدِيِّ يُبْعَثُ فِي أُمَّتِي عَلَى اخْتِلَافٍ مِنَ النَّاسِ وَرَلازِلٍ، فَيَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا، كَمَا مِلْتُ جَوْرًا وَظُلْمًا».

نعم! هو يبعث على شدة اختلاف في الأمة، وفي الناس كذلك، فيزيل كل الاختلافات ويعيد للناس الفهم على الفطرة، كما صح في الحديث.

ألا يكون هداه مقبولاً ومحبياً للنفوس؟ فكيف وهو الذي وصف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كرمًا له لم يصفه أحدًا سواه مطلقًا، فقال عنه كما في حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قال عن المهدي: «يَكُونُ فِي آخِرِ أُمَّتِي خَلِيفَةً يَحْثِي الْمَالَ حَثِيًّا، لَا يَعُدُّهُ عَدَدًا»<sup>(١)</sup>؟ فإذا ذهب الاقتتال على المال، فقد ذهب أكبر أسباب الصراعات.. وبقية الأسباب تأتي بالعدل الذي يقيمه، وميزان





القسطاس المستقيم الذي يحكم به، فإذا كل واحد وكل بلد وكل صاحب حق له حقه، فماذا يريد بعد ذلك؟ فإن من لم تنفع معه الرحمة، نفع معه العدل.

فأي سبب محبة لم يتوفر في المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ عند أهل الأرض كافة، فهو ليس موضع اختلاف، بل هو يقضي على الاختلافات والنزاعات والفتن، كما مر معنا في حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: قال: قال رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «وَيَمَلَأُ اللَّهُ قُلُوبَ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ غِنًى، فَلَا يَحْتَاجُ أَحَدٌ إِلَى أَحَدٍ»<sup>(١)</sup>.

### ثاني عشر: لأنه المهدي:

فإن هداه لا ردة بعده أبداً بإذن الله، فلا ولن يحدث أن تترد البلاد التي آمنت أبداً.

ومن الأدلة على أن البلاد التي آمنت في عهده لن تترد عن الإسلام؛ أن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ يعقب المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهذا وحده كاف في هذا الأمر، وأمر آخر؛ هو أن حديث النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في أنواع الملك من بعده وختمها بقوله: «ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَى مِنْهَاجِ نُبُوَّةٍ»، ثُمَّ سَكَتَ؛ فَعَنِ النُّعْمَانِ بْنِ بَشِيرٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا قُعُودًا فِي الْمَسْجِدِ مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَكَانَ بَشِيرٌ رَجُلًا يَكْفُ حَدِيثَهُ، فَجَاءَ أَبُو ثَعْلَبَةَ الْحُسَيْنِيُّ، فَقَالَ: يَا بَشِيرُ بْنُ سَعْدٍ، أَتَحْفَظُ حَدِيثَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي الْأُمْرَاءِ؟ فَقَالَ حُذَيْفَةُ: أَنَا أَحْفَظُ خُطْبَتَهُ، فَجَلَسَ أَبُو ثَعْلَبَةَ، فَقَالَ حُذَيْفَةُ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «تَكُونُ النُّبُوَّةُ فِيكُمْ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ، ثُمَّ يَرْفَعَهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَى مِنْهَاجِ النُّبُوَّةِ، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ،

(١) رواه أحمد (١١٤٨٤) واللفظ له، وأبو داود (٤٢٨٥)، والترمذي (٢٢٣٢)، وابن ماجه (٤٠٨٣) مختصراً، وقال الأرنؤوط: إسناده ضعيف؛ لجهالة حال العلاء بن بشير المزني، فقد انفرد بالرواية عنه المُعَلَّى بن زياد المَعُولِي - وهو القُرْدُوسِي، ومَعُولَةٌ بَطْنٌ مِنَ الْأَزْدِ - ولم يُؤثر توثيقه إلا عن ابن حبان، وبقية رجاله ثقات رجال الصحيح.

ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا عَاضًا، فَيَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ يَكُونَ،  
ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ مُلْكًا جَبْرِيَّةً، فَتَكُونُ مَا شَاءَ اللَّهُ أَنْ تَكُونَ،  
ثُمَّ يَرْفَعُهَا إِذَا شَاءَ أَنْ يَرْفَعَهَا، ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَى مِنْهَاجِ نُبُوَّةٍ، ثُمَّ سَكَتَ (١).

وهي المشهد الأخير لصولة الإسلام على ساحة الأرض، فما عاد الصراع إلا طرفاً واحداً وهو الحق، وبعدها يبعث الله الريح الطيبة التي تقبض أرواح المؤمنين من تحت آباطهم.. وهكذا يعلن عن انتهاء الصراع الطويل بخسارة إبليس خسارة نهائية مطلقة؛ فماذا بعد ما تركت الأرض خراباً وقد قبضت أرواح المؤمنين، هنا يرفع منها القرآن العظيم، وتهدم الكعبة قبل النفخ في الصور.. وأصبح حال الأرض حال من أراد هدم بيته القديم المؤقت، فرفع أعلى شيء عنده وترك الباقي أنقاصاً خراباً لتعيث في جنباتها الجرذان والحشرات والآفات وما إلى ذلك.

وبما أن بعد المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ عيسى ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهو يحكم أربعين سنة.. تبلغ فيها البشرية ذروتها في الرشد، وفي الخير، وفي النعم وفي الشكر، وفي حسن الخلق والذروة في الأمان والسلام؛ كما في الحديث الصحيح الذي رواه أبو هريرة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن فترة عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «فَيَدُقُّ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلُ الْخِنْزِيرَ، وَيَضَعُ الْحِزْبَةَ، وَيَدْعُو النَّاسَ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَيَهْلِكُ اللَّهُ فِي زَمَانِهِ الْمَلَلَ كُلَّهَا إِلَّا الْإِسْلَامَ، وَيَهْلِكُ اللَّهُ فِي زَمَانِهِ الْمَسِيحَ الدَّجَالَ، ثُمَّ تَقَعُ الْأَمْنَةُ عَلَى الْأَرْضِ، حَتَّى تَرْتَعَ الْأَسْوَدُ مَعَ الْإِبِلِ، وَالنَّمَارُ مَعَ الْبَقْرِ، وَالذَّنَابُ مَعَ الْغَنَمِ، وَيَلْعَبَ الصَّبِيَانُ بِالْحَيَاتِ، لَا تَضُرُّهُمْ، فَيَمُكُّثُ أَرْبَعِينَ سَنَةً، ثُمَّ يُتَوَفَّى، وَيُصَلِّي عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ» (٢).

(١) رواه أحمد (١٨٤٠٦)، وقال الأرنبوط: إسناده حسن.

(٢) رواه أحمد (٩٢٧٠)، وأبو داود (٤٣٢٤)، وابن حبان في صحيحه (٤٩٩٧)، والحاكم

(٤٢٠٦)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحُ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، وَوَفَّقَهُ الذَّهَبِيُّ، وَقَالَ

الأرنبوط: حديث صحيح.

وَعَنْ عَبْدِ الرَّحْمَنِ بْنِ شِمَاسَةَ الْمَهْرِيِّ قَالَ: كُنْتُ عِنْدَ مَسْلَمَةَ بْنِ مَخْلَدٍ وَعِنْدَهُ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ عَمْرِو بْنِ الْعَاصِ، فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: لَا تَقُومُ السَّاعَةُ إِلَّا عَلَى شِرَارِ الْخَلْقِ، هُمْ شَرٌّ مِنْ أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ، لَا يَدْعُونَ اللَّهَ بِشَيْءٍ إِلَّا رَدَّهُ عَلَيْهِمْ، فَبَيْنَمَا هُمْ عَلَى ذَلِكَ، أَقْبَلَ عُقْبَةُ بْنُ عَامِرٍ، فَقَالَ لَهُ مَسْلَمَةُ: يَا عُقْبَةُ! اسْمَعْ مَا يَقُولُ عَبْدُ اللَّهِ، فَقَالَ عُقْبَةُ: هُوَ أَعْلَمُ، وَأَمَّا أَنَا، فَسَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لَا تَزَالُ عِصَابَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَى أَمْرِ اللَّهِ قَاهِرِينَ لِعُدُوِّهِمْ، لَا يَضُرُّهُمْ مَنْ خَالَفَهُمْ، حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ وَهُمْ عَلَى ذَلِكَ». فَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ: أَجَلٌ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ رِيحًا كَرِيحِ الْمُسْكَ مَسْهَا مَسَّ الْحَرِيرِ، فَلَا تَتْرُكُ نَفْسًا فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِنَ الْإِيمَانِ إِلَّا قَبَضَتْهُ، ثُمَّ يَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ عَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ»<sup>(١)</sup>.

إن بعث هذه الريح الطيبة وذهاب السكرات وشدائدھا، بل فيها من التلذذ ما يشتمه من ریح المسك أعظم مبشر لهؤلاء المؤمنین بالانتقال الفوري إلى النعيم الأبدي إلى حيث مصدر الريح التي هبت عليهم، وهذه ریح عظيمة وتدل على كثرة المؤمنین في الأرض، الذين هم ثلثة قليلة تقوم عليهم الساعة كما سماهم النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حثالة وشرار الخلق.. وهو يعني النصر النهائي القاضي على الباطل بخسارته وخسارة إبليس خسارة مطلقة وخيبته خيبة نهائية من تحقق وعده الذي وعد، وقال: ﴿وَلَا تَحِدُّ أَكْثَرَهُمْ شَكْرِيكَ﴾ [الأعراف: ١٧]، بل ذكر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذلك في حديث النواس بن سمعان في آخر عهد عيسى ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ فقال: «فَبَيْنَمَا هُمْ كَذَلِكَ؛ إِذْ بَعَثَ اللَّهُ رِيحًا طَيِّبَةً، فَتَأْخُذُهُمْ تَحْتَ آبَاطِهِمْ، فَتَقْبِضُ رُوحَ كُلِّ مُؤْمِنٍ وَكُلِّ مُسْلِمٍ، وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارِجَ الْحُمْرِ، فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ»<sup>(٢)</sup>، والحمد لله رب العالمين.

(١) رواه مسلم (١٩٢٤).

(٢) رواه مسلم (٢٩٣٧).

### ثالث عشر: ولأنه المهدي:

فهو المثل الإلهي للهدى كله للأرض كلها.

فهو الصلاح الذي لا خطأ ولا خطيئة تشوبه أبداً منذ أن ختمه الله تلك الليلة، وهو الهداية المطلقة في كل جوانب الحياة كلها، وليس في أركان الإسلام وحدها فهو في كل تفاصيل الحياة على الصراط المستقيم كما أراد الله أبداً، ومن المستحيل أن يجد أحدٌ حُجَّةً على خطأ فعله المهدي أبداً.. فهو النور الذي لا تشوبه نقطة ظلمة أبداً: ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ ءَامَنُوا يُخْرِجُهُم مِّنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧] فكيف بإمام المؤمنين وإمام المهديين في الآخرين؟ ونحن إذا تصورناكم سيكون تنقل الناس على وسائل التواصل صور المهدي وأحواله وأقواله، لن نستغرب سرعه انتشار الهدى .. وفي المقابل، فالله يحفظه حفظاً مطلقاً؛ لأنه المهدي... وثم استغراب يثيره البعض.. أو إعراض واعتراض على المهدي، فيقولون: وهل هو نبي حتى تكون له العصمة؟!!

أقول: لا حاجة لدليل مستقل يقول: إن المهدي معصوم، أو ليس بمعصوم، فإنه يكفي أن يسميه الله عَزَّوَجَلَّ ورسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ المهدي، ويكفيه أن يجعله حقيقة المهدي، ويكفيه أن يصلحه الله في ليلة؛ ليصبح بعدها هذا الإصلاح غير قابل للخطأ أبداً، ويكفيه أن يقول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عن ابتداء أمره ببعثه الله، فقال: «لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا يَوْمٌ لَطَوَّلَ اللَّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ حَتَّى يَبْعَثَ فِيهِ رَجُلًا مِنِّي» - أو «مِنْ أَهْلِ بَيْتِي» - يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي، وَاسْمُ أَبِيهِ اسْمُ أَبِي زَادَ فِي حَدِيثٍ فَطَرٍ: «يَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا، كَمَا مَلَأَتْ ظُلْمًا وَجَوْرًا»<sup>(١)</sup>، وورد:

(١) أخرجه أبو داود (٤٢٨٢)، وقال شعيب الأرنؤوط: صحيح لغيره، وقال الألباني:





«لَبَّعَثَ»، وهكذا جاء من رواية علي رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ<sup>(١)</sup>، ويكفيه أن يصلي بعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وعيسى هو المعصوم، ودرجة عيسى لم تنزل إذا نزل في أمة محمد عن درجته يوم أن كان في بني إسرائيل، يكفيه أنه إذا أطلق اسم المهدي لم ينصرف لشخص إلا المهدي المنتظر، فهل للمهدي الحظ الكامل من اسمه أم لا؟ ألا يعطيه كل ما في اسمه من معانٍ ويجعلها حقيقة فيه أم لا... فمن أين يأتيه الخطأ إذا كان قد يُهدى إلى الحق في كل شيء؟ هُدِيَ في كل حكم، هُدِيَ إلى كل عدل وتجنب الظلم، فلم تصبه منه ذرة.. وهدى إلى كل قرار، وهدى إلى النصر في كل معركة، وإذا كان يُهدى في كل شيء فما حاجته إلى الاجتهاد... وكل الذين في الأمة مهما كانوا فرقاء متفرقين على فرقٍ ومذاهبٍ وأحزابٍ في الدين أو في الحياة، واجتمعوا في عهده الواحدة والسبعون فرقة لليهود، والثنتان والسبعون فرقة للنصارى، والثلاث والسبعون فرقة للمسلمين.. وما أدراك ما فرق المسلمين؟ ومن يقوي حكمهم دون ميل لأحدٍ؟ ومن ذا الذي يسلم من الميل؟ ولذا كان هو [المهدي] ولم يكن سواه، وقد نص في الحديث؛ لأنه بمجيئه ينتهي الاختلاف بشكل شامل ومطلق، إنما الاختلاف قبله، كما قال صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في الحديث الذي مرَّ معنا: «أُبَشِّرُكُمْ بِالْمَهْدِيِّ يُبْعَثُ فِي أُمَّتِي عَلَى اخْتِلَافٍ مِنَ النَّاسِ وَزَلَازِلٍ، فَيَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا، كَمَا مَلَأَتْ جُورًا وَظُلْمًا، يَرْضَى عَنْهُ سَاكِنُ السَّمَاءِ وَسَاكِنُ الْأَرْضِ، يَقْسِمُ الْمَالَ صَحَاحًا»، فَقَالَ لَهُ رَجُلٌ: مَا صَحَاحًا؟ قَالَ: «بِالسَّوِيَّةِ بَيْنَ النَّاسِ»<sup>(٢)</sup>، فيومها ينقطع كل خلاف بين المسلمين بل بين الناس، ولا تصبح الحاجة إلا إلى الإسلام كما جاء به رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ دون إضافات الفرق المختلفة كلها، ودون أسمائها

(١) أخرجه أبو داود (٤٢٨٣) عن علي بن أبي طالب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، وقال شعيب الأرنؤوط:

إسناده صحيح، وصححه الألباني.

(٢) رواه أبو نعيم في أخبار المهدي، وقال الألباني في الصحيحة (٢٢٩٣): صحيح.

وشعاراتها.. فلا فَرْق ولا فَرْقة، ولا شعارات، ولا اشارات التفريق، إنما هو الإسلام قد ألقى بثقله وقوته، فلا مزحزح له؛ كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَكُونُ اخْتِلَافٌ عِنْدَ مَوْتِ خَلِيفَةٍ، ..... فَيُقَسَّمُ الْمَالُ، وَيُعْمَلُ فِي النَّاسِ سُنَّةٌ نَبِيِّهِمْ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَيُلْقَى الْإِسْلَامُ بِحِرَانِهِ إِلَى الْأَرْضِ، يَمُكْتُ تِسْعَ سِنِينَ»<sup>(١)</sup>.

يكفيه أن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ سماه [المهدي خليفة الله]... إذا ليس الخطأ هنا، وهو بهذا الاسم والمسمى، لو أنه وقع فيه ليس محسوباً عليه كشخص، تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً.

إن الخطأ في هذه المرحلة لا يمكن تصويبه، وهذا يناقض الحق وقاعدة الحق، والختام بالحق.

ويعلم الله عَزَّوَجَلَّ ما سيفتحه الله، وما فتحه من علوم، وعلى الأخص في الاتصالات ووسائل التواصل الحاضرة في كل لحظة، ويبد كل واحد.. ويعلم الله الحرب الإعلامية، وما ستصنع لو أنه ترك المهدي لاجتهاده لحظة واحدة... إن الله سبحانه يرسل هذا الرجل ليغير هذا العالم في ظرف سبع سنوات فالخطأ الواحد ربما آخر سنين، وربما هدم الدعوة كلها، وهذه ليست دعوة فردية أو اجتهادية أو حزبية أو تخريبية، إنه هدى الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى قد جاء، وإنه الهداية متمثلة في رجل بين الناس، ثم إنه إذا ما أخطأ أيُّ خليفة أو عالم فسيعقب عليه الناس المتخصصون، فمن سيعقب على المهدي؟ ومن سيصحح خطأه وهو في آخر الدنيا؟

ثم إنه المهدي؛ فدعوته إذاً موجهة في الأصل لهداية غير المهتدين، وإن

(١) رواه أحمد (٢٦٦٨٩)، وأبو داود (٤٢٨٦)، وابن حبان (٤٩٤٨)، والطبراني في الأوسط (١١٥٣)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٧/٣١٥) رقم (١٢٣٩٩): رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي الْأَوْسَطِ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ.

كانت هي لأمة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أولاً! لذا فمن سيصحح خطأ المهدي عند هؤلاء الضالين المتربصين لو أنه أخطأ.. ولماذا يخطئ وهذا الخطأ الواحد قابل للتكرار والتنوع وقابل للزيادة والنقصان؟ ولماذا يخطئ، والله قادر على أن يجعله لا يخطئ.. كيف وقد سماه المهدي؟ وكفى؛ إن الله لن يدع العالم يتصيدله، أو يتجاوز في خطئه بل يتجاوز في هداه.

وكم سيكلف الخطأ الواحد الأمة؛ إذ المراقبة أخطر ما تكون وأدق ما تكون؟

### رابع عشر: ما اسم المهدي بالضبط؟

وهنا سوف يتساءل حريص عن المهدي، وكون اسمه محمداً واسم أبيه عبد الله، وأن هل هذا هو معنى الحديث ومقصود النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ومقتضى قوله الذي رواه عن عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وغيره: «لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا يَوْمٌ لَطَوَّلَ اللَّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ حَتَّى يَبْعَثَ فِيهِ رَجُلًا مَنِّي - أَوْ مِنْ أَهْلِ بَيْتِي - يَواطِئُ اسْمُهُ اسْمِي، وَاسْمُ أَبِيهِ اسْمُ أُمِّي». رواه أبو داود الترمذي، وهو صحيح.

بل أنا أرى أن المقصود هو معناه ومقتضاه، وليس أحرف الاسم ومبناه، فكما بشر النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالمهدي وأرفق ببشراه «أنه يواطئ اسمه اسمي»، فإن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ حين بشر بالنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أرفق بأن اسمه أحمد.. فقال سبحانه: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ بِنَحْيِ إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ﴾ [الصف: 6]، والنبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ [محمداً] هذا هو اسمه الذي سماه به جدُّه عبد المطلب، واسمه الذي عُرف به في أهله وقومه وعند العرب كافة وغير العرب، وهو الاسم الذي يُنادى، به كل وقت في الأذان، وهو الإعلان للصلاة، والذي يصلي عليه في الصلاة عليه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو الاسم المحفوظ الذي ينطق به كل داخل للإسلام، وبهذا الاسم يسأل ملائكة السؤال في القبر، وبهذا الاسم كان جبريل

عَلَيْهِ السَّلَامُ يُجِيبُ حُرَّاسَ كُلِّ سَمَاءٍ مِنَ السَّمَاوَاتِ حِينَ يَقُولُونَ لَهُ: وَمَنْ مَعَكَ؟  
 فيقول: محمد، وبهذا الاسم يجيب النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ حين يقول له رضوان  
 خازن الجنة: مَنْ؟ فيقول: محمد، فيقول له: بك أمرت ألا أفتح لأحدٍ قبلك.

فانظر إلى قول الله عَزَّوَجَلَّ عن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿وَإِذْ قَالَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِيَّ  
 إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيْكُمْ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَةِ وَمُبَشِّرًا بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ  
 أَحْمَدٌ فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ﴾ [الصف: ٦]، إذًا، فإن اسم أحمد ليس  
 هو الاسم الذي عرف به رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، إنما المقصود معناه العظيم  
 الكبير، فما أكبر معاني أحمد؛ إذ لو أتيت بكل محمود عند الناس لكان هو أحمد  
 منه، ولو أتيت بكل حامد لكان هو صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أعظم منه حمدًا، وهكذا في  
 كل ما يتعلق بهذه المعاني، وبكل معاني الحمد والشكر سواها، فأحمد هو الذي  
 لا يماثله أحد في الخلق ولا في الخلق ولا في شيء من الخيرات مطلقًا، وهذا  
 هو المقصود في السماء التي جاءت بعد أحمد في الحديث: عَنْ جُبَيْرِ بْنِ مُطْعِمٍ  
 رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَنَا مُحَمَّدٌ، وَأَنَا أَحْمَدُ، وَأَنَا الْمَاحِي الَّذِي  
 يُمَحِّي بِي الْكُفْرَ، وَأَنَا الْحَاشِرُ الَّذِي يُحَشِّرُ النَّاسَ عَلَى عَقْبِي، وَأَنَا الْعَاقِبُ،  
 وَالْعَاقِبُ الَّذِي لَيْسَ بَعْدَهُ نَبِيٌّ»<sup>(١)</sup>.

فالاسم والعنوان الرئيس هو محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ والباقي على معانيها  
 إلا أحمد، فإنه أعظمه مقاربة من محمد - فصلى الله عليه وآله وسلم - كما  
 بينها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وأما قول النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «اسمه اسمي واسم أبيه  
 اسم أبي» فإن الرواية الأخرى تفسر أن المقصود ليس المعنى الحرفي للاسم،  
 وإنما المقصود هو المعنى، والمقتضى والمشابهة للمعاني في اسم محمد، وبهذا  
 جاءت رواية ابن مسعود، وعن ابن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «لَوْ



لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا يَوْمٌ لَطَوَّلَ اللَّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ حَتَّى يَبْعَثَ فِيهِ رَجُلًا مِنِّي» - أَوْ «مِنْ أَهْلِ بَيْتِي» - يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي، وَاسْمُ أَبِيهِ اسْمُ أَبِي» زَادَ فِي حَدِيثِ فِطْرِ: «يَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا، كَمَا مُلِئَتْ ظُلْمًا وَجَوْرًا»<sup>(١)</sup>، وقد أوضحها ابن مسعود يوافق فضلًا، ان يقول إيضاحًا فاصلاً حين سئل: يا أبا عبد الرحمن ما يواطئ؟ قال: يُشبهه<sup>(٢)</sup>، فهو صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لم يقل: يطابق... فليس هو هو... ولا هو نسخة طبق الأصل منه، بل يشبهه.. وتفسير راوي الحديث هذا يبين بأن اسم المهدي لن يكون محمداً قطعاً، بل اسم يواطئ اسم محمدٍ، أي بمعناه ويقاربه بمبناه فالمواطأة هنا بشقيها اللفظية والمعنوية.

ولربما كان اسمه الذي سماه أهله به شيئاً، ولكنه لا يعرف به إنما يعرف باسم آخر ينادى به، فأخذ مكان الاسم الأصلي، ولربما تكون كنيته هي الاسم الذي يعرف به فتقوم مقام الاسم الأصلي، بل أكثر مثل أن تكون الكنية تحمل بعض معاني محمد أو معاني الحمد.

ولربما كان اسم أبيه ليس هو المقصود، أي: ليس اسم أبيه المباشر عبد الله، كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «أنا النبي لا كذب... أنا ابن عبد المطلب..» فالعرب تسمي الجد أباً، وهو أبوه الذي هو أشهر من أبيه المباشر، والعجيب أن من قالوا: «أن اسمه محمد بن عبد الله ليس عندهم أيُّ رواية مصرحة بأن اسم المهدي محمد، واسم أبيه عبد الله، بل كل ما فيها: «اسمه على اسمي، واسم أبيه على اسم أبي»؛ وفارق بين التصريح بالاسم وبين [على اسمي]، فهذه فيها من الإبعاد عن الاسم ما فيها مقارنة بقوله سبحانه عن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: ﴿رَسُولٌ

(١) أخرجه أبو داود (٤٢٨٢)، وقال شعيب الأرناؤوط: صحيح لغيره، وقال الألباني: حسن صحيح.

(٢) قال المحقق: ولم أجد من رواه من هذا الطريق (... من كتاب السنن الواردة في الفتن ص ١٠٥١ من الهامش).

يَأْتِي مِنْ بَعْدِي أَسْمُهُ أَحْمَدٌ ❦، ولم يكن اسمه الذي عرف به إلا محمدًا صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، فكيف وما ورد في الحديث إنما هو صارف عن اسم محمد واسم عبد الله وهو قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي، وَاسْمُ أَبِيهِ اسْمُ أَبِي؟»

فَعَنْ سَالِمِ بْنِ أَبِي الْجَعْدِ قَالَ: خَرَجْنَا حُجَّاجًا، فَجِئْتُ إِلَى عَبْدِ اللَّهِ بْنِ عَمْرٍو ابْنِ الْعَاصِ، فَقَالَ: «مِمَّنْ أَنْتَ يَا رَجُلُ؟» قَالَ: قُلْتُ: مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ، قَالَ: «فَكُنْ إِذَا مِنْ أَهْلِ الْكُوفَةِ»، قَالَ: فَقُلْتُ: أَنَا مِنْهُمْ، قَالَ: «فَأَيْتَهُمْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِالْمَهْدِيِّ»<sup>(١)</sup>.

### من أي البلاد هو؟

الله سبحانه أعلم بذلك إلا أن ثمة إشارات من الأحاديث الصحيحة والروايات العديدة تدل على أنه ليس من أهل الجزيرة العربية، ولا هو من مكة، ولا المدينة بنسبه القريب، وإلا فإنه لا بد أن يكون من هناك؛ لأنه من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، ولعل من الإشارات الواردة قوله: «مِنْ أَهْلِ الْعِرَاقِ»، فلعله يفيد أن المقصود هذا، ذلك أن لأهل العراق خصوصية مع المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ ذلك أن أسعد الناس بالقائد المنتصر أهله، وإما لأن أهل العراق هم أول من ينصره من العرب، كما في الحديث؛ قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كما في روايات عديدة: «ينصره الله بعصائب...» وفي روايات أخرى: «بعصب أهل العراق وأبدال الشام»، فإن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدَّمَ العصائب في بعض الروايات، ثم من المعلوم أن للشيعة ردة قوية إلى الإسلام الحق ممثلًا في المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ.. ودونك قوم يقدونه بأرواحهم وأبنائهم وأموالهم، وكل عزيز لذكر المهدي، فكيف به، وقد حضر في هذا العالم... إنه سيكون زلزالًا، بل كما يُسَمَّى (تسونامي) لا يُبْقِي ولا يذر، مُنْطَلِقُهُ من بلاد المشرق، وعلى الأخص منها بلاد الأعاجم، فهم أول الناس



نصرة للمهدي والعصبة التي حوله، وهم قلة لا يتجاوزون أصحاب بدر في عددهم، وما أدراك ما أصحاب بدر؟ وماذا صنع الله بأصحاب بدر للإسلام منذ ذلك النصر؟! ثم إن أهل العراق بغير شك هم من أهل المشرق.. والله أعلم.

وقوله: «فَإِنَّهُمْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِالْمَهْدِيِّ»، فهذا يدل على أن هؤلاء خاصة هم أسعد الناس به، وجميع الخلق به سعداء، إلا أنهم الأسعد؛ لأنه يخلصهم من الضلالة إلى الهدى وبخلاصهم يتخلص أتباع كثير؛ إذ هم مركز قيادة، ولولاه لهلكوا وشقوا في الدنيا والآخرة، كما أنه يخلص الأمة كلها، وهذا الأثر موقوف صحيح إلى عبد الله بن عمرو بن العاص رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا، ومثله لا يُقال من قبيل الرأي مطلقاً، إذ إن ما ذكر هنا إنما هو من الإخبار بالغيب، ولا يمكن أن يقال بالرأي، وثمة اعتبارات أخرى لا أود التطرُّق لها هنا من قوله: «فَإِنَّهُمْ أَسْعَدُ النَّاسِ بِالْمَهْدِيِّ». والله أعلم.

### خامس عشر: المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ والدجال لعنة الله عليه وتقابلهما:

لأنه هو المهدي وابن أبرك بيت، وابن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وهو خليفة الله، فهو قائد [جند الله] والمهدي هو خير غائب يُنتظر، لذا هو من يقابل شر غائب يُنتظر، إذًا فهو مَنْ يقابل الدَّجَالَ الذي يزعم أنه [هو الله] تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا، وهو مَنْ يصلح لعصر الدجل ويحوِّله إلى عصر الصدق والعدل والرحمة، وهو مَنْ يقود الجيش الذي يتولى قتل الدجال، وعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ هو مَنْ جعل الله قتل الدجال على يديه...

نعم! إن الدجال فتنة عظيمة لم تظهر على الأرض فتنة مثلها أبدًا، وما كان الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى لِيترك أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ للدجال ولا لسواه، ولهذا فإن الله عَزَّ وَجَلَّ يبعث المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ في وقت أشد ما يكون الدَّجَلُ فورانًا وفتنة وسيطرة، وصور ذلك اليوم ظاهرة وكثيرة، فمن ذلك وهو أصعبها وأطغها ما ذكره معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ.

قَالَ مُعَاذٌ: «يُوشِكُ الْقُرْآنُ أَنْ يُنْسَخَ، قَالَ: يُنْسَخُ حَتَّى لَا يُقْرَأَ؟ قَالَ: لَا، وَلَكِنْ يَسْلُكُ النَّاسُ وَادِيًا، وَيَسْلُكُ الْقُرْآنُ وَادِيًا غَيْرَهُ»<sup>(١)</sup>.

فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، عَنِ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يُبْعَثَ دَجَالُونَ كَذَّابُونَ قَرِيبٌ مِنْ ثَلَاثِينَ، كُلُّهُمْ يَزْعُمُ أَنَّهُ رَسُولُ اللَّهِ»<sup>(٢)</sup>.

وَعَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: وَاللَّهِ لَقَدْ سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لَيَكُونَنَّ قَبْلَ الْمَسِيحِ الدَّجَالِ كَذَّابُونَ ثَلَاثُونَ أَوْ أَكْثَرٌ». قَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَحْمَدَ: قَالَ أَبِي: وَقَالَ أَبُو الْوَلِيدِ - يَعْنِي: الطَّيَالِسِيُّ: «قَبْلَ يَوْمِ الْقِيَامَةِ»<sup>(٣)</sup>.

إنما الذي أريد بيانه هنا أن الدجال ورغم كل ما ورد من شره الذي لم يوجد له مثل قبله، إلا أن شره لا يكون له ذاك الأثر، فهناك فارق بين أن يكون شره عظيمًا وبين أن يكون أثر شره عظيمًا نعم؛ فلقد أثمر بيان النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لأمر الدجال وتجليته له وكشفه إياه، حتى لكأن قارئ السنة وراويها يرى الدجال لدقة الوصف بعينه - نعوذ بالله منه - ثم إنه لو لم يبعث الله عزَّجَلَّ المهدي عليه السلام في الفترة التي سبقت ظهور الدجال لأحرق الأخضر واليابس وأفسد الدين والدنيا معًا... فلقد أصبحت فترة ظهور المهدي عليه السلام؛ هي فترة الفتوحات العظمى والهدايات العظمى، حتى أصبح من الجيوش العظمى من ينسحب من مواجهة المهدي وجيشه، وينحاز إليه؛ ليقاتل معه قومه؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَنْزِلَ الرُّومُ بِالْأَعْمَاقِ، أَوْ بِدَائِقِ، فَيَخْرُجُ إِلَيْهِمْ جَيْشٌ مِنَ الْمَدِينَةِ مِنْ خِيَارِ أَهْلِ الْأَرْضِ يَوْمَئِذٍ، فَإِذَا تَصَافَوْا

(١) السنن الواردة في الفتن للداني (٣/٥٩٦) رقم (٢٧٠)، وقال محققه رضاء الله المبار كفوري: رجاله ثقات وهو موقوف على معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ، ورجاله ثقات سوى يزيد بن عبد الله ذكره ابن أبي حاتم دون توثيق أو تجريح.

(٢) رواه مسلم (١٥٧).

(٣) رواه أحمد (٥٨٠٨)، وقال الأرنؤوط: صحيح لغيره.

قَالَتِ الرَّؤْمُ: خَلَوْا بَيْنَنَا وَبَيْنَ الَّذِينَ سَبَّوْنَا مِنَّا نَقَاتِلُهُمْ، فَيَقُولُ الْمُسْلِمُونَ: لَا وَاللَّهِ، لَا نُحَلِّي بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ إِخْوَانِنَا، فَيَقَاتِلُونَهُمْ، فَيَنْهَزِمُ ثُلُثٌ لَا يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ أَبَدًا، وَيُقْتَلُ ثُلُثُهُمْ أَفْضَلُ الشُّهَدَاءِ عِنْدَ اللَّهِ، وَيَفْتَحُ الثُّلُثُ لَا يُفْتَنُونَ أَبَدًا، فَيَفْتَتِحُونَ قُسْطَنْطِينِيَّةَ، فَبَيْنَمَا هُمْ يَفْتَسِمُونَ الْغَنَائِمَ قَدْ عَلَقُوا سُيُوفَهُمْ بِالزَّيْتُونِ، إِذْ صَاحَ فِيهِمُ الشَّيْطَانُ: إِنَّ الْمَسِيحَ قَدْ خَلَفَكُمْ فِي أَهْلِكُمْ، فَيَخْرُجُونَ وَذَلِكَ بَاطِلٌ، فَإِذَا جَاؤُوا الشَّامَ خَرَجَ، فَبَيْنَمَا هُمْ يُعَدُّونَ لِلْقِتَالِ يُسَوُّونَ الصُّفُوفَ، إِذْ أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَأَمَّهُمْ، فَإِذَا رَأَهُ عَدُوُّ اللَّهِ ذَابَ كَمَا يَذُوبُ الْمِلْحُ فِي الْمَاءِ، فَلَوْ تَرَكَهُ لَأَنْدَابَ حَتَّى يَهْلِكَ، وَلَكِنْ يَقْتُلُهُ اللَّهُ بِيَدِهِ، فَيَرِيهِمْ دَمَهُ فِي حَرْبَتِهِ»<sup>(١)</sup>.

لا شك أن هذا الحديث قد جمع - والله أعلم - الأحداث جميعاً، بحيث لا يمكن للإنسان العادي أن يدرك الفواصل الزمنية بين أولها، إلا أن الظاهر هو أن القسطنطينية إنما هي أوربا وهي ربما قيصر، وما أعظمها! وذكر السيوف وغيرها إنما هو إشارة للجهد والفتوح وإشارة إلى المدى الذي بلغته الفتوح.

هكذا يكون المنادي هو الشيطان نعوذ بالله منه.. فالشيطان يريد أن يوقف الفتوح بهذه الكذبة، ويريد أن ينقذ جنده من الهزائم، كما يريد أن يستعجل الدجال بالخروج، فلعله يوقف المد الإيماني والهدى الذي أعاد البشرية إلى ربها، وهكذا يبطل الله كيده، كما يريد الله سبحانه للمؤمنين الأعداء، وما إن يرجعوا حتى يخرج الدَّجَالُ... فالدجال هو الدجال وصنيعته الدجل والسحر والحيل والكذب.. والله عَزَّجَلَّ يقول: ﴿وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى﴾ [طه: ٦٩]، ويقول سبحانه: ﴿وَأَنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي كَيْدَ الْغَائِبِينَ﴾ [يوسف: ٥٢]، ويقول سبحانه: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يُصَلِّحُ عَمَلَ الْمُفْسِدِينَ﴾ [يونس: ٨١]، والدجال يُبعث معه الشياطين؛ كما في الحديث:

(١) رواه مسلم (٢٨٩٧).

عَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا أَنَّهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يُخْرَجُ الدَّجَالُ عَدُوًّا لِلَّهِ وَمَعَهُ جُنُودٌ مِنَ الْيَهُودِ وَأَصْنَافِ النَّاسِ، مَعَهُ جَنَّةٌ وَنَارٌ، وَرِجَالٌ يَقْتُلُهُمْ ثُمَّ يُحْيِيهِمْ، مَعَهُ جَبَلٌ مِنْ ثَرِيدٍ، وَنَهْرٌ مِنْ مَاءٍ، وَإِنِّي سَأَعْتُ لَكُمْ نَعْتَهُ، إِنَّهُ يُخْرَجُ مَمْسُوحَ الْعَيْنِ، فِي جَبْهَتِهِ مَكْتُوبٌ: كَافِرٌ، يَقْرَأُ كُلُّ مَنْ يُحْسِنُ الْكِتَابَ، وَمَنْ لَا يُحْسِنُ، فَجَبَّتْهُ نَارٌ، وَنَارُهُ جَنَّةٌ، وَهُوَ الْمَسِيحُ الْكَذَّابُ، وَيَتَّبِعُهُ مِنْ نِسَاءِ الْيَهُودِ ثَلَاثَةَ عَشَرَ أَلْفَ امْرَأَةٍ، فَرَحِمَ اللَّهُ رَجُلًا مَنَعَ سَفِيهَتَهُ أَنْ تَتَّبِعَهُ، وَالْقُوَّةُ عَلَيْهِ يَوْمَئِذٍ بِالْقُرْآنِ، فَإِنَّ شَأْنَهُ بَلَاءٌ شَدِيدٌ، يَبْعَثُ اللَّهُ الشَّيَاطِينَ مِنْ مَشَارِقِ الْأَرْضِ وَمَغَارِبِهَا، فَيَقُولُونَ لَهُ: اسْتَعِنْ بِنَا عَلَى مَا شِئْتَ، فَيَقُولُ لَهُمْ: انْطَلِقُوا، فَأَخْبِرُوا النَّاسَ أَنِّي رَبُّهُمْ، وَأَنِّي قَدْ جِئْتُهُمْ بِجَنَّتِي وَنَارِي، فَتَنْطَلِقُ الشَّيَاطِينُ، فَيَدْخُلُ عَلَى الرَّجُلِ أَكْثَرَ مِنْ مِائَةِ شَيْطَانٍ فَيَتَمَثَّلُونَ لَهُ بِصُورَةِ وَالِدِهِ، وَوَالِدِهِ، وَإِخْوَتِهِ، وَمَوَالِيهِ، وَرَفِيقِهِ، فَيَقُولُونَ: يَا فُلَانُ، أَتَعْرِفُنَا؟ فَيَقُولُ لَهُمُ الرَّجُلُ: نَعَمْ، هَذَا أَبِي، وَهَذِهِ أُمِّي، وَهَذِهِ أُخْتِي، وَهَذَا أَخِي، وَيَقُولُ الرَّجُلُ: مَا نَبُوكُمْ؟ فَيَقُولُونَ: بَلْ أَنْتَ فَأَخْبِرْنَا مَا نَبُوكَ؟ فَيَقُولُ الرَّجُلُ: إِنَّا قَدْ أُخْبِرْنَا أَنَّ عَدُوَّ اللَّهِ الدَّجَالَ قَدْ خَرَجَ، فَتَقُولُ لَهُ الشَّيَاطِينُ: مَهَلًا، لَا تَقُلْ هَذَا، فَإِنَّهُ رَبُّكُمْ يُرِيدُ الْقَضَاءَ فِيكُمْ، هَذِهِ جَنَّتُهُ قَدْ جَاءَ بِهَا وَنَارُهُ، وَمَعَهُ الْأَنْهَارُ وَالطَّعَامُ، فَلَا طَعَامَ إِلَّا مَا كَانَ قَبْلَهُ إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ، فَيَقُولُ الرَّجُلُ: كَذَبْتُمْ، مَا أَنْتُمْ إِلَّا شَيْاطِينُ، وَهُوَ الْكَذَّابُ، قَدْ بَلَّغْنَا أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَدْ حَدَّثَ حَدِيثَكُمْ، وَحَدَرْنَا وَأَنْبَأَنَا بِهِ، فَلَا مَرَحَبًا بِكُمْ، أَنْتُمْ الشَّيَاطِينُ، وَهُوَ عَدُوُّ اللَّهِ، وَلَيْسُوقَنَّ اللَّهُ عَيْسَى ابْنَ مَرْيَمَ حَتَّى يَقْتُلَهُ، فَيَخْسُؤُوا فَيَنْقَلِبُوا خَائِبِينَ»، ثُمَّ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّمَا أُحَدِّثُكُمْ هَذَا لِتَعْقِلُوهُ وَتَفْقَهُوهُ وَتَعُوهُ، وَاعْمَلُوا عَلَيْهِ، وَحَدِّثُوا بِهِ مَنْ خَلَفَكُمْ، فَلْيُحَدِّثِ الْآخَرَ الْآخَرَ، فَإِنَّ فِتْنَتَهُ أَشَدُّ الْفِتَنِ»<sup>(١)</sup>.

(١) الفتن لنعيم بن حماد (٢/٥٣٧) رقم (١٠١٨)، وقال التويجري في إتحاف الجماعة

بما جاء في الفتن والملاحم وأشراط الساعة (٣/٦٨): رواه نعيم بن حماد كما في «كنز

=

العمال»، وفيه: سويد بن عبد العزيز: متروك.

وَعَنْ أَبِي أَمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: خَطَبَنَا رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَكَانَ أَكْثَرَ خُطْبَتِهِ حَدِيثًا حَدَّثَنَا عَنْ الدَّجَالِ، وَحَدَّرَنَا، فَكَانَ مِنْ قَوْلِهِ أَنْ قَالَ: «إِنَّهُ لَمْ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ، مُنْذُ ذَرَأَ اللَّهُ ذُرِّيَّةَ آدَمَ، أَعْظَمَ مِنْ فِتْنَةِ الدَّجَالِ، وَإِنَّ اللَّهَ لَمْ يَبْعَثْ نَبِيًّا إِلَّا حَدَّرَ أُمَّتَهُ الدَّجَالَ، وَأَنَا آخِرُ الْأَنْبِيَاءِ، وَأَنْتُمْ آخِرُ الْأُمَمِ، وَهُوَ خَارِجٌ فِيكُمْ لَا مَحَالَهَ، وَإِنْ يَخْرُجُ وَأَنَا بَيْنَ ظَهْرَانَيْكُمْ، فَأَنَا حَاجِبٌ لِكُلِّ مُسْلِمٍ، وَإِنْ يَخْرُجُ مِنْ بَعْدِي، فَكُلُّ امْرَأٍ حَاجِبٌ نَفْسِهِ، وَاللَّهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ، وَإِنَّهُ يَخْرُجُ مِنْ خَلَّةٍ بَيْنَ الشَّامِ وَالْعِرَاقِ، فَيَعِثُ يَمِينًا وَيَعِثُ شِمَالًا، يَا عِبَادَ اللَّهِ! فَاتَّبِعُوا، فَإِنِّي سَأَصْفُهُ لَكُمْ صِفَةً لَمْ يَصْفُهَا إِلَّا هُوَ نَبِيٌّ قَبْلِي، إِنَّهُ يَبْدَأُ، فَيَقُولُ: أَنَا نَبِيٌّ وَلَا نَبِيَّ بَعْدِي، ثُمَّ يَثْنِي، فَيَقُولُ: أَنَا رَبُّكُمْ وَلَا تَرُونَ رَبَّكُمْ حَتَّى تَمُوتُوا، وَإِنَّهُ أَعْوَرٌ، وَإِنَّ رَبَّكُمْ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، وَإِنَّهُ مَكْتُوبٌ بَيْنَ عَيْنَيْهِ كَافِرٌ، يَقْرُؤُهُ كُلُّ مُؤْمِنٍ، كَاتِبٍ أَوْ غَيْرِ كَاتِبٍ، وَإِنْ مِنْ فِتْنَتِهِ أَنْ مَعَهُ جَنَّةٌ وَنَارًا، فَنَارُهُ جَنَّةٌ، وَجَنَّتُهُ نَارٌ، فَمَنْ ابْتُلِيَ بِنَارِهِ، فَلْيَسْتَعِثْ بِاللَّهِ، وَلْيَقْرَأْ فَوَاتِحَ الْكَهْفِ فَتَكُونَ عَلَيْهِ بَرْدًا وَسَلَامًا، كَمَا كَانَتْ النَّارُ عَلَى إِبْرَاهِيمَ، وَإِنْ مِنْ فِتْنَتِهِ أَنْ يَقُولَ لِأَعْرَابِيٍّ: أَرَأَيْتَ إِنْ بَعَثْتُ لَكَ أَبَاكَ وَأُمَّكَ، أَتَشْهَدُ أَنِّي رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: نَعَمْ، فَيَتَمَثَّلُ لَهُ شَيْطَانَانِ فِي صُورَةِ أَبِيهِ، وَأُمِّهِ، فَيَقُولَانِ: يَا بُنَيَّ، اتَّبِعْهُ، فَإِنَّهُ رَبُّكَ، وَإِنْ مِنْ فِتْنَتِهِ أَنْ يُسَلِّطَ عَلَى نَفْسٍ وَاحِدَةٍ، فَيَقْتُلَهَا، وَيَنْشُرَهَا بِالْمَنْشَارِ، حَتَّى يُلْقَى شِقَّتَيْنِ، ثُمَّ يَقُولُ: انظُرُوا إِلَيَّ عَبْدِي هَذَا، فَإِنِّي أَبْعَثُهُ الْآنَ، ثُمَّ يَزْعُمُ أَنَّ لَهُ رَبًّا غَيْرِي، فَيَبْعَثُهُ اللَّهُ، وَيَقُولُ لَهُ الْحَبِيبُ: مَنْ رَبُّكَ؟ فَيَقُولُ: رَبِّي اللَّهُ، وَأَنْتَ عَدُوُّ اللَّهِ، أَنْتَ الدَّجَالُ، وَاللَّهُ مَا كُنْتُ بَعْدُ أَشَدَّ بَصِيرَةً بِكَ مِنِّي الْيَوْمَ»، قَالَ أَبُو الْحَسَنِ الطَّنَافِيسِيُّ: فَحَدَّثَنَا الْمُحَارِبِيُّ قَالَ: حَدَّثَنَا عُبَيْدُ اللَّهِ بْنُ الْوَلِيدِ الْوَصَّافِيُّ، عَنْ عَطِيَّةَ، عَنْ أَبِي سَعِيدٍ، قَالَ: قَالَ

= قلت: لم يُتفق على تركه، بل قال دحيم: «ثقة، وكانت له أحاديث يغلط فيها». وقال نعيم بن حماد وعلي بن حجر: «كان هشيم يُحسِّن أمره ويثني عليه خيرا». وحديثه هذا فيه نكارة، ولبعضه شواهد مما تقدم.

رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «ذَلِكَ الرَّجُلُ أَرْفَعُ أُمَّتِي دَرَجَةً فِي الْجَنَّةِ». قَالَ: قَالَ أَبُو سَعِيدٍ: «وَاللَّهِ مَا كُنَّا نُرَى ذَلِكَ الرَّجُلَ إِلَّا عُمَرَ بْنَ الْخَطَّابِ حَتَّى مَضَى لِسَبِيلِهِ. قَالَ الْمُحَارِبِيُّ، ثُمَّ رَجَعْنَا إِلَى حَدِيثِ أَبِي رَافِعٍ، قَالَ: «وَإِنَّ مِنْ فِتْنَتِهِ أَنْ يَأْمُرَ السَّمَاءَ أَنْ تُمْطِرَ فْتُمْطِرَ، وَيَأْمُرَ الْأَرْضَ أَنْ تُنْبِتَ فْتُنْبِتَ، وَإِنَّ مِنْ فِتْنَتِهِ أَنْ يَمُرَّ بِالْحَيِّ فَيَكْذِبُونَهُ، فَلَا تَبْقَى لَهُمْ سَائِمَةٌ إِلَّا هَلَكْتَ، وَإِنَّ مِنْ فِتْنَتِهِ أَنْ يَمُرَّ بِالْحَيِّ فَيُصَدِّقُونَهُ، فَيَأْمُرُ السَّمَاءَ أَنْ تُمْطِرَ فْتُمْطِرَ، وَيَأْمُرَ الْأَرْضَ أَنْ تُنْبِتَ فْتُنْبِتَ، حَتَّى تَرْوِحَ مَوَاشِيَهُمْ، مِنْ يَوْمِهِمْ ذَلِكَ أَسْمَنَ مَا كَانَتْ وَأَعْظَمَهُ، وَأَمَدَهُ حَوَاصِرَ، وَأَدْرَهُ ضُرُوعًا، وَإِنَّهُ لَا يَبْقَى شَيْءٌ مِنَ الْأَرْضِ إِلَّا وَطْنُهُ، وَظَهَرَ عَلَيْهِ، إِلَّا مَكَّةَ، وَالْمَدِينَةَ، لَا يَأْتِيهِمَا مِنْ نَقْبٍ مِنْ نِقَابِهِمَا إِلَّا لَقِيَتْهُ الْمَلَائِكَةُ بِالسُّيُوفِ صَلَاتَهُ، حَتَّى يَنْزِلَ عِنْدَ الظَّرِيبِ الْأَحْمَرِ، عِنْدَ مُنْقَطِعِ السَّبْحَةِ، فَرَجَفُ الْمَدِينَةُ بِأَهْلِهَا ثَلَاثَ رَجَفَاتٍ، فَلَا يَبْقَى مُنَافِقٌ وَلَا مُنَافِقَةٌ إِلَّا خَرَجَ إِلَيْهِ، فَتَنَفَّى الْخَبَثَ مِنْهَا، كَمَا يَنْفِي الْكَبِيرُ، خَبَثَ الْحَدِيدِ، وَيُدْعَى ذَلِكَ الْيَوْمَ يَوْمَ الْخَلَاصِ»، فَقَالَتْ أُمُّ شَرِيكِ بِنْتُ أَبِي الْعَكْرِ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَأَيْنَ الْعَرَبُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ «هُمْ يَوْمَئِذٍ قَلِيلٌ، وَجُلُوهُمْ بَيْتَ الْمُقَدَّسِ، وَإِمَامُهُمْ رَجُلٌ صَالِحٌ، فَبَيْنَمَا إِمَامُهُمْ قَدْ تَقَدَّمَ يُصَلِّي بِهِمُ الصُّبْحَ، إِذْ نَزَلَ عَلَيْهِمْ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ الصُّبْحَ، فَرَجَعَ ذَلِكَ الْإِمَامُ يَنْكُصُ، يَمْشِي الْفَهْقَرَى، لِيَتَقَدَّمَ عِيسَى يُصَلِّيَ بِالنَّاسِ، فَيَضَعُ عِيسَى يَدَهُ بَيْنَ كَتِفَيْهِ، ثُمَّ يَقُولُ لَهُ: تَقَدَّمَ فَصَلِّ، فَإِنَّهَا لَكَ أُفِيْمَتْ، فَيُصَلِّيَ بِهِمْ إِمَامُهُمْ، فَإِذَا انْصَرَفَ، قَالَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: افْتَحُوا الْبَابَ، فَيُفْتَحُ، وَوَرَاءَهُ الدَّجَالُ مَعَهُ سَبْعُونَ أَلْفَ يَهُودِيٍّ، كُلُّهُمْ ذُو سَيْفٍ مُحَلَّى وَسَاجٍ، فَإِذَا نَظَرَ إِلَيْهِ الدَّجَالُ ذَابَ، كَمَا يَذُوبُ الْمَلْحُ فِي الْمَاءِ، وَيَنْطَلِقُ هَارِبًا، وَيَقُولُ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ: إِنَّ لِي فِيكَ ضَرْبَةً، لَنْ تَسْبِقَنِي بِهَا، فَيُذِرُكَ عِنْدَ بَابِ اللُّدِّ الشَّرْقِيِّ، فَيَقْتُلُهُ، فَيَهْرُمُ اللَّهُ الْيَهُودَ، فَلَا يَبْقَى شَيْءٌ مِمَّا خَلَقَ اللَّهُ يَتَوَارَى بِهِ يَهُودِيٌّ إِلَّا أَنْطَقَ اللَّهُ ذَلِكَ الشَّيْءَ، لَا حَجَرَ، وَلَا شَجَرَ، وَلَا حَائِطًا، وَلَا دَابَّةً، إِلَّا الْعَرَقَدَةَ، فَإِنَّهَا مِنْ شَجَرِهِمْ، لَا تَنْطِقُ، إِلَّا قَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ الْمُسْلِمَ

هَذَا يَهُودِيٌّ، فَتَعَالَ اقْتُلْهُ»، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «وَإِنَّ أَيَّامَهُ أَرْبَعُونَ سَنَةً، السَّنَةُ كِنِصْفِ السَّنَةِ، وَالسَّنَةُ كَالشَّهْرِ، وَالشَّهْرُ كَالْجُمُعَةِ، وَآخِرُ أَيَّامِهِ كَالشَّرَرَةِ، يُصْبِحُ أَحَدُكُمْ عَلَى بَابِ الْمَدِينَةِ، فَلَا يَبْلُغُ بَابَهَا الْآخَرَ حَتَّى يُمْسِيَ»، فَقِيلَ لَهُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ كَيْفَ نُصَلِّي فِي تِلْكَ الْأَيَّامِ الْقِصَارِ؟ قَالَ: «تَقْدُرُونَ فِيهَا الصَّلَاةَ كَمَا تَقْدُرُونَهَا فِي هَذِهِ الْأَيَّامِ الطَّوَالِ، ثُمَّ صَلُّوا»، قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَيَكُونُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي أُمَّتِي حَكَمًا عَدْلًا، وَإِمَامًا مُقْسِطًا، يَدُقُّ الصَّلِيبَ، وَيَذْبَحُ الْخِنْزِيرَ، وَيَضَعُ الْحِزْيَةَ، وَيَتْرُكُ الصَّدَقَةَ، فَلَا يُسْعَى عَلَى شَاةٍ، وَلَا بَعِيرٍ، وَتُرْفَعُ الشَّحْنَاءُ وَالتَّبَاغُضُ، وَتُنزَعُ حُمَةٌ كُلُّ ذَاتِ حُمَةٍ، حَتَّى يَدْخَلَ الْوَلِيدُ يَدَهُ فِي فِي الْحِيَّةِ، فَلَا تَضُرُّهُ، وَتُفَرَّ الْوَلِيدَةُ الْأَسَدَ، فَلَا يَضُرُّهَا، وَيَكُونُ الذَّنْبُ فِي الْغَنَمِ كَأَنَّهُ كَلْبُهَا، وَتُمَلَأُ الْأَرْضُ مِنَ السَّلْمِ كَمَا يُمَلَأُ الْإِنَاءُ مِنَ الْمَاءِ، وَتَكُونُ الْكَلِمَةُ وَاحِدَةً، فَلَا يُعْبَدُ إِلَّا اللَّهُ، وَتَضَعُ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا، وَتُسَلَبُ قُرَيْشُ مُلْكَهَا، وَتَكُونُ الْأَرْضُ كَفَاتُورِ الْفِضَّةِ، تُنْبِتُ نَبَاتَهَا بِعَهْدِ آدَمَ حَتَّى يَجْتَمِعَ النَّفْرُ عَلَى الْقِطْفِ مِنَ الْعِنَبِ فَيُشْبِعُهُمْ، وَيَجْتَمِعُ النَّفْرُ عَلَى الرُّمَانَةِ فُتُشْبِعُهُمْ، وَيَكُونُ الثَّوْرُ بِكَذَا وَكَذَا مِنَ الْمَالِ، وَتَكُونُ الْفَرَسُ بِالْدَّرِيهِمَاتِ»، قَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ وَمَا يُرْخِصُ الْفَرَسَ؟ قَالَ: «لَا تُرْكَبُ لِحَرْبٍ أَبَدًا»، قِيلَ لَهُ: فَمَا يُغْلِي الثَّوْرَ؟ قَالَ: «تُحْرَثُ الْأَرْضُ كُلُّهَا، وَإِنَّ قَبْلَ خُرُوجِ الدَّجَالِ ثَلَاثَ سِنَوَاتٍ شِدَادٍ، يُصِيبُ النَّاسَ فِيهَا جُوعٌ شَدِيدٌ، يَأْمُرُ اللَّهُ السَّمَاءَ فِي السَّنَةِ الْأُولَى أَنْ تَحْسِبَ ثُلثَ مَطَرِهَا، وَيَأْمُرُ الْأَرْضَ فَتَحْسِبُ ثُلثَ نَبَاتِهَا، ثُمَّ يَأْمُرُ السَّمَاءَ فِي الثَّانِيَةِ، فَتَحْسِبُ ثُلثِي مَطَرِهَا، وَيَأْمُرُ الْأَرْضَ فَتَحْسِبُ ثُلثِي نَبَاتِهَا، ثُمَّ يَأْمُرُ اللَّهُ السَّمَاءَ فِي السَّنَةِ الثَّلَاثَةِ، فَتَحْسِبُ مَطَرَهَا كُلَّهُ، فَلَا تُقَطِرُ قَطْرَةً، وَيَأْمُرُ الْأَرْضَ، فَتَحْسِبُ نَبَاتَهَا كُلَّهُ، فَلَا تُنْبِتُ خَضْرَاءً، فَلَا تَبْقَى ذَاتُ ظِلْفٍ إِلَّا هَلَكَتْ، إِلَّا مَا شَاءَ اللَّهُ»، قِيلَ: فَمَا يَعِيشُ النَّاسُ فِي ذَلِكَ الزَّمَانِ؟ قَالَ: «التَّهْلِيلُ، وَالتَّكْبِيرُ، وَالتَّسْبِيحُ، وَالتَّحْمِيدُ، وَيُجْرَى ذَلِكَ

عَلَيْهِمْ مُجْرَى الطَّعَامِ»<sup>(١)</sup>.

والله سبحانه يقول: ﴿إِنَّ كَيْدَ الشَّيْطَانِ كَانَ ضَعِيفًا﴾ [النساء: ٧٦].

والأصل أن من يهديه الله على يد المهدي، أنه لن يضل بإذن الله، وما ورد من ذكر بعض الأحداث لبعض الأحياء وبعض الناس فإن هؤلاء عادة ما يكونون في بعدٍ سحيق عما يجري وفي جهل عميق وفي فقر ماحق، والأرض كبيرة والأقوام كثر ويحدث.. ولا يخلو الأمر من هؤلاء، ولهذا فقد نصح النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ المرء بأن يفر منه ما دام يستطيع الفرار ويخاف الفتنة، ومن لم يستطع الفرار فليواجهه وليصق في وجهه.

ولقد صح في الحديث: «لَيَفِرَنَّ النَّاسُ مِنَ الدَّجَالِ فِي الْجِبَالِ»، قَالَتْ أُمُّ شَرِيكٍ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! فَأَيْنَ الْعَرَبُ يَوْمَئِذٍ؟ قَالَ: «هُمْ قَلِيلٌ»<sup>(٢)</sup>.

كما صح في الحديث: «فَلْيَتَّقُوا فِي وَجْهِهِ»<sup>(٣)</sup>.

(١) رواه ابن ماجه (٤٠٧٧)، وقال التوحيدي في إتحاف الجماعة بما جاء في الفتن والملاحم وأشراف الساعة (٣/٥٧-٥٨): رواه: ابن ماجه، وابن خزيمة، والحافظ الضياء المقدسي في «المختارة»، واللفظ لابن ماجه. وروى عبد الله ابن الإمام أحمد في كتاب «السنة» طرفاً من أوله، ورواته ثقات. وساق أبو داود إسناده، وأحال بلفظه على حديث النواس بن سمعان، ورجاله ثقات.

وروى الطبراني والحاكم بعضه، وقالوا فيه: «وإن أيامه أربعون يوماً؛ يوم كسنة، ويوم كشهر، ويوم كجمعة، يوم كالأيام، وآخر أيامه كالسراب؛ يصبح الرجل عند باب المدينة، فيمسي قبل أن يبلغ بابها الآخر». قالوا: وكيف نصلي في تلك الأيام القصار؟ قال: «تقدرون فيها كما تقدرون في الأيام الطوال». قال الحاكم: «صحيح على شرط مسلم ولم يخرجاه»، ووافقه الذهبي في «تلخيصه». وصححه الألباني في صحيح الجامع (٧٨٧٥).

(٢) رواه مسلم (٢٩٤٥).

(٣) رواه الحاكم في المستدرک (٨٨٧٥)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ بِهَذِهِ السِّيَاقَةِ.

والله سبحانه ما بعث الدجال إلا بعدما هدى الله الناس بالمهدي بعثه وحدد مدته أربعين يوماً وفي رواية: «أربعين ليلة»، فإن أيامه ليالٍ طالت أم قصرت.

ثم إنه لا يمر بمكان ثم يعود إليه مرة أخرى... فالوقت لا يكفي، وحيله قد انكشفت، فإنه ما إن يغادرهم حتى تعود حياتهم كما كانت عليه من البؤس لذا قال الله سبحانه: ﴿يَحِيلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهُ سَعَى﴾ [طه: ٦٦]... وهكذا يشيع خبره وتعود إليهم عقولهم فيدركون خدعتهم... ولذا فإنه في نهاية الأمر لم يكسب بلداً واحداً ولا شعباً واحداً، ولا يجد من يقاتل معه ويحميه غير الحفنة الأولى التي خرجت معه فيقتله المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ بعد هروبه وفراره من المعركة بباب لُدٍّ وكما أمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بالفرار منه لمن يخاف على دينه فقد أمر من ابتلي به أن يبصق في وجهه ولا يبالي فقال: «فَمَنْ لَقِيَهُ مِنْكُمْ، فَلْيَتَّقْ فِي وَجْهِهِ، وَلْيَقْرَأْ فَوَاتِحَ سُورَةِ أَصْحَابِ الْكَهْفِ، وَإِنَّهُ يُسَلِّطُ عَلَى نَفْسٍ مِنْ بَنِي آدَمَ، فَيَقْتُلُهَا، ثُمَّ يُحْيِيهَا»<sup>(١)</sup>.

وكل ما نقرؤه مما يظهره الدجال للعباد في أول الأمر إنما هو دجل ولا يعدو كونه تخيلاً سواء كان مطر السماء وكنوز الأرض ونهر نار ونهر ماء فالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يخاطب كل العصور والمقصود واحد، وهذه الألفاظ يفهمها أهل كل العصور.

فَعَنِ الْمُغِيرَةَ بْنِ شُعْبَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: مَا سَأَلَ أَحَدٌ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ عَنِ الدَّجَالِ أَكْثَرَ مِمَّا سَأَلْتُ. قَالَ: «وَمَا يُنْصِبُكَ مِنْهُ؟ إِنَّهُ لَا يَضْرُكَ»، قَالَ: قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّهُمْ يَقُولُونَ: إِنَّ مَعَهُ الطَّعَامَ وَالْأَنْهَارَ، قَالَ: «هُوَ أَهْوَنُ عَلَى اللَّهِ مِنْ ذَلِكَ»<sup>(٢)</sup>، وفي رواية: «إِنَّهُمْ يَقُولُونَ: مَعَهُ جِبَالٌ مِنْ خُبْزٍ وَلَحْمٍ، وَنَهْرٌ مِنْ مَاءٍ»<sup>(٣)</sup>،

(١) رواه الحاكم في المستدرک (٨٨٧٥)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ مُسْلِمٍ، وَلَمْ يُخَرِّجْ جَاهُ بِهَذِهِ السِّيَاقَةِ.

(٢) رواه مسلم (٢٩٣٩).

(٣) رواه البخاري (٧١٢٢)، ومسلم (٢٩٣٩).

وفي رواية: «إن الناس يقولون: إن معه الطعام والشراب»<sup>(١)</sup>، ومثله لأحمد من حديث جابر رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ: «وَمَعَهُ جِبَالٌ مِنْ خُبْزٍ، وَالنَّاسُ فِي جَهْدٍ إِلَّا مَنْ تَبِعَهُ»<sup>(٢)</sup>.

حقاً هو أهون على الله من ذلك؛ من أن يكرمه بهذا وأهون من أن يُسَيِّرَ الله هذه النعم ليستخدمها في ردة الناس عن دينهم.. هو أهون من أن يعينه وهو يقول للناس: إنه الله - تعالى الله عن ذلك علواً كبيراً - فلا يظن مسلم أن الدجال سوف ينجح في مهمته بل هي الخسارة الأعظم للشيطان لأنها الخسارة الأخيرة لهجمته الأخيرة وسلاحه الذي ادخره لآخر الدنيا.. وكيف ينجح والنبى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قد استودعنا الله؟ فَعَنِ النَّوَّاسِ بْنِ سَمْعَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: ذَكَرَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الدَّجَالَ ذَاتَ غَدَاةٍ فَخَفَّضَ فِيهِ وَرَفَعَ حَتَّى ظَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ، فَلَمَّا رُحْنَا إِلَيْهِ عَرَفَ ذَلِكَ فِينَا فَقَالَ: «مَا شَأْنُكُمْ؟». قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، ذَكَرْتَ الدَّجَالَ غَدَاةً، فَخَفَّضْتَ فِيهِ وَرَفَعْتَ حَتَّى ظَنَّاهُ فِي طَائِفَةِ النَّخْلِ! فَقَالَ: «غَيْرُ الدَّجَالِ أَخَوْفُنِي عَلَيْكُمْ، إِنْ يَخْرُجُ وَأَنَا فِيكُمْ فَأَنَا حَاجِبُهُ دُونَكُمْ، وَإِنْ يَخْرُجُ وَلَسْتُ فِيكُمْ فامرؤٌ حَاجِبٌ نَفْسِهِ، وَاللَّهُ خَلِيفَتِي عَلَى كُلِّ مُسْلِمٍ»<sup>(٣)</sup>.

وهذا يردنا إلى الحقيقة الأولى؛ وهي تسمية النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ له بـ[الدجال]، وأن من ينبعث معه لنصرته إنما هم الشياطين... وها نحن في عصر قد رأينا فيه العجب العجاب من أمثال ما ذكر وأمور أخرى لم تذكر..

ونحن الآن أمام واقع، ويجب على كل مسلم أن يكون ثابتاً على الحق فإن ما يأتي به الدجال إنما هو الدَّجَلُ ليس إلا ولا كرامة له عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى.. وما يأتي إنما يشاهده الناس، وهو من عمل أشر الشياطين الذين خرجوا معه..

(١) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه (٤٠٢٤٦).

(٢) رواه أحمد (١٤٩٥٤)، وقال الأرئوط: إسناده على شرط مسلم.

(٣) رواه مسلم (٢٩٣٧).

وهنا فلنعلم أن كل عمل الدجال هو العيث السريع والفوضى والإرباك؛ ولهذا أوصانا النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بالثبات... إنه الاختبار الأخير للبشرية.. ولا بدَّ أن يكون الاختبار الأشد.. والبشرية قد بلغت الذروة في استخدام عقولها وفتح الله عَزَّجَلَّ لها من العلوم ما لم يفتح لمن سبق عصرها عصر النهضة العلمية عشر معشار ما فتح عليها، فإذا لم تستخدم عقولها وتكتشف دجل الدجال فالحجة عليها قائمة؛ لأن ربَّ العالمين حَصَّنَهَا بِالْعِلْمِ، وحصنها بأعظم شيء وهو المهدي الذي بعثه قبل الدجال عليه لعنة الله.

ثم إن من رحمة الله أن مكث الدجال قصير فما هي إلا أربعون يوماً وفي رواية: أربعون ليلة.

### سادس عشر: وهنا يأتي سؤال لماذا لم يقتل المهدي وهو خليفة الله عَلَيْهِ السَّلَامُ الدجال وهو أخطر فتنة ظهرت على الأرض؟

**والجواب مختصراً:** المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ هو أعلم الناس بأن من يقتله إنما هو عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فالمهدي ليس بصاحبه ولذا فقد ترك السعي في هذا الشأن لأن صاحبه محدد ومُقدَّر ولا مبدل لكلمات الله كما قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لعمر الفاروق رَضِيَ اللهُ عَنْهُ حين استأذن في قتل ابن صياد: ذَرْنِي يَا رَسُولَ اللَّهِ أَضْرِبْ عُنُقَهُ! فَقَالَ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنْ يَكُنْهُ فَلَنْ تُسَلِّطَ عَلَيْهِ، وَإِنْ لَمْ يَكُنْهُ فَلَا خَيْرَ لَكَ فِي قَتْلِهِ»<sup>(١)</sup>.

ومن حديث جابر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ وفيه قال عمر رَضِيَ اللهُ عَنْهُ: ائْذَنْ لِي فَأَقْتُلْهُ يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنْ يَكُنْ هُوَ، فَلَسْتَ صَاحِبُهُ، إِنَّمَا صَاحِبُهُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ، وَإِنْ لَا يَكُنْ، فَلَيْسَ لَكَ أَنْ تَقْتُلَ رَجُلًا مِنْ أَهْلِ الْعَهْدِ». قَالَ: فَلَمْ يَزَلْ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ مُشْفِقًا أَنَّهُ الدَّجَالُ<sup>(٢)</sup>.

(١) رواه مسلم (٢٩٣١).

(٢) رواه أحمد (١٤٩٥٥)، وقال الأرئوط: إسناده على شرط مسلم، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣/٨) رقم (١٢٥٦٠): رَوَاهُ أَحْمَدُ، وَرِجَالُهُ رِجَالُ الصَّحِيحِ.

وهذا الخطاب من رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يبين حدود الله التي لا يجوز للمسلم أن يتجاوزها أو يفكر في مجاوزتها... حتى لو جاء وقت خلافتك يا عمر فرضي الله عن الفاروق.

**والجواب الثاني:** هو أن من كان السبب الحقيقي في قتل الدجال إنما هو المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ لأنه السبب في خروجه من كهفه وذلك كما ورد في حديث حفصة لأخيها عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أجمعين ولعنة الله على الدجال حيث قالت لأخيها: رَحِمَكَ اللهُ، مَا أَرَدْتَ مِنْ ابْنِ صَائِدٍ؟ أَمَا عَلِمْتَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «إِنَّمَا يُخْرَجُ مِنْ غَضَبَةٍ يَغْضِبُهَا؟»<sup>(١)</sup> فلماذا لم يغضب هذه الغضبة من قبل؟!!

**والسؤال هو:** ألم يرد بأن الشياطين تبعث معه وعنده؟ فمن أخبره بأن المهدي قد بلغ هداه الأرض كلها كما صح عن رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، وأعاد الأمم إلى كتابه وسنة رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وما بقي للشيطان من عرش في الأرض فقد ذهب كرسيه، وهزم أصحابه وأكثرهم قد اهتدوا وتحولوا إلى أعدائه، وقد ذهب التاج الذي نظمه الشيطان للدجال حين خرج.. وليس من أمر يغضب الدجال غير نصر الله والفتح العظيم هذا؛ ولهذا فإن خروج الدجال يوافق عز الفتوح وذروتها كما مرَّ معنا أن خروجه ذلك بعد فتح القسطنطينية.

ومن ثمَّ فإنه يخرج والشياطين معه لينقذوا المشروع الأخير فهو إمام الضلالة الذي أخرته الشياطين لهذا اليوم..

ولأنه المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ: ويقابله الدجال فهنا حقيقة يجب أن يعرفها كل مسلم من المسلمين لتلك الأيام العصيبة؛ هي أخطر شيء الإيمان بالدجال فإن الإيمان به ساعة يعني قفل باب التوبة أمامه فلا عودة أبد الأبدن كما هو عند



طلوع الشمس من مغربها أو مَنْ خَتَمَتْهُ الدَّابَّةُ، فإنه لا عودة لهؤلاء وإن تابوا..  
فما قيمة التوبة بعد ما تطلع الشمس من مغربها أو مَنْ خَتَمَتْهُ الدَّابَّةُ، وقد قال الله  
عَزَّجَلَّ: ﴿هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ  
يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامِنْتَ مِنْ قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا  
خَيْرًا قُلْ أَنْظِرُوا إِنَّا مُنظِرُونَ﴾ [الأنعام: ١٥٨].

وقد جمع النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذه الآيات الثلاث في حديث واحد فقال  
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «ثَلَاثٌ إِذَا خَرَجْنَا لَا يَنْفَعُ نَفْسًا إِيْمَانُهَا لَمْ تَكُنْ ءَامِنْتَ مِنْ قَبْلُ أَوْ  
كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا» ﴿طُلُوعُ الشَّمْسِ مِنْ مَغْرِبِهَا، وَالِدَّجَالُ، وَدَابَّةُ الْأَرْضِ﴾<sup>(١)</sup>.  
فطلوع الشمس من مغربها حدٌّ واضح ومعروف للتوبة.  
ودابة الأرض وختمها للناس معروف كذلك.

لكن مجرد ظهور الدجال لا يعني أبداً إغلاق باب التوبة إذاً فذلك مخصوص  
بمن يؤمن به ولو ساعة واحدة؛ ولهذا فإن هتاف النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الباقي في  
أمته إذا عاث الدجال: «يَا عِبَادَ اللَّهِ! اثْبُتُوا»<sup>(٢)</sup> فهو اختبار خاطف يمر مرة واحدة  
على أكثر الناس، ذلك أن مرور الدجال كما قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «كَالغَيْثِ  
اسْتَدْبَرْتُهُ الرِّيحُ»<sup>(٣)</sup>.



(١) رواه مسلم (١٥٨).

(٢) رواه ابن ماجه (٤٠٧٥)، وصححه الألباني.

(٣) رواه مسلم (٢٩٣٧).

## الكلمة الثانية: «خليفة الله»



فإن ثقل هذه الكلمة لا يمكن أن يتصوره أحد ولا يقدر وزنه أحد فالخليفة بأمة فكيف بأخر أمة؟ فإنه حين تنتهي آخر خلافة وبيتون بغير خليفة الله المهدي فإنه سيتولى من بعده مباشرة عيسى ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ وستأتي الريح الطيبة تقبض كل روح مؤمنة.. فسيبقى في الأرض من يوصفون كما في الحديث بأنهم حثالة، ويتهارجون كما ورد في الحديث: «وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ يَتَهَارَجُونَ فِيهَا تَهَارُجَ الْحُمْرِ، فَعَلَيْهِمْ تَقُومُ السَّاعَةُ»<sup>(١)</sup>.. وأيُّ أمة في التاريخ كله دون استثناء عندها من حلَّاه الله بأنه «خليفة الله».. فماذا تعني هذه الكلمة «خليفة الله»، ولماذا المهدي خاصة «خليفة الله»؟! وهو ما ورد في الحديث عَنْ ثَوْبَانَ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي آخِرِهِ: «فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ، فَبَايِعُوهُ، وَلَوْ حَبْوًا عَلَى الثَّلَجِ، فَإِنَّهُ خَلِيفَةُ اللَّهِ الْمَهْدِيُّ»<sup>(٢)</sup>.

ويشاء الله أن يتتابع الناس على فهم تقليدي لهذه الكلمة، فلزم التنبيه إلى كل التفرد الذي فيها.

### أولاً: «خليفة الله»:

لأن الله سبحانه سماه بذلك وكفى، وبهذا سماه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ

(١) رواه مسلم (٢٩٣٧).

(٢) أخرجه ابن ماجه (٤٠٨٤)، وقال ابن كثير في النهاية ص (٢٦): تفرد به ابن ماجه، وهذا إسناد قوي صحيح، وقال البوصيري في زوائده (١٤٤٢): هذا إسناد صحيح، رجاله ثقات، ورواه الحاكم في المستدرک (٨٦٧٧)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين.

وكفى، وما كان لأحدٍ أن يسمي أحداً بهذا الاسم والله لم يأذن بذلك وحاشا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أن يفعل ذلك من عند نفسه ولو فعلها لتقبلناها وما كان من حق أحد أن يسأله فضلاً أن يردها.. ولقد ذمَّ الله المشركين على تسمياتهم فقال: ﴿إِنَّ هِيَ إِلَّا أَسْمَاءُ سَمَّيْتُمُوهَا أَنْتُمْ وَءَابَاؤُكُمْ مَا أَنْزَلَ اللَّهُ بِهَا مِنْ سُلْطَانٍ إِنْ يَتَّبِعُونَ إِلَّا الظَّنَّ وَمَا تَهْوَى الْأَنْفُسُ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ مِنَ رَبِّهِمْ الْهُدَىٰ﴾ [النجم: ٢٣]، إذا فحين سماه الله بذلك فقد جعل فيه كل ما يجتمع في هذا الاسم من خصائص ومزايا وعظمة. فكل مؤمن على ثقة بأنه لن يدرك أحد - من الأحياء اليوم - خصائص هذا الاسم، اللهم إلا من يدركه وفتح الله عليه.. لأن الأمر عظيم ولا نظير له حتى يُقاس عليه.

خليفة الله: لأنه هو مَنْ يصدق عليه هذا الاسم على الوفاء والتمام، فهنا وراثه وهنا رجوع؛ والمهدي من يصدق عليه الاثنان معاً، فإن الوارث هو من يخلف وليس هو من يسبق أو من تقدّم زماناً... فكان المهدي بالنسبة لكل من سبقه من الخلفاء وغيرهم كذلك، وكان المهدي هو مَنْ سبق الجميع من حيث هو «خَلِيفَةُ اللَّهِ» ولم يلحق أبداً.. ولم يكن المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ خليفة للخلفاء الراشدين رضي الله عنهم أجمعين ولا لسواهم بل هو يأتي في مرحلة قد انقطع فيها حكم الإسلام انقطاعاً كاملاً، وأصبح الحكم بالقرآن في خبر كان، ويصبح ذلك هو الخطر الأعظم الذي تُجمع أنظمة الأرض جميعاً على إفناؤه من الوجود.

### ثانياً: خليفة الله:

لأنه هو من اختاره الله لتخليص بيوته في الأرض من الخوف، بل لتخليص أعظمها من شر الدواب على الأرض: فهو مَنْ يخلص بيت المقدس ويطهره ويعيده ويعظمه ويعليه؛ فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ أَنَّهُ

قَالَ: «يُخْرَجُ مِنْ خُرَّاسَانَ<sup>(١)</sup> رَايَاتٌ سُودٌ، لَا يَرُدُّهَا شَيْءٌ حَتَّى تُنْصَبَ بِإِيلِيَاءٍ»<sup>(٢)</sup>.  
وَعَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِذَا رَأَيْتُمُ الرَّاياتِ  
السُّودَ قَدْ جَاءَتْ مِنْ قِبَلِ خُرَّاسَانَ فَاتُّوْهَا، فَإِنَّ فِيهَا خَلِيفَةَ اللَّهِ الْمَهْدِيَّ»<sup>(٣)</sup>.

ولقد مرَّ حديث اقتتال الأبناء الثلاثة حول البيت فلا يردعهم إلا ظهور المهدي فيتحدون على قتاله فيخيرهم ثلاثة خيارات خير فيرفضونها فيكون هلاكهم جميعاً على يديه، وهكذا تتحرر بيوت الله كُلُّها من الخوف ويتحرر أهلها وتعود إلى عظمتها وعلوِّها ومصدرها ونسبتها الحقيقية [بيوت الله] على يد خليفة الله المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ.

### ثالثاً: خليفة الله:

هو خليفة الله وما يتصور عاقل أن المقصود يكون أنه يأتي من بعد الله فهذا هو الكفر الكُبَّار نعوذ بالله من ذلك، فإن لغة العرب أوسع من هذا الجمود وهذا الكفر وهذه الطريقة في التعامل مع لغة العرب فهو «خَلِيفَةُ اللَّهِ»: أي خليفة من عند الله بهذه الخصوصية، وهو «خَلِيفَةُ اللَّهِ»؛ لأن غيره ينتخبه الناس، أو يوصي به من سبقه، أو يأخذ الخلافة غِلاباً أو نحو ذلك من تصرفات وتدخلاتهم.. أما المهدي فإنما هو تدخل الله وحده لا شريك له وهو اصطفاء الله واختياره... هي ليلة يصلحه الله فيها للخلافة ويرفعه رفعة في الخلافة لكي يعتلي هذا المقام

(١) خراسان: بلاد واسعة تشتمل على أمهات من البلاد، منها: نيسابور وهراة ومرو.. انظر: معجم البلدان (٢/ ٣٥٠).

(٢) رواه أحمد (٨٧٧٥)، والترمذي (٢٢٦٩)، وقال: هذا حديث غريب، والطبراني في الأوسط (٣٥٣٦)، والبيهقي في دلائل النبوة (٥١٦/٦)، وقال الأرنبوط: إسناده ضعيف جداً.

(٣) رواه أحمد (٢٢٣٨٧)، وقال الأرنبوط: إسناده ضعيف، وأخرجه الحاكم (٨٧٨١)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى سُرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَلَمْ يُخْرَجْ جَاهٌ.

المتفرد فيه في تاريخ الأرض كلها حتى إذا ما أطلق خليفة الله لم ينصرف هذا المصطلح إلا إليه فهو مثل [بيت الله] إذا أطلق لم ينصرف إلا إلى الكعبة لأن الله هو سبحانه من أمر بينائه تخصيصًا وتحديدًا بينما المساجد الأخرى تنسب لبانيها أو المنفق عليها أو الموقع الذي بنيت فيه... وأولها مسجد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فهو منسوب إليه.. وكل ناقة تنسب لصاحبها أو راعيها إلا ناقة صالح فهي [ناقة الله].. وهكذا [سيف الله] لخالد بن الوليد، و[أسد الله] لحمزة ابن عبد المطلب رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا وخليفة الله لم يتوله الله في ليلة ثم تركه إنما تلك الليلة فقد كانت هي الابتداء والرعاية والهداية والإلهام في كل شيء حتى الانتهاء أي حتى لقاء الله الذي سماه خليفة الله.

#### رابعًا: [خليفة الله]: في ختام الأمة الخاتمة:

لا يمكن أن يكون خليفة الله إلا في هذه الأمة فلو كان في أي أمة لخلف [خليفة الله] خليفة لبشر وهذا ما لا يمكن أن يكون ولا ينبغي لأن هذه هي الأمة الخاتمة ومسك الختام للأنام فيها وهل يكون الختام لكل خلافة قامت في الأرض إلا بخليفة الله في أمة خاتم الأنبياء والمرسلين عليهم السلام أجمعين وعلى يد خير آل اصطفاهم الله آل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؛ فَعَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ نَبِيُّ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يُنزَلُ بِأُمَّتِي فِي آخِرِ الزَّمَانِ بَلَاءٌ شَدِيدٌ مِنْ سُلْطَانِهِمْ، لَمْ يُسْمَعْ بَلَاءٌ أَشَدُّ مِنْهُ، حَتَّى تَضِيقَ عَنْهُمْ الْأَرْضُ الرَّحْبَةَ، وَحَتَّى تُمَلَأَ الْأَرْضُ جَوْرًا وَظُلْمًا، لَا يَجِدُ الْمُؤْمِنُ مَلْجَأً يَلْتَجِئُ إِلَيْهِ مِنَ الظُّلْمِ، فَيَبْعَثُ اللَّهُ عَزَّجَلَّ رَجُلًا مِنْ عِتْرَتِي، فَيَمْلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا، كَمَا مِلْتَّ ظُلْمًا وَجَوْرًا، يَرْضَى عَنْهُ سَاكِنُ السَّمَاءِ، وَسَاكِنُ الْأَرْضِ، لَا تَدْخُرُ الْأَرْضُ مِنْ بَدْرِهَا شَيْئًا إِلَّا أَخْرَجَتْهُ، وَلَا السَّمَاءُ مِنْ قَطْرِهَا شَيْئًا إِلَّا صَبَّهُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ مَدْرَارًا، يَعِيشُ فِيهِمْ سَبْعَ سِنِينَ، أَوْ ثَمَانٍ، أَوْ تِسْعَ سِنِينَ، تَتَمَنَّى الْأَحْيَاءُ الْأَمْوَاتُ مِمَّا صَنَعَ اللَّهُ

عَزَّجَلَّ بِأَهْلِ الْأَرْضِ مِنْ خَيْرِهِ»<sup>(١)</sup>.

## خامساً: [خليفة الله]: لا سابقة له في الحكم ولا إرث ولا علم له بالخلافة قبل تلك الليلة؛

لا يمكن أن يكون خليفة الله في هذه الأمة إلا بختامها؛ لأنها لله وحده.. ولأنه خليفة الله فإنه لا يأتي مطالباً بحكم سابق ولا خبرة له في الحكم وليس هو ابن حاكم ولا جده حاكم، ولا هو قائد عسكري يقوم بانقلاب إنما الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى هُوَ مَنْ يَتَوَلَّاهُ وَهُوَ لَا يَدْرِي إِذَا جَاءَ الْمَوْعِدُ أَصْلَحَهُ اللَّهُ لِلْخِلاَفَةِ فِي لَيْلَةٍ وَاحِدَةٍ.. وهياً له كل شيء، نعم هو يكون من أهل العلم والتقوى كما أنه من ذرية النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ كما هو منصوص.. فإصلاحه ليس معناه خلقه (ولا يعني إصلاحه من فساد أو) كفر عياداً بالله من ذلك إنما هو إصلاحه للخلافة كما قال سبحانه: ﴿وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ﴾ [الأنبياء: ٩٠]، فهي موجودة وهي زوجه لكنها ما كانت عندها القدرة على الحمل وعلى الولادة وعلى الرضاع وما إلى ذلك.

إذا فالمهدي هو الخليفة الموعود الذي يهدي الله الخلق على يديه ويرجعهم إليه رجوعاً كاملاً؛ إما مسلمين راغبين وإما مسلمين مستسلمين لحكمه ومع ذلك فهو سائر على طريق رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لا يخطئه بشعرة... وحكمه في كل قضية هو حكم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لو أنه كان موجوداً.

عَنْ أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «يَخْرُجُ رَجُلٌ مِنْ أُمَّتِي يَعْمَلُ بِسُنَّتِي، يُنَزِّلُ اللَّهُ لَهُ الْبَرَكَاتِ مِنَ السَّمَاءِ، وَتُخْرَجُ لَهُ الْأَرْضُ

(١) رواه الحاكم (٨٦٨٣)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ، وَتَعْقِبُهُ الذَّهَبِيُّ فَقَالَ: وَسَنَدُهُ مَظْلَمٌ، وَقَالَ التَّوْجِيحِيُّ فِي أَشْرَاطِ السَّاعَةِ (٢/ ٢٧٥): وَفِيمَا تَقَدَّمَ مِنَ الرِّوَايَاتِ الصَّحِيحَةِ شَاهِدٌ لَهُ.

بَرَكَتِهَا يَمْلَأُ الْأَرْضَ عَدْلًا كَمَا مُلِئَتْ جَوْرًا، يَعْمَلُ سَبْعَ سِنِينَ عَلَى هَذِهِ الْأُمَّةِ وَيَنْزِلُ بَيْتَ الْمَقْدِسِ»<sup>(١)</sup>.

وَعَنْ مَطَرٍ قَالَ: قِيلَ لَهُ: عُمَرُ بْنُ عَبْدِ الْعَزِيزِ مَهْدِيٌّ، قَالَ مَطَرٌ: «لَقَدْ بَلَّغْنَا عَنِ الْمَهْدِيِّ شَيْءٌ لَمْ يَبْلُغْهُ عُمَرُ»، قَالَ: «يَكْثُرُ الْمَالُ فِي زَمَانِ الْمَهْدِيِّ، قَالَ: فَيَأْتِيهِ رَجُلٌ فَيَسْأَلُهُ فَيَقُولُ لَهُ: ادْخُلْ فَخُذْ فَيَأْخُذُ ثُمَّ يَخْرُجُ فَيَرَى النَّاسَ شِبَاعًا قَالَ: فَيَنْدَمُ، فَيَقُولُ: أَنَا مِنْ بَيْنِ النَّاسِ، فَيَرْجِعُ إِلَيْهِ فَيَسْأَلُهُ أَنْ يَأْخُذَ مِنْهُ مَا أَعْطَاهُ فَيَأْتِي، فَيَقُولُ: إِنَّا نَعْطِي وَلَا نَأْخُذُ»<sup>(٢)</sup>.

وما هذا الخليفة إلا رجل لا يعرف على مستوى العالم بل ولا يعرف له أسماء على مستوى الأمة اللهم إلا من خلال قلة قليلة.. فهذا ستتجلى عظمة الله في خلقه وعلى خلقه غير مشوبة بجهد فلان المشهود عند الناس أو فلان الغني بين الناس أو فلان القائد المقدم بين الناس.

فيتجرد أتباعه أولاً ويكونون من الخُص من أهل الإخلاص ... متجردين كامل التجرد لله كتجرد قائدهم اسمًا ومسمى ... فهو خليفة الله ... فلا تبعية لقوة عظمى ولا صغرى، ثم إن التبعية لا تعني إلا لبيعة الله ومما يستأنس به هنا ما ذكر عن نَوْفٍ، قَالَ: «رَأَيْتُ الْمَهْدِيَّ فِيهَا مَكْتُوبٌ: الْبَيْعَةُ لِلَّهِ»<sup>(٣)</sup>؛ فلأنه [خليفة الله] فيبعته بيعة الله ثم هو أكثر الناس تواضعًا، وأعرف أناس بنفسه، وأبعد الناس عن

(١) السنن الواردة في الفتن للداني (٥٨٤)، وهو إذا ضم إليه الطريق السابق برقم (٥٤٩) يصلح للاستشهاد به.

(٢) السنن الواردة في الفتن للداني (٥٨٥)، أورده السلمي في عقد الدرر ص (٢٤٣) رقم (٢٨٢) من رواية المؤلف. وأخرجه نعيم بن حماد في الفتن (ق ٩٨/ب رقم ١٠٥٤) عن ضمرة به نحوه، وهو أثر مقطوع؛ لأنه من كلام مطر الوراق، وإسناده صحيح.

(٣) الفتن لنعيم بن حماد (١٠٢٦)، والحاوي للفتاوى للسيوطي (٢/٩٠)، والسنن الواردة في الفتن للداني (٥٨٣).

الكبر والأشر والبطر والاعتزاز لأنه بغير شك أقرب الناس لله والله أقرب إليه ... وهو قدوة للآخرين في هذا الشأن بحيث تتحول أخلاق الناس وموازينهم إلى تعظيم معالي الأخلاق وتحقير أسافلها وتحقير من يتكبر أو يتعالى فلا يتمنى أحدٌ من عامة الناس أو ضعفائهم أنه ذاك المتكبر حتى وإن كان حاكمًا أو كان غنيًا .. وهذا تغيير جذري في الفكر البشري وفي الخلق البشري.

وسرُّ ذلك هو أن المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ ممن نشأ على هذا الخلق ونبت ونما وأينع فكان طبيعيًا أن يكون خلقه هذا هو ثمرة ذلك ولا يمكن أن يتغير، بل ولا يمكن إلا أن يزداد من هذا الخلق العظيم مقتديًا بجده سيد الأولين والآخرين ﴿مَا أَنْتَ بِنِعْمَةِ رَبِّكَ بِمَجْنُونٍ ﴿٢﴾ وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ ﴿٣﴾ وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾ [القلم: ٢-٤].

### سادسًا: [خليفة الله]: لا يمكن إلا أن يكون من آل البيت؛

كما أن [خليفة الله] المهدي لا يمكن إلا أن يكون من أمة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فإنه لا يمكن أن يكون في أمة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إلا من آل رسول الله محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.. فنسبه إلى رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ واسمه يواطئ اسم رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ويُذكر به واسم أبيه كذلك.. وقد مرَّ معنا بيان معنى «يُوطِئُ اسْمُهُ اسْمِي».

فكيف يذكر برسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إن لم يَنْتَه إليه نسبه؟ وهل يتحقق قول الله عَزَّوَجَلَّ في الآخرين لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: ﴿وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ﴾ [الشرح: ٤] مثلما يرفع بكون المهدي ولده وتابعًا له فبه يجتمع لرسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قدر الله وشرع الله فالله قد ادخر لرسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ إحياء هذه الأمة بولده ليكون هذا المكسب والكسب له هو صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وهو القائل: «إِنَّ أَطْيَبَ مَا

أَكَلَ الرَّجُلُ مِنْ كَسْبِهِ، وَإِنَّ وَلَدَهُ مِنْ كَسْبِهِ»<sup>(١)</sup>.

فقدّر الله الخلق أن جعل المهدي من فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ، وأمر الله شرعي أن جعل المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ هو من يحيي دين الله والخلافة التي على منهاج النبوة بعد أن انقطع ذلك المنهاج من الوجود ومضى على انقطاع الخلافة قرنًا كاملًا.

**سابعًا: خليفة الله؛ لأن روح الله عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ سوف يلتحق به؛**

لأن ربك هو الحكيم العليم.. والله سبحانه يعلم أن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ سوف يلتحق به فكيف يلتحق به وهو النبي الرسول وهو كلمة الله وروح الله عَلَيْهِ السَّلَامُ؟ أما المهدي خليفة الله فليس ثمة أدنى حرج في أن يتقدم ويصلي بعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأن يتقدم إمامًا وخليفة على المسلمين وفي المسلمين عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.. لأنه خليفة الله ومن ذا الذي يدخل بين الله وخليفته، ومثله قول المرأة التي دخل عليها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَقَالَتْ: «أَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْكَ، فَقَالَ: قَدْ عُذْتُ بِمَعَاذٍ، ثُمَّ خَرَجَ... فَقَالَ: «يَا أَبَا أُسَيْدٍ، احْكُهَا رَازِقَتَيْنِ، وَالْحَقَّهَا بِأَهْلِهَا»<sup>(٢)</sup>.

**ثامنًا: خليفة الله؛ لأنه يواجه من زعم أنه هو الله وإنما هو المسيح الدجال - لعنه الله؛**

لأن من يبعثه المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ لإطفاء ناره وإبطال شره إنما هو الدَّجَالُ.. والدَّجَالُ هو من يفترى على الله الكذب حتى يدَّعي بعد ذلك أنه [هو الله]!.. فإن المهدي هو من يقود الحملة على من زعم أنه الله، فمن يقودها سواه؟ وإذا لم يباشر قتل الدجال الذي زعم أنه هو الله روح الله عيسى ابن مريم فمن يقتله؟ إلا أن الحقيقة هي أن المرحلة الأطول والأشد التي يمكنها الدجال في الأرض

(١) أخرجه النسائي (٤٤٥٢) واللفظ له، وأخرجه أبو داود (٣٥٢٨)، والترمذي (١٣٥٨)

باختلاف يسير، وصححه الألباني.

(٢) رواه البخاري (٥٢٥٥).

إنما هي ما قبل نزول عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَإِن نَزَلَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ إِنَّمَا يَكُونُ فِي آخِرِ أَيَّامِ الدَّجَالِ، وَلِذَا فَإِن الْمَهْدِي هُوَ قَائِدُ الْمَوَاجِهَةِ مِنْ أَوْلِيَّهَا، بَلْ هُوَ مِنْ أَعَادِ الْأُمَّةِ قَبْلَ الدَّجَالِ وَحَصَّنَهَا، وَهُوَ مِنْ يُوَاجِهَةِ قَبْلَ أَنْ يَنْزَلَ ابْنُ مَرْيَمَ عَلَيْهِ السَّلَامُ وَيُرْمَمَ مَا يَصِيبُ الدَّجَالَ، وَهُوَ مَنْ جَعَلَ إِبْلِيسَ يَسْتَصْرِخُ الدَّجَالَ فَيُخْرِجُ مِنْ غَضَبِهِ يَغْضِبُهَا.. وَإِلَّا لَمْ يَخْرُجِ الدَّجَالُ مِنْ قَبْلِ.. وَلَمْ يَخْرُجْ مِنْ غَضَبِهِ إِلَّا لِأَنَّ الْمَهْدِي حَطَمَ عَرْشَ الدَّجَالِ وَنَثَرَ خَرَزَ تَاجِهِ الَّذِي نَظَّمَتْهُ لَهُ الشَّيَاطِينُ وَأَبْطَلَ كُلَّ كَيْدِ الشَّيْطَانِ فَأَصْبَحَ النَّاسُ شَاكِرِينَ عَلَى ضِدِّ مَا وَعَدَ.

### تاسعاً: لقد جعل الله عزَّجَلَّ نظام التدافع على الأرض سبباً في حفظ البقاء وفي دفع الفساد المطلق على الأرض:

ولولا ذلك لكانت غلبة أمة واحدة ظالمة على الأرض كلها إنما يعني الفساد المطلق على الأرض كلها، والله ما خلق الأرض وأنزل آدم عَلَيْهِ السَّلَامُ لهذا، بل قال سبحانه: ﴿قُلْنَا أَهْبِطُوا مِنْهَا جَمِيعًا فِيمَا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنْ تَبِعَ هُدَايَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ﴿٣٨﴾ وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَٰئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ ﴿البقرة: ٣٨، ٣٩﴾، وقال سبحانه: ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ لَفَسَدَتِ الْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ اللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى الْعَالَمِينَ ﴿٢٥١﴾ تِلْكَ آيَاتُ اللَّهِ نَتْلُوهَا عَلَيْكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّكَ لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ ﴿البقرة: ٢٥١، ٢٥٢﴾.

وهنا في هذه الفترة من الزمان نشهد أنه لم تبق على الأرض غالبية مفسدة إلا قوة واحدة، وأنها الآن في مرحلة إنقاذ سيطرة الفساد بالإنذار لأهل الأرض... ولهذا فلا بد يقيناً أن تكون هذه القوة قد بلغت مرحلة سكرات الموت، وكما قال الله سبحانه: ﴿لِكُلِّ أُمَّةٍ أَجَلٌ ﴿يونس: ٤٩﴾؛ لأنها أرادت المحال وهو تبديل كلمات الله ﴿وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ﴿الأنعام: ٣٤﴾.

وهنا يأتي سؤال يقول: ومتى يكون ذلك تحديداً أو تقريباً؟

**والجواب:** هو أن خلافة الله لا بد أن تقوم... ومنهاجها منهاج رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فليست هي ديناً جديداً - معاذ الله - بل، كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في آخر حديث وختامه: «ثُمَّ تَكُونُ خِلَافَةً عَلَيَّ مِنْهَاجِ نُبُوَّةٍ»، ثُمَّ سَكَتَ <sup>(١)</sup>.

**عاشراً: خليفة الله؛ لأنه يأتي بعد انقطاع الخلافة مائة عام؛**

فإذا ترك الله البشر بعد سلسلة عظيمة من الأنبياء والمرسلين عَلَيْهِ السَّلَامُ والهداة المهديين.. ومع هذا فلا يزال الناس يتلاعب بهم الشياطين وتجتالهم عن رسالات أنبيائهم عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.. حتى بعث الله سيد الأولين والآخرين صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وختم به رسالات المرسلين عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.. وها هم الناس ودَّعُوا ما سميت بالخلافة منذ مائة عام وعادوا أشد ما يكونون عداءً لمنهج القرآن لحياة الناس.. وفشا فيهم ضد ذلك هو استباحة كل ما حرم الله، بل استباحة كل ما جاء به المرسلون عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وما جاء به سيدهم رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وجعلوا لكل استباحة تشريعاً مثل فاحشة قوم لوط وغيرها؛ قَالَ مُعَاذٌ: «يُوشِكُ الْقُرْآنُ أَنْ يُنْسَخَ، قَالَ: يُنْسَخُ حَتَّى لَا يُقْرَأَ؟ قَالَ: لَا، وَلَكِنْ يَسْلُكُ النَّاسُ وَادِيًا، وَيَسْلُكُ الْقُرْآنُ وَادِيًا غَيْرَهُ» <sup>(٢)</sup>، فتحللوا وانحلوا وتراخوا واسترخوا فلا القرآن ولا السنة.

عَنْ جُنَادَةَ بْنِ أَبِي أُمَيَّةَ؛ أَنَّهُ سَمِعَ عُبَادَةَ بْنَ الصَّامِتِ يَذْكُرُ: أَنَّ رَجُلًا أَتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! مَا مُدَّةُ أُمَّتِكَ مِنَ الرَّخَاءِ؟ فَلَمْ يَرُدَّ عَلَيْهِ شَيْئًا، حَتَّى سَأَلَهُ ثَلَاثَ مِرَارٍ، كُلُّ ذَلِكَ لَا يُجِيبُهُ، ثُمَّ انْصَرَفَ الرَّجُلُ، ثُمَّ إِنَّ النَّبِيَّ

(١) رواه أحمد (١٨٤٠٦)، وقال الأرنبوط: إسناده حسن.

(٢) السنن الواردة في الفتن للداني (٥٩٦/٣) رقم (٢٧٠)، وقال محققه رضاء الله المباركفوري: رجاله ثقات، وهو موقوف على معاذ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ورجاله ثقات سوى يزيد ابن عبد الله، ذكره ابن أبي حاتم دون توثيق أو تجريح.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «أَيْنَ السَّائِلُ؟» فَرَدُّهُ عَلَيْهِ، فَقَالَ: «لَقَدْ سَأَلْتَنِي عَنْ شَيْءٍ مَا سَأَلَنِي عَنْهُ أَحَدٌ مِنْ أُمَّتِي، مُدَّةُ أُمَّتِي مِنَ الرَّخَاءِ مِئَةٌ سَنَةً» قَالَهَا مَرَّتَيْنِ أَوْ ثَلَاثًا، فَقَالَ الرَّجُلُ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، فَهَلْ لِدَلِّكَ مِنْ أَمَارَةٍ أَوْ عَلَامَةٍ أَوْ آيَةٍ؟ فَقَالَ: «نَعَمْ، الْخَسْفُ وَالرَّجْفُ وَإِرْسَالُ الشَّيَاطِينِ الْمُجَلِبَةِ عَلَى النَّاسِ»<sup>(١)</sup>.

وبهذا انقطع نظم عقد الخلافة الواصل المتصل من بعد رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ والخلافة الراشدة إلى ما قبل مائة عام، وأصبح مَنْ يعيش المرحلة يقطع بأن الأمر انتهى ولا عودة أبدًا، وأن الخلافة غدت تاريخًا للذكرى أو للافتخار ليس إلا!.. وانتهى كل إرث للخلافة وبهذا الاعتبار أصبح المهدي خليفة الله.. فهو ليس برسول ولا نبي، ولا هو خليفة يخلف غيره أبدًا.. بل هو كما سماه رسول الله خليفة الله وقد صح في الحديث قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَإِنَّهُ خَلِيفَةُ اللَّهِ الْمَهْدِيُّ»<sup>(٢)</sup>.

### حادي عشر: خليفة الله؛ لأنه من يوقف الانحدار المحتم:

لو تصورنا أن الناس سوف يستمرون على هذا الانحدار إلى زمن قادم فمتى سيعودون إلى الله؟ بل هل من طريقٍ للعودة؟ كيف والموعد القادم هو شرٌّ فتنهٍ ظهرت على الأرض وهو الدجال؟ ولا نبي ولا رسول ولا خليفة؟! إنهم يسرون قطعًا إلى زمان أحال الإنسانية إلى البهيمية كما ذكرها النبي

(١) رواه أحمد (٢٢٧٧٠)، والحاكم في المستدرک (٨٥٣٧)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ الْإِسْنَادِ وَلَمْ يُخَرِّجَاهُ.

(٢) أخرجه ابن ماجه (٤٠٨٤)، وقال ابن كثير في النهاية ص (٢٦): تفرد به ابن ماجه وهذا إسناد قوي صحيح، وقال البوصيري في زوائده (١٤٤٢): هذا إسناد صحيح رجاله ثقات، ورواه الحاكم في المستدرک (٨٦٧٧)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين، وضعّف الحديث آخرون كأحمد والذهبي في الميزان، وحكم عليه ابن الجوزي بالوضع.

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي نَهَايَةِ عَمْرِ الْأَرْضِ وَأَيَامِهَا كَالْحِجَةِ الظَّلْمَةِ: «وَيَبْقَى شِرَارُ النَّاسِ يَنْهَارُ جُونَ فِيهَا تَهَارُجَ الْحُمْرِ، فَعَلَيْهِمْ تَقَوْمُ السَّاعَةِ»<sup>(١)</sup>.

فَمَا كَانَ لِلنَّاسِ وَلَا لِلْأُمَّةِ بَعْدَ كُلِّ هَذَا إِلَّا الرَّحْمَنُ سُبْحَانَهُ ﴿قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَهْلَكَنِي اللَّهُ وَمَنْ مَعِيَ أَوْ رَحِمَنَا فَمَنْ يُجِيرُ الْكَافِرِينَ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ﴾ [الملك: ٢٨].

إِذَا فَكَانَتْ رَحْمَةُ اللَّهِ.. وَكَانَ فَضْلُ اللَّهِ.. وَكَانَ وَعْدُ اللَّهِ الَّذِي وَعَدَ بِهِ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وَكَانَ ذَلِكَ هُوَ الْمَهْدِيُّ الَّذِي هُوَ [خَلِيفَةُ اللَّهِ] الَّذِي قَالَ فِيهِ النَّبِيُّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ «لَوْ لَمْ يَبْقَ مِنَ الدُّنْيَا إِلَّا يَوْمٌ لَطَوَّلَ اللَّهُ ذَلِكَ الْيَوْمَ حَتَّى يَبْعَثَ فِيهِ رَجُلًا مِنِّي» - أَوْ «مِنْ أَهْلِ بَيْتِي» - يُوَاطِئُ اسْمُهُ اسْمِي، وَاسْمُ أَبِيهِ اسْمَ أَبِي «زَادَ فِي حَدِيثٍ فَطِرٍ: «يَمَلَأُ الْأَرْضَ قِسْطًا وَعَدْلًا، كَمَا مَلِئْتُ ظُلْمًا وَجَوْرًا»<sup>(٢)</sup>، وَكَانَ هُوَ أَعْظَمَ عِلْمًا عَلَى هِدَايَةِ اللَّهِ وَرَحْمَةِ اللَّهِ وَنِعْمَةِ اللَّهِ ﴿حَتَّى إِذَا أُسْتَيْسَسَ الرُّسُلُ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ قَدْ كُذِبُوا جَاءَهُمْ نَصْرُنَا فَنُجِّيَ مَنْ نَشَاءُ وَلَا يُرَدُّ بَأْسُنَا عَنِ الْقَوْمِ الْمُجْرِمِينَ﴾ [يوسف: ١١٠].

وَهَكَذَا هِيَ رَحْمَةُ اللَّهِ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ؛ فَإِنَّهُ وَبَعْدَ مَا انْقَطَعَ الْأَمَلُ إِلَّا بِاللَّهِ جَاءَ اللَّهُ بِرَحْمَتِهِ وَأَمْرِهِ وَهَدَاهُ.. فَأَرْسَلَ لِأَجَلِهِ عَبْدًا مِنْ عِبَادِهِ لَمْ يَعْرِفْ وَلَمْ يَشْتَهَرْ بَيْنَ الْمُشْتَهَرِينَ وَجَعَلَهُ هُوَ مَنْ يَحْمِلُ هُدَى اللَّهِ وَيَطِيرُ بِهِ فِي كُلِّ مَكَانٍ.. وَهَذَا مَا يَقْطَعُ بِأَنَّ الْهِدَايَةَ لَيْسَتْ بِيَدِ الْأَنْبِيَاءِ وَلَا الْمُرْسَلِينَ عَلَيْهِمُ السَّلَامُ وَلَا الدَّعَاةَ وَلَا الْمَهْدِيِّينَ وَإِنَّمَا هِيَ بِيَدِ اللَّهِ سُبْحَانَهُ لِأَنَّ مَنْ هُوَ أَعْلَمُ وَأَعْظَمُ مِنَ الْمَهْدِيِّ لَمْ يَفْعَلْ ذَلِكَ وَهَكَذَا هُوَ الشَّانُ فِي الشَّفَاعَةِ فِي الْآخِرَةِ تَنْقَطِعُ كُلُّ شَفَاعَةٍ، وَيَرْفَعُ الشَّفَعَاءُ أَيْدِيَهُمْ جَمِيعًا فَتَأْتِي [شَفَاعَةُ اللَّهِ] نَعْمَ! [شَفَاعَةُ اللَّهِ].

(١) رواه مسلم (٢٩٣٧).

(٢) أخرجه أبو داود (٤٢٨٢)، وقال شعيب الأرنؤوط: صحيح لغيره، وقال الألباني:

ولقد صح في الحديث عن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وفيه: «ثُمَّ يُضْرَبُ الْحِجْرُ عَلَى جَهَنَّمَ، وَتَحِلُّ الشَّفَاعَةُ، وَيَقُولُونَ: اللَّهُمَّ سَلِّمْ سَلِّمْ». قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، وَمَا الْحِجْرُ؟ قَالَ: «دَحْضُ مَزَلَّةٍ، فِيهِ خَطَاطِيفُ وَكَلَالِيبُ، وَحَسَكٌ تَكُونُ بِنَجْدٍ فِيهَا شُؤْيُكَةٌ يُقَالُ لَهَا: السَّعْدَانُ، فَيَمُرُّ الْمُؤْمِنُونَ كَطَرْفِ الْعَيْنِ وَكَالْبَرْقِ وَكَالرَّيْحِ وَكَالطَّيْرِ وَكَأَجَاوِيدِ الْخَيْلِ وَالرِّكَابِ، فَنَاجِ مُسَلِّمٌ وَمَخْدُوشٌ مُرْسَلٌ، وَمَكْدُوشٌ فِي نَارِ جَهَنَّمَ، حَتَّى إِذَا خَلَصَ الْمُؤْمِنُونَ مِنَ النَّارِ، فَوَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ مَا مِنْكُمْ مِنْ أَحَدٍ بِأَشَدَّ مُنَاشِدَةً لِلَّهِ فِي اسْتِقْصَاءِ الْحَقِّ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ لِلَّهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ لِإِخْوَانِهِمُ الَّذِينَ فِي النَّارِ، يَقُولُونَ: رَبَّنَا، كَانُوا يَصُومُونَ مَعَنَا وَيُصَلُّونَ وَيُحُجُّونَ، فَيُقَالُ لَهُمْ: أَخْرِجُوا مِنْ عَرَفْتُمْ، فَتَحَرَّمُوا صُورَهُمْ عَلَى النَّارِ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا قَدْ أَخَذَتِ النَّارُ إِلَى نِصْفِ سَاقِيهِ وَإِلَى رُكْبَتَيْهِ، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا، مَا بَقِيَ فِيهَا أَحَدٌ مِمَّنْ أَمَرْتَنَا بِهِ، فَيَقُولُ: ارْجِعُوا، فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا، لَمْ نَذَرْ فِيهَا أَحَدًا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا، ثُمَّ يَقُولُ: ارْجِعُوا، فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ نِصْفِ دِينَارٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا، لَمْ نَذَرْ فِيهَا مِمَّنْ أَمَرْتَنَا أَحَدًا، ثُمَّ يَقُولُ: ارْجِعُوا، فَمَنْ وَجَدْتُمْ فِي قَلْبِهِ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ مِنْ خَيْرٍ فَأَخْرِجُوهُ، فَيُخْرِجُونَ خَلْقًا كَثِيرًا، ثُمَّ يَقُولُونَ: رَبَّنَا، لَمْ نَذَرْ فِيهَا خَيْرًا»، وَكَانَ أَبُو سَعِيدٍ الْخُدْرِيُّ يَقُولُ: إِنْ لَمْ تُصَدِّقُونِي بِهَذَا الْحَدِيثِ فَاقْرَؤُوا إِنْ شِئْتُمْ: ﴿إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ وَإِنْ تَكَ حَسَنَةً يَضْعَفْهَا وَيُؤْتِ مِنْ لَدُنْهُ أَجْرًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٤٠]، «فَيَقُولُ اللَّهُ عَزَّ وَجَلَّ: شَفَعَتِ الْمَلَائِكَةُ وَشَفَعَ النَّبِيُّونَ وَشَفَعَ الْمُؤْمِنُونَ، وَلَمْ يَبْقَ إِلَّا أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ، فَيَقْبِضُ قَبْضَةً مِنَ النَّارِ، فَيُخْرِجُ مِنْهَا قَوْمًا لَمْ يَعْمَلُوا خَيْرًا قَطُّ قَدْ عَادُوا حُمَمًا، فَيُلْقِيهِمْ فِي نَهْرٍ فِي أَفْوَاهِ الْجَنَّةِ، يُقَالُ لَهُ: نَهْرُ الْحَيَاةِ، فَيُخْرِجُونَ كَمَا تَخْرُجُ الْحَبَّةُ فِي حَمِيلِ السَّيْلِ، أَلَا تَرَوْنَهَا تَكُونُ إِلَى الْحَجَرِ أَوْ إِلَى الشَّجَرِ؟ مَا يَكُونُ إِلَى الشَّمْسِ أَصْفَرٌ وَأَخْيَضُرٌ، وَمَا يَكُونُ

مِنْهَا إِلَى الظِّلِّ يَكُونُ أَبْيَضَ»، فَقَالُوا: يَا رَسُولَ اللَّهِ، كَأَنَّكَ كُنْتَ تَرَعَى بِالْبَادِيَةِ، قَالَ: «فَيَخْرُجُونَ كَاللُّؤْلُؤِ فِي رِقَابِهِمْ الْحَوَاتِمُ يَعْرِفُهُمْ أَهْلُ الْجَنَّةِ، هُوَ لَأِ عِتْقَاءُ اللَّهِ الَّذِينَ أَدْخَلَهُمُ اللَّهُ الْجَنَّةَ بِغَيْرِ عَمَلٍ عَمِلُوهُ وَلَا خَيْرٍ قَدَّمُوهُ، ثُمَّ يَقُولُ: ادْخُلُوا الْجَنَّةَ فَمَا رَأَيْتُمُوهُ فَهُوَ لَكُمْ، فَيَقُولُونَ: رَبَّنَا، أَعْطَيْتَنَا مَا لَمْ تُعْطِ أَحَدًا مِنَ الْعَالَمِينَ، فَيَقُولُ: لَكُمْ عِنْدِي أَفْضَلُ مِنْ هَذَا، فَيَقُولُونَ: يَا رَبَّنَا، أَيُّ شَيْءٍ أَفْضَلُ مِنْ هَذَا؟ فَيَقُولُ: رِضَايَ، فَلَا أَسْحَطُ عَلَيْكُمْ بَعْدَهُ أَبَدًا»<sup>(١)</sup>.

وسبحان الله، فهكذا هي [خلافة الله] مثل [شفاعة الله] فبعدما انقطع جهد البشر وبلغت استطاعتهم مداها جاء الله سبحانه برحمة ونعمة للعباد؛ ولهذا جاءت ثمرة [شفاعة الله]، و[عتقاء الله]، وهكذا تأتي ثمرة [خلافة الله]، و[رحمة الله]، و[هداية الله]، و[نعمة الله]، و....

**ثاني عشر: خليفة الله؛ لأنه لم يخلف ولن يخلف** فكما أنه لم يخلف أحداً كما بينا، فإنه لا يخلفه أحد من الخلفاء من أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ولا يمكن أن يكون ذلك لأنه هنا يقع المحذور أو يقع ما يمكن أن يؤول إلى المحذور وهو أن يقال عمّن يخلفه: خليفة خليفة الله.. ونعوذ بالله من ظن السوء لذا جعل الله سبحانه من يخلف خليفة الله ذا مقام معلوم بين الأنبياء والمرسلين عَلَيْهِمُ السَّلَامُ فهو روح الله وكلمته ولن يكون حكمه في أمة محمد إنقاصاً من مقامه المعلوم ولا تقليلاً من مكانته - عياداً بالله من ذلك.

### ثالث عشر: خليفة الله؛

يقضي على الخلافات<sup>(٢)</sup>، لا تزال الاختلافات تعصف بالخلافة الإسلامية

(١) رواه مسلم (١٨٣).

(٢) وردت هذه النقطة من قبل في الكلمة الأولى - وهي المهدي - بتشابه كبير، ولا ضير، فتعلقها ظاهر، وكونه المهدي وفي كونه [خليفة الله].

منذ زمن عثمان رَضِيَ اللهُ عَنْهُ.. ولا يزال الحُكْم يتبع مذهبًا ويقدمه على المذاهب الأخرى، ولا تزال المذاهب في صراع الفرضيات من المسائل، والتوسع في النظريات من الفرضيات وفوق هذا وأخطر من هذا هو الاختلاف ما بين السنة والشيعة.

فكل هذه الخلافات والاختلافات ستنتهي، وكل الأسماء المصطنعة بعد رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ستزول، وكل مصادر الخلاف وما كان يغذيها من كتب سوف تذهب كأن لم توجد، ويعود الأمر كما كان في عهد النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تمامًا كما قال: «خِلَافَةٌ عَلَى مِنْهَاجِ النَّبِيِّ»<sup>(١)</sup>، وقال صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «ويذهب الخلاف» الحديث وسوف أذكره بإذن الله.

فَعَنْ عَلِيِّ بْنِ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «سَتَكُونُ فِتْنَةٌ يُحْصَلُ النَّاسُ مِنْهَا كَمَا يُحْصَلُ الذَّهَبُ فِي الْمَعْدِنِ، فَلَا تُسَبُّوا أَهْلَ الشَّامِ، وَسَبُّوا ظَلَمْتَهُمْ، فَإِنَّ فِيهِمْ الْأَبْدَالَ، وَسَيُرْسِلُ اللَّهُ إِلَيْهِمْ سَيِّبًا مِنَ السَّمَاءِ فَيُغْرِقُهُمْ حَتَّى لَوْ قَاتَلْتَهُمُ الثَّعَالِبُ غَلَبْتَهُمْ، ثُمَّ يَبْعَثُ اللَّهُ عِنْدَ ذَلِكَ رَجُلًا مِنْ عِتْرَةِ الرَّسُولِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فِي اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفًا إِنْ قَلُوا، وَخَمْسَةَ عَشَرَ أَلْفًا إِنْ كَثُرُوا، أَمَارَتُهُمْ أَوْ عَلَامَتُهُمْ أَمِتْ عَلَى ثَلَاثِ رَايَاتٍ يُقَاتِلُهُمْ أَهْلُ سَبْعِ رَايَاتٍ لَيْسَ مِنْ صَاحِبِ رَايَةٍ إِلَّا وَهُوَ يَطْمَعُ بِالْمُلْكِ، فَيَقْتَتِلُونَ وَيُهْزَمُونَ، ثُمَّ يَظْهَرُ الْهَاشِمِيُّ فَيَرُدُّ اللَّهُ إِلَى النَّاسِ أَلْفَتَهُمْ وَنِعْمَتَهُمْ، فَيَكُونُونَ عَلَى ذَلِكَ حَتَّى يَخْرُجَ الدَّجَالُ»<sup>(٢)</sup>.

وهذا ما لا يمكن أن يتحقق بأي خليفة من الخلفاء بعد الخلافة الراشدة ما

(١) رواه أحمد (١٨٤٠٦)، وقال الأرنؤوط: إسناده حسن.

(٢) رواه الحاكم (٨٦٥٨)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ، وَوَافِقُهُ

الذهبي، ونعيم بن حماد في الفتن (٣٤٨/١) رقم (١٠٠٥)، والطبراني في الأوسط

(٣٩٠٥)، وقال الهيثمي في المجمع (٣١٧/٧) رقم (١٢٤١٠): رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ فِي

الْأَوْسَطِ، وَفِيهِ ابْنُ لَهَيْعَةَ وَهُوَ كَلْبِيُّ، وَبَقِيَّةُ رِجَالِهِ ثِقَاتٌ.

لم يكن خليفة الله وذلك لتجذر هذا الأمر إلى أعماق الأعماق وجذور الأمة منذ منتصف القرن الأول.

فليس في منهاج النبوة هذه المصطلحات؛ ولم يُعرف في منهاج النبوة سنة أو شيعة إن ارتضاها من ارتضاها من أهل الإسلام، فقد كانت هذه لفترة ولمصلحة مؤقتة إلا أنها لن تصلح أبداً للخلافة على منهاج النبوة القادمة لأنها لم تصلح للخلافة الأولى أبداً، فإنهما قد استحالا إلى شقين عظيمين يشقان الإسلام وهما يبعثان من حمم العصبية ما الله به عليم.

وإن مصطلح [المهاجرين] ومصطلح [الأنصار] حين نودي بهما للمواجهة والفتنة اعتبرهما النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الجاهلية؛ فعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُمَا قَالَ: غَزَوْنَا مَعَ النَّبِيِّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وَقَدْ ثَابَ مَعَهُ نَاسٌ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ حَتَّى كَثُرُوا وَكَانَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ رَجُلٌ لَعَابٌ فَكَسَعَ أَنْصَارِيًّا فَغَضِبَ الْأَنْصَارِيُّ غَضَبًا شَدِيدًا حَتَّى تَدَاعَوْا وَقَالَ الْأَنْصَارِيُّ: يَا لِلْأَنْصَارِ، وَقَالَ الْمُهَاجِرِيُّ: يَا لِلْمُهَاجِرِينَ، فَخَرَجَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فَقَالَ: «مَا بَالُ دَعْوَى أَهْلِ الْجَاهِلِيَّةِ»، ثُمَّ قَالَ: «مَا شَأْنُهُمْ؟» فَأُخْبِرَ بِكَسَعَةِ الْمُهَاجِرِيِّ الْأَنْصَارِيِّ، قَالَ: فَقَالَ النَّبِيُّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «دَعُوهَا فَإِنَّهَا حَبِيبَةٌ»، وَقَالَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ أَبِي ابْنِ سَلُولٍ: أَقْدَ تَدَاعَوْا عَلَيْنَا لِيُنْ رَجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لِيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ، فَقَالَ عُمَرُ: أَلَا نَقْتُلُ يَا رَسُولَ اللَّهِ هَذَا الْخَيْثَ - لِعَبْدِ اللَّهِ؟ فَقَالَ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «لَا يَتَحَدَّثُ النَّاسُ أَنَّهُ كَانَ يَقْتُلُ أَصْحَابَهُ»<sup>(١)</sup>، وأنا لا أشك أن عودة الاثنين ستكون سباقاً إلى منهج النبوة، وسيعفو الله عن الجميع... والقاعدة الأولى في الأمة: ﴿عَفَا اللَّهُ عَمَّا سَلَفَ﴾ [المائدة: ٩٥]، وسيحق عليهم قول الله تعالى: ﴿وَأَعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ

(١) رواه البخاري (٣٥١٨).

مَنْهَا كَذَلِكَ يَبِينُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ ﴿ [آل عمران: ١٠٣].. فالله ما أرسل المهدي بالعذاب للأمة. ولم يرسله ليقيم محكمة بين الشيعة والسنة ولا بين المذاهب ولا بين الفرقاء.. إنما هو منهاج النبوة وكفى.

وما حاجة الأمة إلى الاختلافات، وفيها المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ.. وكل من خالفه غير مهدي أيًّا كان إذ من الذي تكفل الله عَزَّجَلَّ بهداه فحكمه حكم الله تمامًا... وحكمه كله من الله... وكل تفاصيل التفاصيل في حياته الشخصية هداية من الله... وإلا فكيف يُغَيِّرُ هذا العالم وهذه الأمم في سبع سنين؟!

#### رابع عشر: لأنه ختام الخير في خير أمة:

ولأنه خليفة الله فقد قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «ثُمَّ لَا خَيْرَ فِي الْحَيَاةِ بَعْدَهُ» وهذا الأمر لازم من لوازم كونه [خليفة الله] إذ لو كان ثمة خليفة مثله أو أحسن منه يأتي من بعده لكان هذا طعنًا فيمن سماه [خليفة الله] عياذاً بالله من ذلك أو كان أحد مثله الذي استخلفه تعالى الله عن ذلك علوًّا كبيرًا..

#### خامس عشر: فالنعم لا مثيل لها نوعًا وكمًّا ومصادر: خليفة الله:

ولأنه [خليفة الله] الذي ليس أحدٌ سواه في الأولين والآخرين يحمل اسمه فعن أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، قَالَ: «يَكُونُ فِي أُمَّتِي الْمَهْدِيُّ إِنْ قَصِرَ فَسَبْعٌ، وَإِلَّا فَتِسْعٌ، فَتَنْعَمُ فِيهِ أُمَّتِي نِعْمَةً، لَمْ يَنْعَمُوا مِثْلَهَا قَطُّ، تُؤْتَى أَكْلَهَا وَلَا تَدَّخِرُ مِنْهُمْ شَيْئًا، وَالْمَالُ يَوْمئِذٍ كُدُوسٌ، فَيَقُومُ الرَّجُلُ، فَيَقُولُ: يَا مَهْدِيُّ أَعْطِنِي، فَيَقُولُ: خُذْ»<sup>(١)</sup> وهذا يعني أنها نعمة بكل مسمى النعمة.. نعمة بلا فتنة، نعمة خالصة، نعمة متزايدة؛ لأن معها الشكر، نعمة؛ لأن هذه [نعمة الله] في عهد [خليفة الله]، فهي ليست من الخليفة وإنما هي نعمة من الله الذي استخلفه وحلَّاه بهذا الاسم.

## سادس عشر: خليفة الله:

ولأنه خليفة الله فإنه هو الذي يقضي على شر من دبَّ على الأرض.. وهم شر أعداء الله.

القوم الوحيدون الذين تركهم الله من دون الأقسام السابقة الذين أهلكهم الله من دون عقاب مستأصل رغم عدوانهم الدائم على الله عَزَّجَلَّ، ورغم قتلهم الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، ورغم الإفساد في الأرض الكبير.

كما قال ذلك ربنا سبحانه في مطلع سورة الإسراء: ﴿فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسْتَوْفُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبَرَّأُوا مَا عَلُوا تَبِيرًا﴾ [الإسراء: ٧]، وقال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «لَا تَزَالُونَ تُقَاتِلُونَ حَتَّى يُقَاتِلَ بِبَيْتِكُمُ الدَّجَالُ بِالْأُرْدُنِّ أَنْتُمْ مِنْ غَرِيبِهِ وَهُمْ مِنْ شَرْقِيهِ»<sup>(١)</sup>.

عَنْ ثَوْبَانَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «يُقَاتِلُ عِنْدَ كَنْزِكُمْ ثَلَاثَةٌ كُلُّهُمْ ابْنُ خَلِيفَةٍ، ثُمَّ لَا يَصِيرُ إِلَى وَاحِدٍ مِنْهُمْ، ثُمَّ تَطْلُعُ الرَّايَاتُ السُّودُ مِنْ قِبَلِ الْمَشْرِقِ فَيُقَاتِلُونَكُمْ قِتَالًا لَمْ يُقَاتِلْهُ قَوْمٌ - ثُمَّ ذَكَرَ شَيْئًا فَقَالَ - إِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَبَايِعُوهُ وَلَوْ حَبْوًا عَلَى الثَّلَجِ، فَإِنَّهُ خَلِيفَةُ اللهِ الْمَهْدِيِّ»<sup>(٢)</sup>، إذا فالمنصوص في هذا الحديث أنها الخلافة الأخيرة التي تكون على منهاج النبوة وما من خلافة مطلقًا إلا خلافة الله التي يتولاها خليفة الله المهدي، وهذا الحديث يدل كذلك على أن موضوع المهدي ليس هو موضوع فلسطين وحدها، إنما تطهير فلسطين من

(١) رواه الطبراني في مسند الشاميين (٦٣٨)، وابن أبي عاصم في الآحاد والمثاني (٢٤٥٨)، وقال الهيثمي في مجمع الزوائد (٣٤٩/٧) رقم (١٢٥٤٢): رَوَاهُ الطَّبْرَانِيُّ وَالْبَزَّازُ، وَرِجَالُ الْبَزَّازِ ثِقَاتٌ.

(٢) رواه ابن ماجه (٤٠٨٤)، والحاكم (٨٤٣٢)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ عَلَى شَرْطِ الشَّيْخَيْنِ، وَوَافِقُهُ الذَّهَبِيُّ.

المغتصبين، وهو كتطهيره الأرض كلها، وتطهيره بلاد الإسلام قبلها وبعدها، لكن هذا الحديث فيه بشرى عظيمة لأهل فلسطين خاصة وهي أنها لن تتحرر فحسب بل سيجعلها المهدي في أول الأمر عاصمة الخلافة التي ستحكم الأرض كلها فعمود الإسلام سيكون هناك كما صح في الحديث عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ عَنْ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ أَنَّهُ قَالَ: «يَخْرُجُ مِنْ خُرَاسَانَ رَايَاتٌ سُودٌ، لَا يَرُدُّهَا شَيْءٌ حَتَّى تُنْصَبَ بِإِيلِيَاءَ»<sup>(١)</sup>.

**سابع عشر: لأنه الذي لا ينازعه أحد مطلقاً:** ولأنه خليفة الله فلا يمكن ولا يجوز ولا ينبغي أن ينازعه أي خليفة آخر فحكمه بغير شك هو حكم الله كما يريد الله، والله يقول: ﴿وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٢٦].. فكيف ولا وجود لخليفة على الأرض مطلقاً إذا ظهر المهدي.. ولذا قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ قولاً ما قاله في سواه مطلقاً: «فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَبَايَعُوهُ وَلَوْ حَبْوًا عَلَى الثَّلْجِ، فَإِنَّهُ خَلِيفَةُ اللَّهِ الْمَهْدِيِّ»<sup>(٢)</sup>، فعندها يكون كل مسلم في حلٍّ من أي بيعة أو التزام.. ثم الأمر الآخر: هو لزوم الخروج إليه إلى ظاهر البلد أو المدينة التي سيمر بها كما ورد في رواية أخرى، والثالث: أن الخروج إليه واجب ويُتحمّل لأجله المستحيل وليس بعد أمر النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ صورة لتخطي المستحيل لأجل الالتحاق به وهو قوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَبَايَعُوهُ وَلَوْ حَبْوًا عَلَى الثَّلْجِ، فَإِنَّهُ خَلِيفَةُ اللَّهِ الْمَهْدِيِّ»، وهل يمكن الحبو على الثلج لكل الناس؟

(١) رواه أحمد (٨٧٧٥)، والطبراني في الأوسط (٣٥٣٦)، والترمذي (٢٢٦٩)، وقال: حديث غريب حسن.

(٢) أخرجه ابن ماجه (٤٠٨٤)، وقال ابن كثير في النهاية ص (٢٦): تفرد به ابن ماجه وهذا إسناد قوي صحيح، وقال البوصيري في زوائده (١٤٤٢): هذا إسناد صحيح رجاله ثقات، ورواه الحاكم في المستدرک (٨٦٧٧)، وقال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين.

### ثامن عشر: اجتماع رضا الله ورضا عباده جميعاً عليه:

ولأنه «خليفة الله» فإن الله سبحانه يجمع له رضى الله وملائكته ورضى أهل الأرض بكل قومياتهم وأديانهم وطوائفهم، وهذا ما لم يكن لسواه، وما ذلك إلا لأنه خليفة الله كما قال النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «يَرْضَى عَنْهُ سَاكِنُ السَّمَاءِ وَسَاكِنُ الْأَرْضِ».

### تاسع عشر: اجتماع غنى المال وغنى النفس لأفراد الأمة:

ولأنه «خليفة الله» يجمع الله عَزَّجَلَّ للناس غنى النفس وغنى المال، ومن ذا الذي يستطيع أن يجمع هذين الأمرين ويجمع الغنى من أطرافه إلا «خليفة الله»؛ كما ورد في حديث أبي سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: قال رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «وَيَمْلَأُ اللهُ قُلُوبَ أُمَّةٍ مُحَمَّدٍ غِنًى، فَلَا يَحْتَاجُ أَحَدٌ إِلَى أَحَدٍ»<sup>(١)</sup>.

### عشرون: «خليفة الله»:

لأنه يأتي في ختام الأمة، وختام الأمة هو الذروة.. هو المحصلة والنهاية لكل ما سبقه من الغراس والبناء.. فإن لم يكن هذا هو ثمر الغراس الأول وأساسه كتاب الله وهدي رسوله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فغراس من يكون؟

ولو نظرنا في كل خلافة في بلاد من بلدان هذه الدنيا لوجدنا أن أنواع الخلفاء الذين خلفوا قد استوعبوا بأسمائهم وأوصافهم كل ما يمكن أن يتصوره الإنسان وبما لم يتصوره، أما [خليفة الله] فهذا ما لم يجعل الله له من قبل سَمِيًّا، ولم يجعل للفكر البشري إليه سبيلاً، نعم! جاء أهل الباطل بمصطلحات باطلة

(١) رواه أحمد (١١٤٨٤) واللفظ له، وأبو داود (٤٢٨٥)، والترمذي (٢٢٣٢)، وابن ماجه (٤٠٨٣) مختصراً، وقال الأرنؤوط: إسناده ضعيف لجهالة حال العلاء بن بشير المزني، فقد انفرد بالرواية عنه المُعَلَّى بن زياد المَعُولِي -وهو القُرْدُوسِي، ومَعُولَة بَطْن من الأزد- ولم يُؤثر توثيقه إلا عن ابن حبان، وبقيه رجاله ثقات رجال الصحيح.

مقاربة من حيث الألفاظ كالحاكم بأمر الله الفاطمي ونحو ذلك.. ولكن هذا شيء و[خليفة الله] شيء آخر.

### حادٍ وعشرون: خضوع الأرض كلها لحكمة؛ ولأنه «خليفة الله»:

فلن يخرج أحد في الأرض عن حكمه أبداً؛ فعن تميم الداربي رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لَيَبْلُغَنَّ هَذَا الْأَمْرُ مَا بَلَغَ اللَّيْلُ وَالنَّهَارُ، وَلَا يَتْرُكُ اللَّهُ بَيْتَ مَدْرٍ وَلَا وَبَرَ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ هَذَا الدِّينَ، بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ بِذُلِّ ذَلِيلٍ، عِزًّا يُعِزُّ اللَّهُ بِهِ الْإِسْلَامَ، وَذُلًّا يُذِلُّ اللَّهُ بِهِ الْكُفْرَ»<sup>(١)</sup>.

وَعَنِ الْمُقَدَّادِ بْنِ الْأَسْوَدِ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ يَقُولُ: سَمِعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لَا يَبْقَى عَلَى ظَهْرِ الْأَرْضِ بَيْتٌ مَدْرٍ وَلَا وَبَرَ إِلَّا أَدْخَلَهُ اللَّهُ كَلِمَةَ الْإِسْلَامِ، بِعِزِّ عَزِيزٍ أَوْ ذُلِّ ذَلِيلٍ، إِمَّا يُعِزُّهُمْ اللَّهُ فَيَجْعَلُهُمْ مِنْ أَهْلِهَا، أَوْ يُذِلُّهُمْ فَيَذِلُّهُمْ لَهَا»<sup>(٢)</sup>، وهذان الحديثان واضحان والجمع بينهما لا يحتاج إلى عناء فإن العالم كله سيكون خاضعاً لحكم الإسلام من أسلم منه ومن لم يسلم، إلا أن انتشار الإسلام سوف يطبق على الأرض حتى لكأنه لا يوجد على الأرض إلا المسلمون لأن الآخرين وهم القلة القليلة سيكونون خاضعين لحكمه.

### ثانٍ وعشرون: يقضي على وسائل الظلم فيقطع دابره:

ولأنه «خليفة الله»: فهو من ينزع وسائل الظلم وأسلحته من أيدي الظالمين: فإن المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ يملأ الأرض قسطاً وعدلاً بعد ما ملئت ظلماً وجوراً، وهذا لا يمكن أن يكون إلا بواحد من ثلاثة أمور إما أن تهتدي تلك البلاد، أو تستسلم له وتنزل على حكمه، وإما أن تقاتله، فيهزمها، وبعد هذا فلا يمكن أن تبقى الأسلحة الذرية بيد أحدٍ دون أحد؛ لأنها الوسيلة العظمى للظلم وللتحكم في

(١) رواه أحمد (١٦٩٥٧)، وقال الأرئووط: إسناده صحيح على شرط مسلم.

(٢) رواه أحمد (٢٣٨١٤)، وقال الأرئووط: إسناده صحيح.



العالم كما هو في دول العالم اليوم، وبقاء الأسلحة الذرية بيد البعض سبيل لعودة الظلم.. وإنها وسيلة إضرار ودمار وتهديد بالدمار، ويمثل هذا السلاح تعلق حفنة من البشر على أقوام كثيرة فتظلمها وهي لا تقدر أن تواجهها.. وهذه الأسلحة حتى لمن حولها إلى نفايات كانت مُضِرَّة بالحياة.. لذا كان «خليفة الله» هو مَنْ يخلص أرض الله من أخطر خطر صنعه يد الإنسان ضد الحياة والأحياء والأجواء، وهذا ما سيجعل جميع شعوب الأرض تقف معه.. وستتحد معه ضد أنظمتها فيكون الخلاص منها بأيدي أهلها.. وهذه هي وحدة الإنسانية المهمة لدخول الشعوب في دين الله أفواجًا.

### ثالث وعشرون؛ ولأنه [خليفة الله]:

فإنه من الطبيعي أن تعظم أمة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في عهده، كما في الحديث الصحيح الذي رواه أبو سعيد الخدري رَضِيَ اللهُ عَنْهُ قَالَ: «وَتَعْظُمُ الْأُمَّةُ»؛ فَعَنْ أَبِي سَعِيدِ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يُخْرَجُ فِي آخِرِ أُمَّتِي الْمَهْدِيُّ، يَسْقِيهِ اللهُ الْغَيْثَ، وَتُخْرَجُ الْأَرْضُ نَبَاتَهَا، وَيُعْطَى الْمَالُ صِحَاحًا، وَتَكْثُرُ الْمَاشِيَةُ، وَتَعْظُمُ الْأُمَّةُ، يَعِيشُ سَبْعًا أَوْ ثَمَانِيًا»<sup>(١)</sup>. يَعْنِي: حَجَبًا. فإذا رأيت هذا وجدت أن الأسباب المادية والصحية والأجواء كلها تدعو إلى التكاثر، فلم يتوقف الرجال عن التعداد، ولم تتوقف النساء عن الإنجاب، ولم لا تترك كل امرأة العزوف عن الإنجاب كما هو الشأن اليوم.. إن المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ يَحْضُ الْأُمَّةَ وَيَطَالِبُهَا وَهِيَ لَهُ سَامِعَةٌ مَطِيعَةٌ بَأْنَ أَقْرَأُوا عَيْنَ رَسُولِ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ الَّذِي قَالَ: «تَنَاقَحُوا تَنَاسَلُوا أَبَاهِي بِكُمْ الْأُمَّمَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ»<sup>(٢)</sup>، وَفِي

(١) أخرجه الحاكم (١٩٢٧)، وقال: «هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخْرِجَاهُ»، ووافقه

الذهبي، وصححه الألباني في الصحيحة (٧١١).

(٢) مختصر المقاصد الحسنة للزرقاني (٣٢٦).

رواية: «تَنَاقَحُوا تَكَاثَرُوا، فَإِنِّي أَبَاهِي بِكُمْ الْأُمَّم»<sup>(١)</sup>.

ولإسعاد المهدي بحفظه هذه الوصية عن أبيه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ وأقروا  
عينه يوم القيامة، فما من مؤمن ولا مؤمنة إلا وتسابقوا بهذا الشأن.

ثم تعظم الأمة في عهد المهدي كما في حديث أَبِي سَعِيدٍ الْخُدْرِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ،  
أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يُخْرَجُ فِي آخِرِ أُمَّتِي الْمَهْدِيُّ يُسْقِيهِ اللَّهُ الْغَيْثَ،  
وَيُخْرِجُ الْأَرْضَ نَبَاتَهَا، وَيُعْطِي الْمَالَ صِحَاحًا، وَتَكْثُرُ الْمَاشِيَةُ وَتَعْظُمُ الْأُمَّةُ،  
يَعِيشُ سَبْعًا أَوْ ثَمَانِيًا» رواه الحاكم بسند صحيح العريضي ص ١٨٦؛ إذ ما  
من بلد من البلدان إلا وفيه من غير (المسلمين العدد من الملل).. وهؤلاء  
سيكونون سريعي الدخول في الإسلام - بإذن الله -.. ومن البلاد دخولا جماعيا  
- كما أحسب والله أعلم - إلى الإسلام؛ البلاد التي كانت مسلمة مثل أسبانيا  
والبرتغال والهند والفلبين ونحوها.. وهكذا بقية العالم، وكل هؤلاء سوف  
ينجبون ويزيدون لأنهم أصبحوا من الأمة وجميعهم يريدون إقرار عين رسول الله  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ.. وحسبك من قرابة..

وفوق هذا ما سيتغير منهج الزواج من الزواج المتأخر إلى الزواج المبكر..  
فكم وكم فيه من زيادة، والرزق وفير وكل هؤلاء أصبحوا من الأمة فكيف لا  
تعظم الأمة؟!

### الرابع وعشرون: «خليفة الله»؛ لأنه الوحيد الذي يبايع بين الركن والمقام؛

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «يُبَايِعُ لِرَجُلٍ مَا  
بَيْنَ الرُّكْنِ وَالْمَقَامِ، وَلَنْ يَسْتَحِلَّ الْبَيْتَ إِلَّا أَهْلُهُ، فَإِذَا اسْتَحْلَوْهُ فَلَا تَسْأَلُ عَنْ  
هَلَكَةِ الْعَرَبِ، ثُمَّ تَأْتِي الْحَبَشَةُ، فَيُخْرَبُونَهُ خَرَابًا لَا يَعْمُرُ بَعْدَهُ أَبَدًا، وَهُمْ الَّذِينَ

(١) قال ابن حجر في فتح الباري (٩ / ١١١): ذكره الشافعي بلاغا عن ابن عمر.

يَسْتَعْرِجُونَ كَنْزَهُ»<sup>(١)</sup>، وهذه البيعة تأتي بعد الخسف بالجيش الشامي الذي يقصد قتال المهدي وجيشه؛ فَعَنْ حَفْصَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أَنَّهَا سَمِعَتِ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لَيُؤْمِنَنَّ هَذَا الْبَيْتَ جَيْشٌ يَغْزُونَهُ حَتَّى إِذَا كَانُوا بَيْدَاءَ مِنَ الْأَرْضِ يُخَسَفُ بِأَوْسَطِهِمْ، وَيُنَادِي أَوْلَهُمْ آخِرَهُمْ، ثُمَّ يُخَسَفُ بِهِمْ فَلَا يَبْقَى إِلَّا الشَّرِيدُ الَّذِي يُخْبِرُ عَنْهُمْ»<sup>(٢)</sup>

### وهذه البيعة لها مزايا:

**الأولى:** أنها بعد نصر عظيم بل بعد غزوة عظيمة كما سماها النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَعَنْ نَافِعِ بْنِ عُبَيْدَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ: كُنَّا مَعَ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِي غَزْوَةٍ قَالَ: فَاتَى النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَوْمٌ مِنْ قِبَلِ الْمَغْرِبِ عَلَيْهِمْ ثِيَابُ الصُّوفِ، فَوَافَقُوهُ عِنْدَ أَكْمَةٍ، فَإِنَّهُمْ لِقِيَامٍ وَرَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَاعِدٌ، قَالَ: فَقَالَتْ لِي نَفْسِي: إِنَّهُمْ فَقَمٌ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ لَا يَغْتَالُونَهُ. قَالَ: ثُمَّ قُلْتُ: لَعَلَّهُ نَجِيٌّ مَعَهُمْ، فَاتَيْتُهُمْ فَقُمْتُ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَهُ قَالَ: فَحَفِظْتُ مِنْهُ أَرْبَعَ كَلِمَاتٍ أَعِدُّهُنَّ فِي يَدِي، قَالَ: «تَغْزُونَ جَزِيرَةَ الْعَرَبِ فَيَفْتَحُهَا اللَّهُ، ثُمَّ فَارِسَ فَيَفْتَحُهَا اللَّهُ، ثُمَّ تَغْزُونَ الرُّومَ فَيَفْتَحُهَا اللَّهُ، ثُمَّ تَغْزُونَ الدَّجَالَ فَيَفْتَحُهَا اللَّهُ». قَالَ: فَقَالَ نَافِعٌ: يَا جَابِرُ، لَا تَرَى الدَّجَالَ يَخْرُجُ حَتَّى تُفْتَحَ الرُّومُ»<sup>(٣)</sup>.

**الثانية:** أنها عند الكعبة: فهي بيعة الأمة ومن هو موجود هناك إنما هم من الأمة كلها.. لأن هؤلاء المبايعين غير محددى الأجناس أو الأسماء كما هي العادة عند بيت الله تعالى والحمد لله رب العالمين.. ثم كونها عند الكعبة فإنها عند المكان الذي تتوجه إليه بيوت الله التي في الأرض كلها.

(١) رواه أحمد (٧٩١٠)، وقال الأرئوط: إسناده صحيح.

(٢) رواه مسلم (٢٨٨٣).

(٣) رواه مسلم (٢٩٠٠).

إِذَا فَهُوَ الْمَكَانَ الَّذِي إِذَا أُطْلِقَ، فَقِيلَ [بَيْتَ اللَّهِ]، فَلَا يَنْصَرَفُ إِلَّا إِلَيْهِ  
سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى.. فَلَكَ كُلُّ مَسْجِدٍ مِنَ الْمَسَاجِدِ اسْمُهُ أَوْ انْتِسَابُهُ، أَمَا الْحَرَمُ فَهُوَ بَيْتُ  
كَمَا قَالَ عِنْدَ أَوَّلِ بِنَائِهِ وَسَمَاهُ فَقَالَ سُبْحَانَهُ: ﴿وَإِذْ بَوَّأْنَا لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ  
الْبَيْتِ أَنْ لَا تُشْرِكَ بِي شَيْئًا وَطَهِّرْ بَيْتِيَ لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ وَالرُّكَّعِ  
السُّجُودِ﴾ [الحج: ٢٦].



## الكلمة الثالثة: «تُكْرِمَةُ اللَّهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ»

وَعَنْ جَابِرِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا قَالَ: سَمِعْتُ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يَقُولُ: «لَا تَزَالُ طَائِفَةٌ مِنْ أُمَّتِي يُقَاتِلُونَ عَلَيَّ الْحَقَّ ظَاهِرِينَ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ، قَالَ: فَيَنْزِلُ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فَيَقُولُ أَمِيرُهُمْ: تَعَالَ صَلِّ لَنَا، فَيَقُولُ: لَا، إِنْ بَعْضُكُمْ عَلَيَّ بِبَعْضٍ أَمْرَاءُ، تُكْرِمَةُ اللَّهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ»<sup>(١)</sup>، هكذا يجمع النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هذا الموقف ودلالاته بقوله: «تُكْرِمَةُ اللَّهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ»، فالتكرمة ليست للمهدي وحده بل للأمة كلها أولها وآخرها.

ودونك عظمة لهذه التكرمة إذ نُسبت لله عَزَّجَلَّ فقيل: «... تُكْرِمَةُ اللَّهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ»، وسوف نأتي لصور تكرمة الله لهذه الأمة:-

### أولاً: «... تُكْرِمَةُ اللَّهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ»:

والتكرمة هنا بإمامة الصلاة من قبل واحدٍ من هذه الأمة لعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، والمعنى أن إمامه ابن رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ لعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ إنما هي إمامة لأمة يُصلي وراء واحدٍ من أبنائها وأبنائه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ.. فهل من تكرمة لهذه الأمة مثل هذه التكرمة؟! ولو أردنا أن نذكر لفظاً يبين المعنى لهذا الموقف: لقلنا تقديم الله لهذه الأمة فإن من قَدَّمَ المهدي في الأساس هو رب العالمين سبحانه وهو العليم بأن عيسى سينزل وفي اللحظة ذاتها، وهو بكل شيء عليم وهو سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى مَنْ أَنْزَلَهُ.. فالله هو من قَدَّمَ المهدي أساساً، ولو شاء لما أقيمت الصلاة حتى يأتي عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ كما تقام في العادة

(١) رواه مسلم (١٥٦).

عند مجيء النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ للمسجد وعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ يعلم هذا تمام العلم..  
وقدّم المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ لتقديم الله له سلفاً والمهدي ما فعلها إلا تأديباً مع نبي الله  
عيسى ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ.

### ثانياً؛ «... تَكْرَمَةَ اللَّهِ هَذِهِ الْأُمَّةُ»؛

توحد الأمة كم سكيون لهذا الموقف من أثر عظيم في أمة محمد  
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وفي تضامنها، ووحدتها وتأديب نفوس ربما ما تخلصت من  
بعض جاهلياتها وعنجهياتها، وجشعها، فأَيُّ نفس بعد هذا الموقف لا تحقر  
نفسها إن كانت لها ذرة طمع في الحكم بدل المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ؟ كيف تقدم على  
من قدّمه الله إماماً بعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ؟ أي نفس تطيب بأن ترى لها ذرة من الحق  
وهو [خليفة الله] الذي قدمه الله على [روح الله] عيسى ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ؟

وهذا أحوج ما تحتاجه الأمة وقتها؛ إذ الأمة بلغت أطراف الأرض من  
كل جهة بالنسبة لمركز الأمة.. ولربما طمع طامع من أبناء الأسر الحاكمة قبل  
المهدي أو من أصحاب الطمع في حكم بلده الذي تسلل حكمه بآله.

فإن هذا الموقف من تقديم عيسى للمهدي عَلَيْهِمَا السَّلَامُ.. يجعل أهله ومن  
حواله قبل الآخرين يحقرونه بشناعة فعله فمن أنت يا هذا؟ يا من فضلت نفسك  
على عيسى ابن مريم بل قدمت نفسك على من قدمه الله سبحانه ورسوله محمد  
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وكلمة الله وروح منه عيسى ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ؛ إذًا فمن أي ملة  
أنت؟

### ثالثاً؛ «... تَكْرَمَةَ اللَّهِ هَذِهِ الْأُمَّةُ»؛

إن هذا الموقف لن يجعل أيّ بلد دخل في الإسلام من النصرانية يعود مرتدّاً  
عن الإسلام أبداً بفضل هذا الموقف العظيم.. فإن من يتقدم من أبناء البلدان  
النصرانية التي دخلت الإسلام، فقد أعلن رده وتمرده أولاً على عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ

قبل أن يعلنه على الإسلام أو على الإمام المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ.. هذا وأغلب بلاد الكفر اليوم تزعم أنها نصرانية وحتى البلاد الأخرى والأديان الأخرى فإن أكثرها يحب شخصية عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ وبعضهم حاك على خرافة الصلب وحياسة لإلههم الذي هو ابن الإله الأكبر.

وفوق كل هذا ما ألقاه الله عَزَّجَلَّ من القبول والمحبة والرضا في قلوب من في الأرض ومن في السماء على المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ مع الهيبة والقوة؛ لأنه [خليفة الله] فكأن الأرض كلها بجميع بلدانها بيته الصغير في ترابطه وتواده.

#### رابعاً: «... تَكْرِمَةَ اللَّهِ هَذِهِ الْأُمَّةُ»:

أول العمل لعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ الصلاة: إذا كان عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ قد ائتمَّ بإمامة المهدي فهي الدعوة العملية العامة في أول عمل يعمله في الأرض وذلك قبل قتله الدَّجَال لعنة الله عليه لجميع من آمن بعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أن يصلوا بصلاة المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ، وما الصلاة إلا الشعيرة العظمى من شعائر الإسلام.. فهي إذا دعوة من عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لجميع أتباعه وجميع أتباع الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أن آمنوا بالإسلام وائتموا بإمامة المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ فإنه الإمام الممثل للإسلام في آخر الزمان، وهذا من باب ما لا يتم الواجب إلا به، فهو واجب فأنتم لا يمكن أن تقبل صلاتكم حتى تدخلوا الإسلام أولاً.. فأسلموا من فوركم وقوموا لصلاتكم من لحظتكم، واستقيموا وتوبوا إلى الله، وصدق الله؛ إذ قال: ﴿ أَتُلُّ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِابْنِ الصُّكُوتِ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ ﴾ [العنكبوت: ٤٥].

#### خامساً: «... تَكْرِمَةَ اللَّهِ هَذِهِ الْأُمَّةُ»:

لا يتعلق الاتباع بالصلاة وحدها، وإنما بالقيادة، فإن الإمامة والإمارة هنا مجتمعة للمهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ.

إذًا فهو إعلان عملي كذلك في هذه الحياة عن إمامة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ  
للأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، وأن هذا الاتباع يتمثل في الاتباع التشريعي التفصيلي وما هذا  
إلا للإقرار بأن البشرية قد بلغت منتهى الكمال التشريعي يتلقاه عيسى وهو آخر  
الأنبياء السابقين عليهم السلام أجمعين. ويكون مأمومًا لإمامنا «إِنَّمَا جُعِلَ  
الإِمَامُ لِيُؤْتَمَّ بِهِ، فَإِذَا كَبَّرَ فَكَبِّرُوا، وَإِذَا رَكَعَ فَارْكَعُوا، وَإِذَا سَجَدَ فَاسْجُدُوا، وَإِنْ  
صَلَّى قَائِمًا فَصَلُّوا قِيَامًا»<sup>(١)</sup>، فأَيُّ تشريع هذا الذي يصلح للأنبياء؟ أي كرامة  
سيعتقدها الناس ويبلغون القناعة الراسخة فيها؟ وهي أن صلاة هذا الإمام  
أستوي أنا فيها مع الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ، إنه لأمر عظيم إذًا فهذه هي الطريق المقبول  
قطعًا إلى الله، وهذا هو الدعاء المجاب قطعًا عند الله.

إن هذا من النظرة الأولى لأصحاب ملل في هذه الأرض رأوا هذه الصلاة  
وهم يصلون صلواتهم ويدعون دعواتهم، وهم شاؤون في آلهتهم التي يدعون  
من دون الله، فهل من تكرمة لهذه الأمة مثل هذه التكرمة؟! مؤتم برسول الله  
صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الذي قال: «وَصَلُّوا كَمَا رَأَيْتُمُونِي أُصَلِّي»<sup>(٢)</sup>.

**سادسًا: «... تَكْرِمَةُ اللَّهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ» مقام رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو المقام**

**والأعلى في الخلق:**

هنا عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ قد أصبح مؤتمًا بالمهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ والحقيقة هي أن  
الجميع في هذا جواب واضح على بعض من تساءل غيره في غير محلها بقول:  
فأين رسول الله؟! لِمَ كل هذا للمهدي ولم يكن لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟!!

فلا صلاة المهدي ولا صلاة عيسى عَلَيْهِمَا السَّلَامُ مقبولة إن حادا - وحاشاهما -

عن صلاة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وهكذا كل شيء: ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَىٰ

(١) رواه البخاري (٣٧٨).

(٢) رواه البخاري (٦٣١).



اللَّهُ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ ﴿يوسف: ١٠٨﴾.

ثم التفكير بهذ الطريقة لا يكون أبداً بين الأب وابنه، بل ولا بين الصديق الوفي وصديقه.. فهل يتصور أحد ذلك مسلم يؤمن بالله ورسوله؟ هل المهدي أتى بدين جديد، أم أنزل عليه كتاب غير القرآن، أم خلق الله أمة غير أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، كم دعا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ طوال الليل والنهار حين أخبره بما سيؤول إليه أمر أمته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في هذه المرحلة من الزمان خاصة، وإلا فمن الذي أخبرنا عن علامات الساعة تفصيلاً.. وهل كان موقف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ سلبياً إذ علم أن الأمة سوف تنتكس، وتبيح ما حرم الله، وتترك القرآن، وتترك اتباعه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وتتبع المغضوب عليهم والضالين، وتستعلن بالكبائر، وتتغير أخلاقها، وتتمزق وحدتها ويقتل بعضها بعضاً.. وأخبر بتفاصيل التفاصيل... فهل كان موقف رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من هذه المصائب سلبياً.. هل سيكون موقف الأب من أبنائه البعيدين عنه المتعرضين لابتلاء ما أن يسكت أم يشتد دعاؤه لهم.. ليرد الله قدره فالدعاء يرد القدر، أو يلطف بهم فيمره عليهم خفيفاً سريعاً، أو يجعل لهم مخرجاً، أو يثبتهم ويشبههم، أو يجعل العاقبة لهم، أو يهيئ لهم قائداً يجمعهم على الحق ويجعل الدين على الدين كله.. بل موقف رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هو ذلك كله، وهم أعظم من ذلك، والله أعطاه أعظم مما أراد، وأقر عينه بوعدده ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَرَضَىٰ﴾ [الضحى: ٥]. فكل هذه الذي جعل الأمة لِمَنْ؟ وِمَنْ؟ ولأجل من سواه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ جمع له في آخر أمته [خليفة الله] و[روح الله].. وكلهم سائر على منهجه، كما قال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «خِلَافَةُ عَلِيٍّ مِنْهَاجِ النَّبُوَّةِ» بمعنى أن المنهاج منهاجه، وإن اختلفت الكيفيات حسب الزمان والعصر.. بحيث يقطع كل واحد أن هذا هو قضاء رسول الله وحكمه... فلو أنه كان حياً لحكم بهذا الحكم قطعاً، ولا تبديل لحكم الله.

### سابعًا: «... تَكْرِمَةَ اللَّهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ»:

خلافة الله لا تورث: وهنا لا بد من تنبيه وهو أن قول عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ: «إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أُمَرَاءُ» إنما هو خاص بالمهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ ذلك أن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ يَأْتُم بِإِمَامَةِ الْمَهْدِيِّ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ يقاتل كذلك في الجيش الذي يقوده المهدي ضدَّ الدَّجَالِ وجنده، ويقتل عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ الدَّجَالَ لعنة الله عليه، ويعيش المهدي بعد هذا فترة هو الإمام وهو الأمير إلى أن يتوفاه الله بعد تمام السابعة من ظهوره، ثم يتولى الإمامة والإمارة عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ ويحكم أربعين سنة كاملة.

فإن قلت: كيف يكون ذلك وعيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ هو مَنْ قَالَ: «إِنَّ بَعْضَكُمْ عَلَى بَعْضٍ أُمَرَاءُ»، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ هو مَنْ قَالَ: «تَكْرِمَةَ اللَّهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ»؟

**والجواب عن هذا:** هو أن في هذا القول الذي قلته جمع لكل ما ورد من الأحاديث، فلك أن تتصور لو أن المسيح بن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ منذ أول ما نزل تقدّم للإمامة لكان في هذا أكبر دليل للنصارى على إمامة النصارى لأمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ لأن كل الملل تنتظر مسيحها، حتى وإن قتل بعد هذا الدَّجَالِ فإن ذلك إنما يدل عندهم على تكذيب اليهود بقتل إمامهم، وأن الإمامة على الأمم كما أخذت من المسلمين لو تقدم عيسى على المهدي في الصلاة فإن القيادة أخذت لعيسى من اليهود في الحياة.

ولهذا، فإن تقديم المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ لعيسى للصلاة.. إنما كان هو ما يعتقدُه المهدي من حقِّ عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ عليه وعلى سواه من أبناء هذه الأمة.. وكان جواب عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ لأنه تحقيق للغاية التي نزل إليها أساسًا.. ولهذا فإن عيسى بعد ما نزل وصلى وراء المهدي وعاش معه كواحدٍ من هذه الأمة على أنه عيسى ابن مريم - كلمة الله وروح منه - ودخل أتباعه في الإسلام دخولًا عظيمًا

لم يبقَ أيُّ تعلُّقٍ لمبطل أن يحتج بعبادة عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أو التثليث أو نحو ذلك، ولهذا كان مَنْ يكسر الصليب هو عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهو مَنْ يرفع الجزية ويقتل الخنزير... إذا فَمَنْ أولى بالحكم بعد المهدي من عيسى ابن مريم عَلَيْهِ السَّلَامُ وقد أصبح من أمة محمد صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وزالت كل شبهة للنصارى، بل هذا هو ما أثبتته عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ أول ما نزل والمسلمون في صفوف الصلاة، نعم! هو نزل كما بعثه الله وكما رفعه الله بأنه نبي الله ورسول الله وكلمة الله ألقاها إلى مريم وروح منه ولكنه رسول قد أدى الرسالة وانتهى.. نبِّيُّ قد أخبر بما نبِّيُّ به وانتهى وجاء اليوم لمقام جديد عظيم.. لم يتذوقه في حياته ولم يبلغ عظمته أيُّ نبي من أنبياء بني إسرائيل عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.. فمن ذا الذي يحلم أن الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ أن يكتب الله ما كان له مع قومه كاملاً.. ثم يقبضه إليه ثم يعيده ثانية لخير أمة في خير أوضاعها بعد عهد الصحابة رَضِيَ اللهُ عَنْهُمْ؟ وفي أعظم وأرفع مقاماتها، وأكثر أعدادها؛ إذ غطت الأرض كلها حيث الدين كله لله.. وقد امتلأت الأرض أعداداً بل عباداً.. يحكمها بما أنزل أربعين سنة تامة وافية ويحكم أربعين سنة، هي أعظم السنين سلماً وسلاماً وغنىً وأماناً كما في الحديث؛ فَعَنْ عَائِشَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا قَالَتْ: دَخَلَ عَلَيَّ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وَأَنَا أَبْكِي، فَقَالَ لِي: «مَا يُبْكِيكِ؟» قُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، ذَكَرْتُ الدَّجَالَ فَبَكَيْتُ، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنْ يَخْرُجَ الدَّجَالُ وَأَنَا حَيٌّ كَفَيْتُكُمْوَهُ، وَإِنْ يَخْرُجَ بَعْدِي، فَإِنَّ رَبَّكُمْ عَزَّجَلَّ لَيْسَ بِأَعْوَرَ، إِنَّهُ يَخْرُجُ فِي يَهُودِيَّةٍ أَصْبَهَانَ حَتَّى يَأْتِيَ الْمَدِينَةَ، فَيَنْزِلُ نَاحِيَّتَهَا، وَلَهَا يَوْمَئِذٍ سَبْعَةُ أَبْوَابٍ، عَلَى كُلِّ نَقْبٍ مِنْهَا مَلَكَانٌ، فَيَخْرُجُ إِلَيْهِ شِرَارُ أَهْلِهَا حَتَّى الشَّامَ مَدِينَةَ بِنِلسُطِينَ بِبَابِ لُدٍّ<sup>(١)</sup>». وَقَالَ أَبُو دَاوُدَ مَرَّةً: «حَتَّى يَأْتِيَ فِلَسْطِينَ بَابَ لُدٍّ، فَيَنْزِلَ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فَيَقْتُلُهُ، ثُمَّ يَمُكُّتْ عِيسَى عَلَيْهِ السَّلَامُ فِي الْأَرْضِ أَرْبَعِينَ سَنَةً إِمَامًا عَدْلًا وَحَكَمًا

(١) بباب لُد، لد: مدينة فلسطين تقع على بضعة أميال جنوب شرق يافا، وحوالي ثلاثة أميال شرق توأمها الرملة، قال ياقوت: بابها يُدرك عيسى ابن مريم الدجال، فيقتله.

مُقْسِطًا»<sup>(١)</sup>، وَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ: «الْأَنْبِيَاءُ إِخْوَةٌ لِعَلَاتٍ، أُمَّهَاتُهُمْ شَتَّى وَدِينُهُمْ وَاحِدٌ، وَإِنِّي أَوْلَى النَّاسِ بِعَيْسَى ابْنِ مَرْيَمَ؛ لِأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ بَيْنِي وَبَيْنَهُ نَبِيٌّ، وَإِنَّهُ نَارِلٌ، فَإِذَا رَأَيْتُمُوهُ فَاعْرِفُوهُ: رَجُلٌ مَرْبُوعٌ»<sup>(٢)</sup> إِلَى الْحُمْرَةِ وَالْبَيَاضِ، عَلَيْهِ ثُوبَانِ مُمَصَّرَانِ<sup>(٣)</sup>، كَانَ رَأْسُهُ يَقْطُرُ، وَإِنْ لَمْ يُصْبَهُ بَلَلٌ، فَيَدُقُّ الصَّلِيبَ، وَيَقْتُلُ الْخَنْزِيرَ، وَيَضَعُ الْحِزْيَةَ، وَيَدْعُو النَّاسَ إِلَى الْإِسْلَامِ، فَيَهْلِكُ اللَّهُ فِي زَمَانِهِ الْمَلَلَ كُلَّهَا إِلَّا الْإِسْلَامَ، وَيَهْلِكُ اللَّهُ فِي زَمَانِهِ الْمَسِيحَ الدَّجَالَ، ثُمَّ تَقَعُ الْأَمْنَةُ عَلَى الْأَرْضِ حَتَّى تَرْتَعَ الْأَسْوَدُ مَعَ الْإِبِلِ، وَالنَّمَارُ مَعَ الْبَقَرِ، وَالذَّنَابُ مَعَ الْغَنَمِ، وَيَلْعَبُ الصَّبِيَانُ بِالْحَيَاتِ، لَا تَضُرُّهُمْ، فَيَمُكُثُ أَرْبَعِينَ سَنَةً، ثُمَّ يُتَوَفَّى، وَيُصَلِّي عَلَيْهِ الْمُسْلِمُونَ»<sup>(٤)</sup>.

### ثَامِنًا : تَكْرَمَةُ اللَّهِ :

لا نسبة لهذه النعمة إلا لله: ولأنها تكرمة الله، فقد جاءت جامعة عاجلة وأجلة.. فما يشهده الناس في الدنيا من إكرام من الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى لا نظير له في الدنيا فحسب، وإنما يشهدون شهادة حق بأن هذا النعيم لا يقدر عليه ولا يملكه ولا يمنحه وينعم به أحدٌ إلا الله سُبحَانَهُ وَتَعَالَى ولا تصح نسبة هذه التكرمة إلا إلى الله؛ تكرمة الله.

وهذا الربط الصريح الواضح القاطع في نعم الله مطلقاً شهادة بأن لهذه النعمة خصوصية على النعم الأخرى المطلقة: نعم! هي الأطيب والأكثر والأبرك؛

(١) رواه أحمد (٢٤٤٦٧)، وقال الأرئؤوط: إسناده حسن.

(٢) المربوع: هو المعتدل القامة.

(٣) ثوبان ممصَّران، أي: فيهما صُفْرَةٌ.

(٤) رواه أحمد (٩٢٧٠)، وأبو داود (٤٣٢٤)، وابن حبان في صحيحه (٤٩٩٧)، والحاكم

(٤٢٠٦)، وقال: هَذَا حَدِيثٌ صَحِيحٌ الْإِسْنَادِ، وَلَمْ يُخْرَجْ أَهْ، وَوَأَفَقَهُ الذَّهَبِيُّ، وَقَالَ

الْأَرْنَؤُوطُ: حَدِيثٌ صَحِيحٌ.

لأنها نعم منسوبة لله، وهي الواردة في قول رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «فَتَنَعَّمُ فِيهِ أُمَّتِي نِعْمَةً، لَمْ يَنْعَمُوا مِثْلَهَا قَطُّ»<sup>(١)</sup>، وهي أنها نَعَمٌ مذكّرة بالله، نعم تسوق العبد إلى الله.. تدفع العبد إلى شكر الله.. مثل [خليفة الله]، فإن حاله كله مذكّر بالله هادٍ إلى الله؛ أليس هو المهدي؟ أليس هو من جمع له النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ الاسمين معًا في حديث واحد وهو أنه: «فإن فيهم خليفة الله المهدي»، ولا يمكن أن يسميه الله بذلك لو لم يجعله الله كله كذلك.. فأنتى نظرتَ وجدت هداية الله، وإلى الهداية إلى الله.

### تاسعًا: «... تَكْرِمَةُ اللَّهِ» الإِنْعَامُ بِالنَّعْمِ الْخَالِصَةِ:

لم يسم الله نعم الله على الناس أو على الأمة بأنها تكرمه حاشا كتاب الله وحاشا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.. بل النعم - في العادة - فيها المقصودان: الخير والشر وقال سبحانه: ﴿وَبَلَّوْكُمْ بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ فِتْنَةً وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ﴾ [الأنبياء: ٣٥]، أما هذه فجنس آخر من نعم الله.

فإن الذي نعرفه نحن أن دار كرامة الله إنما هي الجنة... وما أعظم إكرام الله عَزَّجَلَّ لآخر المؤمنين في هذه الدنيا، وما أعظم تهيئتهم لجنة الله ونعيمها! فهم المجاورون زمانًا إلى جنة الله، وشتان بين الاثنين شتان، لكن تبقى هذه النعم من تكرمة الله لهذه الأمة في الدنيا، وتلك تكرمة الله للمؤمنين في دار الخلود، والقاسم المشترك هي أنهم ينقلون من كرامة الله في الدنيا إلى كرامة الله في الآخرة.

### عاشرًا: كرامة الله لهذه الأمة:

نعم الله هذه تدل على الله: لا يزال الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ هم أشد الناس بلاءً في الدنيا.. حتى جاء رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ فكان أشد الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ بلاءً

(١) أخرجه ابن ماجه (٤٠٨٣)، وحسنه الألباني.

هو صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، واستمر الأمر على هذا، يُبتلى الرجل على قدر دينه حتى يومنا هذا، وما كان لهذا الحال من الابتلاء والتشريد والتضييق وضيق ذات اليد، والبؤس أن يستمر في الأجيال جيلاً بعد جيل إلى أن تقوم الساعة، فجاء الفرج العظيم وجاءت [تكرمة الله] لهذه الأمة في الختام وفي الجيل الخاتم تكرمة للأمة كلها.. والمؤمنون كجسد واحد أولها وآخرها سواء، وسعادة المؤمنين الأحياء سعادة لإخوانهم الذين سبقوهم بالإيمان، وكما أن المؤمنين الأحياء يدعون لإخوانهم الذين سبقوهم بالإيمان فلقد أعطاهم الله في الدنيا ما دعوا به لإخوانهم الذين سبقوهم بالإيمان من نعيم الله وتكرمة من الله كما قال سبحانه: ﴿وَالَّذِينَ جَاءُوا مِنْ بَعْدِهِمْ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِبْنَا لِنُؤْمِنَ بِمَا كَانُوا عَلَىٰ مِنْهَا لَقِينًا﴾ [الحشر: ١٠].

فما من أحدٍ من المؤمنين الراحلين يُبلِّغ بهذه النعم إلا ويفرح بها فرحاً عظيماً وهو في البرزخ.

ولهذا جاءت هذه التكرمة استثناءً من سنن الله مع السابقين في هذه الأمة ومن قبلها؛ لأنها تكرمة الله، والله لا حدَّ لكرمه، ولا محجَّر لعطائه بل هو مَنْ يكرم متى شاء وكيف شاء بما شاء، وهنا جاءت صريحة واضحة [تكرمة الله هذه الأمة]، والله لا يُسأل عما يفعل.

### حادي عشر: [تكرمة الله هذه الأمة]:

الكريم يكرم من إكرام الله: وما دامت تكرمة الله هذه الأمة، فإن هذه الأمة سوف تكرم من إكرام الله الأمم الأخرى بغير حدٍّ ولا عدٍّ..

وما كان لتكرمة الله أن تثمر إلا تكرمة الله العباد بالهداية إلى الله وتأليف قلوبهم على الأخوة في الله ومحبة الله، والإفاضة من نعم الله.

تكرمة الله التي تعم وتخص وتشمل ما ظهر وما بطن، وإذا أكرمت هذه الأمة، فإنها لن توقف إكرام الله لها على حدودها، ولن تقتصر على أبنائها بل تشمل العالمين، فالله أعلم أين يجعل رسالته.. والله أعلم من يعطي نعمته ويأتمنهم عليها فيحافظوا عليها، وينفقونها، فيزيدهم.

أوسع ما تكون نعمة بيد المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ، وأيُّ تكربة أكبر من أن يحييها الله عَزَّجَلَّ لأكرم الناس؟ وأيُّ تكربة لهذه الأمة أكبر من أن يجعل الله أكرم كرامها يحملون كرامتها؟ وهل أكرم من رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وآل رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وذريته من بعده... وسبحان الله، فإن هذا يعيد الذاكرة لمن يعيش عصر المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ ويرى الإكرام إلى ما قبل المهدي، وقد تولى النعم بيوتات هنا وهناك ولكن الأمة لم تكرم... فيعلم الناس عندها معنى قول المصطفى صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ: «...تَكْرِمَةَ اللَّهِ هَذِهِ الْأُمَّةُ»، ويرون كيف أصبحت النعم وافرة واصلة مباركة لكل العالمين بذاك الرجل الكريم ابن الأكرمين ابن أكرم الأكرمين في العالمين صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ.

### ثاني عشر: تكربة الله هذه الأمة؛

تكرمة الله هذه الأمة خاصة دون غيرها فلا مثل لهذه الخاصية في أمة من الأمم.. فالله قد اختص هذا المقام مقام [خليفة الله] لهذه الأمة وحدها من دون الأمم.. وإكرامًا لها؛ لكرامتها على الله.. وإكرامًا لها بيت رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، كما هو في الأساس إكرام لهذا البيت بكرامة رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عند الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى أن اختار من هذا البيت [خليفة الله].

ثم إذا كان الله سبحانه قد أعطى رسوله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ عهدًا أن يعلي دينه ويجعل العاقبة له... أليس هذا وحده كافيًا للوفاء بالعهد؟ ومن أوفى بعهده من



الله ولكن أيهما أقرَّ لعين النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يكون هذا الإعلاء على يد واحدٍ من عامة المؤمنين؛ أم يكون على يد ولدٍ له قد جعله الله للمتقين إمامًا؟! إن الطبع البشري والإحساس الأبوي الذي خلقه فيه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ يشهد أن يكون ذلك الإمام هو ولده. وهو القائل صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: «إِنَّ أَطْيَبَ مَا أَكَلَ الرَّجُلُ مِنْ كَسْبِهِ، وَإِنَّ وَلَدَهُ مِنْ كَسْبِهِ»<sup>(١)</sup>، كيف وكسب المهدي بغير شك لأبيه ومربيه ومعلمه صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ؟!!



(١) أخرجه النسائي (٤٤٥٢) واللفظ له، وأخرجه أبو داود (٣٥٢٨)، والترمذي (١٣٥٨) باختلاف يسير، وصححه الألباني.

مسك الختام

﴿ إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا ﴾ [الأحزاب: ٥٦].



## فهرس الموضوعات

- المقدمة: هي رابط الإيحاء والإحياء ..... ٥
- كم تستطيع أن تقرب من المشاهدة؟ ..... ٧
- يتيم متيم ..... ١١
- سيبكك الثقلان يومًا ندمًا يا رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ..... ١٢
- إني لأحسبه الختام بالصلاة والسلام عليه ..... ١٦
- الفصل الأول: القول الأعظم في الصلاة على النبي صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ﴿ إِنَّ
- الله وَمَلَائِكَتَهُ، يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا
- تَسْلِيمًا ﴾ ..... ١٩
- خصائص الصلاة عليه من الآية ..... ١٩
- الخصيصة الأولى: ﴿ يُصَلُّونَ ﴾ إنها إجماع العالمين يتدته رب
- العالمين ..... ١٩
- الثانية: ﴿ وَمَلَائِكَتُهُ ﴾ ..... ١٩
- الثالثة: يصلون ولا يفرون ..... ١٩
- رابعًا: وهل مثل هذا الإجماع إجماع في العالمين ..... ٢٠
- خامسًا: استحالة حصر المصلين عليه ..... ٢١
- سادسًا: بالصلاة عليه تجتمع كل خصائصه ..... ٢١



- سابعًا: انفراده وحده بصلاة الله وملائكته عليه عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ ..... ٢٢
- فأين الأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ في الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟ ..... ٢٣
- الفصل الثاني: فضل الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ** ..... ٢٩
- الفضل الأول: طابع الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ نفعها متعدّدٌ إلى الغير ..... ٢٩
- الفضل الثاني: دعاء شامل وجزء كامل ..... ٣٤
- الفضل الثالث: الصلاة عليه لها في كل جزئية فضلان ..... ٣٩
- الفضل الرابع: الصلاة عليه أكثر وأكبر من عدد جزئيات الزمان ..... ٤٢
- الفضل الخامس: ربط صحة الصلاة في الصلاة بالصلاة عليه ..... ٤٤
- المناسبة الأولى: الصلاة هي الأحق بالصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ... ٤٤
- المناسبة الثانية: كلا الصلاتين من عند الله وإلى الله مباشرة ..... ٤٩
- المناسبة الثالثة: اجتماع الشهادة الكاملة لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في الصلاتين ..... ٥٠
- الفضل السادس: لا يتحقق القيام بها من مرة واحدة صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ... ٥٤
- الفضل السابع: الصلاة عليه صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بعد الأذان ..... ٥٨
- الفضل الثامن: فيها الشكر لرسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بأبلغ ما يمكن الشكر ..... ٦١
- الفضل التاسع: أنها حافظة لمقام قائد الأمة وقودتها ..... ٦٤
- الفضل العاشر: تهلّل لأجلها وجه رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ واستبشر ... ٦٥

- الفضل الحادي عشر: أن فيها فضل التسليم على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ..... ٦٩
- الفضل الثاني عشر: في الجمعة خاصة الطريق مباشر إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ للصلاة والسلام عليه..... ٧٣
- الفضل الثالث عشر: الجمعة والجماعات في ظلال الصلاة على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ..... ٨٣
- الفضل الرابع عشر: الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ تمثل رسالة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وتَحْمِلُهَا..... ٨٥
- الفضل الخامس عشر: أن الصلاة عليه تسع غير المسلمين أن يصلوها..... ٩٣
- الفضل السادس عشر: الفخر الموروث للعائلة، والبرُّ المحفوظ في الأبناء بالصلاة على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ..... ٩٧
- الفضل السابع عشر: الدرجة الأعلى لمنبر الجمعة للصلاة على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ..... ١٠١
- الفضل الثامن عشر: الإيثار بالإيثار والإكثار بالإكثار..... ١٠٦
- الفضل التاسع عشر: ومضة من آيات سورة الجمعة مع رسول الله، وآله وأمته..... ١١٣
- الفضل العشرون: ماذا بين الأذان والصلاة على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ؟!..... ١٢٦
- الفضل الحادي والعشرون: الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ بعد الأذان؟..... ١٣٥



### الفصل الثالث: جولات القلب ورحلات الفكر أثناء الصلاة على النبي

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ..... ١٤٩

انطلاق فكرة الرحلة بالصلاة على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ..... ١٤٩

مقدمة الجولات..... ١٥٥

الجولة الأولى: ما قبل ولادته صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ، إلى ما قبل الغار العظيم.. ١٥٥

الجولة الثانية: إلى غار حراء مع رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ..... ١٦٢

يا رسول الله عذراً..... ١٦٧

الطلوع من الغار..... ١٧٧

مدرسة الغار العظمى..... ١٨٦

﴿أَقْرَأُ﴾ وما أدراك ما ﴿أَقْرَأُ﴾..... ٢١٦

### الفصل الرابع: الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ في القرآن العظيم... ٢٢٣

صلاة الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ دعاء أم ثناء أم

جزاء؟..... ٢٣٤

### الفصل الخامس: رسائل الصلاة على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ..... ٢٤٣

الرسالة الأولى: نرفعها لله رب العالمين شهادة يرفعها عباده

المشفقون..... ٢٤٣

الرسالة الثانية: إلى رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ من أمته..... ٢٤٩

الرسالة الثالثة: رسالة من الصلاة على رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ نفسها:

إنني دعوةٌ إلى الله..... ٢٦٧

- الرسالة الرابعة: السلام إليك يا رسول الله صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ..... ٢٧٢
- الرسالة الخامسة: تعالوا يا غير المسلمين ..... ٢٧٧
- يقولون: لماذا تكثرون الصلاة عليه؟ إنه نبيكم صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ..... ٢٧٧
- لكم وحدكم يا آل البيت ..... ٢٨٠
- المقدمة: التشهد يشهد ..... ٢٩٩
- الباب الأول: يا آل بيت رسول الله ص هذا بعض ما لكم ..... ٣٠٩
- لكم أولاً: الصلاة في الصلاة عليكم ..... ٣٠٩
- لكم ثانياً: وصية الله الجازمة الدائمة اللازمة بكم ولكم ..... ٣١٢
- ﴿إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾: تلك الوصية القاطعة الصريحة ..... ٣١٢
- لكم ثالثاً: حفظ ذريتنا بحفظ ذرياتكم يا آل البيت ..... ٣١٦
- لكم رابعاً: لا خلود للأمة إلا بخلودكم ..... ٣١٨
- ﴿إِن شِئْنَاكَ هُوَ الْأَبْتَرُ﴾ ..... ٣١٨
- لكم خامساً: ربطكم بالإيمان وربط الإيمان بكم ..... ٣٢٦
- ﴿إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ ..... ٣٢٦
- ربط الله عَزَّجَلَّ ﴿إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ بالإيمان القلبي وموجباته ..... ٣٢٨
- لكم سادساً: المودة ..... ٣٣١
- ﴿قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ ..... ٣٣١
- ﴿إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَىٰ﴾ ..... ٣٣١



- لكم سابعًا: السلام عليكم وعلى ألكم حتى آخركم من الولااء لرسول  
الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ والودُّ لكم ..... ٣٤٦
- لكم ثامنًا: الوصية لجميعكم ..... ٣٤٩
- هل ود آل البيت مشروط بصلاحهم أو بصالحيتهم؟ ..... ٣٤٩
- ما الرابط بين محبة آل بيت رسول الله صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ وبين  
الإيمان؟! ..... ٣٥٢
- الباب الثاني: بِمَ حَفِظَكُمْ اللهُ عَزَّوَجَلَّ يا آل بيت النبوة حفظًا إلى الأبد؟ ..... ٣٥٥
- حفظكم الله أولاً بكلماته ..... ٣٥٥
- حفظكم بالحفظ الثاني: بأسماء لها حدودها وحماها ..... ٣٥٧
- حفظكم بالحفظ الثالث: بِخُلُقِ الحياء ..... ٣٦٦
- حفظكم بالحفظ الرابع: ببرهان ربكم في صدوركم ..... ٣٧٠
- حفظكم بالحفظ الخامس: بحفظ نسائكُم حيث جعل القنوت فيهن  
خُلُقًا ..... ٣٧٢
- الحفظ بالحفظ السادس: حساسية الحراس لمقام رسول الله  
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ..... ٣٧٤
- حفظكم بالحفظ السابع: بإقامة الأمة مقامكم من مقام رسول الله  
صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَآلِهِ وَسَلَّمَ ..... ٣٧٨
- حفظكم بالحفظ الثامن: أبعداكم سبحانه عن دائرة الصراع ..... ٣٨٨
- الباب الثالث: تفاصيل في داخل آل البيت الكرام ..... ٣٩٣
- هل من فارق ما بين آل البيت وأهل البيت والقربى والعترة؟ ..... ٣٩٣

- ٣٩٩ إحكام الله ربط النسب الطاهر بأصله الأعظم إحكامًا فوق المعتاد . ٣٩٩
- أولاً: لمن نسبة البيت ..... ٣٩٩
- ثانياً: الإحكام الخَلْقِي ..... ٤٠٢
- ثالثاً: ماذا لو كانت النسبة لعلي عَلَيْهِ السَّلَامُ ..... ٤٠٣
- رابعاً: أعود لأؤكد ..... ٤٠٤
- خامساً: الأم خديجة بنت خويلد رَضِيَ اللهُ عَنْهَا ..... ٤٠٥
- سادساً: كان منتهى آل البيت إلى خديجة ..... ٤٠٦
- سابعاً: وهكذا حماهم الله حين جعل الذرية من فاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ ... ٤٠٩
- ثامناً: «إِنَّ ابْنِي هَذَا» ..... ٤٠٩
- تاسعاً: غلبة جينات سيد الخلق صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ..... ٤١٢
- عاشراً: لا ذرية إلا بفاطمة عَلَيْهَا السَّلَامُ ..... ٤١٣
- الباب الرابع: الثمرة العظمى للآل في الختام ..... ٤١٧
- الكلمات الثلاث الأخيرة لكم على العالمين ..... ٤١٧
- الكلمة الأولى: المهدي عَلَيْهِ السَّلَامُ ..... ٤١٩
- الكلمة الثانية: «خَلِيفَةُ اللهِ» ..... ٤٦٤
- الكلمة الثالثة: «... تَكْرِمَةَ اللهِ هَذِهِ الْأُمَّةَ» ..... ٤٨٩
- مسك الختام ..... ٥٠١
- فهرس الموضوعات ..... ٥٠٢

إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ  
يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْمُوا عَلَيْهِ وَتَسَلِّمُوا عَلَيْهِ

# هَلْ عَطَيْنَاهَا حَقَّهَا

الصَّلَاةُ عَلَى رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ  
زَرَّ الطَّاقَةَ.. وَسَرَّ الْإِفَاقَةَ



تأليف

توفيق بن خلف الزقاني